

المؤرخ المصرى



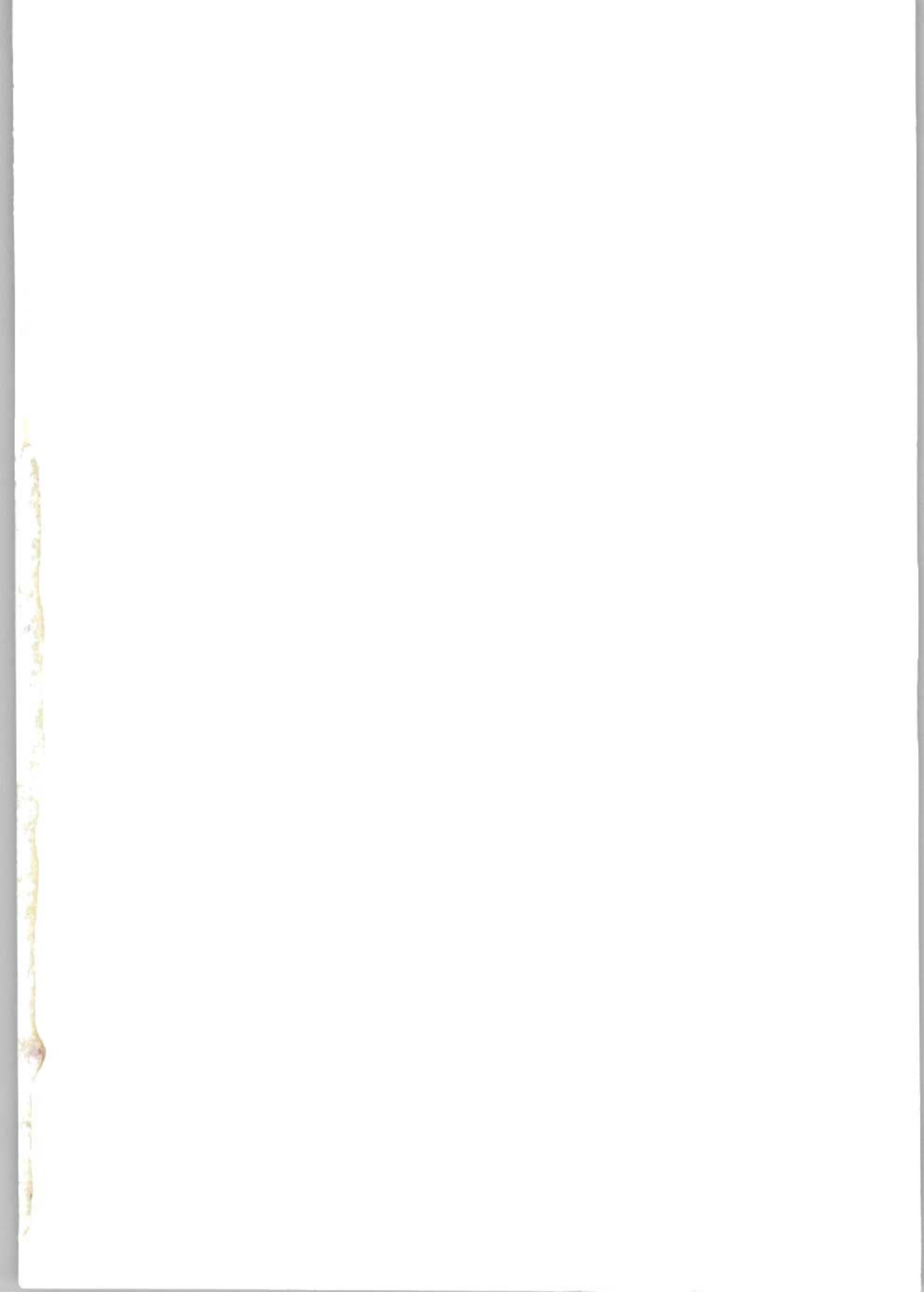
دراسات وبحوث فى التاريخ والحضارة



يصدرها قسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة القاهرة

العدد السابع والثلاثون يوليو ٢٠١٠







المؤرخ المصرى

دراسات وبحوث فى التاريخ والحضارة

يصدرها قسم التاريخ
كلية الآداب – جامعة القاهرة

العدد السابع والثلاثون

يوليو ٢٠١٠



المراسلات : ترسل البحوث والمقالات باسم أ.د. محمد عفيفى رئيس التحرير على العنوان التالى : (قسم التاريخ) كلية الآداب – جامعة القاهرة – بريد الأورمان – الجيزة.

All correspondence to be directed to : Editor- in chief- Prof. Mohamed Afify, Cairo University, Faculty of Arts, Orman, Giza, A.R.E.

قواعد النشر

- ترحب مجلة المؤرخ المصرى بنشر الأبحاث والدراسات الأصلية ذات المستوى الجاد بعد التحكيم، فضلا عن مراجعات وعرض الكتب الجديدة.
- تقبل المؤرخ المصرى للنشر الأبحاث التاريخية والحضارية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد عدد الصفحات عن ٣٠ صفحة مسجلة على ديسك كمبيوتر وفق برنامج (word) مع نسخة مطبوعة على ورق حجم A4 بما فى ذلك الهوامش والجداول وقائمة المراجع، على أن تكتب الهوامش فى نهاية البحث.
- المؤرخ المصرى لا تنشر بحوثا سبق أن نشرت أو معروضة للنشر فى مكان آخر، وتقوم رئاسة التحرير بإخطار المؤلفين بإجازة بحوثهم للنشر بعد عرضها على هيئة التحكيم.
- تحتفظ المؤرخ المصرى لنفسها بحق قبول أو رفض الأبحاث أياً كان قرار هيئة التحكيم.
- النشر فى المؤرخ المصرى متاح لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية والعربية والأجنبية وسائر المهتمين بالدراسات التاريخية.
- الآراء الواردة بالمؤرخ المصرى تعبر عن وجهة نظر أصحابها.

محتويات العدد

الصفحة

افتتاحية العدد.. ٩

نفط البحر الميت والعلاقات الإقليمية إبان العصر الهيللينستى............

د. يسرى عبد الحكيم دياب ١١

ضريبة الثمانى دراخمات الموجهة لصالح ديونيسوس فى مصر الرومانية

د. رجب سلامة ٣١

العنف الأسرى فى مصر في العصرين البطلمى والرومانى ....

د. يسرى عبد الحكيم خليفة دياب ٦٧

صناعة الحلوى فى مصر فى العصر الفاطمى ....

د. محمد أحمد أحمد إبراهيم ٩١

القفص والبلوص وعلاقتهما بالقوى السياسية فى كرمان (٣٢٤-٤٤٠هـ/٩٣٥-١٠٤٨م) ....

د. ممدوح محمد حسن ١٢١

الخيل والفروسية فى اليمن منذ ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الرسولية

د. عبد الرحمن بشير ١٨١

قطوف من بستان الثقافة الليبية بين العصرين العثمانى والإيطالى......

د. زينب الجابرى ٢٣٩

السياسة الأمريكية تجاه ليبيا (١٩٦٩-١٩٧٢) ....

د. محمد فؤاد خليل ٢٧١



افتتاحية العدد

السيدات والسادة

يسعدنى أن أقدم لكم هذا العدد الجديد من مجلة المـؤرخ المـصرى، هذا العدد الذى يدخل إلى المطبعة فى أعقاب ثورة ٢٥ يناير المجيدة، هـذه الثورة التاريخية التى غيرت بالفعل من التاريخ العالمى المعاصر.

لذلك أعد القارئ الكريم أن تتضمن الأعداد القادمـة مـن المـؤرخ المصرى ملفات متخصصة حول هذه الثورة، وردود أفعالها على المـستوى العربى والعالمى، فضلا عن إعادة قراءة تاريخ الثورات العربية فى القـرن العشرين. حتى نستطيع فهم تداعيات الربيع العربى الحالى

والله الموفق والله المستعان

رئيس التحرير

أ.د. محمد عفيفى

نفط(*) البحر الميت والعلاقات الإقليمية
إبان العصر الهيللينستى

د/ يسرى عبد الحكيم خليفة دياب

مدرس بكلية الآداب – جامعة أسيوط

يعتبر البحر الميت من أكثر مناطق الشرق الأدنى القديم التى عرفت ظاهرة الرشح النفطى بكميات ضخمة مما لفت انتباه المؤرخين القدامى[1]، ونخص بالذكر المؤرخ الصقلى ديودوروس Διόδωρος[3]، والجغرافى استرابون Στράβων[2]، كما جذب اهتمام الباحثين المحدثين بتصوير الأهمية التجارية لمنطقة البحر الميت ذاتها من حيث التأكيد على أن النفط يعتبر أحد مواردها الاقتصادية الداخلية المهمة، نظراً لاستخداماته المتنوعة خلال العصر الهيللينستى[4]؛ وقد أظهرت دراسة هاموند Hammond عن الأنباط وجمع القار من البحر الميت، أن المستفيد الأساسى من نفط البحر الميت هم عرب الأنباط، وكانوا يجنون من ورائه أرباحاً مالية ضخمة؛ لأنهم كانوا يجمعونه، ثم يبيعونه للمصريين، نظراً لاعتمادهم على مادة النفط فى تحنيط موتاهم. [5]

وفى هذه الدراسة يتناول الباحث زاوية أخرى من الأهمية التجارية لنفط البحر الميت، وتتمثل فى محاولة إلقاء مزيدٍ من الضوء ــ قدر الإمكان ــ على الأهمية السياسية لنفط البحر الميت، وأثره فى العلاقات القائمة بين القوى الإقليمية فى منطقة الشرق الأدنى خلال العصر الهيللينستى، وذلك من خلال الكتابات اليونانية والرومانية التى تعد من أهم المصادر التى تعرفنا بالمنطقة فى تلك الأونة. فبعد قراءة المعلومات التاريخية التى تتناول هذا الموضوع وتحليلها[6] وجد الباحث أنها مفيدة فى توضيح عدد من جوانب موضوع الدراسة، وقد تصدى لها بالدراسة

والتحليل فى الإجابة عن التساؤلات التالية: ما هدف أنتيجونوس Αντίγονος" من صراعاته العسكرية ضد الأنباط Ναβαταῖοι؟ وما العقوبة التى أنزلها بطلميوس الثانى Πτολεμαῖος بالأنباط حينما هددوا مصالحه التجارية فى البحر الأحمر؟ وما العلاقة بين النفط والصراعات الحدودية بين مملكتى الأنباط واليهودية Ιουδαία"؟ وما هى جهود كليوباترا السابعة Κλεοπάτρα فى الانفراد بثروة البحر الميت النفطية؟ ونبدأ بالإجابة عن هذه التساؤلات وفقاً لسياقها التاريخى، ولتكن البداية بمناقشة هدف أنتيجونوس من حملاته العسكرية على أراضى الأنباط خلال عامى ٣١٢ــ٣١١ق.م.

موقف أنتيجونوس من ثروة البحر الميت النفطية ٣١٢ /٣١١ق.م:

من المعروف أن القائد العسكرى أنتيجونوس كان يرمى إلى السيطرة على كل إمبراطورية الإسكندر، والإبقاء على وحدتها تحت حكم بيته، ولتحقيق هذا الهدف دخل فى حروب عسكرية عديدة، منها صراعاته العسكرية ضد الأنباط. ويخبرنا ديودوروس[7] أن أنتيجونوس قام بثلاث محاولات للاستيلاء على أراضى الأنباط، وكانت المحاولة الأولى فى عام ٣١٢ق.م، حيث أرسل قائده أثينايوس Αθήναιος" للاستيلاء على العاصمة البتراء Πετρὰ، فبلغها ليلاً، وقتل وأسر واستولى على كميات غير قليلة من اللبان والبخور والمر والفضة، وانصرف قبل الفجر. ولكن جنوده أصيبوا بالإعياء، وخيموا كى يستريحوا، فتسلل بعض الأسرى، وعادوا، فأخبروا قومهم بحال عدوهم، فجمع الأنباط ما لا يقل عن ثمانية آلاف رجل، وهاجموا معسكر أثينايوس، فذبحوا معظم الجند.

ولم يقنع الأنباط بهذا الانتصار، بل كتبوا لأنتيجونوس رسالة يوجهون فيها التهمة إلى أثينايوس، لكى يوحوا إليه أن قائده تصرف بوحى من نفسه، فتلقى أنتيجونوس هذا الإيحاء بالقبول، ورضى الأنباط بهذا الرد، ولكنهم أصبحوا أكثر حيطة تخوفاً من مفاجاة أخرى، وحين استشعر أنتيجونوس أنه كسب ثقتهم تجرد للمحاولة الثانية، فجهز جيشاً، وجعل قائده ابنه ديميتريوس Δημήτριος، ولكن حماة الأنباط كانوا متنبهين، فبعثوا النذر إلى قومهم بإيقاد النيران على التلال، ورتبوا حامية للدفاع عن البتراء، فعجز ديميتريوس عن الاستيلاء عليها[٨]،

واضطر إلى عقد معاهدة مع الأنباط. ويحدثنا ديودوروس عن تلك المعاهدة وموقف أنتيجونوس منها قائلاً:

"تسلم ديميتريوس الرهائن والهدايا المتفق عليها، ورحل بعيداً عن البتراء، وبعد مسيرة ٣٤ ميلا من (البتراء) خيم بالقرب من بحيرة الأسفلت. .... وحين عاد ديميتريوس، وقدم تقريراً عما أنجزه، وبخه أنتيجونوس بشأن المعاهدة التى عقدها مع الأنباط موضحاً أنه تسبب فى جعل الأنباط أكثر جرأة بتركهم دون عقاب؛ لأنهم قد يتخيلون أنهم أحرزوا عفوه لا من جراء سماحة فيه ولطف، بل بسبب عجزه عن الظهور والغلبة، ومع ذلك فإن أنتيجونوس أثنى عليه لتفحصه البحيرة، ولعثوره حقيقة على مصدر دخل(جديد) للمملكة." (٩)

وتكمن أهمية هذا النص فى تحديد أهداف أنتيجونوس من حملاته العسكرية ضد الأنباط؛ فاستياؤه الشديد من المعاهدة التى عقدها ابنه ديميتريوس مع الأنباط معناه أن هدفه من الحملتين العسكريتين الأولى والثانية ارتكز على إخضاع الأنباط ومنعهم من بسط نفوذهم على الأراضى المؤابية الواقعة شرق البحر الميت التى كانوا قد امتدوا إليها من منطقتهم إيدوم مع بدايات العصر الهيللينستى، لكن ثناءه على إبنه لتفحصه البحر الميت، ولعثوره على مصدر دخل جديد يكشف بجلاء عن تبدل هدفه وتطوره إلى هدف آخر جديد، وهو أهمية الاستيلاء على نفط البحر الميت، وجعله مورداً اقتصادياً جديداً لامبراطورية الإسكندر التى يطمع فى الإبقاء على وحدتها تحت حكم بيته، وهذا ما أراد تحقيقه من وراء حملته العسكرية الثالثة على أراضى الأنباط الواقعة عند السواحل الشرقية للبحر الميت، حيث نجد المؤرخ ديودوروس يشير إلى ذلك قائلاً:

"لقد اختص المؤرخ هيرونوموس بتلك المهمة، وكلفه بإعداد القوارب، وجمع الأسفلت، وإحضاره إلى مكان معين، لكن النتيجة جاءت عكس توقعات أنتيجونوس؛ لأنه بعد أن جمع العرب عدد ستة آلاف (محارب)، وأبحروا بطوافاتهم المصنوعة من أعواد القصب تجاه هؤلاء الذين فوق المراكب، تمكنوا من قتلهم جميعا بسهامهم على وجه التقريب، ونتيجة لذلك تخلى أنتيجونوس عن هذا المصدر من الدخل بسبب الهزيمة التى منى بها، وبسبب انشغاله أيضاً بأمور أخرى أكثر أهمية." (١٠)

من هذه الفقرة ندرك أن أنتيجونوس قرر تكليف المؤرخ والقائد العسكرى هيرونوموس Ιερώνυμος" بقيادة الحملة العسكرية الثالثة والأخيرة ضد الأنباط بهدف الاستيلاء على أراضيهم الواقعة عند السواحل الشرقية للبحر الميت ــ وليس عاصمتهم البتراء كما كان فى الحملتين العسكريتين السابقتين ــ بهدف انتزاع النفط من أيديهم، وإحضاره إلى مكان معين، وتبعا لذلك أعد هيرونوموس القوارب اللازمة لتحقيق تلك المهمة العسكرية البحرية، ولكن حدث عكس ما كان متوقعاً، فإذا كانت الحملتان السابقتان على الأنباط لم تكونا بأى حال محكاً لشجاعتهم نظراً لاعتمادهم على حمى البتراء، ففى هذه المناسبة أثبتوا شجاعتهم بعيداً عنها، وبادروا بجمع ستة آلاف محارب، وأبحروا بطوافاتهم للدفاع عن مصالحهم التجارية المرتبطة بجمع النفط من البحر الميت. وقد شهدت السواحل الشرقية للبحر الميت معركة بحرية دامية بين هيرونوموس وعرب الأنباط، تمكن خلالها الأنباط من قتل أغلب جند عدوهم على وجه التقريب، وفشلت محاولة أنتيجونوس للاستيلاء على النفط بفضل بسالة الأنباط من جهة، وبسبب انشغاله من جهة أخرى بنجاح خصمه سليوقوس فى الاستيلاء على بابل مما يكشف عن الدور السياسى الذى لعبه نفط البحر الميت خلال فترة صراعات خلفاء الإسكندر حول مصير الإمبراطورية مع بدايات العصر الهيللينستى، كما يبرز تعلق الأنباط بأهمية الحفاظ على أحد مواردهم الاقتصادية الداخلية المهمة مع بدايات تاريخهم المبكر. ونأتى الآن إلى الإجابة عن السؤال الثانى وهو ما العقوبه التى أنزلها بطلميوس الثانى بالأنباط فى عام ٢٧٨ ق.م. حينما هددوا مصالحه التجارية فى البحر الأحمر؟

بطلميوس الثانى والعقوبة الاقتصادية التى أنزلها بالأنباط فى عام ٢٧٨ق.م.

من الجدير بالذكر أن الأنباط لم يكونوا أكثر من أصحاب قوافل ينقلون السلع لحساب غيرهم مع بدايات تاريخهم المبكر، لكن بفضل نفط البحر الميت، وانفرادهم بجمعه، والدخل الوفير الذى يأتى من وراء تصديره إلى مصر[١١] تطور بهم الحال قليلا، فأصبحوا هم أنفسهم تجاراً أو شركاءً فى التجارة، ومع هذا التطور كان طبيعياً ألا يكتفوا بنقل البضائع براً فحسب، بل بنوا لهم سفناً فى حوض البحر الأحمر أيضاً، وبذلك تضاعفت قدراتهم التجارية فى البر والبحر مع بدايات القرن

الثالث قبل الميلاد، ولم يهدد أحد مصالحهم التجارية فى حوض البحر الأحمر حتى مبادرة بطلميوس الثانى (٢٨٥ق.مــ ٢٤٦ق.م) بتكليف أريستون "Αριστων" بعمل رحلة استكشافية للسواحل العربية المطلة على البحر الأحمر[١٢] بهدف تأمين الجبهة الشرقية التى تعتبر دفاعياً واقتصادياً من المناطق الحيوية لمصر، علاوة على إحكام السيطرة البطلمية على طرق التجارة الشرقية فى البحر الأحمر، [١٣] ونتيجة لــذلك شهد البحر الأحمر منافسة تجارية شديدة بين الأنباط والبطالمة، استنزف فيها كــل منهما قوة الآخر بنظرية الفعل ورد الفعل، كما يتبين من ديودوروس واســترابون، فالأول يقول:

"بعد أن جعل الملوك فى الإسكندرية طرق البحر ميسرة لإبحار تجارتهم، لم يكتفِ هؤلاء العرب بمهاجمة من تحطمت بهم سفنهم فحسب، بل أنزلوا إلى المــاء أيضاً سفن قرصنة تطارد التجار والمسافرين محاكين بتلــك الأعمــال الوحــشية الجامحة الطاؤوريين من أهل بونطوس." [١٤]

و يقول استرابون:

"فهؤلاء الأنباط كانوا يعيشون فيما مضى حياة هادئة، لكنهم تحولوا فيما بعد إلى سلب سفن التجار الذين يبحرون من مصر." [١٥]

ونفهم من هاتين الفقرتين أنه بسبب نجاح بطلميوس الثانى فى السيطرة على البحر الأحمر تكبد الأنباط خسائر فادحة اضطرتهم إلى القيام بأعمال اللصوصية والقرصنة البحرية رغم أن ذلك يتعارض تعارضاً تاماً وحياة الأمن والاستقرار التى تتطلبها مصالحهم التجارية، وندرك أيضاً أنه نتيجة لتصرفات الأنباط ومحاولاتهم عرقلة نشاط البطالمة التجارى فى البحر الأحمر فإن بطلميوس الثانى أرسل حملة عسكرية فى عام ٢٧٨ق.م لتنزل بالأنباط العقوبة التى يستحقونها.

وهنا نتساءل: ما العقوبات التى نزلت بالأنباط فى عام ٢٧٨ق.م؟ وفى الإجابة عن هذا التساؤل رأينا ديودوروس يقول:"ومع ذلك فإنه بعد فترة من الوقت تمكنت الأساطيل العسكرية (البطلمية) من الإمساك بهم ومعاقبتهم بالعقوبة التى يستحقونها." [١٦] ووجدنا أيضاً سترابون يقول: "ومع ذلك نزلت بهم العقوبة حين

أبحر إليهم أسطول (البطالمة) واستباح بلادهم." (١٧) : فمن الواضح أن سترابون وديودوروس لا يشيران صراحةً إلى شكل العقوبة التى نزلت بالأنباط فى عام ٢٧٨ق.م، ومع ذلك يمكن القول بأن بطلميوس الثانى حاول الاستيلاء على العاصمة البتراء فى البداية، ولكنه لم يوفق إلى ذلك، فاتجهت أنظاره نحو مواقع الأنباط المطلة على السواحل الشرقية للبحر الميت، ونجح فى الاستيلاء عليها، وبذلك أنزل بالأنباط العقوبة التى يستحقونها بحرمانهم من أحد مواردهم الاقتصادية الأساسية، وهو جمع النفط، والدخل الوفير الذى يأتى من وراء تصديره للمصريين مما اضطرهم إلى القيام بمطاردة التجار والمسافرين الذين يبحرون من مصر مما جعلهم أيضا يضمرون الكراهية الشديدة لمملكة البطالمة حتى أخر أيامها. (١٨) لقد وردت عند المؤرخ بوليبيوس Πολύβιος(١٩) ــ وهو يتحدث عن الصراع العسكرى بين مملكتى البطالمة والسليوقيين حول منطقة الجوف السورى ــ إشارة إلى مساندة الأنباط للسليوقيين ضد البطالمة فى عام ٢١٨ق.م، ومن المحتمل أن أكبر حافز على ذلك هو الأمل فى أن يبادر السليوقيون بمنحهم مواقعهم المطلة على البحر الميت. وهذا معناه أنه حين استولى بطلميوس الثانى على النفط الموجود فى السواحل الشرقية للبحر الميت توترت العلاقات الإقليمية بين البطالمة والأنباط، واتسمت بالعداء الشديد من ناحية، وتوافقت وجهات النظر بين الأنباط والسليوقيين من ناحية أخرى، فاتحدا سوياً فى العمل على إضعاف المملكة البطلمية، وهذا يكشف عن الدور المؤثر الذى لعبه النفط فى تحديد شكل العلاقات الإقليمية القائمة بين الأنباط والبطالمة والسليوقيين. وننتقل الآن للإجابة عن سؤال آخر فى هذا المجال وهو: ما العلاقة بين النفط والصراعات الحدودية بين مملكتى الأنباط واليهودية حول البحر الميت خلال الفترة من عام ١٠٠ ق.م. وحتى عام ٣١ق.م.؟

العلاقة بين النفط والصراعات الحدودية بين مملكتى الأنباط واليهودية ١٠٠ق.م ــ ٣١ق.م

من الجدير بالذكر أنه حين ضعفت مملكتا البطالمة والسليوقيين مع نهايات القرن الثانى قبل الميلاد شهدت منطقة الجوف السورى عدة تغييرات أهمها ظهور مملكتى الأنباط واليهودية حول البحر الميت، وبطبيعة الحال نشأت بينهما علاقات

كانت عدائية فى أغلب الأحيان. ويخبرنا المؤرخ اليهودى يوسـيبوس Ιώσηπός عن بدايات التضارب بين هاتين المملكتين موضحاً أنه حين أخذت المملكة السليوقية تدخل مرحلة ضعف، قرر الإسكندر ينـايوس Ἀλεχάνδρος Ιαναιος"، ملـك اليهودية، انتهاز الفرصة للتوسع حوالى ١٠٠ق.م[٢٠]، فاستولى على أراضى الأنباط فى منطقتى جلعاد وموآب ἐν Γαλαάδιτιδι καῖ Μωάβιτιδι الـواقعتين عنـد السواحل الشرقية للبحر الميت، وقد تصدى عبادة الأول Οπαδας (٩٥ق.م. ـــ ٨٨ق.م.)، ملك الأنباط لأطماع ينايوس التوسعية عند شرق البحر الميت[٢١]، فـرد إليه ما استولى عليه من جلعاد وموآب وما فيهما من معاقل نبطية فـى مقابـل أن يتوقف عبادة عن مساعدة خصومه.[٢٢]

ولكن حينما أراد حارثة الثالث Ἀρὲτας (٨٧ق.م. ـــ ٦٢ق.م.) مهاجمـة العدو القديم (ينايوس)، وانتصر عليه فى موقع يسمى أديدة Ἀδδῆδα" إلى الشرق من يافا فى عام ٨٢ق.م، رد ينايوس له الكيل، فهاجم المنطقة الواقعة عنـد شـرق البحر الميت مرة ثانية، وانتزع من يد حارثة اثنتى عشرة قرية فى تلك المنطقـة، وهـى: ميـدابا Μηδαβα ، ليببـا Λιββα، نابـالوث Ναβαλωθ، أراباثـا Αραβαθα"، جالا Γαλλα، ثونى θωνη، زيـورا Ζωιρα ، أورون Ωρων ، باسيليسا βασιλισσα ، رودا ρυδδα ، ألوسـا Ἀλουσα" ، أروبـدا Ωρυβδα، وكلها تحيط بالطرف الغربى من هضبة موآب الواقعة عند السواحل الشرقية للبحر الميت.[٢٣]

بيـد أنـه حـين تـوفى ينـايوس سـنة ٧٦ق.م، وورث الملـك زوجتـه اليكسندرا Ἀλεχανδρα"، وتوفيت هى الأخرى فى عام ٦٧ق.م، ونشب الخـلاف بين ابنيها هيركانوس Ηρκανος" وأرسـطوبولوس Ἀριστοβούλος"، وانتهـى بذهاب الأول لاجئا عند الملك حارثة الثالث فى البتراء، استغل ملك الأنبـاط تلـك الفرصة بالعمل على إرجاع هيركانوس إلى الـسلطة ومـساندته فـى صـراعاته العسكرية ضد أرسطوبولوس وابنه الإسكندر،[٢٤] وكان أكبر حافز على ذلك لـيس عدالة القضية التى يحارب من أجلها فحسب، بل وعد هيركانوس له بـرد القـرى الاثنتى عشرة التى كان ينايوس قد انتزعها من يد الأنباط أيضاً ،[٢٥] وحين عـاد

هيركانوس إلى السلطة أوفى بوعده للأنباط ، فأعاد لمليكهم ماليكوس الأول Μάλιχος (٦٢ق.م. ــ ٣٠ق.م.) مواقعهم المطلة على السواحل الشرقية للبحر الميت، وبذلك تمكن الأنباط من استئناف استثماراتهم التجارية فى جمع النفط من شرق البحر الميت.

وهنا نصل إلى النقطة الرئيسة التى نبتغيها من وراء عرض هذه الصراعات الحدودية بين مملكتى الأنباط واليهودية خلال النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد ونتساءل: هل هذه الصراعات مبعثها الرغبة فى أن ينفرد أحدهما بحوض البحر الميت، والدخل الوفير الذى يأتى من ثروته النفطية؟ على الرغم من أن يوسيبوس لم يشر إلى مسألة النفط على الإطلاق وهو يتحدث عن الصراعات الحدودية بين الأنباط واليهودية، إلا أننا نجد فقرة مهمة وردت عند ديودوروس، نلمس منها أن العلاقات الإقليمية بين اليهودية والأنباط كانت عدائية منذ بداية تاريخهم المبكر بسبب موسم جمع النفط من البحر الميت، إذ يقول:

"عندما يطرح البحر الأسفلت فإن الساكنين حوله من جهتيه يحملونه كأنه غنيمة حرب؛ إذ إن هناك عداوة بين الفريقين، وهم يجمعونه دون قوارب بطريقة خاصة؛ حيث يهيئون حزماً كبيرة من القصب، ثم يلقونها فى البحر، ولا يمتطى تلك الحزم أكثر من ثلاثة رجال، اثنين يجدفان بمجاديف مربوطة إلى (حزم القصب)، والثالث يحمل قوسه ليصد كل من يتعرض لهم من الشاطىء الآخر، أو من يجرؤ على أن يتحرش بهم؛ فإذا اقتربوا من الأسفلت هجموا عليه بالفؤوس، كما لو كان حجراً هشاً، فيقطعون منه قطعاً، ويحملونها على أحزمة القصب، ثم يعودون أدراجهم." (٢٦)

ويتضح من هذا النص شدة التنافس بين اليهود والأنباط على النفط الذى يطرحه البحر الميت سنوياً، فكل منهما يحاول أن ينتزع من الآخر أكبر كمية من هذا المورد الاقتصادى المهم، ثم يحمله كأنه غنيمة حرب فاز بها بعد معركة مسلحة، وهذا دلالة على أن النفط كان أحد أسباب العداء بين اليهود والأنباط منذ تاريخهم المبكر، ويتحتم التنويه هنا إلى أن اليهود هم الذين بدأوا هذا العداء، فحينما انتهز ينايوس فرصة ضعف السليوقيين للتوسع، اتجهت أنظاره نحو أراضى الأنباط

عند شرق البحر الميت. لكن لماذا اتجهت أطماع اليهود التوسعية نحو شرق البحر الميت بشكل خاص مع بدايات القرن الأول قبل الميلاد؟ وفى الإجابة عن هذا السؤال يمكن القول بأن أطماع اليهود اتجهت نحو شرق البحر الميت؛ لأن أغلب كميات النفط التى يطرحها سنوياً كانت تتجمع عند سواحله الشرقية، وذلك استناداً إلى أمرين:

الأمر الأول: تأكيد ديودوروس على أنه يوجد فى بلاد الأنباط بحيرة كبيرة تنتج الأسفلت بكميات كبيرة، وتأكيده أيضاً على أنهم يجنون من ورائه دخلاً مالياً وفيراً[٢٧] قاصداً الإشارة إلى منطقة الهضبة المؤابية الواقعة عند شرق البحر الميت والتى امتد إليها الأنباط مع بدايات القرن الرابع قبل الميلاد.

والأمر الثانى: أن الدراسات الكيميائية الحديثة[٢٨] تناولت بالدراسة ظاهرة الرشح النفطى فى البحر الميت سواء فى حالته الصلبة أو السائلة، وخلصت إلى أن الرشح فى حالته السائله يتركز فى أربع مناطق: منطقتين عند السواحل الشرقية للبحر الميت (وادى الموجب Wadi-el-Mojib واللسان Lisan)، ومنطقتين عند السواحل الغربية (وادى ماهاوات Wadi Mahawuat وماسادا Masada). أما الرشح الصلب، فيتركز فى ثلاث مناطق، منطقتين عند السواحل الشرقية (وادى الموجيب واللسان)، ومنطقة واحدة عند السواحل الغربية (عين جيدى أو إنجيدى Ein Gedi)، وهذا معناه أن السواحل الشرقية من أكثر مناطق البحر الميت تعرضاً للرشح النفطى سواء السائل منه أو الصلب.[٢٩]

وهذا يجعلنا نفهم مبعث حرص اليهود واهتمامهم بالاستيلاء على مواقع الأنباط المطلة على السواحل الشرقية للبحر الميت مما يدل على أن النفط الموجود بكميات وفيرة فى شرق البحر الميت كان من عوامل إثارة العداوة بين الأنباط واليهود، وهى العداوة التى تطورت إلى صراعات حدودية أدت إلى اندلاع سلسلة من الحروب العسكرية بينهما خلال النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد، وقد تسببت هذه الحروب فى أن يستنزف كل منهما قوة الآخر مما جعل البطالمة فى أواخر أيامهم يطمعون فى الانفراد بنفط البحر الميت، وهذا ما نعرضه فى الإجابة عن السؤال الرابع والأخير وهو: ما هى جهود كليوباترا السابعة فى الانفراد بثروة

البحر الميت النفطية فى الفترة من عام ٣٩ ق.م. وحتى عام ٣١ ق.م.؟

جهود كليوباترا السابعة فى الانفراد بثروة البحر الميت النفطية ٣٩ق.م. ـ ٣١ق.م.

عندما ظهر القائد الرومانى ماركوس أنطونيوس Μαρκος Ἀντώνιος فى الشرق، ووقع تحت تأثير كليوباترا السابعة عملت على إقناعه بانتزاع أراضى مملكتى الأنباط واليهود من أيدى أمرائهما المتصارعين(٣٠)، والتمست منه صراحة أن يمنحها اليهودية والمنطقة العربية. (٣١) ويشير المؤرخ يوسيبوس إلى ذلك قائلاً:

"لقد أخذ بعض مناطق هاتين المملكتين من حكامهما السابقين، ومنحها لها، وبذلك منحها المدن الواقعة عبر نهر إليوثيروس حتى مصر باستثناء صور وصيدا ...... وحين حصلت كليوباترا على تلك المناطق، ورافقت أنطونيوس فى حملته على أرمينيا حتى الفرات عادت إلى أباميا، ومنها إلى دمشق، ثم اتجهت نحو اليهودية، وهناك التقت بهيرودوس، واستأجر منها ممتلكاتها عند الأنباط، والإيرادات التى تأتى إليها من المنطقة الواقعة حول أريحة، والتى تتمتع بوفرة البلسم الذى يعتبر عقارا مهماً، ولا ينمو إلا هناك، وتوجد أيضا فى تلك المنطقة أشجار النخيل بكميات وفيرة وبتوعيات ذات قيمة عالية." (٣٢)

ومن هذا النص يتضح أن أنطونيوس منح كليوباترا منطقة أريحة، وكانت لهيرودوس Ἡρώδος، ولذلك حين التقت بهيرودوس استأجر منها الإيرادات التى تأتى من وراء البلسم والنخيل المتوافرين فى أريحة Ἰεριχοῦντα . كما يتضح أيضاً أن أنطونيوس أقطع كليوباترا جانباً من أراضى الأنباط، وهو ما لم يشر يوسيبوس إلى موقعه، كما لم يذكر الإيردات التى يمكن أن تأتى من ورائه، باستثناء أنه ذكر فى مناسبة أخرى أن هيرودوس استأجر من كليوباترا ممتلكاتها عند الأنباط مقابل أن يدفع لها ٢٠٠ تالنت سنوياπαρείχεν ἐκεινω τὰ διακόσια ταλὰνται، وهو المبلغ الذى تعهد بتحصيله من ماليكوس الأول ملك الأنباط. (٣٣) وهنا نتساءل عن موقع تلك المنطقة التى أقطعها أنطونيوس لكليوباترا من أراضى الأنباط وكذلك ثرواتها ؟ فمن الواضح حتى الآن أن كليوباترا حين طلبت من أنطونيوس أن يمنحها مملكتى اليهود والأنباط كانت تطمع أساساً فى الموارد الاقتصادية المتوافرة

فى أراضى اليهود والأنباط. وقد فازت بمنطقة أريحة ومواردها الاقتصادية المهمة، وتتمثل فى البلسم والنخيل. وإذا كان قد تبين فى أكثر من مناسبة سابقة أن النفط من أهم الموارد الاقتصادية المتوافرة فى أراضى الأنباط الواقعة عند السواحل الشرقية للبحر الميت، إذن فمن السهل أن نستنتج أن أنطونيوس أقطع كليوباترا جانباً من أراضى الأنباط واقعاً عند السواحل الشرقية للبحر الميت، أو بمعنى آخر انتزع النفط من يد الأنباط ومنحه لكليوباترا، وهى المنطقة التى يمكن أن يجنى من ورائها الأنباط مبلغ الـ ٢٠٠ تالنت الذى تعهد هيرودوس بتحصيله من مليكهم ماليكوس من أجل كليوباترا كما أوضح يوسيبوس (Ant. Jud. XV, 4.).

وعلى الرغم من المكاسب الاقتصادية التى عادت على كليوباترا من تأجير مزارع البلسم والنخيل ونفط البحر الميت المتوافر عند سواحله الشرقية، إلا أنها لم تقنع، وأرادت أن تفرض سيطرتها الكاملة على منطقة البحر الميت. فحين تقاعس ماليكوس الأول ــ ملك الأنباط ــ عن دفع المال المقدر عليه(٣٤) قررت كليوباترا انتهاز الفرصة لتحقيق أطماعها، فطلبت من أنطونيوس أن يوعز إلى هيرودوس بشن حرب على ماليكوس، وكانت تهدف ــ فيما يقدر المؤرخ يوسيبوس ــ إلى أن يستنزف أحدهما قوة الأخر بالتبادل، فيتسنى لها تحقيق ما كانت تطلبه من أنطونيوس منذ البداية، وهو الاستيلاء على مملكتيهما أو بمعنى أدق الاستيلاء على البحر الميت بأسره(٣٥) طمعاً فى ثرواته الاقتصادية المتنوعة، فضلا عن أهمية موقعه التجارى فى الطرف الشمالى للطريق التجارى الساحلى المار بغرب الجزيرة العربية.

إذن من خلال كافة المعلومات والقرائن المذكورة أعلاه يتبين أهمية الدور السياسى الذى لعبه نفط البحر الميت فى إثارة العديد من الحروب العسكرية والصراعات السياسية منذ بدايات العصر الهيللينستى وحتى أواخر أيامه؛ فلقد اتضح كيف تسبب النفط فى اندلاع حرب بحرية بين أنتيجونوس والأنباط، وكان أنتيجونوس يهدف من ورائها إلى جعل النفط مورداً اقتصادياً للإنفاق على الحروب التى كان يخوضها للابقاء على وحدة إمبراطورية الإسكندر، كما ظهر أيضاً أن النفط تسبب فى صراعات عسكرية إقليمية بين الأنباط واليهود هدف من ورائها

اليهود إلى فرض سيطرتهم الكاملة على حوض البحر الميت، وحرمان الأنباط من جمع النفط؛ وبالإضافة إلى ذلك، ظهر جلياً إدراك البطالمة لحقيقة أن النفط يعتبر من ركائز الاقتصاد النبطى، ولذلك حينما أرادوا معاقبتهم، بادروا بانتزاعه من أيديهم، وهذا كله يكشف عن حقيقة واحدة وهى: أن النفط كان نعمة يتمتع بها الأنباط بفضل الإيردات الضخمة التى كانوا يجنونها من وراء جمعه وتصديره للمصريين، ولكنه فى نفس الوقت كان نقمة عليهم بسبب ويلات الحروب والصراعات السياسية العديدة التى خاضوها خلال العصر الهيللينستى من أجل الاحتفاظ بهذا المورد الاقتصادى المهم.

الهوامش :

* يتكون النفط من الهيدروكربونات ونسب صغيرة من الكبريت والأوكسجين والنتروجين التي تتجمع فى باطن الأرض، وتظل فى مكانها إلى أن يستخرجها الإنسان بحفر الآبار، أو تخرج إلى السطح على هيئة رشح، وتختلف سمات الرشح وفقا لدرجة سيولته مما يفسر مبعث تعدد المصطلحات التى استخدمتها المصادر الكلاسيكية للإشارة إلى ظاهرة الرشح فى حالتيها الصلبة والسائلة، فقد استخدمت المصادر اليونانية اصطلاحي: أسفالتوس ἄσφαλτός ونافثا ναφθα، أما المصادر اللاتينية فاستخدمت بيتومين bitumen ونافثا naphtha وأسفالتوم "asphaltum". وفيما يتعلق باصطلاح أسفالتوس اليونانى وأسفالتوم اللاتينى فهو من أصل أكادى بمعنى الانشقاق والثبات والاستقرار. أما كلمة بيتومين اللاتينية فمن أصل سنسكريتى بمعنى القار أو الزفت. وبالنسبة لمصطلح نافثا اليونانى واللاتينى، فقد استخدم منذ النصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد فى ألواح الطين ببلاد الرافدين فى صيغة ناباتو"napatu" ويعنى الحرق. وقد جاءت منه كلمتا نبت ونبط وتعنيان الخروج أو الرشح. فالنفط ما يحتلب فى البئر، ومنه جاءت تسمية الأنباط نظراً لعملهم فى الزراعة واستخراج الماء، والنبت هو ما يخرج من الأرض، وذلك ما يتعرض له النفط فى تكوينه من أصول نباتية أو حيوانية دفنت سريعا دون تأكسدها، وهذا معناه أن كلمة نفط هى أدق تعبيراً وأكثر أصالة، ولهذا اعتمدت الدراسة على استخدام هذا المصطلح لأصالته التاريخية، واستيعابه لأغلب مرادفات مشتقات مادة الهيدروكربونات الصلبة منها والسائلة. لمزيد من المعلومات انظر:

Abraham, H., Asphalt and Allied Substances: Their Occurrence, Modes of Production, 4th ed. New York, 1938, p.1-2; Forbes, R. J., "The Nomenclature of Bitumen Petroleum Tar and Allied Products in Antiquity", Mnemosyne, 4, 1936, pp. 67-77; Harrell, J.A. Lewan, M.D., "Sources of Mummy Bitumen in Ancient Egypt and Palestine", Archaeometry, 44, 2002, p.285; Kelso, J. L., Powell A. R., "Glance Pitch From Tell Beit Mirsim," B Am Sch Oriental Re, 95, 1944, pp.15-16.

(1) 1 Dioscorid., Mat. Med. I, 83-85; I, 100; I,.109; V, 145; V, 181; XIX, 98; Joseph., Ant. Jud. I, 4; I, 20; XVII, 171; Bell. Jud. I, 657; III, 515; IV, 476; Plin., H. N. I,99; II, 106-108; II,226; II,235; V, 71; VI, 99; VII, 65; XIV, 20; XIV,122; XIV,127; XIV,134; XV, 8; XV.62; XVI, 22; XVI,38; XVI,52; XVI,56; XVI,158; XXIV, 41; XXXIII, 94; XXXIV, 15; XXXIV,194; XXXV, 41; XXXV,178; XXXV,182; XXXV,194; XXXVI, 141; XXXVI,166; Tacit., Hist. V, 6; Vit. De Arch. I, 5; I, 8; VIII, 3; VIII, 8.

(2) 2 Diod., Bib. Hist. 2. 48. 6-8; 19. 99. 1-3.

(3) 3 Strab., Geog. I, 16; III, 144; IV, 207; V, 218; VII, 316; IX, 498; XI, 518; XVI, 1-2; XVI,12; XVI,738-743; XVI,763-764.

(٤) إن الصورة العامة التى أمكن استجلاؤها من المصادر الكلاسيكية وآراء الباحثين المحدثين توضح أن من فوائد النفط خلال العصر الهيللينستى استعماله فى تقوية المواد والأدوات، والتغرية. وصنع المجوهرات الزائفة، فضلاً عن تلوين المعادن ودهان خشب المراكب وإضاءة المصابيح ، علاوة على علاج بعض الأمراض مثل الجرب والتهابات الجلد والعيون والدمامل والسعال والربو والصرع، هذا بالإضافة إلى استخدامه فى الحروب العسكرية باعتباره مادة سريعة الاشتعال، وكذلك استعماله كمادة أساسية لا يمكن الاستغناء عنها فى تحنيط الموتى عند المصريين. انظر:

Dio. Cass., Hist. Rom., LVIII, 27; LXXV, 11; Dioscorid., I, 85; Herod. Hist., I, 179; I, 194; I, 245; IV, 195; VI, 119; Plin., H.N. XIV, 20; XIV,35, XIV,180; XIV,182-183; XLIII, 15; Strab., XVI, 738-739; XVI, 743; Vit., I, 5; I, 8; VIII, 3; VIII, 8; Xen. Anab. II, 4,12; See Also: Forbes, R. J., Studies in Ancient Technology. vol. I, Leiden, 1964, pp.10ff; Lucas, L., "The Question of the Use of Bitumen or Pitch by the Ancient Egyptians in Mummification", JEA, 1, 1914, pp. 241-245; Nissenbaum, A., "The Dead Sea - an economic resource for 10000 years", Hydrobiologia, 261, 1993, pp. 127-141; Koller, J. Baumer, U.," Herodotus' and Pliny's Embalming Materials Identified on Ancient Egyptian Mummies", Archaeometry, 47, 2005, pp.609-628; Rowland, J., "The Ptolemaic-Roman Cemetery at the Quesna Archaeological Area", JEA, 94, 2008, 70-93; Spielmann, P.E., "To What Extent Did the Ancient Egyptians Employ Bitumen for Embalming?", JEA, 18, 1932, pp. 177-180; Starcky, J., "The Nabataeans: A Historical Sketch", Biblic Archaeol, 18, 1955, pp. 84-106.

(5) Hammond, P.C., "The Nabataean Bitumen Industry at the Dead Sea", Biblic Archaeol, 22, 1959, pp.40-48.

(6) Diod., II, 42; II, 48; III, 42-43; XIX, 94-100; Joseph. Ant. Jud. XIII, 356-362; XIII, 382; XIV, 14-19; XIV, 29-34; XIV, 37; XIV, 46; XIV, 57; XIV, 79-85; XV, 4; XV, 88 ; XV, 92; XV, 94-96; XV, 107; XV, 110; Polyb. V, 71; Strab.XVI, 4,18.

(7) Diod., XIX, 94-95.

(8) Ibid., XIX, 96-98.

(9) Ibid., XIX, 98, 1-100,

1:" Ὁ μὲν οὺν Δημήτριος λαβὼν ὁήμηρους καὶ τὰς ὁμολογηθείσας δωρεὰς ἀνέζευξεν ἀπὸ . τῆς πέτρας. διατείνας δὲ σταδίους τριακουσίους κατεστρατοκέδευσε πλησίον τῆς Ἀσφαλτίτιδος λίμνης, ..., ...

Ὁ δ' Ἀντίγονος, ἐπανελθόντος τοῦ Δημητρίου καὶ τὰ κατὰ μερός τῶν πεπραγμέ νων ἀπαγγείλαντος,ἐπί μὲν τῇ συνθέσει τῇ πρὸς τοὺς Ναβαταίους ἐπετίμησεν αὐτῷ, λέγων ὅτι πολλῷ θρασυτέρους πεποίηκε τοὺς βαρβάρους ἐάσας ἀτιμωρήτους. δόξειν γὰρ αὐτοὺς τετευχέναι συγγνώμης οὐ δι'ἐπιείκει αν, ἀλλα δι' αδυνάμιαν τοὺ κατῆσαι. ἐπί δέ τῷ κατασκέψασθαι τήν λιμνην καί δοκεῖν εὑρήκεναι τινά τῇ βα σιλείᾳ προσόδον ἐπαινέσας,.."

(10) Ibid., 100. 1-3: "

ἐπί μὲν ταυτῆς ἐπιμελητήν ἔταξεν Ἱερώνυμον τὸν τὰς ἱστορίας συγγρ άψαντα, τούτῳ δὲ συνετέτακτο πλοῖα παρασκευάσασθαι καὶ πᾶσαν τὴν ἄσφαλτον ἀναλαβόνατ α συνάγειν εἴς τινα τόπον. οὐ μὴν ἀ–πέβη γε καὶ τὸ τόλος κατὰ τὴν ἐλπίδα τοῖς περὶ τὸν Ἀντίγονον. οἱ γὰρ Ἄραβες συστραφέντες εἰς ἓξ ἀκισχιλίους,ἐπὶπλ εύσαντες ἐν ταῖς δέσμαις ἐπὶ τοὺς ἐν τοῖς πλοίοις, σχεδὸν ἅπαντας κατ ετόξευσαν. ἐξ οὗ δὴ συνέβητὸν Ἀντίγονον ἐπογνῶναι τὰς προσόδους ταύτας διὰ τὸ γεγονὸς παράπτωμα καὶ διὰ τὸ τὸν νοῦν ἔχειν πρὸς ἑτέροις μείζοσι."

(11) Butler, J.S. Weinhold, D. "Taxing Losses: Economic Suicide or Shrewd Trade Policy?", J Interdiscipl Hist, 33, 2002, pp.47–57; Hammond, op.cit. p. 42-44; Khairy,

N.I. " Nabataean Piriform Unguentaria", Bull Am Sch Oriental Re, 240, 1980, pp. 85 - 91; Vickers, M. "Nabataea, India, Gaul, and Carthage: Reflections on Hellenistic and Roman Gold Vessels and Red-Gloss Pottery", Am J Archaeol, 98, 1994, pp. 231-248.

(12) Diod., III, 42, 1: " Αριστωνος του πεμφθεντος υπο Πτολεμαιου προς κατασκοπην τῆς εως ωκεανου παρηκουσην Αραβιας."

(13) Tarn, W.W., "Ptolemy II and Arabia", JEA, 15, 1929, pp. 13-20.

(14) Diod., III, 43, 5: "ὕστερον δὲ τῶν ἀπὸ τῆς Ἀλεξανδρείας βασιλέων πλωτὸν τοῖς ἐμπόροις ποιη σάντων τὸν πόρον
τοῖς τε ναυαγοῦσιν ἐπετίθεντο καὶ ληστρίκα σκάφη κατασκευάζοντες ἐλῄστευον τοὺς πλεοντας, μιμουμενοι τὰς
ἀγριοτήτας καὶ παρανομίας τῶν ἐν τῷ Πόντω Ταύρων."

(15) Strab., XVI, 4,18: "οἳ πρότερον μὲν καθ᾽ ἡσυχίαν ἦσαν, ὕστερον δὲ σχεδίαις ἐλῄζοντο τοὺς ἐκ τῆς Αἰγύπτου πλέοντας:...".

(16) Diod., III, 43. 5: "μετὰ δὲ ταῦτα ληφθέντες ὑπὸ τετρηρικῶν σκαφῶν πελάγιοι προσηκόντως ἐκολάσ θησαν."

(17) Strab. XVI, 4.18: "δίκας δ᾽ ἔτισαν ἐπελθόντος στόλου καὶ ἐκπορθήσαντος αὐτούς."

(18) Horsfield, G. Conway, A., "Historical and Topographical Notes on Edom: With an Account of the First Excavations at Petra", Geogr J, 76, 1930, p. 380; Tarn, W.W., "Ptolemy II and Arabia", JEA, 15, 1929, pp. 15-16.

(19) Polyb., V, 71, 1.

(20) Joseph., Ant. Jud. XIII, 356-362.

(21) Starcky, op.cit. p.90.

(22) Joseph., Ant. Jud. XIII,
382. "ὥστε ἢν κατεστρέψατο γὴν ἐν Γαλαάδιτιδι καὶ Μωάβιτιδι καὶ τὰ χωρία τῶν ' Αραβων
τῷ βασιλει παραδούναι, οπως ἀν μὴ ξυναρήται σφισι τὸν κατ' αὐτου πολέμον,..."

(23) Joseph.,Ant.Jud.XIV,18:"ἃς Ἀλεξάνδρος ὁ πατὴρ αὐτου τῶν Ἀραβων ἀφειλετο . ἦσαν δ' αὐται Μηδάβα, Λιββα, Ναβάλωθ, Αραβάθα, Γαλάν , θωνή, Ζωίρα, Ω ρῶν,βασίλισσα, ρυδδά, Αλούσα, Ωρύβδα."

(٢٤)لمزيد من التفاصيل عن جهود الأنباط فى مساندة هيركانوس للعودة إلى السلطة فى مقابل أن يمنحهم مــواقعهم المطلة على شرق البحر الميت، انظر:
Joseph., Ant. Jud. XIV, 29-34; 37; 46; 57; 79-85.

(25) Joseph., Ant. Jud. XIV, 14-19.

(26) Diod., XIX, 99, 1-3:
" τὴν δ' ἐκπιπτούσαν ἀσφαλτὸν οἱ περιοικοὺντες ἐξ ἀμφοτὲρων τῶν μὲρων τὴν λιμν ἠν διαρπ–
αζουσι πολεμικῶς διαχειμενοι προς αλληλους, ανεύ πλοιων ιδιαζόντως τὴν κομι δήν ποιποιούμενοι. παρασκ–

εύασαμενοι γάρ δεσμάς καλαμῶν ἐυμεγεθεις ἐμβαλλούσιν ἐις
τὴν λιμνήν. ἐπι δὲ τοὺτων ἐπικαθηνται τρεῖς , ὧν
δυο μεν ἐχοντες προσδεδέμενας πλατάς κωπηλάτουσιν, ἐις δὲ φορῶν τοξά τοὺς
προσπλεοντας ἐκ τοὺ περάν ἡ
βιαζέσθαι τολμώντας ἀμυνεται. ὅταν δὲ πλησίον γενωνται τὴς
ἀσφαλτού, πελέκεις ἐχοντές ἐπιπηδῶσι, καὶ κα–
θάπερ μαλακής
πετράς ἀποκόπτοντες γεμίζουσι τὴν δεσμήν, ἐιτα ἀποπλεούσιν εἶς τούπισω."

(27) Diod. II, 48, 6:"Ἔστι δ'έν τῆ χωρα τῶν Ναβαταίων...λιμνή τὲ μεγαλή φερούσα πολλήν ἄσφα λτον, ἐξ ἧς λαμβανόου-σιν ούκ ὅλιγας προσόδους."

(28) Clapp, G. F., "Geology and Bitumens of the Dead Sea area, Palestine and Transjordan", Bull Am Assoc Petrol Geol, 20, 1936, p. 881-909; Nissenbaum, A.," Asphalts, heavy oils, ozocerite and gases in the Dead Sea Basin", Org Geochem, 2, 1980, pp. 167-180.

(29) Clapp, op.cit. pp. 900-902; Forbes, Bitumen and Petroleum in Antiquity, London, 1936, p.17.

(30) Joseph., Ant. Jud. XV, 88: "εν δὲ τούτῳ καὶ τὰ περὶ τὴν Συρίαν ταραχὰς εἶχεν οὐκ ἀνιείσης τῆς Κλεοπάτρας τὸν Ἀντώνιον μὴ πᾶσιν ἐπιχειρεῖν: ἔπειθεν γὰρ ἀφαιρούμενον ἑκάστων τὰς δυναστείας αὐτῇ διδόναι καὶ πλεῖστον ἴσχυεν ἐκ τῆς ἐκείνου πρὸς αὐτὴν ἐπιθυμίας."

(31) Ibid., XV, 92: "παρ' Ἀντωνιου τὴν τε Ἰουδαίαν καὶ τὴν τῶν Ἀραβων ἀξιουσα τοὺς βασιλεύοντ ας αὐτων ἀφελάσθαι.".

(32) Ibid., XV, 94-96: "...., μέρη τῆς χώρας ἑκατέρου παρελόμενος τούτοις αὐτὴν ἐδωρήσατο. δίδωσιν δὲ καὶ τὰς ἐντὸς Ἐλευθέρου ποταμοῦ πόλεις ἄχρις Αἰγύπτου χωρὶς Τύρου καὶ Σιδῶνος, ἐκ προγόνων εἰδὼς ἐλευθέρας. πολλὰ λιπαρούσης αὐτῆς αὐτῇ δοθῆναι. Τούτων ἡ Κλεοπάτρα τυχοῦσα καὶ παραπέμψασα μέχρις Εὐφράτου τὸν Ἀντώνιον ἐπ' Ἀρμενίαν. στρατευόμενον ἀνέστρεφεν καὶ γίνεται μὲν ἐν Ἀπαμείᾳ καὶ Δαμασκῷ, παρῆλθεν δὲ καὶ εἰς τὴν Ἰουδαίαν Ἡρώδου συντυχόντος αὐτῇ καὶ τῆς τε Ἀραβίας τὰ δοθέντα καὶ τὰς περὶ τὸν Ἱεριχοῦντα προσόδους [Ἡρώδου] μισθωσαμένου: φέρει δ' ἡ χώρα τὸ βάλσαμον, ὃ τιμιώτατον τῶν ἐκεῖ καὶ παρὰ μόνοις φύεται, τόν τε φοίνικα πολὺν καὶ καλόν.".

(33) Ibid., XV, 4.

(34) Joseph., Ant. Jud. XV, 107.

(35) Ibid., XV,110: "Ἀντώνιος δὲ τῆς μὲν ἐκείνου συμμαχίας οὐδὲν ἔφη δεῖσθαι, τὸν δὲ Ἄραβα, καὶ γὰρ ἀκηκόει παρ' αὐτοῦ καὶ τῆς Κλεοπάτρας τὴν ἀπιστίαν, ἐπεξελθεῖν προσέταττεν. ἠξίου γὰρ ἡ Κλεοπάτρα ταῦτα λυσιτελεῖν αὐτῇ τὸν ἕτερον ὑπὸ θατέρου κακῶς πάσχειν ἡγουμένη.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

-Diod. Bib. Hist. = Diodorus Siculus, Bibliotheca Historica.
-Dio. Cass. Hist. Rom. = Dion Casius, Historiae Romana.
-Dioscorid. Mat. Med. = Dioscorides, Materia Medica.
-Herod. Hist. = Herodotus, Historiarum.
-Joseph. Ant. Jud. = Josephus Flavius, Antiquitates Judaicae.
-Joseph. Bell. Jud = Josephus Flavius, Bellum Judaicum.
-Plin. H.N. = Plinius the Elder, Historiae Naturalis.
-Polyb. Hist. = Polybius, Histories.
-Strab. Geog. = Strabon, Geographica.
-Tacit. Hist. = Tacitus, Historia.
-Vit. De Arch. = Vitruvius, De Architectura.
-Xen. Anab. = Xenophon, Anabasis.

ثانياً: الدوريات العلمية:

-Am J Archaeol = American Journal of Archaeology.
-Archaeometry = Bulletin of the Research Laboratory for Archaeology and the History of Art, Oxford University.
-Biblic Archaeol = Biblical Archaeologist.
-B Am Sch Oriental Re = Bulletin of the American Schools of Oriental Research.
-Bull Am Assoc Petrol Geol = Bulletin of the American Association of Petroleum.
-Hydrobiologia = Hydrobiologia.
-Geogr. J = Geographical Journal.
-JEA = The Journal of Egyptian Archaeology.
-J Interdiscipl Hist = Journal of Interdiscilinary History.
-Mnemosyne = MNEMOSYNE Journal of Classical Studies.
-Org Geochem = Organic Geochemistry.

قائمة المصادر:

Loeb Classical Library:

-Diodorus Siculus, Bibliotheca Historica.

-Dion Casius, Historiae Romana.

-Dioscorides, Materia Medica.

-Herodotus, Historiae.

-Josephus Flavius, Antiquitates Judaicae.

____________, Bellum Judaicum.

-Plinius the Elder, Historiae Naturalis.

-Polybius, Histories.

-Strabon, Geographica.

-Tacitus, Historia.

-Vitruvius, De Architectura.

-Xenophon, Anabasis.

قائمة المراجع والدوريات الأجنبية:

-Abraham, H., Asphalt and Allied Substances: Their Occurrence, Modes of Production, 4th ed. New York, 1938.

-Butler, J.S., Weinhold, D. "Taxing Losses: Economic Suicide or Shrewd Trade Policy?", J Interdiscipl Hist, 33, 2002, pp.47–57;

-Clapp, G. F., "Geology and Bitumens of the Dead Sea area, Palestine and Transjordan", Bull Am Assoc Petrol Geol, 20, 1936, p. 881-909;

-Forbes, R. J., "The Nomenclature of Bitumen Petroleum Tar and Allied Products in Antiquity", Mnemosyne, 4, 1936, pp. 67-77.

____________, Bitumen and Petroleum in Antiquity, London, 1936.

____________, Studies in Ancient Technology, vol. I, Leiden, 1964.

-Hammond, P.C., "The Nabataean Bitumen Industry at the Dead Sea", Biblic Archaeol, 22, 1959, pp.40-48.

-Harrell, J.A. Lewan, M.D."Sources of Mummy Bitumen in Ancient Egypt and Palestine", Archaeometry, 44, 2002, p.285.

-Horsfield, G. Conway, A., "Historical and Topographical Notes on Edom: With an Account of the first Excavations at Petra", Geogr. J, 76, 1930, p. 380.

-Kelso, J.L. Powell A.R., "Glance Pitch from Tell Beit Mirsim," B Am Sch Oriental Re, 95, 1944, pp.15-16.

-Koller, J. Baumer, U., " Herodotus' and Pliny's Embalming Materials Identified on Ancient Egyptian Mummies", Archaeometry, 47, 2005, pp.609-628.

-Khairy, N.I., " Nabataean Piriform Unguentaria", Bull Am Sch Oriental Re, 240, 1980, pp. 85 -91.

-Lucas, L., "The Question of the Use of Bitumen or Pitch by the Ancient Egyptians in Mummification", JEA, 1, 1914, pp. 241-245.

-Nissenbaum, A. "Asphalts, heavy oils, ozocerite and gases in the Dead Sea Basin", Org Geochem, 2, 1980, pp. 167-180.

-____________, "The Dead Sea - an economic resource for 10000 years", Hydrobiologia, 261, 1993, pp. 127-141.

-Rowland, J., "The Ptolemaic-Roman Cemetery at the Quesna Archaeological Area", JEA, 94, 2008, 70-93.

-Starcky, J., "The Nabataeans: A Historical Sketch", Biblic Archaeol, 18, 1955, pp. 84-106.

-Spielmann, P.E., "To What Extent Did the Ancient Egyptians Employ Bitumen for Embalming?", JEA, 18, 1932, pp. 177-180.

-Tarn, W.W., "Ptolemy II and Arabia", JEA, 15, 1929, pp. 15-16.

-Vickers, M., "Nabataea, India, Gaul, and Carthage: Reflections on Hellenistic and Roman Gold Vessels and Red-Gloss Pottery", Am J Archaeol, 98, 1994, pp. 231-248.



ضريبة الثمانى دراخمات الموجهة لصالح ديونيسوس

(Ὀκτάδραχμος σπονδὴ Διονύσου)

فى مصر الرومانية

د/ رجب سلامة

كلية الآداب – جامعة القاهرة

فى عام ١٣٩ كتب بطوليمايوس Πτολεμαῖος إستراتيجوس قفط (Coptus) إلى والى مصر افيديوس هليودوروس[١] Αὐιδίος Ἡλιοδώρος يخبره أنه على الرغم من الصعوبات التى يواجهها فى جمع الضرائب المستحقة لخزانة الدولة، فإن الاستمرار فى المطالبة بهذه الضرائب هى سياسة يطبقها هو ورجاله ليل نهار[٢].

وتعكس هذه الرسالة الفكر الرومانى الاقتصادى فى إدارة مصر من حيث كونها إدارة مهمتها الرئيسة تحصيل الضرائب التى غدت من الكثرة والتنوع حتى أنها شملت الأفراد، والأراضى، والوظائف، والخدمات، والمبيعات، والنقل، وحركة البضائع والأفراد، والأملاك العينية والشخصية[٣]. ولما كان اهتمام الإدارة الرومانية الأكبر منصرفا إلى تحصيل أكبر قدر ممكن من دخل مصر فقد عمدت إلى إحكام تنظيم البنيان المالى والإدارى، ومضى النظام الجديد فى اتجاهين هما: الزيادة الكلية للضرائب النقدية، وتطوير تحصيل الضرائب من خلال نظام الخدمات الإلزامية المفروضة، وقد نجح الرومان فى تنظيمها، وأدرت عليهم الولاية الغنية دخلاً هائلاً من الضرائب النقدية والعينية.

ومن بين هذه الضرائب التى تعود إلى العصر البطلمى، واستمرت خلال الحكم الرومانى، هناك مجموعة من الضرائب فرضت على زراعة الكروم

والبساتين مثل الايباروپرونἐπαρούριον والناوبيون ναύβιον، إلى جانب الأبومويرا ἀπόμοιρα التى كانت مخصصة لعبادة أرسينوى فيلادلفوس[٤]، وهى العبادة الخاصة ببطليموس فيلادلفوس وأخته أرسينوى، وكانت تدفع عينا بمقدار سدس المحصول منذ عام ٢٦٤ ق.م[٥]، وعندما كانت تدفع نقدا كانت تدفع بالعملة الفضية، وأما إذا دفعت بالعملة البرونزية فإنه كان يتحتم دفع فارق التحويل، لكنه منذ عام ٢٢٥ ق.م كانت تدفع بالعملة البرونزية دون تحصيل هذا الفارق[٦]، وقد احتفظت الإدارة الرومانية بالتسمية نفسها -الأبوميرا -،إلا أنها حددتها نقدا فى البداية بنسبة عشر دراخمات على الكروم، وكانت تحصل إما لصالح المعابد ἱερατικά أو لصالح إدارة وزير المالية (الديويكيسيس) διοίκησις، لكن النسبة ارتفعت بسبب التضخم فى القرن الثالث إلى اثنتى عشرة دراخمة ونصف، وأصبحت موحدة على كل المزروعات[٧].

كذلك كانت هناك أيضا ضريبة الثمانى دراخمات التى كانت مخصصة للمعبود ديونيسوس رب الخمر والنبيذ، فديونيسوس هو الإله الذى يمنح الموسر والمعسر لذة الخمر التى تمنع الألم والحزن[٨]، وتمتعت عبادته بأسرار كثيرة (Οἱ τελοῦντες τῷ Διονύσῳ)، كما أشار إلى ذلك مرسوم الملك بطليموس الرابع، وشهدت عبادته ازدهارا كبيرا فى كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية خلال القرنين الثانى والثالث الميلاديين[٩]، وكانت هذه الضريبة تفرض على أرض الحدائق παράδεισοι أو على أرض الكروم، ووردت فى الوثائق تحت اسم الثمانى دراخمات المخصصة لعبادة ديونيسوس Ὀκτάδραχμος σπονδὴ Διονύσου، أو ضريبة النبيذ οἴνου τέλος و τέλος οἴνου أو ضريبة الثمانى دراخمات Ὀκτάδραχμος، وكانت تجبى أحيانا مضافا إليها رسوم إضافية، ورسوم استخراج الإيصال، وأحيانا بأحدهما، وأحيانا أخرى بلا كليهما.

ونحاول فى هذه الدراسة أن نتتبع هذه الضريبة من خلال تجميع كل الوثائق البردية التى وردت فيها هذه الضريبة بمسمياتها المختلفة سواء من ارسينوى[١٠](كرانيس، وثيادلفيا وفيلادلفيا)، أو اوكسيرينخوس[١١]، أو طيبة[١٢] ومنديس[١٣]. وقد قام بعض الباحثين بترجمة وشرح بعض هذه النصوص مثل والاس

Wallace[14]، وجونسون Johnson[15]، هذا بالإضافة إلى الإسهامات الأخرى التى وفرت للدراسة مادة خصبة أثرت البحث من زوايا عديدة[16].

- الضريبة خلال العصر البطلمى

لقيت عبادة ديونيسوس إله الخمر الإغريقى اهتماما كبيرا من البطالمة، وقد اعتقد البعض أن بطليموس الرابع هو الذى ابتدع هذه العبادة، لكنه كان كأجداده مهتما بصفة خاصة بديونيسوس، وأولى عبادته أهمية كبيرة، وحرص على تنظيمها، إذ أصدر مرسوما[17] أمر فيه كل المشاركين فى عبادة ديونيسوس بضرورة التوجه إلى الإسكندرية التى كانت على ما يبدو مركزا لهذه العبادة بسبب تركز الإغريق فيها، وكانت الدعوة موجهة للإغريق الذين يقيمون بين ظهرانى المصريين سواء فى عواصم المديريات أو حتى فى القرى الصغيرة، وقد منح الجميع –كلا حسب بعده عن الإسكندرية– مهلة من الوقت للوصول إليها، على أن يقوم كل من يصل إليها بتسجيل نفسه فى مكتب السجلات لدى الموظف اريستوبوليس Ἀριστόβολον – الذى كان معنيا فيما يبدو بتسجيل أسماء المواطنين الإغريق– فى خلال ثلاثة أيام من تاريخ وصوله[18].

وقد وفر الملك بطليموس الرابع دعما ماديا كبيرا لعبادة ديونيسوس، وذلك من خلال إيجاد مصادر وموارد مالية ثابتة تساعد فى نشر هذه العبادة وتطويرها، لذلك يُعتقد أنه كان أول من فرض ضريبة لدعم عبادته، وكان هذا الدعم قد ضمن لعبادة ديونيسوس مكانة متميزة فى مصر مقارنة بالمعبودات الإغريقية الأخرى، ويؤكد هذا استخدام الملك فى مرسومه لبعض المفردات التى لها دلالة مالية مثل مصطلحىَ καταλογεῖον و ἱερά، وربما تعنى الأخيرة المعابد أو ثروة المعابد، وبخصوص الكلمة الأولى فإننا نعرف فى وقت متأخر أنها كانت مرتبطة بمكتب وزير العدل أو الأرخيديكاستيس ἀρχιδικαστής، وقد كان إشراف هذا المكتب فى هذه الحالة ربما يخص مدى أهلية كهنة ديونيسوس فى وضع الجانب المالى تحت إدارتهم[19].

وكانت الضريبة فى الأصل تفرض على مزارع الكروم والبساتين، وكانت

تدفع بالدراخمة النحاسية بما يساوى ٨ دراخمات فضية بمعدل التحويل للضرائب العادية فى الحقبة الرومانية، أى أن معدل هذه الضريبة فى العصر البطلمى كان ٨ دراخمات فضية لكل أرورة خصوصا فى طيبة التى عرفت الضريبة فيها باسم ضريبة النبيذ τέλος οἴνου [20]، وهو نفس الاسم الذى عرفت به أيضا فى هيراكليوبوليس[٢١]، واكسورينخوس[٢٢]، وفيلادلفيا[٢٣].

- الضريبة خلال العصر الرومانى

قبل الولوج إلى تتبع الضريبة من خلال الوثائق التى تعود إلى العصر الرومانى نرى أنه حديث لازم أن نوضح ماهية اثنين من المصطلحات اقترنا كثيرا بالضريبة عند سدادها، حيث يسجل فى كثير من حالات دفع ضريبة الثمانى دراخمات المبلغ المدفوع إضافة إلى مبالغ أخرى أقل تحت عنوان بروسدياجرافومينا προσδιαγραφόμενα؛ وتعنى الرسوم الإضافية، كذلك ورد فى حالات أخرى مقترنا بدفع الضريبة مبلغ تحت عنوان سومبولون σύμβολον، أى رسوم استخراج إيصال.

وبخصوص البروسدياجرافومينا τὰ προσδιαγραφόμενα فهى عبارة عن رسوم إضافية **تمت إضافتها إلى إيصالات الضرائب بداية من عهد أغسطس، حيث إن الرومان جعلوا لمصر وضعا مستقلا من الناحية المالية عن بقية الإمبراطورية الرومانية**[٢٤].

إن طبيعة وغرض هذه الرسوم الإضافية غير واضح تماما حتى الآن، وهناك عدد من التفسيرات لها؛ حيث رأى البعض **أنها عبارة عن رسوم تدفع كعقوبة على سداد الضريبة متأخرا، أو أنها كانت عبارة عن رسوم** نقل أو شحن الأموال إلى الإسكندرية، وهذه التفسيرات لم تعد تلقى قبولا الآن[٢٥].

وفى ضوء فحص عدد كبير من وثائق ضريبة الرأس تبنَّى بعض الباحثين وجهة نظر أخرى مضمونها أن هذه الرسوم كانت عبارة عن رسوم إضافية ثابتة على الضريبة الأصلية، بغض النظر عن طبيعة هذه الضريبة، ومعدلها العادى

كان $\frac{1}{16}$ من إجمالى مبلغ الضريبة[٢٦]. وفى هذه الإيصالات كان معدل الرسوم الإضافية عبارة عن عدد من الأوبولات يعادل نصف عدد دراخمات الضريبة، فعلى سبيل المثال عندما كانت الضريبة ٢٠ دراخمة فإن معدل الرسوم عليها كان ١٠ أوبولات[27]. وعلى الرغم من ذلك فإن هناك بعض الإيصالات الخاصة بضريبة الرأس لا تتضمن أى ذكر لهذه الرسوم الإضافية، وإن وردت بها رسوم التحويل (κόλλυβος)مما دفع ناشرها إلى الاعتقاد بأنها كانت متضمنة داخل رسوم التحويل الواردة فى هذه الإيصالات بمعدل $\frac{1}{60}$ من مبلغ الضريبة الأصلى، وهذا هو معدلها العادى[٢٨].

إن مفهوم الرسوم الإضافية كان أعم وأشمل؛ لأنها قد تتضمن ثمن الورق أو أجر الناسخ، أو فارق العملة أو التحويل، والمعنى الأخير هو الأكثر وضوحا فى إيصالات ضريبة الثمانى دراخمات، وتفسير ذلك هو أن كل المدفوعات والضرائب الواجبة على الأفراد للحكومة كانت تدفع أو تسدد بوحدة الدراخمة ذات السبعة أوبولات وربع؛ وهى وحدة دفع تقديرية لكل الالتزامات المادية الواجبة على الأفراد، وهذه الدراخمة هى وحدة قياسية وجدت فى الوثائق، **لكنها لم تكن موجودة بشكل حقيقى؛ لأنه لم تكن هناك عملة فى مصر الرومانية بهذه القيمة النقدية**[٢٩]. من هنا كان يتم حساب الضريبة عند الدفع على أساس أن الدراخمة تساوى سبعة أوبولات وربع، وبالتالى تصبح التترادراخمة (أو الأربع دراخمات) تعادل ٢٩ أوبولا[٣٠]. وهناك عدد من إيصالات أو قوائم الضرائب حسبت على هذا الأساس[٣١].

وكان الأفراد لا يسددون الضرائب فى كل الأحوال بفئة التترادراخمة (التى تعادل ٢٩ أوبولا)، وهى الوحدة النقدية القياسية المعروفة، وإنما يتم السداد بفئة الدراخمة ذات السبعة أوبولات أو الستة أوبولات، وحتى تصبح كلتاهما مساوية لمعدل الدفع العادى كان لابد من دفع رسوم إضافية προσδιαγραφόμενα مضافة إلى الضريبة، وكانت نسبتها على الدراخمة ذات السبعة أوبولات هى ربع أوبول، وبالنسبة للدراخمة ذات الستة أوبولات كانت واحداً وربع أوبول. إذاً اختلاف قيمة السداد بالدراخمة ذات السبعة أوبولات أو ذات الستة أوبولات هو

الذى أوجد الفارق فى الرسوم الإضافية فى إيصالات سداد الضرائب. وهذا يفسر ورود أكثر من معدل لهذه الرسوم الإضافية فى كثير من الوثائق التى اختلفت من مكان لآخر حيث سُجّل أكثر من معدل مثل $\frac{1}{5}$، $\frac{1}{10}$، $\frac{1}{13}$، $\frac{1}{12}$ و$\frac{1}{16}$[٣٢].

وبخصوص الرسوم الاضافية التى كانت تضاف إلى ضريبة الثمانى دراخمات فقد كان مقدارها $\frac{1}{16}$ من مبلغ الضريبة، وهو أمر شائع عند الدفع بالدراخمة الفضية- وهو يعادل ٣ أوبولات[٣٣]، لكن مقدار هذه الرسوم الإضافية أصبح $\frac{1}{2}$٣ أوبول فى حالة السداد بالدراخمة ذات السبعة أوبولات[٣٤].

أما عن طريقة حساب ضريبة الثمانى دراخمات عند السداد فقد كان معدلها ثمانى دراخمات فضية، وتدفع الضريبة عادة بمعدل قطعة واحدة من فئة الأربع دراخمات التى تعادل ٢٧ أوبولا، وقطعة من الأربع دراخمات التى تساوى ٢٦ أوبولا، بالإضافة إلى ثلاثة أوبولات رسوما إضافية، وهذا المجموع يساوى فى النهاية **ثمانى** دراخمات و**ثمانى** أوبولات[٣٥]، وتفسير ذلك هو أن ٢٧ أوبولا+٢٦ أوبولا =٥٣ أوبولا + ٣ أوبولات=٥٦ أوبولا. ومع الوضع فى الاعتبار أن السداد كان يتم على أساس أن قطعة التترادرخمة تعادل ٢٩ أوبولا؛ إذا ٥٦ أوبولا ÷٢٩= ٢ تترادراخمة (أى أن ثمانى دراخمات=٥٨أوبولا) + ثمانى أوبولات.

أما مصطلح سومبولونσύμβολον فيعنى رسوم الإيصال؛ فعند دفع الضريبة كان جامعو الضرائب مطالبين بإصدار إيصالات، ومن أجل هذا كان هناك بعض المصاريف أو الرسوم التى يجب أن يسددها دافع الضريبة إلى جامعها من أجل تحرير إيصال له يكون بمثابة مستند يثبت الدفع[٣٦]. وهناك عدد من الأسباب توضح ضرورة حصول دافع الضريبة على إيصال؛ منها ضمان وصول الإيراد للخزانة، لأن إخضاع جامع الضرائب المكلف بجمعها من منطقة معينة للمراقبة يعد أمرًا صعبا، إلى حد كبير، إلى جانب توفير قدر كبير من الأمان لدافع الضريبة، وضمان عدم تعرضه للغش أو الخداع، لأنه سيشعر بالأمان إذا ما سدد الضريبة، ورأى أن ما يدفعه يسجل بدفتر البنك، ويحصل على إيصال يثبت قيامه بالدفع، وحتى مع وجود هذا فلا تزال هناك مساحة للخداع والغش طالما أن هذه الإيصالات كانت

تكتب باليونانية فى الوقت الذى كان فيه قليل من المصريين يتكلمون اليونانية، وعدد أقل منه يجيد قراءة وكتابة اليونانية[٣٧]، وإلى جانب هذا فقد كانت هناك منازعات تنشأ بين الدائن والمدين، لهذه الأسباب رأت السلطة الرومانية ضرورة حصول دافع الضريبة على إيصال يثبت سداد ما عليه من ضرائب أو التزامات، وهو ما يؤكد حرص السلطة الرومانية على ذلك المرسوم[٣٨] الذى أصدره الوالى ماركوس بترونيوس مامرتينوس[٣٩] Μάρκος Πετρώνιος Μαμερτῖνος عام ١٣٤م، والذى أمر فيه بإعطاء إيصالات لدافعى الضرائب، وسرى هذا الإجراء على جميع المدفوعات النقدية أو العينية التى كانت تحصل عليها الحكومة. كما أمر الوالى بأن يتبادل دافع الضريبة وجامعها الإيصالات، ونحن نفهم أن يعطى جامع الضريبة الدافع إيصالا، لكن مالا نستطيع فهمه كيف يعطى هذا الدافع لجامع الضريبة إيصالا؟ إن هذا أمر غير مفهوم، لكن أغلب الظن أنه عبارة عن إيصال الخزانة τὸ δημόσιον σύμβολον الذى ورد فى أحد الإيصالات[٤٠]، فقد كان على الشخص الذى قام بدفع الضريبة الذهاب بصفة شخصية إلى البنك، ويسلم الإيصال الذى حصل عليه من جامع الضريبة، ويستلم فى مقابله إيصال الخزانة كما ذهب أحد الباحثين[٤١]، وهذا الإجراء -كما نرى- يحقق عددا من الفوائد؛ أولها سيطرة الحكومة على جامعى الضرائب، لأن لديها الإيصالات التى أصدرها كل منهم، وبالتالى تسهل محاسبته، ثانيا توفير الأمان لدافع الضريبة وإعطائه ما يشبه الصك الرسمى على أنه قام بدفع ما عليه من ضرائب.

إذاً كانت السلطة الرومانية حريصة على إعطاء دافع الضريبة إيصالا يثبت السداد، وفى المقابل كان عليه سداد رسوم نظير استخراج هذا الإيصال، ومن هنا نجد أن الضريبة كانت تضاف إليها رسوم إيصال σύμβολον، وكان الحد الأدنى لتلك الرسوم هو ٢ خالكى، لكن الرسوم العادية كانت أوبولين اثنين ونصف. والملاحظ أنه لا توجد أية علاقة بين مقدار الضريبة وبين قيمة رسوم الإيصال، ومن الأمثلة على ذلك أن هناك رسوماً مقدارها ١٣ دراخمة على مبلغ ٤٠٠ دراخمة[٤٢]، وسددت أيضا رسوم مقدارها ١٢ دراخمة كرسوم إيصال لمبلغ ١٠٠٠ دراخمة[٤٣]، فى حين وجدنا أنه تم دفع مبلغ ثلاثة أوبولات كرسوم إيصال على مبلغ ١٦٠ دراخمة[٤٤].

وبخصوص رسوم الإيصال على ضريبة الثمانى دراخمات فليست هناك مشكلة بشأنها؛ لأنها كانت بسيطة ومتغيرة من مكان لآخر[٤٥]، فعند دفع أحد المواطنين لضريبة على قطعتين من أراضى الحدائق كانت رسوم الإيصال على القطعة الأولى مقدارها أربعة أوبولات، فى حين كانت ثلاثة على القطعة الثانية[٤٦]، وقد كان المعدل العادى لرسوم الإيصال هو ثلاثة أوبولات[٤٧]، لكن فى حالة دفع الضريبة مع ضرائب أخرى كانت رسوم الإيصال تخفض إلى أوبول واحد[٤٨]. وجدير بالذكر أنه بالنسبة للضرائب المدفوعة فى كرانيس عن العام ١٧٢-١٧٣ نجد أن رسوم الإيصال على ضريبة الثمانى دراخمات كان مقدارها أو بولين اثنين، ومع ذلك فقد وجدت أربعة معدلات مختلفة لهذه الرسوم فى كرانيس تراوحت ما بين ٢،٣،٤،٥ أوبولات. ولعل تفسير هذا الاختلاف يعود إلى أن جامعى الضرائب النقدية πράκτορες ἀργυρικῶν فى كرانيس على وجه الخصوص قاموا بوضع نظام ثابت للرسوم الإضافية التى يجب على دافع الضريبة سدادها، وتختلف هذه الرسوم ليس فقط وفقا لمقدار ما يدفعه من ضرائب، ولكن أيضا وفقا لمساحة العمل، وكمية الأدوات المستخدمة فى تسجيل مدفوعاته وإصدار الإيصال[٤٩].

إن معظم ما لدينا من وثائق عن الضريبة فى العصر الرومانى يعود لنهاية القرن الثانى بعد الميلاد وبداية الثالث[٥٠]، ويمكن تتبعها حسب المديريات على النحو التالى:

مديرية أرسينوى

إن أكثر الوثائق التى توافرت لدينا وتخص هذه الضريبة تعود إلى مديرية أرسينوى، وهى عبارة عن مجموعة من إيصالات السداد أو قوائم للضرائب، وتدل هذه الوثائق على أن الضريبة كانت تجبى فى أرسينوى بقيمة واحدة أو موحدة مقدارها ثمانى دراخمات من كل مالك أو مستأجر، بغض النظر عن مساحة أو مقدار ما يمتلك، إضافة إلى رسوم إضافية[٥١]. وسوف نعرض لهذه الوثائق بحسب أهميتها ومكانها.

فقد حددت إحدى البرديات[٥٢] من قرية ثيادلفيا- وهى عبارة عما يشبه لائحة

لتحديد معدل الضرائب على الأراضى الخاصة- معدل سداد الضريبة، حيث ورد فى هذه اللائحة اسم الضريبة كاملا، فضلا عن مقدارها، وما يتعلق بسدادها من رسوم إضافية أو رسوم إيصال، وكذلك الجهة المنوط بها جمع هذه الضريبة، إذ نصت الوثيقة على أن ضريبة الثمانى دراخمات التى كانت تجبى لصالح عبادة ديونيسوس بمعدل ثمانى دراخمات مضافا إليها رسوم إضافية προσδιαγραφόμενα مقدارها ثلاثة أوبولات، ومصاريف إيصال σύμβολον مقدارها ثلاثة أوبولات، ويقوم النومارخيس νομάρχης بجمعها[53].

ومن أهم الوثائق التى تتعلق بالضريبة فى أرسينوى نجد خمسة إيصالات[٥٤] لعدد من الضرائب (الإيباريون، والناوبيون، والأبومويرا إلى جانب ضريبة الثمانى دراخمات) على أراضى الكروم، وتعود للعامين العاشر والحادى عشر من حكم الإمبراطور فسباسيان (٦٩-٧٩م)، والعام الثانى من حكم الإمبراطور تيتوس (٧٩-٨١ م)، وهذه الإيصالات تعتبر أقدم ما وصلنا من العصر الرومانى بخصوص ضريبة الثمانى دراخمات؛ ففى هذه الإيصالات نجد أن أحد المواطنين ويدعى لوكيوس اجناتيوس فرونتون تيبرينوس Λούκιος Ἰγνάτιος Φρόντων Τιβερῖνος دفع من خلال أبوللونيوس Ἀπολλώνιος مساعد جامع الضرائب النقدية عن العام التاسع عن السيدة فيلادلفيا Φιλαδελφεία ضريبة الثمانى دراخمات لصالح الإله ديونيسوس ومقدارها ثمانى دراخمات[٥٥]، كما سدد عن هيفايستيادوس Ἡφαιστιάδος نفس الضريبة ومقدارها ثمانى دراخمات أيضا[٥٦]. ويبدو أن لوكيوس اجناتيوس كان مستأجرا لهذه الأرض من كل من فيلادلفيا وهيفايستيادوس، وبالتالى عليه أن يسدد الضرائب عنهما، ومن الملاحظ أن هذه أول وثيقة تذكر تحصيل الضريبة بدون تحصيل رسوم إضافية προσδιαγραφόμενα مما دعا أحد الباحثين[٥٧] إلى افتراض أن الضريبة كانت فى البداية تسدد بدون رسوم إضافية، ثم بعد فترة سددت برسوم إضافية، لكن الافتراض الأقرب للواقع هو أن الأفراد كانوا لا يسددون الضرائب فى كل الأحوال بفئة التترادراخمة أو الأربع دراخمات (التى تعادل ٢٩ أوبولا)، وهى الوحدة النقدية المعروفة، وإنما كان يتم السداد بفئة الدراخمة ذات السبعة أوبولات أو الستة أوبولات، وحتى يصبح كلاهما مساويا لمعدل الدفع العادى كان لابد من

دفع الرسوم الإضافية، من هنا فإننا نفترض أن لوكيوس اجناتيوس قام بسداد الضريبة بفئة التترادراخمة أو الأربع دراخمات(التى تعادل ٢٩ أوبولاً) وهى الوحدة النقدية المعروفة.

وفى إيصال[٥٨] من ثيادلفيا أيضا مؤرخ بالعام العشرين لحكم الإمبراطور هادريان (١٥٦م)، قامت السيدة ديدوماريون الكبيرة Διδυμάριον بسداد الضرائب المستحقة عليها عن أرض الحدائق التى فى حوزتها إلى هيرون Ἥρωνι وزملائه جامعى الضرائب بقرية ثيادلفيا، وقد أدت هذه السيدة الضرائب المستحقة عليها عن العامين الثامن عشر(السطر٨) والتاسع عشر(السطر١٤)، وبعض الأقساط عن العام العشرين (السطر ١٧) من حكم هادريان. ومن بين هذه الضرائب نجد أنها سددت ضريبة الثمانى دراخمات- التى يرد اسمها هنا لأول مرة كاملا غير مختصر- بواقع ثمانى دراخمات فضية مضافاً إليها رسوم إضافية مقدارها ثلاثة أوبولات ونصف، وأوبول واحد ونصف كرسوم للإيصال عن العام الثامن عشر[59]، وسددت أيضا نفس الضريبة غير كاملة عن العام العشرين فدفعت دراخمتين فضيتين، ورسوماً إضافية قدرها نصف أوبول و٢ خالكى، ومصاريف الإيصال ومقدارها أوبول واحد ونصف أوبول[٦٠].

وتبرز البردية بشكل واضح أن هذه السيدة أدت الضرائب كاملة عن العام الثامن عشر، فى حين أدت جزءاً من ضرائب العام العشرين، وتفسير ذلك أنها ربما قامت بتأجير جزء من أرضها لشخص آخر دفع عنها بقية الضريبة، فى حين أنها دفعت الضرائب على الأرض التى لا تزال فى حوزتها.

والواقع أن هذا الأمر تكرر فى إيصال آخر ينتمى لبرديات جامعة برنستون[٦١] ومؤرخ بعام ١٤٦م، وفى هذا الإيصال نجد السيدة اثيناريون Ἀθηνάριον بنت هيرودس Ἡρῴδος من ثيادلفيا تقوم بسداد بعض الضرائب إلى زوسيموس Ζωσίμου جامع الضرائب النقدية ومساعديه فى ثيادلفيا عن العام الثامن من حكم هادريان، فقد دفعت ضريبة الثمانى دراخمات الموجهة لصالح الإله ديونيسوس ومقدارها ٨ دراخمات فضية، ومصاريف إضافية (لعلها شملت رسوم الإيصال أيضا) مقدارها ٣ أوبولات و٦ خالكى[٦٢]، كما سددت أيضا فى نفس

الإيصال يوم ٢٨ نفس الضريبة بواقع دراخمتين فضيتين، بالإضافة إلى المصاريف الإضافية[٦٣] التى لم تحدد قيمتها أو مقدارها. ومن المعتقد أن هذه المدفوعات كانت قسطا للضريبة، أو لعلها كانت الضريبة الواجبة عليها لمساحة أخرى من الأرض تستأجرها أو تمتلكها هذه السيدة، ويعزز هذا الافتراض الأخير أن هذه السيدة اثيناريون ورد اسمها فى إيصال آخر[٦٤] وهى تسدد نفس الضريبة عن أرض تستأجرها مملوكة لسيدة أخرى تدعى اثيناريون بنت هيراكليديس[٦٥] Ἡρακλείδου فى يوم ٣ يناير من عام ١٦٦م، ويبدو أن اثيناريون بنت هيراكليديس واثيناريون بنت هيرودوس كانتا من الإغريق المستقرين فى قرية ثيادلفيا، وتنتميان لعائلة واحدة أو قريبتين[66]. وجدير بالذكر أن قرية ثيادلفيا كانت من أكثر قرى الفيوم اشتهارا بزراعة الكروم، وكانت بها ضيعة أبيانيوس Ἀπιανὸς التى كانت بمثابة مركز مهم لزراعة الكروم وإنتاج النبيذ فى الفيوم كما يدل على ذلك أرشيف هيرونينوس Ἡρώνινος مدير هذه الضيعة الذى ترك مجموعة من الوثائق التى تقارب الستمائة وثيقة تتحدث عن أعماله، وإنتاج الضيعة الزراعى والصناعى خلال إدارته لها فى الفترة من سبتمبر ٢٤٩م وحتى صيف عام ٢٦٨ م[٦٧].

ومن ثيادلفيا أيضا جاءت اثنتان من أكمل القوائم التى تخص عدداً من دافعى الضرائب، وهاتان القائمتان هما:

- القائمة الأولى (BGU IX, 1896)؛ هى عبارة عن قائمة لملاك أراضى الحدائق والكروم مرتبة حسب المناطق الجغرافية وليست أبجديا، ففى البداية يذكر اسم المالك، ومختلف المساحات التى يمتلكها وموقعها، ثم كل الضرائب المستحقة عليه مرتبة بشكل ثابت، وإجمالى هذه الضرائب بالدراخمة النحاسية، وتحويله بالدراخمة الفضية[٦٨].
- أما الثانية (BGU IX 1897)؛ فهى الأهم لأنها تقدم لنا حوالى ١٠٦ من ملاك ومستأجرى الكروم دافعى ضريبة الثمانى دراخمات لصالح الإله ديونيسوس من ثيادلفيا[٦٩]. ومع ذلك هناك تداخل كبير بين البرديتين لأنهما تقدمان حلولا لبعضهما البعض، ومع ذلك فكلاهما يثير قضية مهمة جدا وهى من كان يدفع هذه الضريبة؟

فعلى سبيل المثال نجد فى البردية (BGU IX 1897) أن كل اسم متبوع بحرف الجر πρός ، وبعد حرف الجر نجد اسماً أو اسمين آخرين، فمن قام بسداد الضريبة؟

قدم أحد الباحثين[70] المحدثين اقتراحين بخصوص هذه الإشكالية؛ الاقتراح الأول هو أن الأشخاص المذكورين قبل حرف الجر ربما كانوا المؤجرين الذين نقلوا من خلال العقد إلزام دفع الضريبة إلى الأفراد الواردين بعد حرف الجر، بينما يذهب الاقتراح الثانى إلى أن الأشخاص المذكورين قبل حرف الجر πρός ربما كانوا ملاك أرض الكروم الذين فقدوا أى إلزام واقعى بدفع الضريبة، مع أن الوثائق الرسمية تبرز أن الضريبة واجبة عليهم لصالح المذكورين بعد حرف الجر، وهذا لأسباب عدة منها أن بعضهم باع جزءاً من أرضه، وبالتالى فإن الملاك الجدد هم الواردة أسماؤهم بعد حرف الجر، ويجب عليهم دفع الضريبة، وأن البعض الآخر توفى، وقد لاقى الاقتراح الثانى قبولا بين بعض الباحثين[٧١]، ويدعم هذا الاتجاه بعض الحالات التى وردت فى البرديتين.

ومن بين هذه الحالات نجد السيدة ديدوماريون[٧٢] Διδυμάριον بنت أبيون Ἀπίωνος التى توفيت قبل عام ١٣٨م، ومع ذلك ورد اسمها مرتين مقترنا بدفع ضريبة الثمانى دراخمات عام ١٦٦م[٧٣]؛ ففى المرة الأولى[٧٤] ورد اسمها قبل حرف الجر πρὸς كمالكة سابقة لمساحة الأرض التى ورثها عنها بعد وفاتها ابنها فيليبوس Φίλιππος بن افروديسيوس Ἀφροδεισίου- وفقا لما جاء فى إحدى البرديات[٧٥] - وبالتالى سدد عنها ضريبة الثمانى دراخمات بين ضرائب أخرى[76]، وتأكد نفس المعنى فى المرة الثانية[٧٧] حيث ورد اسم ديديماريون بعد حرف الجر πρότερον الذى يعنى أن المالك السابق كان فلاناً أو الذى قام بدفع الضريبة فى العام السابق كان فلاناً، فى حين ورد قبله اسم ابنها فيليبوس الذى سدد الضريبة عما آل إليه من ملكية[٧٨].

ومن الحالات التى تثبت هذا أيضا حالة السيدة هيراكليا Ἡρακλεία زوجة توربون Τούρβωνος كمالكة لمساحة أروة واحدة ونصف من أرض الحدائق تسدد الضرائب الواجبة عليها، وكمالكة لمساحة أخرى من أرض الكروم قامت بسداد الضرائب عنها، ومن بينها ضريبة الثمانى دراخمات لصالح الإله ديونيسوس[٧٩].

لقد كان الأصل فى سداد هذه الضريبة هو أن يقوم المالك بدفعها إذا كانت الأرض غير مؤجرة، ويقوم بزراعتها بنفسه، وبالتالى يؤدى عنها الضرائب الواجبة عليها، وفى هذه الحالة نجد أن اسمه فى إيصال السداد يأتى متبوعا بعبارة πρὸς αὑτὸν. أما فى حالة تأجيرها فقد كان المستأجر -إذا كان فردا واحدا- يقوم بسداد الضريبة، وفى حالة تأجيرها أو توريثها إلى اثنين كان الاثنان يقومان بدفعها إما مناصفة؛ وفى هذه الحالة يتبع كل اسم بكلمة τό ἥμισυ، وهذا يعنى أنهما تقاسما الضريبة، بمعنى أن كلاً منهما دفع نصف الضريبة، أو يدفعاها معا لكن بنسب معينة، وسنضرب أمثلة لكلا الحالتين.

فمن الأمثلة على دفع اثنين ضريبة الثمانى دراخمات بنسب متفاوتة نجد أن أحد مالكى أرض الكروم ويدعى زوسويس Ζωσοῦς كان يسدد فيما مضى مجموعة من الضرائب، لكن هذه الضرائب دفعها آخرون عنه، ومن بين هذه الضرائب ضريبة الثمانى دراخمات التى دفعها اثنان لكن ليس بالتساوى، وهما أفرودويس Ἀφροδοῦς وديوس Δεῖος، إذ دفع أفرودويس مبلغ دراخمتين[٨٠]، فى حين سدد ديوس المدعو أيضا سارابيون Σαραπίων الست دراخمات المتبقية، بالإضافة إلى المصاريف أو الرسوم الإضافية والتى كان مقدارها أوبولان اثنان و٦ خالكى[٨١]، وربما يعود السبب فى هذا التفاوت إلى أن كلا الرجلين استأجر أرض زوسويس بنسب مختلفة، ويبدو أن ديوس ربما سدد نصيبه من الضريبة بالدراخمة ذات الستة أوبولات التى كان المعدل العادى لتحويلها هو واحد على ستة عشر من الضريبة الأساسية، ومع معدل التسوية أو التغيير لمعادلة الأربع دراخمات بعدد ٢٩ أوبولا، فقد كان مبلغ أوبولين و٦ خالكى هو مبلغ مناسب **كرسوم إضافية أو تحويل** لمبلغ ٦ دراخمات[٨٢].

وبالنسبة لحالات قيام اثنين بدفع الضريبة مناصفة، نجد ميثاريون Μυσθαρίων أو ميثيس Μύσθου الذى كان يمتلك أرضا للكروم فى ثيادلفيا، وبالتالى كان عليه دفع ضريبة الثمانى دراخمات، غير أن هذه الضريبة قسمت مناصفة τὸ ἥμισυ بين هيراكل Ἡρακλ وثيونيس Θεωνὶς[٨٣]. ولعل الأمر يكون أكثر وضوحا حين نقرأ فى قائمة الضرائب لنفس العام أن ثيونيس بجانب أنه

دفع الضرائب الواجبة عليه دفع أيضا أربع دراخمات نصف ضريبة الثمانى دراخمات الواجبة على ميثاريون، لذلك جاء اسمه بعد حرف الجر εἰς، لأن الاسم السابق على هذا الحرف يعنى أنه دفع الضريبة عن الاسم الوارد بعده[84].

ومن الحالات المشابهة أيضا نجد حالة السيدة ديديومى بنت ديوس Διδύμη Δείου التى تمتلك قطعة أرض مزروعة بالكروم، وبالتالى وجب عليها دفع ضريبة الثمانى دراخمات، لكن يبدو أنها أجرتها أو آلت ملكيتها إلى آخرين، لذا نجد أنه من الناحية الفعلية أن المسئولين عن دفع هذه الضريبة **بالتساوى** بينهما كانا الينى Ἀλίνη وهيرون بن أبير Ἥρων Ἄπερ اللذين كان يجب عليهما السداد يوم ١٢ أمشير من خلال تيكنناس Τκεννᾶς [٨٥]؛ وقد تأكد قيام هيرون بدفع نصف الضريبة فى يوم ١٢ أمشير حيث سدد مبلغ أربع دراخمات من خلال تيكنناس من ضريبة الثمانى دراخمات عن السيدة **ديديومى** بنت ديوس[86]، أما النصف الثانى، ونعنى به الأربع دراخمات الأخرى، فقد دفعته السيدة إلينى [٨٧]. وجدير بالذكر أن السيدة **ديديومى** نفسها كانت لا تزال تزرع مساحة من الأرض مقدارها $\frac{1}{8}$ أرورة، ودفعت عنها كل الضرائب الواجبة عليها[٨٨]، لكنها لم تدفع ضريبة الثمانى دراخمات التى دفعها هيرون وإلينى نيابة عنها بسبب استئجارهما الأرض، أو أنها آلت إليهما عن طريق الإرث.

وتؤكد قوائم الضرائب المكتشفة فى كرانيس[٨٩] أن الضريبة كان من الممكن أن تدفع على قسطين، وكانت تضاف إليها رسوم إضافية فقط دون ذكر لرسوم الإيصال كما ورد فى الحالة السابقة. ويهمنا من هذه القوائم البرديتين رقمى ٢٢٣ و ٢٢٤؛ فالبردية ٢٢٣ هى عبارة عن سجل لدافعى الضرائب عن الشطر الأخير من عام ١٧١ م، والأول من عام ١٧٢ م[٩٠].

وقد سجلت هاتان البرديتان أربع حالات لدفع الضريبة بالقيم التالية:

م	البردية	السطر	قيمة الضريبة	الرسوم الإضافية
١	223	٢٢٠٠	٤ دراخمات	أوبول و ٢ خالكى[٩١].
٢	٢٢٣	٢٢٦٠	٤ دراخمات	أوبول واحد[٩٢].
٣	٢٢٤	2494	٤ دراخمات	أوبول واحد[٩٣].
٤	٢٢٤	١٧٥٠	٨ دراخمات	٣ أوبولات[٩٤].

وتكشف هذه الحالات الأربع أن الضريبة كانت تدفع على قسطين كما جاء فى الحالات الثلاث الأول؛ فكل قسط كان مقداره أربع دراخمات مضافاً إليها الرسوم الإضافية التى كانت عبارة عن أوبول واحد فى الحالتين الثانية والثالثة، فى حين اختلفت قيمتها فى الحالة الأولى **حيث كانت** أوبولا وربع. اما الحالة الرابعة فقد سددت الضريبة كاملة بمقدار ثمانى دراخمات مضافا إليها الرسوم الإضافية التى كان مقدارها ثلاثة أوبولات.

وعلى هذا نجد أن هناك اختلافاً فى الرسوم الإضافية، ولعل هذا الاختلاف يعود إلى أن جامعى الضرائب النقدية فى كرانيس على وجه الخصوص قاموا بوضع نظام ثابت للرسوم الإضافية التى يجب على دافع الضريبة سدادها، وتختلف هذه الرسوم ليس فقط وفقا لمقدار ما يدفعه من ضرائب، ولكن أيضا وفقا لمساحة العمل، وكمية الأدوات المستخدمة فى تسجيل مدفوعاته وإصدار الإيصال[٩٥]. ولعل هذا الاختلاف يتعلق أيضا **بقيمة التحويل؛ لأن الضريبة فى كرانيس كانت تفرض على أساس الدراخمة الفضية التى تساوى ستة أوبولات، وكل أوبول كان يساوى ٨ خالكى، أما تحصيل الضريبة فكان يتم بوحدة الأربع دراخمات التى تراوحت قيمتها الفعلية بين ٢٧ و٢٩ أوبولا[٩٦].**

وفى إيصالين[97] للضرائب من تبتونس قام أحد المواطنين ويدعى هيراكليديس بن مارون Ἡρακλείδης Μάρωνος بدفع مجموعة من الضرائب الواجبة على السيدة **ديديومى** بنت ليسيماخوس Διδύμην Λυσιμάχου عن العامين الثالث عشر والرابع عشر من حكم هادريان، ومن بين الضرائب التى سددها ضريبة الثمانى دراخمات التى سددها بمعدل ثمانى دراخمات فضية مضافا إليها ثلاثة أوبولات ونصف رسوماً إضافية، فضلا عن أربعة **أوبولات مصاريف إيصال وفقا للقراءة الجديدة للبردية[٩٨].**

ويرى ناشر البردية أن هيراكليديس وديديومى دفعا الضريبة معا مما يدل على أن الملكية كانت مشتركة بينهما، وأن هيراكليديس هذا قد توفى قبل تاريخ دفع هذين الإيصالين بحوالى خمسة عشر عاما كما يثبت ذلك أحد الإعلانات[٩٩] الذى قدمه ورثته إلى دار التسجيل العقارى βιβλιοθήκη ἐγκτήσεων، وفيه يعلنون أن جزءاً من بيت يمتلكه هيراكليديس قد آل إليهم بعد وفاته، وبالتالى فإن ديديومى هى التى قامت بدفع الضريبة عن الملكية المشتركة بينها وبين زوجها الراحل هيراكليديس[١٠٠]، غير أننا نعتقد أن هيراكليديس المعنى هنا هو شخص آخر غير الذى توفى منذ خمسة عشر عاما، وأنه قد دفع الضرائب نيابة عن ديديومى التى يبدو أنه ورث عنها هذه الأرض أو اشتراها منها، ويؤكد هذا إيراد اسمه قبل حرف الجر εἰς ، واسمها بعد هذا الحرف، فالاسم السابق على الحرف يعنى أنه دفع الضريبة عن الاسم الوارد بعد الحرف، وهذا وفقا لإحدى البرديات(BGU ·(IX,1896

مديرية اوكسيرينخوس

تؤكد الوثائق التى جاءت من اوكسيرينخوس[١٠١] أن معدل الضريبة كان ثمانى دراخمات وأربعة أوبولات وخالكيا واحدًا، وكانت موجهة لصالح ديونيسوس σπονδή Διονύσου إله النبيذ شأنها شأن أرسينوى، فقد سجل أبيون Ἀπίων أحد جامعى الضرائب النقدية πράκτορες ἀργυρικῶν فى قرية تالاو Ταλαώ فى مفكرته[١٠٢] بعض المبالغ التى جمعها تحت عناوين متعددة من بينها ضريبة الثمانى دراخمات لصالح الإله ديونيسوس ومعدلها ثمانى دراخمات وأربعة أوبولات وخالكى واحد[١٠٣].

وفى تقرير[١٠٤] يعود لعام ٢١٩م مرسل من أحد جامعى الضرائب فى الميتروبوليس-عاصمة الإقليم- للتوبارخية الوسطى فى مقاطعة بيينو Πεεννώ إلى أوريليوس هاربوكراتيون Αὐρήλιος Ἁρποκρατίων إستراتيجوس مديرية اوكسيرينخوس، يتضمن ضرائب مختلفة تم جمعها خلال شهر بؤونة من العام الثانى من حكم الإمبراطور كاراكلا، وهذه المبالغ تم دفعها إلى البنك العام. وقد ورد ذكر الضريبة فى هذه القائمة مرتين، حيث دفع أحد الأشخاص ويدعى

سبتيميوس خايرمون Σεπτιμίος Χαιρήμονος هذه الضريبة بمقدار ثمانى دراخمات وأربعة أوبولات وخالكى واحد لصالح الإله ديونيسوس[١٠٥]، كما سدد شخص آخر يدعى أوريليوس أخيلليوس Αὐρήλιος᾽ Αχιλλεὺς الضريبة بنفس المعدل أى ثمانى دراخمات وأربعة أوبولات وخالكى واحد[١٠٦].

ومن الملاحظ أن معدل الضريبة الطبيعى الذى عثر عليه فى أماكن أخرى كان ثمانى دراخمات وثلاثة أوبولات، أما هنا فتوجد زيادة مقدارها أوبول وخالكى واحد، إلا إذا افترضنا جدلاً أن هذه الزيادة هى عبارة عن مصاريف استخراج الإيصال، أو مصاريف التغيير أو التحويل مع أن هذا الأمر لا يمكن الجزم به[١٠٧].

وفى قائمة[١٠٨] لمجموعة من حسابات الضرائب المختلفة لثلاثة أشهر (طوبة وأمشير وتوت)، ومن بينها متأخرات ضرائبية تم جمعها من قرية تيوس Τήεωςالتابعة لتوبارخية ثمويسيفو Θμοισεφῶ بواسطة جامع الضرائب النقدية، تسجل ضمن ضرائب شهر طوبة τῦβι مبلغاً مقداره ٤٠ دراخمة، بالإضافة إلى **رسوم إضافية** مقدارها ثلاث دراخمات و $2\frac{1}{2}$أوبول دفعت لضريبة الثمانى دراخمات[١٠٩]، كما سجلت البردية ضمن حساب شهر أمشير مدفوعات للضريبة مقدارها ١٦ دراخمة مضافاً إليها **رسوم إضافية مقدارها** دراخمة واحدة وأوبولان وخالكيان[١١٠].

وفى أحد الإيصالات[١١١] (وللأسف البردية مهشمة) نجد أن أحد الأفراد سدد الضريبة؛ بالإضافة إلى ضريبة أخرى على النبيذ مقدارها ١٦ دراخمة، لا توضح البردية ما هو المقصود بضريبة النبيذ هنا؛ لأن هذه سابقة لم نجدها فى أية بردية أخرى، فهذه أول مرة تقترن ضريبة النبيذ المخصصة للإله ديونيسوس بضريبة النبيذ. وهناك تقرير[١١٢] عبارة عن عمودين يتضمنان قائمة لمدفوعات ضرائبية من بينها ضريبة الثمانى دراخمات التى اختصرت تحت اسم σπονδη، غير أن حالة البردية السيئة لا تعطى أية تفاصيل عن قيمتها أو نسبتها أو حتى اسم دافعها. كما أن هناك إيصالاً آخر[١١٣] يعود للقرن الأول قبل الميلاد يتضمن دفع ضريبة النبيذ تحت اسم τέλος οἴνου، وهذه حالة غريبة لأن الضريبة عرفت بهذا الاسم فى طيبة، كما أن كل الوثائق التى جاءت من اوكسيرينخوس جاءت فيها الضريبة

تحت اسم ضريبة الثمانى دراخمات لصالح ديونيسوس. وجدير بالذكر أن حالة البردية السيئة تحول دون تقديم أية معلومات إضافية.

طيبة:

إذا كانت الضريبة فى أرسينوى مثلاً تجمع من كل مالك أو مستأجر لأرض الكروم- بغض النظر عن مقدار أو حجم ملكيته أو مايستأجر- نجد فى طيبة أن ضريبة النبيذ كانت ثمانى دراخمات على الأرورة بدون مصاريف إضافية[١١٤]، وكانت تدفع تحت اسم ضريبة النبيذ Οἴνου τέλος[١١٥]، وهو نفس الاسم الذى عرفت به هذه الضريبة خلال العصر البطلمى، وكانت توجه لصالح الإله ديونيسوس رب الخمر خلال العصر الرومانى أيضا[116]. ويمكننا أن نرجع احتفاظ الضريبة فى طيبة بنفس مسماها خلال العصر البطلمى إلى عدة عوامل مثل عدم انتشار عبادة ديونيسوس فى طيبة معقل القومية والآلهة المصرية، وقلة عدد الإغريق الموجودين بها، وبالتالى ليس هناك ما يشير إلى توجيه إيراد الضريبة لصالح عبادة الإله ديونيسوس فيها، غير أن إحدى البرديات (P.Lond.I 109) تنص على توجيه الضريبة -من بين عدد آخر من الضرائب- لصالح الأغراض الدينية. وفى ضوء ما نعلمه عن ضريبة الأبوميرا التى كانت تجبى لصالح عبادة فيلادلفوس فإنها كانت توجه للمعابد الإغريقية فى المدن الكبيرة وفى القرى (وحيث لا توجد معابد إغريقية كانت تذهب لصالح الخزانة)، وبالتالى يمكن افتراض أن الضريبة حملت اسم ضريبة النبيذ، لكنها كانت توجه للمعابد المصرية خصوصا فى طيبة.

وتتضمن إحدى قوائم سجلات الضرائب[١١٧] فى طيبة أسماء المواطنين دافعى الضرائب للإدارة المالية، وكانت هذه الضرائب تجبى إما لصالح الخزانة التى يدل عليها استخدام مصطلح (διοι^κ)=διοικήσις كعنوان توجيه هذه الضريبة، أو لصالح المعابد المقدسة ἱερατικά ؛ لأن كلمة ἱερά، ربما تعنى المعابد أو ثروة المعابد، كما كان كثير من الضرائب المجباة فى طيبة موجها لصالح هذا الغرض فى كثير من الأحيان، وهذا يدل على أن أرض الكروم كانت تندرج تحت قسم الأرض المقدسة ἱερὰ γῆ مما يؤكد على أن هذه الضريبة كانت

موجهة لدعم المعابد والكهنة[118]. وفى هذه القائمة التى تعود للقرن الثانى الميلادى نجد أحد الأفراد المدعو أبوللودوروس Ἀπολλόδωρος بن أبيون Ἀπίωνος يسدد بعض الضرائب عن أرضه ومنها ضريبة النبيذ التى سددها بمعدل ثمانى دراخمات وثلاثة أوبولات ونصف و٢ خالكى عن كل أرورة من أرضه[119]، وقد سدد هذه الضريبة بدون مصاريف إضافية ، كما سدد أريستوبولوس Ἀριστόβουλος نفس الضريبة بواقع خمس دراخمات بدون مصاريف إضافية أيضا[120].

وهناك قائمة[121] مكملة للقائمة السابقة وهى عبارة عن سجلات رسمية لتقديرات الضرائب على الأفراد، وما تم دفعه وما تبقى، وهى مرتبة حسب المناطق أو الأحياء بحيث يذكر اسم دافع الضريبة، ثم طبيعة الأرض الواجب عليها الضريبة ومعدلها، وما تم سداده، وما تبقى كدين عليه، ثم المبالغ الكلية المفروضة عليه. وتتضمن القائمة الكثير من الأسماء المصرية، وأيضا العديد من الأسماء الرومانية، وبعض الأسماء الإغريقية [122] مما يدل على أن مجموعة من الرومان والإغريق سكنوا طيبة، أو على الأقل امتلكوا أراضى هناك. وفى هذه القائمة نجد العديد من حالات دفع ضريبة النبيذ مثل حالة السيدة تاتسيبثيوس Τατσέβθιος التى دفعت الضريبة ومقدارها دراخمتان وأربعة أوبولات و ٢ خالكى (أو ربع أوبول)، وسددتها لصالح المعابد المقدسة، فى حين سددت تابييس Ταπεηις بنت بيكوتوس Πικωτος الضريبة ومقدارها ست دراخمات وأربعة أوبولات[123]. ويرى جونسون Johnson[124] أن هاتين السيدتين تقاسمتا دفع الضريبة على أرض الكروم، وبخلاف ذلك اشتركتا فى دفع ضريبة النبيذ على الأرض نفسها بنسب متفاوتة حيث سددت تابيس القسم الأكبر من هذه الضريبة، وذلك لسبب غير معلوم، كما سددت أيضا تائلاسيروس بنت إيبونيخوس Ταιλασίριος Ἐπωνύχου الضريبة لصالح الخزانة ومقدارها ثمانى دراخمات وأوبولان و٢ خالكى[125].

ومن الحالات الأخرى التى سجلتها القائمة نجد تيكوس بن إيبونيخوس Τικῶς Ἐπωνύχου الذى دفع ١٥ دراخمة وثلاثة أوبولات وثلاثة أرباع الأوبول للخزانة[126]، كما سددت تابيس بنت بيكوتوس ضريبة النبيذ مرتين الأولى

لصالح الخزانة، ومقدارها دراخمة واحدة، وفى العام نفسه سددت لصالح المعابد مبلغ ٣٤ دراخمة وأوبولين وربع[١٢٧]. وفى القائمة نفسها سدد بسينخوسيس بن بيتيخونتوس ψενχῶνσις Πετεχῶντος مبلغ ثمانى دراخمات كضريبة للنبيذ عن الأرض التى يزرعها[١٢٨]، كما دفعت المبلغ نفسه تيكوتوس[١٢٩] نيابة عن والدها عن أرض الكروم التى كانت تدفع الضريبة بمعدل ٤٠ دراخمة لكل أرورة تسددها للخزانة، ويبدو أن هذا هو المعدل الطبيعى للضريبة فى **طيبة**.

كما دفع بسانسنوس بن هيرمياس ψανσνῶς ʽ Ερμίου بالاشتراك مع تابيس بن بيكوتوس Ταπεῆις Πικῶτος مبلغا قدره دراخمتان وأوبول واحد وأربعة خالكى على الأرض التى يزرعانها كروما[١٣٠]. وفى السطر ٨٢ دفع بسايس بن بيكوتوس ψάις Πικῶτος مبلغاً قدره دراخمتان وأوبول واحد وأربعة خالكى[١٣١].

وجدير بالذكر أن هناك عدداً من الملاحظات على هذه القائمة هى:

١. أن اختلاف المبالغ المسددة يدل على أن الضريبة كانت تفرض على أساس الأرورة.
٢. كان هناك عدد من كبار المزارعين للكروم فى هذه المنطقة مثل بيكوتوس وإيبونيخوس، ويبدو أنهما توفيا وورث أولادهم الأرض عنهما.
٣. إن حصيلة أو إجمالى ضرائب النبيذ عن العام السادس كان مقدارها ١٤٩ دراخمة، فى حين كان مقدارها فى العام السابع ١٨٣ دراخمة وأوبولين مما يعنى أن هناك زيادة طفيفة فى إيرادات أو ضرائب النبيذ مما يدل على أن المنطقة شهدت زيادة طفيفة فى المساحة المنزرعة كروما خلال العام السابع[١٣٢].

منديس:

ومن الوثائق[١٣٣] الأخرى التى جاءت من **منديس** وتخص الضريبة نجد سجلا للضرائب النقدية المجباة عن الأراضى فى إقليم منديس، وقد ورد فى هذا السجل عدد من الضرائب من بينها ضريبة الثمانى دراخمات، ويسجل أيضا أن معدل الفائدة على كل الضرائب كان ٦,٥ % من المبلغ الإجمالى للضريبة. ويطابق نظام الضرائب هنا غيره فى بقية المديريات. وقد قسمت الأراضى الخاضعة للضريبة

من واقع هذه القائمة إلى خمسة مستويات أو فئات هى:

١) أرض تخص الأفراد ومصنفة إلى أرض لا تدفع ضريبة (τῶν μὴ τελούντων)
٢) أرض تخص السكندريين تدفع درلخمتين وثلاثة أوبولات (β τριώβ Ἀλεξανδρέων).
٣) أرض تخص مواطنى عاصمة الإقليم وتدفع ٣ دراخمات (τρίδραχμος μητροπολιτῶν μὴ τελούντων).
٤) أرض تدفع ثمانى دراخمات(Οκταδραχμος).
٥) أرض تدفع عشر دراخمات(δεκάδραχμος).

وهذه القائمة مرتبة على أساس القرى بحيث إن كل اسم قرية متبوع بعدد الأرورات الموجودة فى محيطها، والمسدد عنها الضريبة، ثم مقدار الضرائب وفقا للتقسيم السابق، ومن الطبيعى ألا تكون كل قرية بها كل التقسيمات. وتدل هذه القائمة على أن سكان إقليم منديس بجميع فئاتهم كانوا جميعا يدفعون ضريبة النبيذ، ولكن بمعدلات مختلفة حسب الوضع الاجتماعى، والانتماء الطبقى؛ فبالنسبة للسكندريين كانوا يدفعون دراخمتين وثلاثة أوبولات. وجدير بالذكر أن هذا لايعنى بالضرورة وجود سكندريين مقيمين بمنديس، لكن لعل بعضهم امتلك أراضى فى منديس، فى حين أنه كان يقيم فى الإسكندرية. أما سكان عواصم الأقاليم μητροπολιταί فكانوا مقسمين إلى فئات؛ الفئة العليا كانت تسدد ثلاث دراخمات، فى حين أن الفئات الأقل كانت تسدد ثمانى دراخمات، أما المواطنون المصريون فكانوا يدفعون عشر دراخمات. وتثبت هذه القائمة -إلى جانب وثائق أخرى[١٣٤] (يظهر فيها رومان وسكندريون وإغريق أو متأغرقون)- أن السكندريين والإغريق والمتأغرقين من سكان عواصم الأقاليم كانوا يدفعون الضرائب، وإن كانت بمعدل أقل، على الرغم من تمتعهم بالإعفاء الكلى أو الجزئى من ضريبة الرأس[١٣٥]. وتشير القائمة إلى أن المبلغ المجبى إجمالا بخصوص ضريبة الثمانى دراخمات مبلغ قليل(٥٠ دراخمة وثلاثة أوبولات ونصف) لا يتناسب مع بقية المبالغ المجباة مما يدل على أن هذا المبلغ مجرد قسط من أقساط الضريبة، وهو ما يؤكد ما ذهبنا إليه من قبل من أن الضريبة كانت تسدد على أقساط فى مصر العليا كما كان الحال فى أرسينوى.

ومن الوثائق الأخرى المهمة نجد جزءاً من تقرير رسمى[١٣٦] لحسابات تخص الضرائب، ويغلب على الظن أن هذا التقرير تم إعداده فى مكتب أحد الموظفين الكبار فى الإدارة المالية ربما بالإسكندرية؛ وذلك بسبب ضخامة المبالغ المذكورة، فضلا عن أن هناك أكثر من مديرية ورد ذكرها به.

وفى هذا التقرير نجد مبالغ أو حسابات متنوعة مثل مبالغ تم دفعها كمتأخرات لغرامات قديمة(السطر الثانى)، وضرائب على أرض الكروم (السطر الثالث)، وثمن قمح (السطر السادس) والناوبيون(السطر السابع)، وإضافة إلى ذلك وتحت عنوان(حسابات الثمانى دراخمات λόγου ὀκταδράχμου) نجد مبلغ ٢١٩ تالنت و٨٣ دراخمة وثلاثة أوبولات[١٣٧]. وقد اعتقد البعض أن هذا المبلغ الضخم ربما يشير إلى ضريبة التاج (στεφανικόν=aurum coronarium) التى كانت تجبى بمعدل ثمانى دراخمات لكل أرورة، لكن الواضح أن هذا المبلغ يخص ضريبة الثمانى دراخمات الموجهة لصالح ديونيسوس ὀκταδράχμος σπονδή Διονύσου أو ضريبة النبيذ Οἴνου τέλος[١٣٨] التى كانت تجبى هناك على أساس الأرورة (κατ᾽ ἄρουραν) مثلها مثل ضريبة التاج وبنفس القيمة، وسبب ذلك أن ما سبقها من إيرادات ومبالغ إنما يمثل ضرائب على أرض الكروم التى يبدو- وفقا لهذا المبلغ - أنها بلغت حوالى ١٦٠٠٠٠ أرورة من أرض الحدائق، وليست على أى أرض بوجه عام كما هو الحال بالنسبة لضريبة التاج[١٣٩].

الخاتمة

بعد تتبع الضريبة فى الوثائق المختلفة من أرسينوى، واوكسيرينخوس، وطيبة، ومنديس يجدر بنا أن نرصد عددا من الملاحظات أو بالأحرى النتائج التى تعبر عن الخطوط العامة أو السمات المشتركة للضريبة فى مختلف الأقاليم.

١. أن هذه الضريبة فى البداية كانت ذات طبيعة دينية تطوعية، وهذا ما يدل عليه المصطلح المستخدم σπονδη Διονύσου حيث كان المالك أو المستأجر يقوم بارسال كروم من بواكير حصاده أو نبيذ من أول جَرَّة τά πρωτόληνα تطوعا للرب ديونيسوس آملا أن يبارك له الرب فى بقية حصاده، أى أنها كانت فى البداية بمثابة أضحية تقدم لشكر ديونيسوس على

الحصاد أو النبيذ. وقد حل ديونيسوس محل أزوريس الذى علم الناس كيف يعصرون العنب من أجل الحصول على النبيذ، كما ذكر أحد الكتاب الكلاسيكيين[١٤٠]، وكان الإغريق يعتبرونه حامى الكروم، فكانوا يقدمون له نبيذا من أول جرَّة [١٤١].

٢. وبخصوص قيمتها المادية، ولماذا كانت ثمانى دراخمات؟ فربما كانت الضريبة فى البداية تقدم عينا، ثم بعد ذلك سمح للبعض بتقديمها نقدا بما يعادل قيمة النبيذ المقدم عينا، فكانت قيمته النقدية تعادل ثمانى دراخمات.

٣. إن معظم الوثائق التى تخص الضريبة تعود إلى نهاية القرن الثانى وبداية القرن الثالث الميلادى مما يدل على أن توقيت تحويل هذه الضريبة إلى ضريبة نقدية إجبارية تذهب إما لصالح المعابد فى بعض المديريات والقرى لمصلحة الإله ومعابده وكهنته وأعياده واحتفالاته وكل طقوس عبادته، أو لصالح الخزانة ويجبيها وزير المالية فى البعض الآخر. وجدير بالذكر أن تحويل الحكومة الرومانية هذا التطوع إلى أمر إجبارى يذهب لخزانة الدولة مع احتفاظه بمسماه الأصلى يعتبر تحولا مهما للغاية؛ لأنه يبرز بوضوح السياسة التى انتهجها البطالمة ومن بعدهم الرومان فى تقليل نفوذ أو تقليم أظافر طبقة الكهنة المصريين من خلال تقليل الموارد المخصصة للمعابد، أو وضعها تحت سيطرة الدولة؛ لأن الهدف كان هو إضعاف طبقة الكهنة، كما أن هذا التحول يتسق مع ماهو معروف من تعرض الإمبراطورية الرومانية منذ النصف الثانى للقرن الثانى الميلادى إلى أزمة اقتصادية كبيرة نتيجة للضغوط من أكثر من جبهة مما أدى إلى اشتباك الجيوش الرومانية فى حروب على عدة جبهات فى وقت واحد خلال عهد ماركوس أوريليوس على وجه الخصوص، وهو ما أفضى إلى أزمة اقتصادية كبيرة حدت به إلى حد بيع نفائس القصر الإمبراطورى والودائع الثمينة التى تكدست منذ أيام الأباطرة الصالحين حتى أن ملابس الإمبراطورة المطرزة بالذهب عرضها ماركوس أوريليوس فى المزاد العلنى الذى أقامه فى سوق المؤله تراجان، واستمر لمدة شهرين[١٤٢].

٤. بعيدا عن الصفة الدينية التى ميزت الضريبة نجد أن هناك تبايناً فى مقدار الضريبة؛ ففى طيبة كانت الضريبة تجبى على كل أرورة (ثمانى دراخمات للأرورة بدون أى مصاريف إضافية) مما يوضح أن الضريبة ربما فرضت فى طيبة بعد فرضها فى الدلتا ومصر الوسطى، أما فى أرسينوى فقد كانت ثمانى دراخمات مضافاً إليها ثلاثة أوبولات كرسوم إضافية، وفى اكسورينخوس كان معدلها ثمانى دراخمات وأربعة أوبولات وخالكى واحد. واحتفظت الضريبة بنفس مسماها- ضريبة الثمانى دراخمات الموجهة لصالح ديونيسوس- تقريبا فى أرسينوى واكسورينخوس، غير أنها ظلت محتفظة باسمها القديم-ضريبة النبيذ- فى طيبة مما يدل على ان عبادة ديونيسوس لم تكن منتشرة فى طيبة بسبب قلة عدد الإغريق المستقرين هناك، ومن ناحية أخرى وضع طيبة كمعقل للآلهة الوطنية. كما يدل على أن إيراد الضريبة كان يوجه للآلهة الوطنية فى طيبة، أو كانت الضريبة توجه لخزانة الدولة فى حالة عدم وجود معابد لديونيسوس فى القرى، كما كان من الممكن دفع الضريبة على أقساط.

٥. إن اختلاف مقدار الضريبة من مكان لآخر ربما يعود إلى العادات المختلفة لجامعى الضريبة المحليين أو الموظفين. وقد ارتبطت هذه الضريبة منذ البداية بصفة الموسمية؛ أى بأعياد ديونيسوس. وفى حالة تقسيم الأرض أو البستان بين أكثر من مالك أو مستأجر فإن هذا يعنى ضمنا تقسيم الضريبة أيضا بحيث يدفع كل مالك أو مستأجر نسبة منها، أو النصف حسب تقسيم البستان[١٤٣].

٦. تدل الوثائق على أن قرى الفيوم خصوصا ثيادلفيا وكرانيس وفيلادلفيا كان بها عدد كبير من الإغريق المستقرين هناك، وكانوا من كبار ملاك أرض الكروم وزارعيه، وعلى النقيض من ذلك قل وجود الإغريق فى طيبة.

٧. إن مظلة إعفاء السكندريين والإغريق والمتأغرقين ومواطنى عواصم الأقاليم من ضريبة الرأس-كليا أو جزئيا- لم تمتد لتشمل إعفاءهم من ضريبة الثمانى دراخمات، وإن دفعوها فبقيم متفاوتة وبنسب مخفضة.

٨. ليست هناك أية علاقة بين هذه الضريبة وبين ضريبة التاج التى كانت تجبى بنفس القيمة.

٩. لعل الصفة الدينية للضريبة كانت مسوغا مقبولا عند دافعى هذه الضريبة بحيث إننا لم نعثر على أية شكاوى بخصوص تحصيلها.

١٠. كان اسم الضريبة يرد أحيانا كاملا أو مختصرا.

الهوامش :

(1) افيديوس هليودوروس والى مصر ١٣٧-١٤٢ م، راجع:
Prosopographia Imperii Romani (=PIR)2 A 1405; Paulys Realencylopädie der classischen Altertum wissenschaft,eds.G.Wissowa et al, Stuttgart 1893-1978 (=RE) II 2389 ff., no3; CIL III 6025;14173; OGIS II 702=IGR I 1264=SB 8443; BGU I 113(AD 140); 256 (AD 138-61 Arsinoite) ; P.Phil.4, Philadelphia (AD137); P.Srtas. IV. 281, (18. Febr. 142); Bengt E.Thomasson; *Laterculi Praesidum* , Vol I, p249, no 54.

(2) BGU III,٧٤٧ =W.Chr 35, Coptes, (AD 139), LL 12-13:'επ[έ]μ[ε]νον δὲ [α]ὐτῶν κατὰ τὸ [ἀ]ναγκαῖον ἐπειγόμενος ὑπὸ τῆς χρεί ας ἀναφέρ[ε]σθαι.

(3) نافتال لويس(٢٠٠٥)؛ الحياة اليومية فى مصر الرومانية،ترجمة آمال محمد الروبى، مراجعة محمد إبراهيم بكر، المشروع القومى للترجمة، العدد ٨١٤، ص٢٤٦.

(4) سجلت إحدى البرديات من منديس (P.Ryl.II 213, L 354) ضريبة حملت اسم ضريبة الست دراخمات الخاصة بعبادة فيلادلفوس Φιλαδέλφου ἑξαδράχμου، ويبدو أنها كانت ضريبة ذات طابع دينى، لكنها كانت تدفع لإدارة وزير المالية.

(5) Rev Law col.36.LL 18-19; M.M. Austin (1981); *The Hellenistic World from Alexander to the Roman conquest*, Cambridge, no 235, p 399.

(6) إبراهيم نصحى؛ تاريخ مصر فى عصر البطالمة، جـ٣، ص٢٣٨.

(7) Cf. P.Ryl. II 213, Mendis (Late second Cent. AD), LL.128,153,165,234,373,420,464; P.Oxy.XII 1437, Oxyrhynchus,(About AD 208), L 7; P.Fay.41, Bakchias(24th April AD 186) Col.I 13& Col. II 15; P.Bour.30, Arsinoe(2nd Cent. AD), LL.7-8.

8 هشام درويش (٢٠٠٤)؛ النسق الشعائرى والصراع الدرامى فى مسرحيات الباكخيات والضفادع والكيكلوبس، *أوراق كلاسيكية*، العدد الخامس، ص ص ٣٣١-٣٨٢، ص٣٤٢.

(9) John Ferguson(1970); *The Religions of the Roman Empire*, London, p102.

(10) P.Wisc.I 27=SB XII 11245, Theadelphia,(AD 78-79); SB III 6951= SB XVI 12520= Johnson(1936), no 320, pp 523-524,Theadelphia,(AD142); SB XVI 12325 =Francis T.Gignac (1979);Two Papyri from the Michigan Collection, *Bulletin of the American Society of Papyrologists(=BASP)*, 16:3, pp 193-197, esp.,193-195; P.Princ. III 125= SB XVIII, 13091, Theadelphia, (AD146); BGU IX 1896. Theadelphia, (AD 166); BGU IX 1897,Theadelphia, (AD 166); P. Mich. IV.1.223, Karanis,(AD 172); P. Mich. IV.1.224, Karanis,(after Nov.16th 173AD); P. Bour 29, Soknopaiu Nesos,(March 22nd 211 AD); P.FamTebt 26, Theogonis, (Dece. 16th 129 AD).

(11) P. Oxy XII, 1436, Oxyrhynchus,(AD 153-156); III, 653.a, Oxyrhynchus,,(AD162/163); X,1340, Oxyrhynchus,,(1st Century AD); IV,788.

Oxyrhynchus,(1st Century AD); VI 917, Oxyrhynchus,
(late second or early third AD); X, 1283 (=Sel Pap II,399, Oxyrhynchus, (AD219).

(12) O.Cair. I 90,Thebes, (AD 34); O.Bodl. II 948,Thebes, (9th Nov. 43 AD); 949, Thebes, (19th Aug 45 AD); O.Wilck. 397 ,Thebes, (2nd Oct. 48 AD); O.Wilck. 404,Thebes, (22nd Sep. 53 AD); O. Stras. I 87, Thebes, (AD 67/68); P.Lond.I 109A=SB XIV, 11704, Thebes,(2nd Century AD); P.Lond. 119= P.Lond.109 cols III-V, Thebes, (2nd Century AD); O.Bodl. II 1715,Thebes, (2nd Century AD).

(13) P Ryl. II, 216, Mendis (Late second or early third AD); P Ryl II 186, (Late 2nd century).

(14) Sherman Le Roy Wallace (1938); *Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian*, Princeton, pp 65-68.

(15) Allan Chester Johnson(1936); *Roman Egypt to the time of Diocletian*, Vol II of An Economic Survey of Ancient Rome, Tenny Frank et ale (eds.), Baltimore, The Johns Hopkins press, pp. 518ff.

(16) **S.Eitrem (1937); A Few Remarks on σπονδή, θαλλός, and Other extra Payments in Papyri,**
Symbolae Osloenses*, Vol XVII, pp 26-48;** *Verne B. Schuman(1979);* ***The "Rate" of the Prosdiagraphomena, *The Bulletin of the American Society of Papyrologists (=BASP)* ***BASP* 16.1-2, pp.** 125-*30,esp.*, pp 125-126; J. C. Shelton (1976) ; The Extra Charges on Poll-Tax in Roman Egypt, ***Chronique d'Égypte*** *(= CdE)* 51, pp. 178-184; Vincent P. McCarren(1985); Two Receipts for Payment of Poll Tax, *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik(=ZPE), ZPE* 61,pp. 58-60; K.Birgit Böhm (2007); Ein neues Dokument zur Erhebung der Geldsteuern im Herakleopolites, *ZPE* 163, pp. 205-214, esp., p 214; Jacques France (2000):Vineyards and Gardens in Second-Century Theadelphia, PP 91-105, in Leon Mooren (ed.), *Politics, Administration and society in the Hellenistic and Roman world*, (Proceedings of the International Colloquium, Bertinoro 19-24 July 1997), *Studia Hellenistica* 36, (2000), esp.pp96-97; Herbert C. Youtie(1938); Notes on B.G.U. IX , *Transactions and Proceedings of the American Philological Association*, Vol. 69, pp. 77-103, esp., p 93, no 35a..

(17) BGU VI 1211= Sel.Pap. II 208= SB III 7266, (215-205 B.C); see also, G.Guntz (1963); Once more: the so-called " Edict of Philopator on the Dionysiac Mysteries'(BGU 1211), *Hermes* Vol.91, no 2, pp 228-239.

(18) Roger S. Bagnall & Peter Derow (2004); *The Hellenstic Period; Historical sources in translation*, No 160, pp 261-262.

(19) Eitrem (1937); pp 36-37.

(20) O.Stras I 10, Thebes, (161 B.C); 11,Thebes, (161 B.C); SB XX 14976, Thebes, (29th March 161 B.C); O.Wilck. 344, Thebes, (22nd Aug.139 B.C); O.Bodl. I 91, Thebes, (18th

Jan. 110 B.C); O.Wilck. 327, Thebes, (1st March,99 B.C).

(21) P.Hels. I 26, Herakleopolites, (2nd Sep. 162 B.C); P.Tebt. III.2. 876, Herakleopolites, (Mid 2nd Century B.C);BGU XIV 2370, Herakleopolites, (84/83 B.C).

(22) P.Oxy IV.788, Oxyrhnchos, (Early 1st Century B.C).

(23) P.Cair.Zen. III 59326=P.Lond. 7 2002,Philadephia, (After 13th Feb. 249 B.C).

(24) E.Lo Cascio(1981); State and Coinage in the Late Republic and Early Empire, *The Journal of Roman Studies(=JRS)* 71, pp. 76-86, esp., p78.

(25) Teresa C. Carp (1975); Five Tebtunis Papyri, *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik(=ZPE)*, 16, pp. **47-62, esp., 55:Wallace(1938),pp 324-326.**

(26) Cf. P.Tebt.II 295, Tebtunis (AD126-38); P.Mich.VI,383,Caranis (18. Apr. 108);P.Ryl.192,Arsinoe (3. Juni AD 142); P.Mich. IV.1. 224.1750,2494; 223.2260; SB III 6951= SB 16,12520,L 47;P.Col. V,pp291-292.

(27) **Wallace(1938),pp.486-487,nos 264-265;** J. C. Shelton (1976) ; The Extra Charges on Poll-Tax in Roman Egypt, ***Chronique d'Égypte*** (= *CdE)* 51, pp. 178-184; Vincent P. McCarren(1985); Two Receipts for Payment of Poll Tax, *ZPE* 61,pp. 58-60; K.Birgit Böhm (2007); Ein neues Dokument zur Erhebung der Geldsteuern im Herakleopolites. *ZPE* 163, pp. 205-214, esp., p 214.

(28) Sayed Omar (1991); Neue kopfsteuerquittungen aus dem Archiv des Soterichos, *ZPE* 86, pp.215-229, esp., pp. 215-216.

(29) كانت القيم النقدية المعروفة للدراخمة هى:

- دراخمة واحدة =٦ أوبولات، والأوبول يعادل ٨ خالكى.
- ٤ دراخمات (التتترادراخمة) =٢٩ أوبولا ونادرا ما نجد دراخمة تسارى سبعة أوبولات وربعا.
- ٤ دراخمات (التترادراخمة) =٢٨ أوبولا، وغالبا كانت الدراخمة تساوى سبعة أوبولات.

Loius West &Alan Chester Johnson (1944); *Currency in Roman and Byzantine Egypy*, Princeton University Press, p74.

(30) West & Johnson(1944); pp44-45; Deborah H. Samuel (1977); New Editions of Two Vienna Papyri, *The Bulletin of the American Society of Papyrologists (=BASP)* 14.3, pp. 123-134, esp., pp. 133-134; *Verne B. Schuman(1979); The "Rate" of the Prosdiagraphomena, BASP* 16.1-2, pp. 125-*30,esp.*, pp 125-126.

(31) ومن الوثائق التى حسبت على أساس أن التترادخمة تعادل ٢٩ أوبولا نجد:

P.Mich.II 123, Tebtynis (After 23rd Aug. or 20th Dec. AD 46); P.Lond.I 131, Hermopolis (26th April – 25th Mai AD 78); P.Amh.II 127=P.Sarap. 56, Hermopolites (After 27th Oct. AD128); P.Lond III 1177= SB XXVI 16652= P.Lond. III 1177 R= W.Chr. 193=Sel. Pap. II 406 = C.Pap.Jud. II 432 , Crocodilopolis (A.D113);P.Berl-Leig.I 8, Arsinoe (ca. AD 163); P.Mich.IV 223 ,224, Caranis (A.D172-174); BGU II 362, Arsinoe (A.D 215 -

216);O. Wilck. 371, Theben (24th Jan. AD 35); O.Bodl.II 464, Thebes (3rd Jan. AD 34); 598, Thebes (22nd July AD 48) O.Stras.I 55, Diospolis Magna (10th Nov. AD 15).

(32) Verne B. Schuman (1953); The Leaden Coinage of Roman Egypt , *CdE* 28, 1953, pp. 356-361., esp. pp356-357; Verne B. Schuman (1951); Again Three accounting Terms of Roman Egypt, *Classical Philology (=* CPh*)* 46, pp 34-36.; Verne B. Schuman (1952); The Seven-Obol Drachma of Roman Egypt, CPh 47. 4, pp. 214-218; esp.,p 214; John Day & Clinton W. Keyes (1956); *Tax documents from Theadelphia, papyri of the second Century A.D* (=P. Col. V), App III, p283; Verne B.Schuman(1979), *The "Rate" of the Prosdiagraphomena*, BASP 16.pp.125-130; Wallace(1938),pp.326-330; D.S.Crawford (1950); Three accounting Terms of Roman Egypt, *CPh* 45, pp. 185-186,esp., p185. .

(33) P.Mich. IV.1. 224.1750,2494; 223.2260; SB III 6951= SB 16,12520,L 47;P.Col. V,pp291-292.

(34) P.FabTebt.26, LL 6& 12; Herbert C. Youtie (1956); Brief Notes on Papyrus Texts, *Transactions and Proceedings of the American Philological Association*, Vol. 87, pp. 60-83,esp., 81.

(35) Verne B. Schuman (1975); The Income of the Office of the Πράκτορες 'Αργυρικῶν of Karanis, A.D172-173, *B AS P* 12.1, pp. 23-58, esp.p37.

(36) Bernard P. Grenfell et ale(1900); Fayûm towns and their papyri, London,p161.

(37) Verne B. Schuman(1963); Issuance of Tax Receipts in Roman Egypt, *CdE* 38, pp 306-314, esp. pp. 306-307.

(38) P.Fay 21,Theadelphia, (AD134).

(39) ماركوس بترونيوس مامرتينوس والى مصر ١٣٣-١٣٧ م، راجع:

(PIR P 212; RE XIX 1217sqq.no.44) ;CIL III 44, Thebes; CIL III 77; P. Fay21; P.Ryl 74; 113; SB 7367; P.Oxy 237;P.Würyb 9; PSI 1262; Bengt E.Thomasson; *Laterculi Praesidum*, Vol I,p249,no 53.

(40) P Fay 64, Theadelphia, (2nd Cen. AD), L 8.

(41) Verne Schman (1963); p 308.

(42) P.Tebt II. 295= Johnson(1936), pp 653-654, no 396, Tebtynis, (7 Jan 126-138), L 12: (δραχμ□ς) υ

συνβολ(ικὰ) (δραχμὰς) ιγ.

(43) P.Tebt II.298=W.Chr. 90= Johnson(1936), pp 651-653, no 394, Tebtynis, (29. Juli 108), L 64: συμβολ[ι]κοῦ (δραχμὰς) ιβ , (γινόνται) (δραχμα□) A.

(44) P. Fay 60, Wadfa, Arsinoe,(AD 149), L7: (γίνονται) [ρ]ξ, σ(υμβολικ□) σ(υμβολικὰ) (τριώβολον).

(45) Herbert C. Youtie (1956); Brief Notes on Papyrus Texts, *Transactions and Proceedings of the American Philological Association*, Vol. 87, pp. 60-83,esp., pp79-81.

(46) Verne B. Schuman (1975); The Income of the Office of the

Πρακτορες Αργυρικῶν of Karanis,A.D172-173, *BASP* 12.1, pp. 23-58, esp., p 37.
(47) SB III 6951= SB XVI,12520= Johnson (1936), 320, pp 523-524.
(48) P.Mich. IV.1. 224, L 1750.
(49) Verne B. Schuman (1975); pp. 57, 44 & ٢٨.
(50) P. Collart (1926); *Les Papyrus Bouriant*, Paris(= P.Bour), An introduction to P.Bour 29
(51) Johnson (1936), p 523.
(52) SB III 6951= SB XVI 12520= Johnson (1936), no 320, pp 523-524,Theadelphia,(AD 142).
(53) Ibid, L 47: καὶ ὑπὲρ σπονδῆς Διονύσου τῷ νομά (ρχη) (γίνονται) (δραχμαὶ) η
(τριώβολον) , συμβόλου (τριώβολον).
(54) P.Wisc.I 27=SB XII 11245, Arsinoe,(AD 78-79).
(55) Ibid, Col. I L 7: σπ(ονδῆς) Διονύ(σου) (δραχμαὶ) ὀκτώ.
(56) Ibid, Col I LL 9-10: Σπ(ονδῆς) Διονύ(σου) (δραχμαὶ) ὀκτώ.
(57) John Shelton (1974); P.Wisc. 27, *ZPE* 14, pp. 45-50, esp., pp 47-48.
(58) SB XVI 12325; Francis T.Gignac (1979),Two Papyri from the Michigan Collection, *BASP* 16:3, pp. 193-197, esp.,193-195.
(59) Ibid., LL11-1٣: (ὀκταδραχίας) σπονδῆς Διονύσου ἀργ(υρίου) (δραχμὰς) ὀκτὼ (γίνονται) (δραχμαὶ) η προ(σδιαγραφομένων) (τριώβολον) (ἡμιωβέλιον) σ(υμβολικοῦ)
(ὀβολὸς) (ἡμιωβέλιον).
(60)Ibid, LL 20-22: ὀκταδραχίας [[ ]] σπονδῆς Διονύσου ἀργ(υρίου) (δραχμὰς) δύο
(γίνονται) (δραχμαὶ) β προ(σδιαγραφομένων) (ἡμιωβέλιον) (δίχαλκον) σ(υμβολικοῦ)
(ὀβολὸς) (ἡμιωβέλιον).
(61) P.Princ. III 125= SB XVIII, 13091, Theadelphia, (AD146).
(62) Ibid, LL. 6-7: (ὀκταδράχμου) σπον[δῆς διονύσ]ου ἀργυρίων δραχμὰς ὀκτώι
(γίνονται) (δραχμαὶ) η π (ρ)ο(σδιαγραφόμένων)(τριώβολον) (ἡμιωβέλιον) .
(63) LL 10-11: (ὀκταδράχμου) ἀργ(υρίου) (δραχμαὶ) δύο (γίνονται) (δραχμαι) β καὶ προσδ(ιαγραφομενα).
(64) BGU IX 1897, L 28-29: 'Αθηνάριο(ν) πρεσβ(υτέρα) [......] δ( ) πρὸ(ς) 'Αθη(νάριον) 'Ηρακλ(είδου) τρα(πέζης) ς (ἔτους) τῦβι ('Οκτάδραχμου) [(δραχμαὶ)η].

(65) عن هذه السيدة راجع أيضا:
BGU IX 1896. L 126& 236, Theadelphia, (AD 166); PSI V 463,L 2, Theadelphia, (AD 158 - 160).

(66) Louise C. Youtie (1975); Second Century Taxpayer at Theadelphia, *ZPE* 17, pp. 258-259.

(67) الحسين أحمد عبد الله (٢٠٠٧)؛ مصر فى عصر الرومان، دراسة فـــى ضـــوء الوثـــائق البرديـــــة، عـــــين للدراســـــات و البحــــوث الإنـــــسانية و الاجتماعيــــــة، ص١٨٦، وانظر: http://www.trismegistos.org/arch/detail.php?tm=103&i=1 .

(68) Heinz Kortenbeutel(1937); *Steurlisten Römischer zeit aus Theadelphia* (=BGU IX), An introduction to BGU 1896, pp116-117.

(69) أى أنها اختصت بدافعى ضريبة واحدة بخلاف قوائم أخرى كثيرة اختصت بدفع ضـــرائب متعددة أو متنوعة، ومن أمثلة هذه القوائم BGU IX,1894;1896; P.Bour 29، An introduction to BGU IX,1897,p148.

(70) Jacques France (2000):Vineyards and Gardens in Second-Century Theadelphia, PP 91-105, in Leon Mooren (ed.), *Politics, Administration and society in the Hellenistic and Roman world*, (Proceedings of the International Colloquium, Bertinoro 19-24 July 1997), *Studia Hellenistica* 36, (2000), esp.pp96-97.

(71) Ruben Smolders (2004); SB XXII 15336 and the Interpretation of BGU IX 1897, *ZPE* 148, pp. 239- 240, esp., p 2٣٩.

(72) تنتمى السيدة ديديماريون إلى عائلة أفروديسيوس التى عاشت فى ثيادلفيا بـــالفيوم، وكـــان زوجها افروديسييوس الثانى وابنها فيليبوس الثانى من أشهر أفراد هذه العائلة حيث كانا من فئة ال ٦٤٧٥ إغريقيا، كما حصلا على المواطنة فى أنطينوبوليس، وقد تركت هذه العائلة مجموعـــة من البرديات المهمة التى تغطى الفترة الزمنية من ١٠١م حتى ١٦٠م، وعن أرشيف هذه العائلة ووثائقها راجع: http://www.trismegistos.org/arch/archives/pdf/294.pdf

(73) BGU 1896. 342 & 1897. 35.

(74) BGU 1897,35: Διδυμάριον Ἀπίωνος πρὸ(ς) φίλιππο(ν).

(75) SB XXII 15336,Arsinoe,(AD133),L 10.

(76) Smolders (2004); p 240.

(77) BGU 1896. col 15. L 342: Φίλιππος Ἀφροδεισίου (πρότερον)Διδυμαρίου Ἀπίωνος.

(78) France (2000), pp100-101.

(79) BGU IX 1896, col IV, L89: ὀκταδραχμίας δραχμαί η ; France(2000),p95.

(80) BGU IX, 1896, Col III, LL67-71: Ζωσοῦς πρότ (ερον) Ἀφροδοῦ(ς) [Π]τολεμαίου

ἀμπ(ε λῶνος) ὧν (ἕκτη) τρυγ(ωμένου) [(ἄρουρ.)].η΄ λβ΄ καλ(αείας) (ἀροὐρη ς) δ ....(ὀκταδράχμου) (δραχμαὶ) β.

(81) BGU IX, Col IV,LL 73-74: Δεῖος ὁ κα[ὶ] ῾Ηρακλείδου..............(ὀκταδράχμου) (δραχμαὶ) ς προ(σδιαγραφομένων) (ὀβολὶ) β (χαλκοῖ 6).

(82) Herbert C. Youtie(1938); Notes on B.G.U. IX , *Transactions and Proceedings of the American Philological Association*, Vol. 69, pp. 77-103, esp., p 93, no 35a.

(83)BGU IX 1897, col VI.125-127: Μυσθαρίων ὁ καὶ Σαραπίων Ζήνωνος τοῦ᾿ Ακουσιλάου μητρὸς Θερμουθ ( ) πρὸς῾ Ηρακλ ( ) Κίλλου τὸ ἥμισυ καὶ Θεωνίδα Σαραπίωνος τὸ λοιπὸν ἥμισυ.

(84) BGU IX 1896,VI.,LL137-139:

Θεωνὶς ..... ὀκταδράχμου εἰς Μύσθην.............δραχμαὶ δ.

(85) BGU IX.1897, Col II, LL 30-31:

Διδύμη Δείου πρὸς ᾿Αλινην τό ἥμισυ῞ Ηρων ᾿Απερ

τό ἥμισυ. τραπέζης Μεχεὶρ ιβ διὰ Τκεννᾶτος.......

(86) BGU IX 1896,Col V, LL 98-101:

῞Ηρων᾿ Απερ δι(ὰ) Τκεννᾶτος (πρότερον) Διδύμης

Δείου......... ... ... ὀκταδράχμίας δραχμαὶ δ . τραπέζης Μεχεὶρ ιβ εἰδῶν ε (ἔτους) ὀκταδράχμίας δραχμαὶ δ.

(87) BGU IX,1896,Col II, LL7-9: ᾿Αλίνη γυνὴ Χαιρᾶτος πρότερον Διδύμης Δείου τοῦ Σαραπίωνος ἀμπελῶνος ὧν᾿ εκτὶ τρυγωμένου ἄρουρα λβ .... ὀκταδράχμίας δραχμαὶ δ.

(88) BGU IX, col VII LL 155-156: Διδύμη Δείου τοῦ Σαραπίωνος ἀμπελῶνος ὧν᾿ εκτὴ τρυγωμένου ἄρουρα η̄; France (2000) p 100.

(89) عثرت بعثة الآثار الأمريكية ، خلال الفترة من ١٩٢٤-١٩٣١، على هذه البرديات ونشرت فيما بين عامى ١٩٣٦-١٩٣٩ كجزء رابع من بردى ميتشجان، نشرها هربرت حاييم يوتى واخرون على النحو التالى:

Michigan Papyri ,Vol. IV , *Tax Rolls From Karanis*, Part I Text, By H.C.Youtie, V.B.Shuman & O. M. Pearl, Ann Arbor 1936 Part II Text and Indexes, By, H.C.Youtie & O.M.Pearl,Ann Arbor 1939.

(90) Arthur E. R. Boak (1955); The Population of Roman and Byzantine Karanis, *Historia*

IV.2-3, pp.157-162, esp., p 158.

(91) Mich. IV.1. 223, L 2200: (ὀκταδράχμου) σπονδῆ(ς) Διον(ύσου) (δραχμαὶ) δ προ(σδιαγραφομένων) (ὀβολὸς) α χ(αλκοι2)

(92) Mich IV.1. 223, L 2260: (ὀκταδράχμου) σπονδῆ(ς) Δι[ον(ύσου) (δραχμαὶ)] δ
προ(σδιαγραφομένων) (ὀβολὸς) α.

(93) Mich. IV.1, L 224: (ὀκταδράχμου) σπονδ(ῆς) Διονύσου (δραχμαὶ)] δ προ(σδιαγραφομένων) (ὀβολὸς) α.

(94) Mich. IV.1. 224, L 1750: (ὀκταδράχμου) σπονδῆς Διονύσου (δραχμαὶ)] η προ(σδιαγραφομένων) (τριώβολον).

(95) Verne B. Schuman (1975); pp. 57, 44 & ٢٨.

(96) آمال الروبى(١٩٧٥)؛ كرانيس- *كوم أوشيم دراسة بعض المظاهر الاقتصادية والاجتماعية في العصر الرومانى سنة ٣٠ق.م إلى ٢٨٤م*، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة. ص ص١٦٥-١٦٦.

(97) P.Fam-Tebt 26 (AD 129 - 131), LL 3- 6: Ἡρακλείδης Μάρωνο(ς) σ]ὺν ταῖς εἰς
Διδύμ[η]ν Λυσι(μάχου) (ἕκτης) ἀμπ(έλου) ιγ (ἔτους) (ὀκταδράχμου) (δρ) η προ(σδιαγρ.) (τριώβολον) συμβ(ολικοῦ) (ὀβ) δ. Cf., LL. 9-12.

(98) أعاد هربرت يوتى قراءة الوثيقة مرة أخرى وتوصل إلى وجود ضريبة الثمانى دراخمات التى لم تكن موجودة فى القراءة الأولى المنسوبة الى ناشرى الأرشيف. Youtie (1956); pp 79- 80.

(99) P.Lond.III, 904, Arsinoe (AD 104).

(100) B.A. van Groningen (1950) *A Family Archive from Tebtunis*, Pap.Lugd.Bat. VI, Leiden (= P. Fam.Tebt), p111.

(101) P. Oxy XII, 1436, Oxyrhynchus,(AD 153-156); III, 653.a, Oxyrhynchus,,(AD162/163); X,1340, Oxyrhynchus,,(1st Century AD); IV,788, Oxyrhynchus,(1st Century AD); VI 917, Oxyrhynchus,
(late second or early third AD); X, 1283 (=Sel Pap II,399, Oxyrhynchus,(AD219).

(102) P.Oxy VI 917, Oxyrhynchus, (late second or early third AD).

(103) Ibid, L3: σπ(ονδῆς) Διον(ύσου?) (δραχμαὶ) η (τετρώβολον) χ(αλκοῦς) α.

(104) P.Oxy .X, 1283 =Sel Pap II,399, Oxyrhynchus, (AD 219).

(105) Ibid,L17:(ὀκταδράχμου) σπονδ(ῆς) Διον(ύσου) (δραχμαὶ)η (τετρώβολον) χ(αλκοῦς) α.

(106) Ibid.,LL,20-21: (ὀκταδράχμου) σπονδ(ῆς) Διον(ύσου) (δραχμαὶ)η

(τετρώβολον)

χ(αλκοῦς) α.

(107) Wallace (1938), pp 62; Johnson(1936), p 518.

(108) Oxy XII,1436, Oxyrhynchus,,(AD 153-156).

(109) Ibid, col II, L 11: σπονδ(ῆς) (δρ.) μ , πρ(οσδ.) (δρ.) γ (δυοβολοὶ) (ἡμιωβ.).

(110) Ibid, col III, L 32: σπ(ονδῆς) Διονύ(σου) [(δρ.) ις , πρ(οσδ.) α (δυοβ.), χ(αλ.)β.

(111)P.Oxy.X,1340,(1st Century AD): σπονδῆ(ς) (δρ.) η, οἴνου πατηταῖς (δραχμαὶ) ις.

(112) P Oxy III,653(a), Oxyrhynchus, (AD 1٦2/163).

(113) Oxy IV,788, Oxyrhynchus, (1st Century B.C).

(114) Johnson(1936),p 523.

(115) O.Cair. I 90,Thebes, (AD 34); O.Bodl. II 948,Thebes, (9th Nov. 43 AD); 949, Thebes, (19th Aug 45 AD); O.Wilck. 397 ,Thebes, (2nd Oct. 48 AD); O.Wilck. 404,Thebes, (22nd Sep. 53 AD); O.Stras. I 87, Thebes, (AD 67/68); O.Bodl. II 1715,Thebes, (2nd Century AD).

(116) P.Ryl II, 216, note 128.

(117) P.Lond.I 109 A,(ca 143 AD); John Shelton; (1976); Notes on the Theban Tax Roll, *BASP* 13.2, pp. 63-69.

(118) Johnson(1936) p 518.

(119) P.Lond.I 109 A, L٦: οἴνο(υ) [(δρ.) η] (τριώβ.) (ἡμιωβ.) (δίχ.).

(120) Ibid, L7: οἴνο(υ) (δρ.) ε.

(121) P.Lond.I, 119= P.Lond.109 cols III-V,= Johnson(1936), no 323, pp 526-528, Theben,(AD 144); Cf. the Rereading of the Papyri in : http://www.papyri.info/ddbdp/p.lond;1;119/ .

(122) An introduction to P.Lond I, 119,pp 140-141.

(123) Ibid, Col. III: L 35: [ιερ (ῷ)]....... ([οινο( ) (δραχμαὶ)] β (ὀβολοὶ 4) (χαλκοῖ 2) & L36: οινο (δραχμαὶ) ς (ὀβολοὶ 4) .

(124) Johnson (1936), p 526.

(125) Ibid, Col. III: L 39: δι]οι(κήσεως).οινο (δραχμαὶ)] η (ὀβολοὶ 2) χ (αλκοῖ 2).

(126) Ibid, Col. III, L 43: διοικ......... οινο (δραμαὶ)]ιε (ὀβολοὶ 3 1/2) χ(αλκοῖ 2).

(127) Ibid, Col. III, L46: διοικ......... οινο (δραχμὴ) α & L47: ιερ..........οινο (δραχμὴ) λδ (ὀβολοὶ 2) χ(αλκοῖ 2).

(128) Ibid, Col. IV, L63· οινουτῶ δραχμαὶ η.

(129) Ibid, Col. V, L67· οινουτῶ δραχμαὶ η.

(130) Ibid, Col. V,L76: οινο (δραμαὶ)] β (ὀβολοὶ 1 1/2).

(131) Ibid, Col. V,L82: οινο (δραμαὶ)] β (ὀβολοὶ 1 1/2).

(132) Johnson (1936),p 528.

(133) P Ryl II, 216, Mendis (Late second or early third AD).

(134) Cf. P.Oxy VI, 916, Oxyrhynchus, (AD 198); BGU II, 572-574, Arsinoe, (3rd Century AD).

(135) عبد اللطيف أحمد على(١٩٧٨)؛ ضريبة الرأس فى مصر الرومانية، ص ص ١٤٥-٢٠١ فى (الذكرى والتاريخ) أبحاث مهداة من أعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ إلى جامعة الكويت فى عيدها العاشر، إشراف د.شاكر مصطفى، الكويت، ص١٥٦.

136 P Ryl II 186,(Late 2nd cen AD).

137 Ibid., L5: λόγου (ὀκταδράχμου) (τάλαντα) σιθ (δραχμαὶ) πγ (τριώβολον).

138 Wallace (1938), pp 65.

139 حملت ضريبة التاج فى البداية صفة التطوعية بغرض تقديم هدية للإمبراطور بمناسبة تحقيقه لنصر أو توليه عرش الإمبراطورية، وكانت تجبى أحيانا فى عيد ميلاد الإمبراطور، ويقام لها احتفال كبير فى أحد المعابد بمصر. وخلال النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى فقدت صفة التطوعية، وتحولت إلى ضريبة منتظمة، وأصبحت تمثل مصدرا مهما للدخل للخزانة الإمبراطورية، لذلك فإنها كثيرا ما شكلت عبئا عجز عن أدائه سكان الإمبراطورية، حتى أن بعض الأباطرة أسقطوا هذه الضريبة ومتأخراتها عن السكان فى مناسبات مختلفة، ومن هؤلاء الأباطرة أغسطس (Mon. Ancy. 21)، وهادريان (SHA,Hadr VI.5) وأنطونينوس بيوس (SHA Pius VI. 10)، وسيفيروس الإسكندر (SHA Alex. XXXII.5); P.Fay 20, Arsinoe, (Late 3rd or early 4th Century AD)، وبخصوص ضريبة التاج بوجه عام راجع:

Wallace (1938), pp 281-284; Alan K. Bowman (1967); *The Crown-Tax in Roman Egypt*, BASP 4.3, pp. 59-74; P. Oxy XII 1441, Oxyrhynchus (AD 197 - 200); VI, 916 = W.Chr. 185, Oxyrhynchos, (AD 198); P. Lond. II 474, Soknopaiu Nesos, (AD199); W.Chr 361= P.Oxy.VI 899, Oxyrhynchos, (AD 200); P. Oxy IX, 1185, (c 200); P. Bour ٢٩, Soknopaiu Nesos, (March 22nd 211 AD); O Theb.96, Thebes (AD 222).

(140) Diod I.15.8.

(141) S.Eitrem (1937); A few Remarks on σπονδή, θαλλός, and Other extra Payments in Papyri, *Symbolae Osloenses*, Vol XVII, pp 26-48,esp., pp 32-33.

(142) SHA Marcus Aurelius,XVII,4-5.

143 S.Eitrem (1937),pp34-36.

العنف الأسرى فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى

د/ يسرى عبد الحكيم خليفة دياب

مدرس بكلية الآداب – جامعة أسيوط

تتألف ظاهرة العنف الأسرى من مجموعة ممارسات عداونية تحدث بين أفراد الأسرة فى سرية تامة، وتتخفى وراء أبواب الغرف المغلقة غالبا، وبالتالى يصعب الاطلاع على أدق تفاصيلها وأسرارها، ومع ذلك تمدنا الوثائق البردية بروايات متنوعة عن العنف بين أفراد الأسرة فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى،[1] وتأتى هذه الروايات على لسان الضحايا فى شكلين أساسيين؛ أولهما: الخطابات الشخصية، وعادة ما تضم ممارسات تؤثر سلباً فى العواطف والمشاعر. والشكل الثانى: المظالم الرسمية، وتروى فيها الاعتداءات التى وقعت على الملتمس من قبل أحد أفراد أسرته بأسلوب يكشف عن الالتزام بالإطار القانونى المتعلق بحادثة العنف حتى تقتنع السلطات بتطبيق القانون على الطرف المعتدى، وتعويض المعتدى عليه. وترتكز الدراسة الحالية على عمل تصور – ولو تقريبى – عن أوجه العنف الأسرى وخصائص أطرافه، هذا بالإضافة إلى توضيح الكيفية التى يتصرف بها الضحايا بعد الاعتداء عليهم. وتكمن أهمية مناقشة هذه الروايات فى أنها تساعد على فهم موقف القانون والمجتمع من حوادث العنف الأسرى فى العصرين البطلمى والرومانى، كما تعين أيضاً على معرفة متى يلجأ ضحايا العنف الأسرى إلى التحاور مع المعتدين عبر الخطابات الشخصية؟ ومتى يضطرون إلى مقاضاتهم أمام السلطات القانونية؟ ومما لفت نظرى أن هذا الموضوع لم يحظ – على قدر علمى المتواضع – بدراسة مستقلة أو بحث يلقى الضوء عليه، ولذلك أتقدم بهذه الدراسة راجياً أن تجلو صورة هذا الموضوع قدر الإمكان.

أولاً: العنف المتبادل بين الزوجين:

وفى إطار الحديث عن موضوع الدراسة سوف نصنف الشواهد الوثائقية إلى مجموعتين: المجموعة الأولى عن العنف المتبادل بين الزوجين. والمجموعة الثانية عن العنف المتبادل بين الوالدين والأبناء. فبالنسبة للمجموعة الأولى من الوثائق، بداية نطرح منها عنف الزوج نحو الزوجة فى العصر البطلمى[٢]؛ ففى التماس[٣] (بدايات القرن الثانى قبل الميلاد) مقدم إلى الأويكونوموس بطلميوس Πτολεμαίωι οἰκονόμωι من زوجة تدعى سينيسيس Σενῆσῆς من قرية أوكسيرينخا Ὀξυρύγχα بإقليم أرسينوى، تشكو من سوء سلوك ῥᾳδιουργίαν زوجها المدعو ديدوموس Διδύμος؛ لإصراره على أن يسلبها مهرها[٤] μὴ ὑπεριδεῖν με ἀποστερηθεῖσαν مستغلاً ضعفها لكونها امرأة لا حول لها ولا قوة[٥] δεομένη γυνὴ οὖσα καὶ ἀβοήθητος، وتذكر أنها تعيش مع المشكو فى حقه بموجب عقد إعاشة[٦] يقضى بوضع كافة ممتلكاته الحاضرة ـ وتضم منزلاً بنفس القرية السابق ذكرها ـ ضماناً للوفاء بمهرها الذى يبلغ ٢٢٠ أو ٤٢٠ دراخمة فيما يبدو. [٧] وعلى الرغم من أن هذا المنزل أصبح من ممتلكات الزوجة الشخصية لكونه ضماناً لمهرها، إلا أن الزوج رغب فى أن يحرمها منه بأن عرضه للبيع. ولكن لم يُقدِم أحد من سكان القرية على شرائه؛ لأن الزوجة لم تعلن عن رغبتها فى بيعه، ومع ذلك دبر تقديم المنزل للخزانة ضماناً لدين للجابى هيراكليديس[٨] Ἡρακλείδης، ولهذا تطلب الشاكية منع موظف الخزانة العامة من قبول المنزل ضماناً لدين زوجها. [٩]

ومن خطاب شخصى[١٠] يرجع إلى عام ١٦٨ق.م. من زوجة تدعى إسياس Ἰσιᾶς من الإسكندرية –فيما يبدو–[١١] إلى زوجها هفايستيون Ἡφαιστίων، حيث إن هذا الزوج كان معتكفاً بمعبد السيرابيون بممفيس[١٢] Μέμφις، ورغم تحرره من الاعتكاف، وعودة كافة من كانوا معه إلى ديارهم، إلا أنه تعمد البقاء بممفيس[١٣] مما جعل الزوجة تعتقد فى تملصه من واجباته الأسرية[١٤]، وذلك بإهماله العودة إلى المنزل[١٥] σὲ δὲ μηδ᾽ ἐντεθυμῆσθαι τοῦ παραγενέσθαι، وإغفاله سوء حالها[١٦] μηδ᾽ ἐνβεβλοφέναι εἰς τὴν ἡμετέραν περί\στασιν ، ولهذا اضطرت

إلى مخاطبته لتوجيه اللوم إليه، والتعبير عن تضايقها منه ἀηδίζομαι ؛ لأنه تركها تعـــانى بمفردهـــا مـــن أزمـــة ارتفـــاع قيمـــة الـــذرة[17] τὸ παιδίο[ν σ]ου διακεκυβερνηκυῖα καὶ εἰς πᾶν τι ἐληλυθυῖα διὰ τὴν τοῦ σίτου τιμὴν دون أن يرسل إليها أية مـساعدة طـوال فتـرة غيابـه عـن المنـزل[18] μηθέν σου ἀπεσταλκότος.

أما عن عنف الزوج فى الفترة الرومانية[19]، فهناك وثيقة[20] ترجع إلى سنة ١ ق.م.، وهى عبارة عن خطاب شخصى أرسله شخص يدعى ايلاريون Ἱλαρίων من الإسكندرية إلى زوجته أليس Ἄλις بأوكسيرينخوس، ونراه يخبرها عن موقفـه مما فى أحشائها[21]، قائلاً: "إن كان ذكراً احتفظى به، وإن كانت أنثـى تخلـصى منهـا." [22] ἐὰν πολλὰ πολλῶν τέκῃς ἐὰν ἦν ἄρσενον ἄφες, ἐὰν ἦν θήλεα ἔκβαλε. وهذه العبارة تكشف عن تمسك الزوج بممارسة عادة التخلص من الإناث فور ولادتهن، كما توحى بأنه لا يهـتم بعواطـف زوجتـه ومـشاعرها علـى الإطلاق.[23] وهناك أيضاً مظلمة[24]، ترجع إلى عام ٢٠٠/٢٠١م.، مقدمـة إلـى ضابط المئة جاللوس Γάλλος من زوجة تدعى هيراكليا Ἡρακλεία مـن قريـة تبتونيس Τεπτύνις بإقليم أرسينوى، تقول فيها إنه حين كانت أسرتها لا تزال على قيد الحياة تزوجت من هرميس Ἑρμῆς من قرية ثيوجونيس Θεογονίς استنادا إلى عقد زواج يقضى بمهر قدره ٥٠٠٠ دراخمة، [25] ورغم أنها لم تفكر فى أى رجل آخر طوال معاشرتها له، إلا أنه حين توفيت أسرتها استولى زوجها على كافة مـا ورثته، ثم هرب بالمسروقات لينفقها كما يحلو له بقريته السالفة الذكر. [26] كما أن هناك شكوى[27] ترجع إلى ٢٦ مارس من عام ٣٣٤م. مقدمـة إلـى أوريليـوس يوليانوس Αὐρή[λιος] Ἰουλιανος، المحامى العام συνδίκος بأوكسيرينخوس، من إمرأة تدعى أوريليا بطوليما Αὐρηλί[α] Πτολέμα ، تقول فيها إنها قدمت إبنتهـا أريلا Ἄριλλα للمدعو ثيون Θέων بهدف الزواج، ولقد أنجبت منه طفـلاً ذكـراً، ولكن هذا الزوج لم يمد يد المساعدة لزوجته وطفله[28] οὔτε τῷ παιδὶ τὰς τροφὰς οὔτε τῇ γυναικὶ ἑαυτοῦ ἐ[π]εκούρησεν ἀλλ᾽ ἤδη، وابتعد عنهما لمدة طويلـة τὰ μὲν [29] حاملاً معـه فـراش نومـه ἀ[λλο]δαπῇ γενόμενος πολλῷ χρόνῳ στρώματα αὐτοῦ λαβὼν، ولـم يكتـف بجعـل زوجتـه أرملـة بهجـره لهـا

فحسب(٣٠) σεν καὶ ἐν χηρείᾳ τὴν ἐμὴν θυγ[ατ]έρα καταλείψας πειρᾶται، بـل عمل أيضاً على أن يسترد من الشاكية (والدة زوجته) الهدايا التى سبق وقدمها لابنتها دون اعتبار لضعفها وعجزها(٣١) παρέσχεν ἀπα[ιτ]εῖν με مما اضطرها إلى رفع تلك المظلمة نيابة عن ابنتها لعدم تحملها انعدام ضمير هذا الزوج τοῦ ἀνδρὸς ἀσυνειδησία، ولإرغامه أيضاً على أن يمد يد المساعدة لطفله وزوجته.(٣٢) وفى دعاء (القرن الرابع الميلادى) عُثر عليه داخل معبد السيرابيون بممفيس(٣٣) نجد زوجة تستغيث بسيرابيس للانتقام من والد ابنتها بتوقيع أقصى عقوبة عليه فى البر والبحر (٣٤) جزاء إقدامه على سرقة قبر ابنتها والهدايا الجنائزية الكائنة بداخله(٣٥) [αὐτὴν τ]ῶ[ν] κτ[ερ]έων ἀπεστέρησε | καὶ τῆς θήκης.

ولكن ثمة ممارسات أخرى ارتكبها الزوج بحق زوجته فى الفترة الرومانية أكثر عنفاً وأبعد أثراً من الممارسات السابقة وهى الالتجاء إلى الاحتقار والنعت بألفاظ بذيئة، وكذلك الضرب بالأيدى، والحرمان من ضرورات الحياة. ويمكن أن نستشهد على ذلك بثلاث وثائق؛ أولها: وثيقة من الإسكندرية(٣٦) ترجع إلى عام ١٠ق.م، وفيها تشتكى الزوجة تروفاينى Τρυφαίνη من زوجها أسكليبياديس [Ἀσκληπιάδ]ης، وتقول إنها تزوجته بعد أن أقنع أسرتها بأنه سيحافظ عليها،(٣٧) ولكنها حين عاشرته وجدته متهوراً وعنيداً دون سبب(٣٨) ἐπε[ὶ ἐ]νέαινε διὰ τῆς συμβιώσεως [ἀ]πὸ μηδενὸς؛ فلقد بدد مهرها(٣٩) καταχρησάμενος ταῖς προκειμέναις، الذى يتألف من ملابس تقدر قيمتها بـ ٦٠ دراخمة فضية(٤٠)، وأساء التعامل معها καθυβρίζει، واحتقرها κακουχίαις με، واعتدى عليها بالضرب بالأيدى(٤١) τὰς χεῖρας ἐπιφέρων، واستغلها كما لو كانت أمة اشتراها ببضعة دراخمات فضية(٤٢) [διὸ] .ὡς οὐδὲ ἀργυρωνήτωι χρῆται ἀπεσφαλ\λ/μένη. ونفهم من تلك الوثيقة أن والد تلك الزوجة ينوب عنها فى اتخاذ إجراءات الطلاق ἔξοδον ، وإشعار الزوج برد المهر. (٤٣) ونجد الأسلوب ذاته يتكرر فى الوثيقة الثانية(٤٤)، وهى عبارة عن مظلمة من أوكسيرينخوس (٢٠م. — ٥٠م.)، وفيها تشتكى زوجة تدعى سورا Σύρα من زوجها المدعو سارابيون Σαραπίων، وتقول إنها تزوجته رغم فقره، واستقبلته بمنزل والدها، وتعاملت معه ببراءة، (٤٥) بيد أنه بدد مهرها καταχρη\σά/μενος τῆι φερνῆι، وأساء معاملتها

واحتقرها κακουχῶν με καὶ ὑβρί[ζ]ων، علاوة على أنه اعتدى عليها بالـضرب بالأيدى καὶ τὰς χεῖρας ἐπιφέρων ، وحرمها من ضرورات الحيـــاة(٤٦) καὶ τῶν ἀναγκαίων ἐνδεῆ καθιστάς. وتركها وهى فى حالة من الفقر الشديد(٤٧) ὕστερον δὲ ἐνκατέλιπέ με λιτὴν καθεστῶσαν، وتطلب فى شكواها إرغام زوجها علــى رد مهرها البالغ ٢٠٠ دراخمة فضية، مع زيادة النصف نظيــر تبـذيره لــه دون رضاها.(٤٨) أما الوثيقة الثالثة(٤٩) فهى عبارة عن دعوى إتهام من أوكـسيرينخوس (القرن الرابع الميلادى) تقدمت بها زوجة مسيحية ضد زوجها تتهمه فيها بعدة تهم ارتكبها بحقها وبحق بناتها بالتبنى، وكذلك بحق عبيد تابعين لها. فتقول إنه حــبس بناتها بالتبنى وعبيدها داخل القبو لفترة دامت سبعة أيام، وكاد أن يقتلهم من شــدة الاعتداء عليهم بالضرب ἀποκτείνας αὐτοὺς τῶν π[λ]ηγῶν، حتــى إنـــه نــزع الملابس عن البنات ليحــرق أجـسادهن بالنــار(٥٠) καὶ πῦρ προσήνεγ'κεν ταῖς τροφίμαις μου γυμνώσας αὐ[τὰ]ς، ثم انتقلت إلى الحديث عن ممارساته العنيفــة التى ارتكبها بحقها، فذكرت أنه داوم على نعتها بألفــاظ بذيئـــة(٥١) ὧν εἶπεν κατ' ἐμοῦ ὕβρεων، ورغم تعهده أمام أحد أقاربها وكذلك أشقائه بأنه لن يهينهـــا مــرة ثانية(٥٢) οὔτε ὑβρίζω αὐτὴν، إلا أنه ذات يوم منعها بـــالقوة مــن الــذهاب إلــى الكنيسة، وأغلق أبواب المنزل فى وجهها(٥٣)، واحتقرها عبر أنفه(٥٤) διὰ τῆς ῥινὸς αὐτο[ῦ]، كما أنه تحرش بها حينما كانت فى مدينة أنطينوبوليس، واستولى علــى حقيبة كانت بحوزتهـــا وبـــداخلها حليهـــا αὐτῷ εἰς Ἀντινόου ἔχουσα τὸ πρὸς βαλανεῖόν μου μεθ' ὧν ἔχω κοσμαριδίων، وهددها بأنه سيسلبها كل ما لديها(٥٥) εἶπέν μοι ὅτι εἴ τι ἔχεις μετ' ἐσοῦ αἴρω، كما هددها بأنه سيتخذ لنفـــسه عــشيقة خلال فترة لن تزيد عن شهر(٥٦). ὅτι μετὰ μῆνα λαμβάνω πολιτ\ικ/ὴν ἐμαυτῷ . وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه الزوجة ذكرت فى بدايـــة شــكواها أن ممارســات زوجها العنيفة تعتبر ضـــد القـــانون(٥٧) παντελῶς ἃ οὐ πο\ιο/ῦσι οἱ νόμοι ممـــا يكشف عن درايتها بحقوقها القانونية.

أما عن عنف الزوجة ضد الزوج، فليس لدينا سوى شواهد بردية من الفتـــرة الرومانية، (٥٨) فمن خطاب شخصى(٥٩) من أوكسيرينخوس (القرن الثانى الميلادى)، من شخص يدعى سيرينوس Σερῆνος إلى زوجته إزيدورا Εἰσιδώρᾳ ، نفهم أنـــه

يعانى من هجرها[٦٠] σε θέλω ἀφ' ὡς ἐξῆλθες ἀπ' ἐμοῦ، ويقول إنه يبكى فى
الليل، ويرثى حاله طوال النهار[٦١] πένθος ἡγούμην νυκτὸς κλαίων ἡμέρας δὲ
πενθῶ<ν>، حتى إنه لم يستحم، ولم يدهن جسده منذ استحمامهما الأخير سويا[٦٢]
ὅτε ἐλουσάμην μετ' ἐσοῦ οὐκ ἐλουσάμην οὐκ ἤλειμ<μ>αι. ومن خطاب
شخصى آخر[٦٣] (حوالى عام ٢٩٦/٢٩٧م.) من بانيسكوس Πανίσκος إلى زوجته
بلوتوجينيا Πλ[ο]υτογενίᾳ بقرية فيلادلفيا Φιλαδέλφεια بإقليم أرسينوى نفهم أن
الزوج يعمل فى كوبتوس(قفط) Κοπτος، وقد بعث إليها بثلاثة خطابات[٦٤] يطلب
فيها أن تأتى إليه، ولكنها لم تأت فحسب، بل أيضاً أهملت الرد عليه[٦٥] ἰδοὺ τρεῖς
ἐπιστολὰς ἔπεμψά σοι καὶ οὐδὲ μίαν μοι ἔγραψας مما اضطره إلى أن يقول
لها إن لم ترغبى فى المجيء إلينا فلن يرغمك أحد على ذلك[٦٦] εἰ μὲν [ο]ὐ θέλεις
ἀναβῆναι πρὸς ἐμέ, οὐδείς [σε ἀν]αγκάζε[ι] . ولكن كان يتحتم عليك أن تكتبى
لنا عن أحوالك[٦٧] γράψαι περὶ τούτου .

ولم يقتصر عنف الزوجة على هجر الزوج والإضرار بمشاعره فحسب، بل
أيضاً امتد إلى الإضرار بمصالحه المالية وسرقة مستنداته الرسمية، ويشهد على
ذلك مظلمة[٦٨] من أوكسيرينخوس (٣٠م. ــ ٣٥م.) مقدمة من شخص يدعى
تروفون Τρύφων، يشكو فيها من تبذير زوجته، وهروبها من المنزل بعد سرقة
ممتلكاته الشخصية، [٦٩] ويقول إنه لم يتوان عن إمداد زوجته بكافة احتياجاتها
بتكلفة تتعدى قدراته المالية[٧٠] κα[ὶ ἐ]γὼ μὲν οὖν ἐπεχορήγησα αὐτῇ τὰ ἑξῆς
καὶ ὑπὲρ δύναμιν، ولكنها تضايقت من الاستمرار فى معاشرته[٧١] ἡ δὲ ἀλλότρια
φρονήσασα τῆς κοινῆς συμβιώ[σεως] ، ثم تركت المنزل بعد أن سرقت
ممتلكاته الشخصية[٧٢] κατὰ πέρ[α]ς ἐξῆ[λθε] καὶ ἀπηνέ<γ>καντο τ̣ὰ̣ ἡμέτερα،
ولذا يطلب إحضارها أمام الإستراتيجوس لإرغامها على رد ممتلكاته، ولتنال أيضاً
ما تستحقه نظير هروبها من المنزل[٧٣] ὅπως τύχῃ ὧν προσή[κει]. ويتكرر
الأسلوب ذاته فى التماس[٧٤] يرجع إلى ٢٠ أبريل من عام ٣٦٣م. مقدم من شخص
يدعى أوريليوس ديوس Αὐρηλίος Δ̣ίος من مدينة هرموبوليس Ἑρμοπολίς، يقول
فيه إن زوجته هرميونى Ἑρμιόνη انتظرت غيابه عن المنزل، ثم هربت إلى قريتها
بعد أن سرقت كافة محتويات المنزل، واستولت أيضاً على مستندات رسمية تتعلق

بممتلكاته الشخصية مما أثار لديه الإحساس بعدم الراحة والأمان، ويختتم التماسه بطلب القبض عليها، والتحقيق معها أمام السلطات المختصة(٧٥)، وذلك استناداً إلى أن هروبها من المنزل يعتبر مخالفاً للقانون(٧٦) ἄνομον ἔξοδον πεποίηται.

إذن يتبين مما سبق أوجه العنف المتبادل بين الزوجين فى الفترتين البطلمية والرومانية؛ فلقد ارتكز عنف الزوج ضد الزوجة على التملص من الواجبات الأسرية سواء بهجرها، أو بتركها تعانى بمفردها من تحمل مسئولية الإنفاق على الأبناء، ومواجهة أزمة غلاء الأسعار، كما ارتكز على محاولة الاستيلاء على مهر الزوجة، وحرمانها من ممتلكاتها الشخصية، حتى إن الأمر وصل فى إحدى المناسبات إلى قيام أحد الأزواج بسرقة قبر ابنته دون اعتبار لمشاعر الزوجة. وازدادت هذه الممارسات سوءاً خلال الفترة الرومانية على وجه الخصوص، وشهد على ذلك التجاء بعض الأزواج إلى نعت زوجاتهم بألفاظ بذيئة، والتعامل معهن باحتقار، فضلاً عن استغلالهن كما لو كن عبيداً داخل منزل الزوجية، هذا بالإضافة إلى الاعتداء عليهن بالضرب وحرمانهن من ضرورات الحياة، فضلاً عن حبسهن داخل المنزل أو طردهن منه بالقوة، ومع ذلك لم يكن الزوج دائما هو الطرف المعتدى، فالزوجة هى الأخرى كانت تعتدى على الزوج كما تبين من وثائق الفترة الرومانية، وارتكز عنفها ضد الزوج على التبذير، وهجر منزل الزوجية، علاوة على سرقة محتويات المنزل من ممتلكات شخصية ومستندات رسمية.

ثانياً: العنف المتبادل بين الوالدين والأبناء:

والآن نتناول بالمناقشة والتحليل الوثائق المتعلقة بالعنف المتبادل بين الوالدين والأبناء، ولتكن البداية من عنف الوالدين نحو الأبناء. وفيما يتصل بهذا الموضوع، فليس لدينا سوى شواهد بردية من الفترة الرومانية، ونطرح منها بداية الوثائق المتعلقة بعنف الأب ضد الأبناء. (٧٧) فمن خطاب شخصى(٧٨) من قرية تبتونيس (القرن الثالث الميلادى) بعث به شاب يدعى أوريليوس سارابيون Αὐρήλιος Σαραπίων إلى شقيقه بوليون Πωλίων وأبيه ديوجينيس Διογένις، نفهم أن الابن يمر بأزمة مالية، وسبق أن طلب مساعدة مالية منهما، لكنهما تملصا بالابتعاد عنه، ولم يتلق منهما المال الذى يحتاج إليه(٧٩) مما اضطر الابن إلى مراسلتهما ثانية

ليؤكد على أنه لا يزال فى حاجة ماسة إلى المساعدة المالية[٨٠] ἐπὶ γὰρ χρείαν ποεῖται ἡν μέση [.] .[.] ἔχω. وفى خطاب شخصى[٨١] من قرية كارانيس Καρανίς بإقليم أرسينوى (القرن الثالث الميلادى) يكشف أحد الأبناء عن معاناته من عدم إنصات أبيه لمطلبه بأن يبعث إليه بزوجته، ويعلق هذا الابن على مسلك والده قائلاً إنه يبعث على الإهمال واللامبالاة[٨٢] ἀσπ[ο]υδάστως ἐποίησας [μ]ὴ πο[ιήσ]ας τὴν γυναῖκα ἀναβῆναι، ويختتم خطابه بمطالبة والده بتنفيذ مطلبه فى أقرب فرصة ممكنة حتى لا ينفذ صبره[٨٣] ἐξαυτῆς εὕρημαι γὰρ ἐν[κ]λειόμενος. ἀναβάτω.

ولم يقتصر عنف الأب على إيذاء أبنائه من البنين فحسب، بل أيضاً اعتدى على بناته بممارسات عدوانية، ومثال ذلك مظلمة[٨٤] من أوكسيرينخوس ترجع إلى عام ١٨٦م.، تكشف عن كثرة الخلافات بين ديونيسيا Διονυσία ووالدها خايريمون Χαιρήμων؛ ففى البداية اندلع بينهما نزاع مالي، وآخر على أملاك، وانتهت هذه النزاعات فى مصلحة الابنة مما دفع والدها إلى استئناف صراعه معها فى قضايا أخرى، وقد زعم أنها داومت على إهانته، وإساءة التعامل معه[٨٥] ἐπιμένει τῇ αὐτῇ ἀπονοίᾳ ἐνυβρίζων μοι، وارتكبت بحقه عديداً من الأفعال الآثمة والمحظورة قانونياً[٨٦] πολλὰ εἰς ἐμὲ ἀσεβῶς καὶ παρανόμως بإيعاز من زوجها الذى هدده بالاعتداء البدنى عليه βίαν πάσχειν ὑπὸ τοῦ ἀνδρός μου προφερόμενος.

ولذلك طلب هذا الأب أن يمارس حقه القانونى فى إحضار ابنته إليه من بيت زوجها دون إرادتها[٨٧] τοῦ νόμου διδόντος μοι ἐξουσίανοῦ .... αὐτὴν ἄκουσαν ἐκ τῆς τοῦ ἀνδρὸς οἰκίας ، بيد أن ديونيسيا أظهرت فى شكواها أن ادعاءات أبيها لا أساس لها من الصحة، وأن سوء تعامله معها مبعثه الحقد فقط[٨٨] ἐπὶ φθόνῳ δὲ μόνον [λο]ιδορούμενος، وحتى تدعم عدم قانونية دعوى أبيها أشارت إلى ثلاث قضايا مماثلة تقرر فيها عدم تطليق الزوجة ضد رغبتها؛ وتخص القضية الأولى شكوى رفعها المدعو أنطونيوس أبولونيوس Ἀντωνίος Ἀπολλωνίος أمام الوالى فى ٢ يونيو من عام ١٢٨م ضد سمبرونيوس

Σεμπρώνιος والد زوجته الذى ـ بإيعاز من والدته ـ أخذ زوجته رغماً عنها مما أدى إلى مرضها حزناً، وقد تعاطف معهـا الإبيـستراتيجوس باسـوس Βάσσος، وأصدر قراره بعدم حرمان أنطونيوس من زوجته، إذا ما كان الإثنان يرغبان فـى الحياة معاً. ولكن والد الزوجة رفض تنفيذ القرار، وتقدم بدعوى اتهـم فيهـا زوج ابنته بالاعتداء عليه، وعندما تقرر استدعاء الطرفين للحضور أمام الإبيستراتيجوس للمحاكمة، عندئذ دفع الزوج بقوله إنى لا أرغب فى تطليق زوجتى التى تكن لى كل الحب والمودة، ودفع محامى الأب بأنه يريد حقه الذى كفله له القانون. وهنا أمـر الإبيستراتيجوس بأنه يجب أن يرجع إلى الزوجة ويسألها عما ترغب فيه. وحينمـا أجابت بأنها ترغب فى البقاء مع زوجها، حكم لها بذلك.[٨٩] والقضية الثانية ترجع إلى عام ١٣٤م.، وتتعلق بأب مصرى يـدعى فلاوسـيس أمونيـوس Φλαυήσις Ἀμμούνιος طالب السلطات بالتفريق بين إبنته تـايخيكيس Ταειχήκὴς وزوجهـا هيرون Ἥρων" استناداً إلى القانون المصرى، ولكن القاضى رفض هـذا المطلـب لرغبة الزوجة فى البقاء مع زوجها. [٩٠] أما القضية الثالثة فترجع إلى عـام ٨٧م، ويبدو فيها أن أباً حاول أن ينتزع ابنته من زوجها، ولم يوافق القاضى على ذلـك موضحاً أن انتزاع زوجة من زوجها أسوأ من انتزاع مهر من ابنة . [٩١]

أما عن عنف الأم ضد أبنائها خلال الفترة الرومانية[٩٢]، فتتوافر لدينا وثيقـة تكشف عن صور من عنف الأم ضد أبنائها من البنين. وهذه الوثيقة[٩٣] عبارة عن التماس، يرجع إلى عام ١٢٣م.، مقدم إلـى هرمـودوروس Ἑρμοδώρος الكاتـب الملكى والقائم بأعمال إستراتيجوس إقليم أوكسيرينخوس، يشكو فيه ابن قاصر يدعى ديدوموس ديونيسيوس Διδύμος Διονυσίος من خداع واحتيال مـن جانـب أمـه ماترينا Ματρεῖνα بوصفها وصية عليه مما اضطره إلى اتخـاذ إجـراءات رفـع وصايتها. وقد أصدر الإستراتيجوس قراراً بتعيين شخص آخر وصياً عليه بدلاً من أمه، [٩٤] ولكن الأم لم تقبل بالهزيمة، ولجأت إلى الاحتيال والمكر حتى يعجز ابنها عن الاستمرار فى مقاضـاتها[٩٥] ἐκ παντὸς θλίβουσά με εἰς τὸ μὴ δύνασθαι αὐτῆς προελθεῖν.٩٥κατ'. فمن ناحية لم تمده بحقوقه المالية لمدة ثلاثة أشهر[٩٦] οὐδὲ ὀψώνιόν μοι ἐχορήγησεν ἔτι πρὸ μηνῶν τριῶν؛ ومن ناحية أخرى جعلته يذهب إلى الواحة، وحينما عاد اكتشف أنها سرقت معظـم ملكيتـه[٩٧] συνειδυῖα

ἑαυτῆι πολλὰ τῶν ἐμῶν ἀνηρπακυίηι، ورفضت الاعتراف بسرقتها، واشترطت عليه أن يمنحها وثيقة رسمية تفيد براءتها من كافة ادعاءات وقف وصايتها عليه[٩٨] οὐ πρότερον ὁμολογεῖν θέλει αἰτοῦσά μ[ε] ἀντὶ ταύτης ἀποχὴν τῆς ἐπιτροπῆς. وتعتقد هذه الأم ـ كما يقول ابنها ـ بأنها بهذه الأفعال يمكن أن تتجنب عواقب الآثام التى ارتكبتها بحقه[٩٩] οἰομένη ἐκ τούτου δύνασθαι ἐκφυγεῖν ἃ διέπραξεν. ونتيجة لهذه الممارسات المؤذية[١٠٠] πολλά μ[ε ἀ]δικοῦσα، وجدنا هذا الابن يلتمس من السلطات القانونية اتخاذ ما يتفق مع القانون ضد خداع أمه واحتيالها.[١٠١]

وفيما يخص عنف الأم ضد بناتها، فمن خطابين شخصيين ندرك أنه ارتكز على الإهمال العاطفى. حيث نجد أن الخطاب الأول[١٠٢] من أوكسيرينخوس أو أرسينوى فيما يبدو (القرن الثالث الميلادى)، وفيه تكشف ابنة تدعى هليودورا Ἡλιοδώρα عن غضبها الشديد πικραίνομαί εὐ]τόνω[ς] من والدتها إزيدورا Ἰσιδώρα لإهمالها الاطمئنان عليها منذ لقائهما الأخير، ولإغفالها أيضاً السؤال عن الخلافات التى تمر بها مع ابنتها[١٠٣] πολλὰ ἐντέτριπτ[αί μοι ὑπὸ] τῆς θυγατρός μου. ويتكرر الأسلوب ذاته فى الخطاب الثانى[١٠٤] (عام ٢٩٦/٢٩٧م.)، والذى بعثت به ابنة تدعى بلوتوجينيا Πλο[υτογέ]ν[ι]α من الإسكندرية إلى والدتها هليودورا Ἡλιοδώρα فى قرية فيلادلفيا، ونفهم منه أن الابنة جاءت إلى الإسكندرية منذ ثمانية أشهر. وقد تضايقت من والدتها؛ لأنها لم تبعث إليها بأى خطاب طوال تلك الفترة[١٠٥] οὐδὲ μίαν μοι ἐπιστολὴν ἔγραψας مما جعلها تقول لها: "إنك تتعاملى معى ثانية كما لوكنت عدوة لك وليست ابنتك."[١٠٦] πάλι οὖν οὐκ ἔχεις με ὡς θυγατέρα σου <ἀλλὰ> ὡς ἐχθράν σου

ونتيجة للممارسات العنيفة التى ارتكبها الوالدان بحق أبنائهم من البنين والبنات، فقد تعامل الأبناء بالمثل مع الوالدين فى كبرهما. حيث وصلت إلينا وثيقتان من الفترة البطلمية[١٠٧]؛ أولاهما مظلمة[١٠٨] من أرسينوى ترجع إلى ٢١ نوفمبر من عام ٢٢٢ق.م. مقدمه إلى الملك من المدعو بابوس Πάππος، يؤكد فيها بداية على تكفله بتعليم إبنه ستروثوس Στρουθος[١٠٩] وحينما أصبح مسناً وعجز

عن العناية بنفسه اتفق مع إبنه أمام المدعو ديوسكوريديس Διοσκουρίδης، الموظف المختص بأرسينوى، على أن يمده بإردب قمح وأربع دراخمات شهرياً،(١١٠) لكن هذا الابن لم يلتزم بالاتفاق، وليس هذا فحسب، بل اعتاد أيضاً على إهانة والده المسن(١١١) ποτέ μοι ἀπαντήσῃ λοιδορεῖ με τά αἴσχιστα؛ فلقد اقتحم منزله بالقوة ἀποβιαζόμ[ενος ...] ὃον εἰς τὴν οἰκίαν μου، واستولى على ما بداخله من قطع الأثاث ἁρπάζει μου ἀεὶ τὸ πρόχειρον τῶν σκευῶν بعد أن تعامل معه باحتقار καταφρονῶν μου؛ لأنه ــ كما يقول الأب ــ رجل مسن، ويعانى من ضعف البصر(١١٢) ὅτι πρεσβύτερός εἰμι καὶ ἀσθενῶ τοῖς ὀφθαλμοῖς. ولذا يلتمس من الملك تكليف الإستراتيجوس باستدعاء إبنه حتى يتوقف عن اعتداءاته (اللفظية منها والجسدية فيما يبدو) (١١٣) τῆς μὲν βίας ἐπιστῆσαι αὐ\τὸν/، ويمده بنفقته الشهرية دونما توقف(١١٤). وقد احتوت هذه الوثيقة على الإجراءات التى اتخذتها السلطات الادارية تجاه هذا الابن العاق، حيث تقرر إحضاره هو ووالده، وتعهد بمنح أبيه دراخمتين نحاسيتين اثنتين شهرياً. (١١٥)

أما الوثيقة الثانية(١١٦) فهى عبارة عن مظلمة من أرسينوى، وترجع إلى ٢٧ فبراير من عام ٢٢١ق.م. مقدمة إلى الملك من المدعو كتيسيكليس Κτησικλῆς، يشتكى فيها من ابنته الشابة نيكى Νίκη لإهمالها العناية به، ولتملصها من الإنفاق عليه، فيقول إنه تكفل بتربيتها، ولم يتوان عن تعليمها إلى أن بلغت سن الرشد. لكن حين وهن جسده، وفقد بصره، أهملته ابنته، ولم تمده بضرورات الحياة(١١٧) οὐχ οἷα μοι ἦν ἐπαρκεῖν τῶν ἀναγκαίων οὐδέν مما اضطره إلى مقاضاتها فى مدينة الإسكندرية، وعندئذ بادرت بطلب العفو والسماح، واتفقت معه كتابياً على أن تمنحه عشرين دراخمة شهرياً مما تجنيه من وراء عملها اليدوى، ومع ذلك لم تلتزم بالاتفاق، دون اعتبار لضعفه، وسوء حالته الصحية(١١٨) διὰ τοῦ γ]ήρως κ[αὶ τ]ῆς ὑπ[αρ]χούσης μοι ἀκληρίας، ونتيجة لذلك رفع شكواه إلى الملك والتمس راجياً ألا يتركه يعانى من ظلم ابنته وعقوقها [μ]ὴ πε[ριιδεῖν με ὑ]πὸ τῆς θυγ[ατρὸ]ς ἀδικού[μ]ενον، وأن يصدر أوامره بتكليف الإستراتيجوس باستدعائها للحضور أمامه، وإرغامها على الالتزام بما اتفقت عليه مع أبيها المسن. (١١٩)

ومن العصر الرومانى أيضا وصلتنا أدلة وثائقية على سوء تعامل الأبناء مع الوالدين فى كبرهما[١٢٠]؛ ففى خطاب شخصى[١٢١] من بيرنيكى (٥٠_٧٥م) أرسلته الأم هيكانى Ἰκάνη إلى ابنها إزيدوروس Ἰσιδῶρος، تكشف عن تضايقها منه لعدم سؤاله عليها بخطاب يعكس فيه أنه لا يزال يتذكر فضائلها عليه، وتسأله: هل هذا مقابل حملى لك تسعة أشهر، وفطامى لك أيضاً بعد ثلاثة أعوام؟[١٢٢] διὰ [τ]οῦτο σὲ ἐβάσταζον δέ̣κα μῆνας καὶ τρία ἔτη σὲ ἐθήλαζον ἵνα μὴ εἰ[δ]ῇς μου μνημονεῦσαι δ̣ι' ἐπιστολῆς; ومن خطاب شخصى[١٢٣] من أرسينوى (القرن الأول الميلادى) أرسله أب يدعى هرموكراتيس Ἑρμοκράτη[ς] إلى ابنه الشاب خايراس Χαιράς نفهم أن هذا الابن يتلكأ فى تلبية نداء أبيه للمجيء إليه لمساعدته فى زراعة مساحة صغيرة من الأرض؛ حيث يوضح الأب أن ابنه لم يهتم بالرد عليه، وليس هذا فحسب، بل أغفل أيضاً الحضور إليه، مما أثار خوفه وقلقه بشأن تلك الأرض التى يدفع ضرائبها دون عائد مالى من ورائها.[١٢٤]

وفى مذكرة[١٢٥] (القرن الأول أو الثانى الميلادى) مقدمة إلى هيراكليديس Ἡρακλείδης استراتيجوس إقليم هرموبوليس Ἑρμοπολίς من شخص يدعى (أ)مونيوس [Ἀ]μμωνίος وزوجته السابقة يكشفان عن خوفهما من أن يتعامل معهما ابنهما الشاب كاستور Κάστωρ بحقد ἐ[π]ηρεάσηι؛ لأنه يطمع فى ملكيتهما، ويرغب فى تبديدها βούλεται ἀπολέσαι بعد أن بدد كل ملكيته[١٢٦] ἐσπάνισε τὰ αὐτοῦ πάντα. ومن وثيقة[١٢٧] من قرية تبتونيس ترجع إلى ١٣ يونيو من عام ١٣٨م. نعلم أن أباً فى السبعين من عمره تعمد استثناء إبنه البكر من الميراث لأنه لم يكن مطيعا له.[١٢٨] كما نجد خطاباً[١٢٩] من أرسينوى (القرن الثانى الميلادى) بعث به الشاب أنطونيس لونجوس Ἀντωνίς Λόνγος إلى والدته يعتذر لها فيه عما ارتكبه بحقها من ممارسات عدوانية، حيث نفهم أن هذا الابن تشاجر مع أمه، ثم ترك القرية، ولكنه شعر بالندم الشديد فيما بعد[١٣٠] مما جعله يكتب هذا الخطاب وهو عار تماما _ كما يقول _ ليطلب منها الصفح والمغفرة παρακα[λ]ῶ σε, μήτηρ, διαλ<λ>άγητί μοι، عما ارتكبه بحقها من آثام جلبت عليه الإحساس بالعار والندم[١٣١]. كما نجد خطاباً شخصياً[١٣٢] من أوكسيرينخوس أو أرسينوى (القرن الثالث الميلادى) تقول فيه أم تدعى هيليودورا Ἡλιοδώρα، إن ابنتها جردتها من كل شيء، واستولت على حليها وأقراطها الذهبية (بالقوة فيما يبدو)[١٣٣] ἐξέδυσέν

με σύμπ[α]ν καὶ ἦρκεν μου τὰ χρυσάφια καὶ τὰ 'ε[νώ]τια.

إذن يمكن أن نستخلص مما سبق أشكال العنف المتبادل بين الوالدين والأبناء؛ فعنف الوالدين نلمسه فى سوء التعامل، وعدم السؤال والاطمئنان، علاوة على التملص من الوقوف بجانب الأبناء حين يمرون بأزمات مالية، ونلمسه كذلك فى محاولات التفريق بين الابن وزوجته، أو الابنة وزوجها لتحقيق مصالح مالية، ونجده أيضاً فى محاولات الاستيلاء على ممتلكات الأبناء الشخصية عن طريق المكر والاحتيال. أما عنف الأبناء فيتجسد فى عدم العناية والرعاية وكذلك التملص من الإنفاق على الوالدين والتلكؤ الواضح فى تلبية مطالبهما، هذا بالإضافة إلى التعامل معهما بعنف وقسوة أحياناً.

وهكذا تمدنا الوثائق البردية بالكثير من أشكال الممارسات العنيفة المتبادلة بين أفراد الأسرة فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى؛ فبداية تبين أن ضحايا هذه الممارسات العنيفة كانوا ينتمون إلى البسطاء، وكذلك الأثرياء سواء فى الريف أو فى عواصم الأقاليم، كما اتضح أن حوادث العنف الأسرى التى رصدتها الدراسة كان مبعثها فى الغالب خلافات مالية سواء بين الزوجين أو بين الوالدين والأبناء. وإذا كان معروفاً أن العنف يكون أكثر انتشاراً فى المجتمعات التى تتحمله وتتغاضى عنه، فإن أبرز ما أكدته الشواهد البردية هو أن العنف الأسرى لم يتغاض عنه القانون والمجتمع فى مصر خلال الفترتين البطلمية والرومانية؛ حيث كشفت وثائق الدراسة عن الإجراءات الإدارية والنظم القانونية التى اختصت بتجريم أنماط معينة من العنف المستخدم بين أفراد الأسرة مثل الإيذاء البدنى، والإضرار بالممتلكات الشخصية، والتفريق بين الأزواج لتحقيق مصالح شخصية، كما كشفت أيضاً عن عدم تحمل الأفراد لصور العنف الأسرى مستخدمين كافة السبل فى خطاباتهم الشخصية وكل الأسانيد القانونية التى تدعم موقفهم القانونى فى مظالمهم الرسمية، هذا بالإضافة إلى التعلل ــ دوما ــ بالظروف الإنسانية لإثارة الشفقة لدى الجهة المخاطبة سواء على المستوى الشخصى أو الرسمى.

الهوامش :

(1) P. Enteux. 25, petition from Paappos to the king, Arsinoites, 21 Nov. 222 B.C; P. Enteux. 26, petition to the king, Arsinoites, 27 Feb. 221 B.C. P. Brit. Mus. 42, letter from Isias to Hephaestion, Memphis, 168 B.C. BGU. IV 1105, petition from Tryphaine against her husband, Alexandria, 10 B.C. P. Oxy. IV 744, letter from Hilarion to his wife Alis, Oxyrhynchus, 1 B.C; P. Oxy. II 281, complaint against a husband, Oxyrhynchus, 20-50 A.D; P. Oxy. II 282, petition, Oxyrhynchus, 30-35 AD. O. Berenike. II 129, letter of Hikane to Isidorus, Berenike, 50–75 A.D. BGU. II 530, letter from father to his son, Arsinoites, First century A.D. P. Flor. I 99, public notice, Hermopolis, I/II A.D. P. Oxy. VI 898, petition to Hermodoros, basilikogrammateus and acting strategos, from Didymos, a minor, complaining of fraud on the part of his mother, Oxyrhynchus, 123A.D. SB. VI 9377, Tebtunis, 13 Jun.138 A.D. P, Oxy. II 237, petition of Dionysia to the praefect, Oxyrhynchus, 186A.D. P. Tebt. III 776, petition of Senesis to Ptolemaios, Oxyrhyncha, early 2nd century B.C. BGU. III 846, letter from Antonius Longus to Nilous his mother, Arsinoites, 2nd century A.D. P. Oxy. III 528, letter of Serenus, Oxyrhynchus. 2nd century A.D. P. Tebt. II 334, petition to the centurion, Tebtunis, 200\201A.D. P. Mich. III 217, letter sent by Paniskos to his wife Ploutogenia, Koptos, Coptite nome, 296-297 A.D; P. Mich. III 218, letter sent by Paniskos to his wife Ploutogenia, probably written by a Christian scribe, Koptos, Coptite nome, 296-297 A.D. SB. III 7247, letter sent by Paniskos to his wife Ploutogenia, requesting her to come to Koptos, Koptos, Coptite nome, 296-297 A.D; SB. III 7252, letter sent by Paniskos to his wife Ploutogenia, Koptos, Coptite nome, September 9, 296 or 297 A.D; SB. III 7253, letter sent by Ploutogenia to her mother Heliodora, Philadelphia, Arsinoite nome, 296-297 A.D. P. Tebt. II 420, Aurelius Sarapion's letter to Polion and Diogenes, Tebtunis, 3rdcentury A.D. SB. XIV 12082, private letter, Karanis, Herakleidou meris, Arsinoite nome, 3rd century A.D; SB. XVI 12326, letter sent by Heliodora to her mother Isidora, unknown place, perhaps Oxyrhynchite nome, or Philadelphia, Herakleidou meris, Arsinoite nome, Late 3rd century A.D. P. Oxy. LIV 3770, petition to a Syndic, Oxyrhynchus, 26 March. 334 A.D. P. Lond. V 1651, petition to a strategus, Hermopolis, 20 Apr. 363 A.D. P. Oxy. VI 903, accusation against a husband, Oxyrhynchus, 300-399A.D. PGM. 40, a women imploring Serapis to avenge her against daughter's father, Memphis, 4th cent`V

ومن الجدير بالذكر أن هذه الوثائق البردية دأبت على استخدام كلمتين، أولاهما: ὕβρις ، وثانيتهما: βία للإشارة إلى العنف. و تشير الكلمة الأولى إلى العنف المستخدم ضد الشخص ومكانته سواء على المستوى المعنوى أو البدنى. كما يقصد بها الشخص الذى يزهو بقوته، ويرغب فى التسلط على الأخرين، مستخدما صورا من العنف مثل الاغتصاب والاستهزاء والاحتقار والحرمان، علاوة على الابتزاز والحقد والتحدى والإهانة، هذا بالإضافة إلى الإيذاء أما الكلمة الثانية: وهى βία فتخص العنف المستخدم ضد الممتلكات الشخصية، ومحاولة الاستيلاء عليها بالافتراء أو بالتحايل أو بقوة الإجبار والإكراه. وانطلاقا من تحديد المقصود من العنف وأشكاله خلال الفترتين البطلمية والرومانية، فإنه يمكن أن نستخلص من الوثائق البردية المتوافرة صورا مهمة عن العنف الأسرى فى العصرين البطلمى والرومانى. ولمزيد من المعلومات عن المقصود بكلمة ὕβρις وكذلك βία انظر:

Cohen, D., "Hybris and Dishonor II", G&R, 26, 1979, pp. 32-47; Fisher, N., "Hybris and Dishonor I", G&R, 23, 1976, pp. 177-193; Gagarin, M., 'The Athenian Law against Hybris', in Bowersock, G.W., Burket, W. and Putnam, M.C.J. (eds.), Arktouros: Hellenic Studies presented to Bernard Knox , Berlin, 1979, pp. 229–236;

MacDowell, D., "Hybris in Athens", G&R, 23, 1976, pp.14-31; Tetlow, E.M., Women, Crime, and Punishment in Ancient Law and Society, vol.2, Ancient Greece, New York, 2005, p.227.

(2) P.Tebt. III 776, petition of Senesis to Ptolemaios, Oxyrhyncha, early 2nd century B.C. P. Brit. Mus. 42, letter from Isias to Hephaestion, Memphis, 168 B.C.

(3) P.Tebt. III 776.

(4) Ibid., lines 28-29.

(5) Ibid., line 27.

(٦) لقد تعددت آراء الباحثين فى تفسير مدلولات عقود الإعاشة. ومن النظريات الأخيرة فيها أنها تقوم على أساس أن الزوجه بمالها من ذمة منفصلة كانت تعهد أحياناً إلى قرينها بمال خاص أو مقتنيات شخصية ليوظفها لمصلحة التكافل المعيشى بينهما، على أن يضمن لها دخلاً عينياً أو معدنياً من ريعها، غالباً ما يساوى الثلث وقد يزيد إلى النصف. فعلى سبيل المثال يؤدى لها كحد أدنى مكيالاً معيناً من الغلال كل يوم، ومكيالاً من الزيت فى كل شهر، وراتباً شهرياً لنفقاتها الخاصة، ثم راتباً سنوياً لتكاليف زينتها. وأخيراً يقسم الزوج على التزامه بعهوده، ويتعهد أيضاً بوضع كافة ممتلكاته الحاضرة والمستقبلة ضماناً للوفاء بها، ويشهد على ذلك نفر من الشهود يتضمنون واحداً أو أكثر من أهله ليكون كفيلاً له وضامناً لأداء التزاماته. وكان للزوجة أن تسترد رأس مالها حين الاختصام النهائى والطلاق. ولمزيد من المعلومات انظر:

Boak, A. E. R., "Alimentary Contract from Tebtunis", JEA, 12, 1926, pp.100-109; Grubbs, J.E., Women and the Law in the Roman Empire, A Sourcebook on Marriage, Divorce, and Widowhood, New York, Routledge, 2002, pp.125; 294; Taubenschlag, R., The law of Greco-Roman Egypt in the light of the Papyri, 332 B.C.-640 A.D., New York, Herald Square Press, 1944, p.332.

(7) P.Tebt. III 776, 5-14.

(8) Ibid., lines15-26.

(9) Ibid., lines 27-37.

(10) P. Brit. Mus.42.

(11) Harris, W.V., Ancient Literacy, Cambridge, Harvard University Press, 1991, p.143.

(12) P. Brit. Mus.42, 8-9.

(13) Ibid., lines 25-26.

(١٤) لقد تباينت آراء الباحثين المحدثين بصدد غياب هيفايستيون عن منزله، فالبعض يرى (Stowers) أنه تلقى رؤيا من الإله سيرابيس ألزمته باللجوء إلى معبده بممفيس لحين تحرره من هذا الالتزام، والبعض الأخر (Bagnal, Cribiore, Erskine, Powell, Muir,) يرى أنه لجأ إلى معبد السيرابيون بحثاً عن العلاج والشفاء أو تجنباً لواجباته تجاه أسرته، أو ربما لأنه كان جندياً واشترك فى حرب البطالمة ضد أنطيوخوس الرابع، وعند عودته إلى منزله توقف عند معبد السيرابيون بممفيس للاحتفال بتسريحه من الجيش. وقد مكث هناك لتحسين وضعه المالى. انظر:

Bagnal, R., Derow, P., Historical Sources in Translation: The Hellenistic Period, Oxford, Blackwell Publishing Ltd, 2004, p.282; Cribiore, R., Gymnastics of the Mind: Greek Education in Hellenistic and Roman Egypt, New Jersey, Princeton University Press, 2001, p.91; Erskine, A., Companion to the Hellenistic World, Oxford, Blackwell Publishing Ltd, 2003, p.71; Muir, J.V., Life and Letters in the Ancient Greek World, New York, Routledge, 2008, p. 49; Powell, U., Barber, E.A., New Chapters in the History of Greek Literature,

2008, p. 49; Powell, U., Barber, E.A., New Chapters in the History of Greek Literature, Oxford, Clarendon Press, 1929, p.139; Stowers, S.K., Letter Writing in Greco-Roman Antiquity, U.S.A., Westminster/John Knox Press, 1986, p.87.

(16) P. Brit. Mus. 42, 18-19.
(17) Ibid., lines 20-21.
(18) Ibid., lines 14-16.
(19) Ibid., line 23.
(20) BGU. IV 1105, petition from Tryphaine against her husband, Alexandria, 10 B.C. P. Oxy. IV 744, letter from Hilarion to his wife Alis, Oxyrhynchus, 1 B.C; P. Oxy. II 281, complaint against a husband, Oxyrhynchus, 20-50 A.D. P. Tebt. II 334, petition to the centurion, Tebtunis, 200\201A.D. P. Oxy. VI 903, accusation against a husband, Oxyrhynchus, 300-399A.D; P. Oxy. LIV 3770, petition to a Syndic, Oxyrhynchus, 26 March 334 A.D; PGM. 40, a women imploring Serapis to avenge her against daughter's father, Memphis, 4th century A.D.
(21) P.Oxy. IV 744.
(22) Ibid., lines 1-8.
(23) Ibid., lines 8-10.
(24) Muir, op.cit. p. 30.
(25) P. Tebt. II 334.
(26) Ibid., lines 5-8.
(27) Ibid., lines 9-13.
(28) P. Oxy. LIV 3770.
(29) Ibid., lines 3-7.
(30) Ibid., lines 8-9.
(31) Ibid., lines 9-10.
(32) Ibid., line 10.
(33) Ibid., lines 10-12.
(34) PGM. 40.
(35) Ibid., lines 1-18.
(36) Ibid., lines 2-3.
(37) BGU. IV 1105.
(38) Ibid., lines 4-6.
(39) Ibid., lines 15-17.
(40) Ibid., lines 17-18.
(41) Ibid., lines 11-14.
(42) Ibid., lines 18-20.
(43) Ibid., lines 20-22.
(44) Ibid., lines 24-40.
(45) P. Oxy. II 281.
(46) Ibid., lines 6-14.
(47) Ibid., lines 15-20.
(48) Ibid., lines 20-23.
(49) Ibid., lines 25-27.
(50) P.Oxy. VI 903.
(51) Ibid., lines 2-7.
(52) Ibid., line 1.

(53) Ibid., lines 15-19.
(54) Ibid., lines 19-20
(55) Ibid., lines 21-22.
(56) Ibid., lines 29-30.
(57) Ibid., lines 38-39.
(58) Ibid., line 7.
(59) P.Oxy. II 282, petition, Oxyrhynchus, 30-35 A.D; P.Oxy. III 528, letter of Serenus, Oxyrhynchus, 2nd century A.D. P. Mich. III 217, letters sent by Paniskos to his wife Ploutogenia, Koptos, Coptite nome, 296-297 A.D; P. Mich. III 218, letter sent by Paniskos to his wife Ploutogenia, probably written by a Christian scribe, Koptos, Coptite nome, 296-297 A.D. SB. III 7247, letter sent by Paniskos to his wife Ploutogenia, requesting her to come to Koptos, Koptos, Coptite nome, 296-297 A.D; SB. III 7252, letter sent by Paniskos to his wife Ploutogenia, Koptos, Coptite nome, September 9, 296 or 297 A.D. P. Lond. IV 1651, petition to a strategus, Hermopolis, 20 Apr. 363 A.D.
(60) P. Oxy. III 528.
(61) Ibid., line 7.
(62) Ibid., lines 8-9.
(63) Ibid., lines 9-11.
(64) P. Mich. III 217.
(65) P. Mich. III 218; SB. III 7247; SB III 7252.
(66) P. Mich. III 217. 8-9.
(67) Ibid., lines 9-11.
(68) Ibid., line 14.
(69) P. Oxy. II 282.
(70) Baikie, J., Egyptian Papyri and Papyrus Hunting, New York, Kessinger Publishing, 2003, p. 292-293.
(71) P.Oxy. II 282. 6-8.
(72) Ibid., lines 9-11.
(73) Ibid., lines 11-13.
(74) Ibid., lines 14-20.
(75) P. Lond. V 1651.
(76) Ibid., lines 7-23.
(77) Ibid., line 10.
(78) P.Oxy. II 237, petition of Dionysia to the praefect, Oxyrhynchus, 186 A.D. P. Tebt. II 420, Aurelius Sarapion's letter to Polion and Diogenes, Tebtunis, 3rd century A.D. SB. XIV 12082, private letter, Karanis, Herakleidou meris, Arsinoite nome, 3rd century A.D.
(79) P.Tebt. II 420.
(80) Ibid., lines 5-6.
(81) Ibid., lines 14-15.
(82) SB. XIV 12082.
(83) Ibid., lines 2-4.
(84) Ibid., lines 4-6.
(85) P. Oxy. II 237.
(86) Ibid., VI, line 17.

(87) Ibid., VI, line 13.
(88) Ibid., VI, lines 17-18
(89) Ibid., VI, lines 19-20.
(90) Ibid., VII, lines 19.-29. " Ἀντωνίου τοῦ Ἀπολλωνίου προσελθόντος λέγοντός τε διὰ Ἰσιδώρου νεωτέρου ῥήτορος Σεμπρώνιον πενθερὸν ἑαυτο[ῦ] ἐκ μη[τ]ρὸς ἀφορμῆς εἰς διαμάχην ἐλθ[όν]τα ἄκουσαν τὴν θυγατέρα ἀπεσπακέναι, νοσησάσης δὲ ἐκείνης ὑπὸ λύπης τὸν ἐπιστράτηγον Βάσσον μεταπαθῶς ἀναστραφ[έν]τα ἀποφαίνεται ὅτι οὐ δεῖ αὐτὸν κωλύεσθαι εἰ συνοικεῖν ἀλλήλοις θέλοιεν, ἀλλὰ μηδὲν ἠνυκέναι· τὸν γὰρ Σεμπρώνιον ἀποσι[ω]πήσαντα τοῦτο καὶ τῷ ἡγεμόνι περὶ βίας ἐντυχόντα ἐπιστολὴν παρακεκομικέναι ἵνα οἱ ἀντίδικοι ἐκπεμφθῶσι· αἰτεῖσθαι οὖν ἐὰν δοκῇ μὴ ἀποζευχθῆναι γυναικὸς οἰκείως πρὸς αὐτὸν ἐχούσης. Δίδυμος ῥήτωρ ἀπεκρίνατο μὴ χωρὶς λόγου τὸν Σεμπρώνιον κεκινῆσθαι· τοῦ γὰρ Ἀντων[ί]ου προσενεγκαμένου θυγατρομιξίας ἐγκαλεῖν, μὴ ἐνέγκαντα τὴν ὕβριν τῇ κατὰ τοὺς νόμους συνκεχωρημένῃ ἐξουσίᾳ κεχρῆσθαι, ἠτιᾶσθαι δ' αὐτὸν καὶ περὶ [. . . . . . .]πες ἐ[νκ]λημάτων. Προβατιανὸς ὑπὲρ Ἀντωνίου προσέθηκεν, ἐὰν ἀπερίλυτος ἦν ὁ γάμος, τὸν πατέρα μήτε τῆς προικὸς μηδὲ τῆς παιδὸς τῆς ἐκδεδομένης ἐξουσίας ἔχειν. Τιτιανός διαφέρει παρὰ τίνι βούλεται εἶναι ἡ γεγαμημένη. ἀνέγνων. σεσημ(είωμαι)."
(91) Ibid., VII, lines 29-38." ἐξ ὑπομ[νηματισ]μῶν Πακωνίου Φήλικος ἐπιστρατήγου. (ἔτους) ιη θεοῦ Ἀδριανοῦ, Φαῶφι ιζ, ἐν τῇ παρὰ ἄνω Σεβεννύτου, ἐπὶ τῶν κατὰ Φλαυήσιος Ἀμμούνιος ἐπὶ παρούσῃ Ταειχῆκει θυγατρὶ αὐτοῦ πρὸς Ἥρωνα Πεταήσιος. Ἰσίδωρος ῥήτωρ ὑπὲρ Φλαυήσιος εἶπεν, τὸν οὖν αἰτιώμενον ἀποσπάσαι βουλόμενον τ[ὴ]ν θυγατέρα αὐτοῦ συνοικοῦσαν τῷ ἀντιδίκῳ δεδικάσθαι ὑπογύως πρὸς αὐτὸν ἐπὶ τοῦ ἐ[πι]στρατήγου καὶ ὑπερτεθεῖσθαι τὴν δίκην ὑμῖν ἵνα ἀναγνωσθῇ ὁ τῶν Αἰγυπτίω[ν νό]μος. Σεουήρου καὶ Ἡλιοδώρου ῥητόρων ἀποκριναμένων Τειτιανὸν τὸν ἡγεμονεύσαντα ὁμοίας ὑποθέσεως ἀκούσαντα [ἐξ] Αἰγυπτιακῶν προσώπων μὴ ἠκολουθηκέναι τῇ τοῦ νόμου ἀπανθρωπίᾳ ἀλλὰ τ[ῇ] ἐπι[νοί]ᾳ τῆς παιδός, εἰ βούλεται παρὰ τ[ῷ ἀνδρὶ] μένειν, Πακώνιος Φῆλιξ ἀναγνωσθήτω ὁ ν[ό]μ[ος. ἀ]ναγνωσθέντος Πακώνιος [Φῆ]λιξ· ἀνάγνωτε καὶ τὸν Τειτιανοῦ ὑπομ[ν]ηματισμόν. Σεουήρου ῥήτορος ἀναγν[όντος], ἐπὶ τοῦ ιβ (ἔτους) Ἀ[δρια]νοῦ Καίσαρος τοῦ κυρίου, Παῦν[ι] η, Πακώνιος Φῆλιξ καθὼς ὁ κράτιστος Τ[ειτ]ιανὸ[ς] ἔκρινεν, πεύσονται τῆς γυναικός καὶ ἐκέλευ[σε]ν δι' [ἑρ]μηνέως αὐτὴν ἐλεγχθῆναι, τί βούλεται εἰπούσης, παρὰ τῷ ἀνδρὶ μένειν, Π[α]κώνιος Φῆλιξ ἐκέλευσεν ὑπομνηματι[σ]θῆναι. ἐξ ὑπομνηματισμῶν Οὐμβρί[ου] δικαιοδότου. (ἔτους) ς Δομιτιανοῦ, Φαμεν[ὼθ .]. Διδύμη ἧς ἔκδικος ὁ ἀνὴρ Ἀπολλώνιος πρὸς Σαβεῖνον τὸν καὶ Κάσιον, ἐκ τῶν ῥηθέντωνν· Σαραπίων μετ' ἄλλα τὰ πρόσωπα."
(92) Ibid., VII, line 39-VIII, line 2."ἐξ ὑπομνηματισμῶν Οὐμβρί[ου] δικαιοδότου. (ἔτους) ς Δομιτιανοῦ, Φαμεν[ὼθ]. Διδύμη ἧς ἔκδικος ὁ ἀνὴρ Ἀπολλώνιος πρὸς Σαβεῖνον τὸν καὶ Κάσιον, ἐκ τῶν ῥηθέντωνν Σαραπίων μετ' ἄλλα τὰ πρόσωπα Αἰγ[ύ]πτια ὄντα παρ' οἷς ἄκρατός ἐστιν ἡ τῶν ν[ό]μων ἀποτομ[ί]α· διοριζόμενος γάρ σοι λέγω [ὅ]τι Αἰγ[ύ]πτιοι οὐ μόνον τοῦ ἀφελέσθαι τὰς [θυγατ]έρ[ας ὧ]ν ἔδωκαν ἐξουσίαν, ἔχουσιν δὲ καὶ ὧν ἐὰν καὶ ἴδια κτήσωνται μεθ' ἕτερα Ο[ὔ]μβρι[ο]ς Σαβείνῳ εἰ ἔφθακας ἅπαξ προῖκα δ[οὺς τῇ θυγ]ατρί σου,

ἀποκατάστησον. Σαβεῖνο[ς τ]οῦτον μα. . . . . αἰτοῦμαι. Οὔμβριος τῇ θυγατρ[ὶ] δή. Σαβεῖνος τούτῳ τῷ ἀνδρὶ οὐθὲν [προσ]ήκ[ει] συνεῖναι."

(93) P.Oxy. VI 898, petition to Hermodoros, basilikogrammateus and acting strategos, from Didymos, a minor, complaining of fraud on the part of his mother, Oxyrhynchus, 123A.D. SB. III 7253, letter sent by Ploutogenia to her mother Heliodora, Philadelphia, Arsinoite nome, 296-297 A.D; SB. XVI 12326, letter sent by Heliodora to her mother Isidora, Oxyrhynchus, Late 3rd century A.D.

(94) P.Oxy. VI 898.

(95) Ibid., lines 26-30.

(96) Ibid., lines 33-35.

(97) Ibid., lines 31-33.

(98) Ibid., lines 20-21.

(99) Ibid., lines 22-24.

(100) Ibid., lines 24-26.

(101) Ibid., line 7.

(102) Ibid., lines 35-41.

(103) SB. XVI 12326.

(104) Ibid., lines. 4-5.

(105) SB. III 7253.

(106) Ibid., lines 5-6

(107) Ibid., lines 6-7.

(108) P. Enteux. 25, petition from Paappos to the king, Arsinoites, 21 Nov. 222 B.C; P. Enteux. 26, petition to the king, Arsinoites, 27 Feb. 221 B.C.

(109) P. Enteux. 25.

(110) Ibid. lines 1-2.

(111) Ibid. lines 3-5.

(112) Ibid. lines 6-7.

(113) Ibid. lines 7-9.

(114) Melaerts, H., Mooren, L., (eds.), Le rôle et le statut de la femme en Égypte hellénistique, romaine et Byzantine, Actes du colloque international, Bruxelles - Leuven 27-29 novembre 1997, p.293.

(115) P.Enteux. 25. 12-13.

(116) Ibid. lines 15-20.

(117) P.Enteux. 26.

(118) Ibid. lines 2-5.

(119) Ibid. lines 5-10.

(120) Ibid. lines 10-15.

(121) O.Berenike. II 129, letter of Hikane to Isidorus, Berenike, 50 – 75 A.D. BGU. II 530, letter from father to his son, Arsinoites, first century A.D. P. Flor. I 99, public notice, Hermopolis, I/II A.D. SB. VI 9377, Tebtunis, 13 Jun.138 A.D. BGU. III 846, letter from Antonius Longus to Nilous his mother, Arsinoites, 2nd century A.D. SB. XVI 12326, letter sent by Heliodora to her mother Isidora, unknown place, perhaps Oxyrhynchite nome, or Philadelphia, Herakleidou meris, Arsinoite nome, 3rd century A.D.

(122) O.Berenike. II 129.

(123) Ibid., lines 2-5.

(124) BGU. II 530.
(125) Ibid., lines 1-15.
(126) P. Flor. I 99.
(127) Ibid., lines 4-11.
(128) SB. VI 9377.
(129) Ibid., lines 10-15.
(130) BGU. III 846.
(131) Deissmann, A., Light from the Ancient East or the New Testament Illustrated by Recently Discovered Texts of the Graeco Roman World, Trans. By Strachan, L.R.M., London, Hodder and Stoughton Publishers, 1927, pp.189-190.
(132) BGU. III 846, 5-10.
(133) SB. XVI 12326.
(134) Ibid., lines 7-8.

قائمة المراجع والمصادر

أولاً: المصادر:

-BGU. = Aegyptische Urkunden aus den Königlichen (later Staatlichen) Museen zu Berlin, Griechische Urkunden.

-O. Berenike. = Ostraca from Bernike.

-P. Brit. Mus. = Catalogue of the Demotic Papyri in the British Museum.

-P. Enteux. = ENTEYΞΕΙΣ: Requêtes et plaintes adressées au Roi d'Égypte au IIIe siècle avant J.-C., ed. O. Guéraud.

-P. Flor. = Papiri greco-egizii pubblicati dalla R. Accademia dei Lincei: Papiri Fiorentini, ed. D. Comparetti and G. Vitelli.

-P. Lond. = Greek Papyri in the British Museum.

-P. Mich. = Michigan Papyri.

-P. Oxy. = The Oxyrhynchus Papyri.

-P.Tebt. = The Tebtunis Papyri.

-PGM. = Papyri Graecae Magicae, Die Griechischen Zaubberpapyri.

-SB. = Sammelbuch griechischer Urkunden aus Aegypten.

ثانياً: الدوريات العلمية:

-G&R. = Greece and Rome.

-JEA. = The Journal of Egyptian Archaeology.

قائمة المصادر:

-Aegyptische Urkunden aus den Königlichen (later Staatlichen) Museen zu Berlin, Griechische Urkunden, Berlin, 1895-1937.

-Catalogue of the Demotic Papyri in the British Museum, London, 1932.

-ENTEYΞΕΙΣ: Requêtes et plaintes adressées au Roi d'Égypte au IIIe siècle avant J.-C., ed. O. Guéraud, Cairo 1931-32.

-Greek Papyri in the British Museum, London. 1922.

-Michigan Papyri. A. Boak, H. C.Youtie, the Archive of Aurelius Isidorus, Ann Arbor, 1960.

-Ostraca from Berenike, I, Greek Ostraca from the 1996-1998, ed. Bagnall, R.S., Helms, C., And Verhoogt, A.M.F.W., Brussels, 2000; II Text from 1999-2001, seasons, ed. Bagnall, R.S., Helms, C., And Verhoogt, A.M.F.W., Brussels, 2005.

-Sammelbuch griechischer Urkunden aus Aegypten. (A collection of documentary papyri, ostraca, inscriptions, mummy tablets and related texts published by Preisigke, F. in 1915, continued by Bilabel, F. Kiessling, E. Rupprecht, H. A.), in progress.

-Papiri greco-egizii pubblicati dalla R. Accademia dei Lincei: Papiri Fiorentini, ed. D. Comparetti and G. Vitelli, 3 vols, Milan, 1906-15.

-Papyri Graecae Magicae, Die Griechischen Zaubberpapyri, ed. Diehel, E., Eitrem, S., Jacoby, A., Berlin, 1931.

-The Oxyrhynchus Papyri, P. Grenfell, A. S. Hunt and others, London, 1898-1962.

-The Tebtunis Papyri, B. P. Grenfell and others, London, 1902-1938.

قائمة المراجع والدوريات الأجنبية:

-Bagnal, R., Derow, P., Historical Sources in Translation: The Hellenistic Period, Oxford, Blackwell Publishing Ltd, 2004.

-Baikie, J., Egyptian Papyri and Papyrus Hunting, New York, Kessinger Publishing, 2003.

-Boak, A. E. R., "Alimentary Contract from Tebtunis", JEA, XII, 1926, pp.100-109.

-Cohen, D., "Hybris and Dishonor II", G&R, 26, 1979, pp. 32-47.

-Cribiore, R., Gymnastics of the Mind: Greek Education in Hellenistic and Roman Egypt, New Jersey, Princeton University Press, 2001.

-Deissmann, A., Light from the Ancient East or the New Testament Illustrated by Recently Discovered Texts of the Graeco Roman World, Trans., By Strachan, L.R.M., London, Hodder and Stoughton Publishers,

1927.

-Erskine, A., Companion to the. Hellenistic World, Oxford, Blackwell Publishing Ltd, 2003.

-Fisher, N., "Hybris and Dishonor I", G&R, 23, 1976, pp. 177-193.

-Gagarin, M., 'The Athenian Law against Hybris', in Bowersock, G.W., Burket, W., and Putnam, M.C.J., (eds.), Arktouros: Hellenic Studies presented to Bernard Knox, Berlin, 1979, pp. 229–236.

-Grubbs, J.E., Women and the Law in the Roman Empire, A Sourcebook on Marriage, Divorce, and Widowhood, New York, Routledge, 2002.

-Harris, W.V., Ancient Literacy, Cambridge, Harvard University Press, 1991.

-MacDowell, D., "Hybris in Athens", G&R, 23, 1976, pp.14-31.

-Melaerts, H., Mooren, L., (eds.), Le rôle et le statut de la femme en Égypte hellénistique, romaine et Byzantine, Actes du colloque international, Bruxelles - Leuven 27-29 novembre 1997, p.293.

-Muir, J.V., Life and Letters in the Ancient Greek World, New York, Routledge, 2008.

-Powell, U., Barber, E.A., New Chapters in the History of Greek Literature, Oxford, Clarendon Press, 1929.

-Stowers, S.K., Letter Writing in Greco-Roman Antiquity, U.S.A., Westminster/John Knox Press, 1986.

-Taubenschlag, R., The law of Greco-Roman Egypt in the light of the Papyri, 332 B.C.-640 A.D., New York, Herald Square Press, 1944.

-Tetlow, E.M., Women, Crime, and Punishment in Ancient Law and Society, vol.2, Ancient Greece, New York, 2005.

صِناعَة الحَلوى في مِصر في العَصر الفاطِمي

د/ محمد أحمد أحمد إبراهيم

كلية الآداب – جامعة بنى سويف

لم تشهد مصر تقدماً وازدهاراً في صناعة الحلوى وانتشارها كما شهدته في عصر الدولة الفاطمية، إذ كانت هناك عوامل عدة وراء هذا التقدم والازدهار، بعضها يتعلق بتقدم صناعة السكر، وبعضها يتعلق بطبيعة العصر الفاطمي؛ إذ استخدم الفاطميون هذا اللون من الطعام في الدعاية السياسية والدينية لدولتهم في ظل كثرة احتفالاتهم بالأعياد والموالد والمواكب التي كانت الحلوى وتوزيعها من المراسم الثابتة والمقررة فيها .

ولما كان السكر وصناعته من العوامل المؤثرة في تقدم وازدهار صناعة الحلوى، لذا فإن هذا البحث سيتناول السكر وتطور صناعته في العصر الفاطمي، وخصوصية الحلوى في المجتمع المصري، ومدى العناية والاهتمام الذي أولته الدولة لهذا اللون من الطعام من صناعة ورقابة، وربطه بالأعياد والاحتفالات والمواكب، وكذلك أشهر أنواع الحلوى، وابتكارات الفاطميين لبعض أنواعها وبخاصة عروسة المولد .

صناعة السُكر في مصر

اشتهرت بلاد الهند وفارس بزراعة قصب السكر[(١)]، وعرفه العرب بعد فتوحاتهم لهذه البلاد، أما عن انتشار زراعة القصب في مصر، فقد زرعه قرة بن شَريك والي مصر في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٩٠-٩٦هـ/٧٠٩-٧١٥م) في بركة الحبش بعد أن استصلحها[(٢)]، كذلك تشير أوراق البردي العربية إلى انتشار زراعته في عهدي الطولونيين والإخشيديين، وقد جادت

زراعته في عهدهم بأرض الصعيد(٣)، ومع بداية القرن الرابع الهجري توسع المصريون في زراعة قصب السكر وخصوصا في العصر الفاطمي، إذ يذكر الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذي زار مصر عام ٤٤٠هـ/١٠٤٨م أن مصر:"تنتج عسلاً وسكراً كثيراً"(٤) فى إشارة إلى انتشار قصب السكر .

كذلك يشير المستشرق كرامرز **Kramers** إلى ازدهار زراعة قصب السكر في أواسط وأواخر العصر الفاطمي أثناء حكم الوزير الأفضل بن بدر الجمالي (٤٨٧-٥١٥هـ/١٠٩٤-١١٢١م)(٥)، حيث انتشرت زراعته وراجت في العديد من البلدان المصرية، وكان يزرع أيضًا بالفيوم في مساحات واسعة بلغت ما يقرب من ١٧ ألف فدان طبقا لإحصاء النابلسي (ت٦٤٢هـ/١٢٤٤م)(٦)، أما في الصعيد فكان يزرع في أسيوط وقفط وسمهود ونقادة والمراغة والواحات(٧).

وقد أدى انتشار زراعة القصب إلى وجود المعاصر والمطابخ والمسابك التي تخصصت في إنتاج السكر، فيذكر الإدفوى : "أن بمدينة البلينا عدة مسابك للسكر، كما كان بقفط أربعون مسبكاً للسكر، وكانت بسمهود المعاصر الكثيرة لقصب السكر، فكان بها سبعة عشر حجرا"(٨).

ويذكر ياقوت الحموى عن أسيوط : "وبها سائر أنواع السكر، ومنها يحمل إلى سائرالدنيا"(٩)، كذلك يضيف عن البلاد التي عرفت بصناعة السكر سميسطا، وكانت تقع بالقرب من البهنسا والأشمونيين(١٠).

كما كانت الفسطاط على رأس المُدن التي تصنع السكر، فيذكر المقريزي عنها أنها " انفردت بها دون القاهرة لوجود فندق القصب، وهو الذي يباع فيه القصب، كما كثرت بها المطابخ السلطانية والأهلية من مطابخ السكر العامرة، حيث كان بها ستة وستون مطبخا"(١١)، كذلك يشير ابن دقماق إلى دار القند(١٢): "دار القند بمدينة الفسطاط، حيث كان يتجمَّع فيها القند القادم لها من الصعيد ومن شتى أنحاء البلاد"(١٣).

ومن الجدير بالذكر أن اهتمام الدولة الفاطمية بتوفير السكر، جعلها تحتكر معاصر ومطابخ السكر في الفسطاط وغيرها من المدن، فكانت لديها المعاصر

والمطابخ السلطانية، وكان عددها حوالي ستة وستين مطبخا في الفسطاط[١٤]، إضافة إلى فرض بعض الرسوم والضرائب على المعاصر والمطابخ الأهلية التي كان يمتلكها الأفراد وبخاصة اليهود، إذ يشير ابن دقماق إلى اشتراك اليهود في صناعة السكر، ووجود ثلاثة مطابخ للسكر يمتلكها ثلاثة من اليهود يديرونها ويسكنون بعيداً عنها[١٥].

ونظراً لاشتداد الطلب على السكر في العصر الفاطمى، ووجود عدد كبير من المطابخ والمسابك، فقد أنتجت مصر أنواعاً عديدة من السكر تبعاً لدرجة التكرير في كل مرة، فكان أجود السكر ما كان يسمى "بالمقطر" أو "الطبرزد"[١٦]، و هو سكر شديد البياض والصلابة، أما أقل الأنواع جودة فكان يسمى "بعسل الخابية" أو "القند"، وهو السكر المتخذ من القطع التي كانت تُفْصَل من القصب بعد تنظيفه، وعرف "بالسكر الأحمر"، وفضلاً عن ذلك كانت توجد هناك قوالب السكر الهرمية المعروفة بالأباليج (جمع أبلوجة)، والتي اشترك الصبية في صناعتها، حيث كانوا يقومون بصب السكر في هذه القوالب الهرمية، ومن ثَـمَّ أُطلق عليهم "غلمان الأباليج"[١٧]، وقد استمرت صناعة هذا الشكل الهرمي للسكر إلى الوقت الحاضر، وخصوصا في مدن الصعيد.

ولاشك فى أن كثرة مصانع السكر، وتعدد أنواعه كان سبباً في ازدهار صناعة الحلوى وانتشارها، خصوصا مع إبداع الطباخين في تشكيل الحلوى حسب ما يهوون ويتقربون به إلى الخليفة والولاة، فضلا عن إدخال الفاطميين لبعض العادات التي كان أهمها تقديم أنواع الحلوى خلال الاحتفال بالأعياد والمواسم المختلفة، والتي كان يدعى إليها عدد كبير من الناس.

الفاطميون وازدهار صناعة الحلوى :

أبدى الفاطميون اهتماماً بصناعة الحلوى لتوزيعها في الأعياد والاحتفالات والمناسبات علي أرباب الوظائف في الدولة، وتزيين موائدهم بها، إذ كانت الحلوى جزءًا مهمًا من موائدهم وأطعمتهم.

ويرجع اهتمام الفاطميين بالحلوى على وجه الخصوص إلى تفهمهم لنفسية

الشعب المصري الذي فُتن بالسمر والمرح، فضلاً عن أن الحلوى في أي مجتمع كانت تمثل نوعاً من الرفاهية والترف الذي يدخل على النفس السرور والبهجة، ولا يستطيع الفرد العادي أن يشتريها دوماً، إذ إن البعض كانوا يستغنون عنها بالفاكهة لانتشارها ورخص ثمنها بالمقارنة بالحلوى المصنَّعة، إضافة إلى ذلك فقد كانت الحلوى هي الشيء المكمل دائما للطعام الأساسي الذي حرص الفاطميون أيضا على توزيعه في المناسبات والأعياد ليكتمل مظهر البر والإحسان.

وعلى الجانب الآخر كانت رغبة الفاطميين في تثبيت شخصيتهم وإبرازها سبباً لتفننهم في طبع بلاطهم في القاهرة بطابع الترف البالغ من خلال توزيع أصناف عديدة من الحلوى في الأعياد والمناسبات، وعمل الأسمطة في شهر رمضان(١٨)، من ناحية أخرى كان حرص الفاطميين على إشباع المصريين إشباعاً دينياً عن طريق الاحتفال بالأعياد الدينية السنية والشيعية على السواء سبباً لاستخدامهم للحلوى في هذه الأعياد، أولا لجذبهم للمذهب الشيعي، وثانيا لجعلهم منشغلين عن محاسبة الحكام.

وقد كان من مظاهر اهتمام الفاطميين بصناعة الحلوى أن بنى العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) ثاني خلفاء الفاطميين في مصر داراً أطلق عليها دار الفطرة لصنع الحلوى في عيد الفطر(١٩)، إذ ذكر ابن الطوير والمقريزي أن دار الفطرة كانت خارج القصر قبالة باب الديلم الذي يُدخَل منه إلى مشهد الحسين وإلى القصر، ويحدد موقعها اليوم بمجموعة من المباني الواقعة بين شارع الباب الأخضر وشارع أم الغلام بالجمالية(٢٠).

ويعتقد أن هذه التسمية التي التصقت بها أُطلقت على هذه الدار لتقديمها نوعاً من الحلوى كان يصنع من الدقيق والفستق واللوز والجوز والبندق والتمر والزبيب والعسل يسمى الفطرة(٢١)، أو لأنها كانت توزع بها هذه الحلوى لكي يفطر الناس بها عقب صوم رمضان وبداية أيام العيد، وكان مقدار ما ينفق على صناعة الحلوى بدار الفطرة كل عام يتراوح ما بين سبعة إلى عشرة آلاف دينار(٢٢).

كذلك سار خلفاء الفاطميين على نهج العزيز بالله في الاهتمام بدار الفطرة، وتوفير ما تحتاجه من المواد اللازمة لصناعة الحلوى لأرباب الوظائف في الدولة،

وأيضا للعامة من الشعب في العديد من المناسبات والأعياد، فيذكر كل من ابن عبد الظاهر وابن الطوير والمقريزي عن كميات المواد اللازمة لصنع الحلوى بدار الفطرة: "ويكون مبدأ الاستعمال فيها تحصيل جميع أصنافها من السكر والعسل والقلوب والزعفران والطيب والدقيق .... فكان يجهز لها ألف حملة من الدقيق، وأربعمائة قنطار سكرا، وستة قناطير فستقاً وأربعمائة إردب زبيباً، وخمسة عشر قنطاراً عسلاً ، وثلاثة قناطير خلاً، وإردبين سمسما، وإردبين أنيسوناً، وخمسين رطلاً ماء ورد، وخمس نوافج مسك، وكافور قديم عشرة مثاقيل ، وزعفران مطحون مائة وخمسون درهماً، وشيرج مائتا قنطار، وحطب ألف ومائتا حملة، وزيت طيب برسم الوقيد ثلاثين قنطارا"(٢٣).

وكانت دار الفطرة تنتج خلال تسعة وثمانين يوماً تبدأ من مستهل شهر رجب وتنتهي بنهاية شهر رمضان مائة وثمانية وسبعين رطلاً (١٧٨) من الحلوى، لكل ليلة رطلين، وكان ذلك يسمى بالتعبئة؛ لأنه كان يفرق في أوان لا تستعاد(٢٤)، وكان الخليفة الفاطمي يحضر إلى دار الفطرة بنفسه بصحبة الوزير لمشاهدة ما صنع من الحلوى قبل توزيعها(٢٥).

وكانت دار الفطرة تُخرج العديد من أنواع الحلوى لتُوزَّع على أرباب الدولة من الكبار والصغار في صوانٍ يختلف حجمها حسب مكانة المُهْدى إليه، فيذكر القلقشندي:" فتفرق الحلوى من ربع قنطار إلى عشرة أرطال إلى رطل واحد"(٢٦)، وكان يقوم بمهمة التفرقة رجال متخصِّصُون وهم يرتدون أفخر الثياب(٢٧).

وكان الفاطميون يحرصون على اقتناء الصناع المهرة في فن الطبيخ وصناعة الحلوى، فيذكر المقريزي:" كان بمصر جوار طباخات أصل تعليمهن من قصور الخلفاء، لهن في الطبخ صناعة عجيبة ورياسة متقدمة"(٢٨)، كذلك يذكر ابن العديم أن نصر الدولة أحمد بن مروان صاحب ديار بكر (ت٤٥٣هـ/١٠٦١م) -وكان أميراً متهالكاً على اللذة – قضى أيامه ولياليه جاداً في طلب أطايب الحياة من مأكل ومشرب ومجلس أنس، وعندما رغب في أن يبلغ طُهاته مستوى رفيعاً في إجادة فن الطباخة وصناعتها لم يرسل بهم إلى بغداد لإتقان هذه الصناعة مع كونها أقرب إلى بلاده، بل أرسل طبَّاخيه إلى مصر ليتعلموا أنواع الأطعمة(٢٩).

كما كان يعمل بدار الفطرة – أيضاً – العديد من المهرة في صناعة الحلوى، علي رأسهم مقدم للحلاويين ومقدم للخشكنانيين[٣٠]، إضافة إلى عدد كبير من الفراشين برسم تفرقة الحلوى على أصحاب الرسوم خارجاً عما هو مرتب فيها أيضا من فراشين وعمال للمخازن التي تخزن بها الحلوى. وقد تفاوتت أجور ومرتبات عمال دار الفطرة تبعاً لمكانة العامل، وأهمية عمله، ووفقاً لابن عبد الظاهر كان أجر الصناع ثلاثمائة دينار، وأجر الحُماة مائة وعشرون ديناراً، وأجر المباشرين والعمال مائة وثمانون ديناراً"[٣١]

احتفالات الفاطميين وتوزيع الحلوى :

يرى المؤرخون أن عناية الفاطميين بالاحتفال بالأعياد والمناسبات بلغت حداً لم تبلغه أية دولة من قبل[٣٢]، إذ شملت الأعياد الإسلامية والقبطية وأعياداً أخرى أدخلها الفاطميون إلى مصر تأكيدا لعقيدتهم الشيعية، كمولد علي بن أبي طالب والحسن والحسين والسيدة فاطمة الزهراء، ويوم عاشوراء ويوم غدير خُم، ومولد الخليفة القائم (الحاضر).

ولا شك فى أن تنوع هذه الأعياد والاحتفالات وتعددها كان له أثر كبير في ازدهار صناعة الحلوى، إذ حرص الفاطميون على اقتران هذه الأعياد والاحتفالات بتوزيع أنواع من الحلوى فيها على الخاصة والعامة[٣٣]، ويذكر ابن العديم أن الحلوى التي كانت تصنع وتوزع في الأعياد نوعان:" رطبة ويابسة، وجميعها تصنع بالإيوان برسم الخاص، وبلغ مقدار ما يصنع منها كل يوم إثنى عشر جاماً[٣٤]، نصفها يابسة، والأخرى رطبة، وكان وزن كل جام من الرطب عشرة أرطال، ومن اليابسة ثمانية أرطال"[٣٥].

أما عن أهم الأعياد والمناسبات التي كانت توزع فيها الحلوى، كما يذكر المقريزي وابن العديم أن رأس السنة الهجرية كان أولها:" وكان للخلفاء إعتناء بليلة أول محرم من كل عام؛ لأنها أولى ليالي السنة الهجرية، فكانت تفرق على جميع أرباب الرتب وأصحاب الدواوين من العوالي والأدوان وأرباب السيوف والأقلام جفان الأرز المطبوخ مع السكر واللبن، وأنواع الحلواء، فيعم ذلك سائر الناس"[٣٦].

وعن الاحتفال بليالي الوقود الأربعة (أول رجب ونصفه وأول شعبان ونصفه) يذكر المقريزي أيضا:" وفي حالة حضور الخليفة بنفسه للاحتفال بهذه الليالي إلى الجامع الأزهر، كانت الحلوى وصنوف الطعام توضع في أروقة المساجد وتترك للعامة والفقراء يأخذون منها ما شاءوا .... و كان كبار رجال الدولة ينتهزون هذه الفرصة في التوسعة على الفقراء والمحتاجين، فيقومون بتوزيع الحلوى والقطائف المحشوة باللوز والسكر والكافور في جوامع مصر والقاهرة ومساجدها، وعلى أهل الجبل والقرافة"[٣٧].

أما عن شهر رمضان فيذكر المقريزي: "وجرت عادة الفاطميين على أن يُرسَل إلى جميع الأمراء وأرباب الرتب والخدم وأسرهم أطباقاً من الحلواء في وسط كل منها صُرَّة من الذهب في أول يوم من شهر رمضان والذي يقال له غُرَّة رمضان"[٣٨]، أما خلال شهر رمضان فكان الفاطميون يقيمون الموائد الفخمة المسماة بالأسمطة (مفردها سماط)[٣٩]، و تملأ بالأطعمة وأطباق الحلوى إذ يذكر الرحالة ناصر خسرو:" كانت تُنصَب الأسمطة في شهر رمضان، وفي الأعياد والمواسم المختلفة، ويدعي إليها عدد كبير من الناس، وتقدم لهم أنواع الحلوى، وقيل إن ما ينفق على مائدة الخليفة خمسون ألف من[٤٠]"[٤١].

ويكمل المقريزي: "وخلال ذلك يطوف الفراشون بأطباق الحلواء والقطائف وأكواب الماء المعطر بماء الزهر أو الورود، ويستمر ذلك حتى وقت السحور حيث تبدأ موائد السحور التي تنتهي هي الأخرى بتوزيع الحلوى والقطائف على الحاضرين"[٤٢] أما عيدا الفطر والأضحى فكانا من أهم المناسبات الدينية التي اعتنى بها الفاطميون واحتفلوا بها احتفالاً رائعاً، حيث كانت تنصب الأسمطة الفخمة، وتكثر عليها أصناف الطعام والحلوى، كذلك امتازت أسمطة العيدين بوجود تماثيل صنعت من السكر بعضها يمثل الأشجار بكل غصونها وأوراقها وثمارها، فيذكر المقريزي:" وكانت تصنع في دار الفطرة قصور السكر الفخمة التي تَزنْ الواحدة منها سبعة عشر قنطاراً، ويحملها العتالون ليزينوا بها سماط عيد الفطر، وكانت تلك القصور تُدْهَن بالذهب وفيها شخوص بارزة كأنها مسبوكة في قوالب، وكان السماط يُزيَّن أيضاً بأطباق من تماثيل السكر على أشكال مختلفة، وكانت تباح

كل هذه الأصناف للحاضرين، وتوزع منها كميات وفيرة على أهل القاهرة والفسطاط"[٤٣] . كذلك امتلأت الأسمطة الباطنة التي يحضرها الخليفة بنفسه في عيد الفطر بألوان من الحلوى والفطائر حيث كان يمد في الإيوان ما مقداره ثلثمائة ذراع في عرض سبعة أذرع من الخُشكنان والفانيد والبسند، إضافة إلى قصْرين من الحلوى عليهما صور الحيوانات المختلفة، يحملان إلى القاعة، فيوضعان في طرفي السماط[٤٤]. أما عن سماط عيد الأضحى فكان يمتد لمدة ثلاثة أيام حيث تقدم عليه الأطعمة وقصور الحلوى، ويبقي السماط ممدوداً إلى قرب صلاة الظهر حتى يستهلك جميع ما عليه أكلاً وحملاً وتفرقة على أرباب الرسوم[٤٥].

أما الاحتفال بالمولد النبوي الشريف فكان له استعداد خاص في دار الفطرة، كما كان مجالاً لإبداع وتفنُّن الحلوانيين في صنع ألوان وأشكال من تماثيل الحلوى لإدخال السرور والبهجة في عيون وقلوب الكبار والصغار، وهي السمة التي ظلت مرتبطة بهذا الاحتفال حتى اليوم .

يذكر المقريزي:" إذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الأول بدأت الاستعدادات للاحتفال بالمولد النبوي، فيعمل في دار الفطرة مقادير كبيرة من السكر اليابس حلواء يابسة، وتُعبَّى في الصوانى، ثم تفرق علي أرباب الرسوم وأرباب الرتب، فأول أرباب الرسوم قاضي القضاة، ثم داعي الدعاة، ويدخل في ذلك القرَّاء في الحضرة والخطباء والمتصدرون بالجوامع في القاهرة والمشاهد، وفي الاحتفال بهذا العيد عام ٥١٦هـ عملت أربعون صينية خشكنانن وحلوى وكعك، وأطلق برسم المشاهد المحتوية على الضرائح الشريفة لكل مشهد سكر وعسل ولوز ودقيق، وصدرالأمر بأن يعمل خمسمائة رطل حلوى، وتفرق على المتصدرين والقراء والفقراء، وفي عام ٥١٧هـ وزّع على المساكين بالجامعين الأزهر والعتيق بالقرافة خمسة قناطير من الحلوى، كما حمل من دار الفطرة إلى الأعيان والمستخدمين مقادير معلومة"[٤٦].

أما عن ظاهرة عروسة المولد فلعل ظهورها كان امتداداً لظاهرة وجود القصور والتماثيل المصنوعة من الحلوى على الأسمطة، إذ يذكر المسبحي:" وفي العيد حمل السماط على الرسم، التماثيل والتزايين والقصُور من السكر، وشق به

البلد، وكان عدد قطعه مائة واثنتين وخمسين قطعة من التماثيل ومن القصور الكبار سبعة قصور، وشق به البلد، واجتمع الناس لرؤيته"[٤٧].

ومن خلال هذا النص يتضح أن ظاهرة صنع التماثيل ارتبطت أولاً بإقامة الأسمطة لتزيينها، ثم تطورت بتخصيص تمثال العروسة في احتفال المولد النبوي، وهناك بعض الآراء والتحليلات حول العروسة وارتباطها بالمولد النبوي، إذ يعلق عبد الغني النبوي الشال على ذلك قائلا:" وقد تكون فكرة العروسة لمناسبة المولد هي نفس الأسطورة المرتبطة بعروس النيل، فالعروستان متصلتان بمولدين، مولد النيل والفيضان، ومولد الرسول"[٤٨]، ثم يضيف أيضاً:" ويحتمل أن الحاكم بأمر الله، وكان غريب الأطوار، وقد حرم على الأهالي عمل الأفراح وإقامة الزينات إلا في مناسبة مولد النبي، لذلك كان الناس يعقدون على العروسين، ويجهزون (الجهاز) حتى قدوم المولد النبوي فيتاح لهم عمل حفل الزفاف، وقبل مجئ المولد النبوي، كان يتفنَّن أهل العروسين في عمل الحلوى وتشكيلها على هيئة عروسة تُزف، وذلك تيمناً بالزواج المرتقب، لذلك نجد بين الفلاحين وبين أولاد البلد في الأحياء الشعبية من يشتري ويهدي للعروس عروسة حلوى كبيرة الحجم بحيث يحافظ عليها سليمة إلى أن تزف العروس ليلة الزفاف"[٤٩].

وعلى الرغم من وجاهة ومنطقية الآراء والتحليلات السابقة، إلا أننا يمكن أن نستنتج رأياً آخر وهو أن الدولة الفاطمية كانت في تسميتها تنسب إلى السيدة فاطمة الزهراء ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي زوجة علي بن ابي طالب في الوقت نفسه، فخروج تمثال على هيئة العروسة – يحتمل – يرمز إلى ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم، خصوصا مع ما عرف عن الرسول من حبه الشديد للسيدة فاطمة، وهو في نفس الوقت يعبر ويؤكد على انتساب الفاطميين إلى آل البيت، يؤيد ذلك أن السمات الخاصة بشكل العروسة بمروحتها الخلفية فيها إشارة لمظلة أو شمسية الخليفة أثناء موكبه، كما كانت الزخارف الموضوعة حول رأس العروس ترمز أيضاً لتاج الخليفة، ويعضد الاستنتاج السابق ما ارتبط بتمثال العروسة من وجود تمثال آخر يمثل فارساً على حصان من الحلوى إشارة إلى شخصية الخليفة[٥٠].

على أية حال أصبحت ظاهرة التماثيل المصنوعة من الحلوى من الأمور المرتبطة باحتفال المولد النبوي، بل تطورت بعد ذلك لتضاف إليها تماثيل على هيئة السباع والأفيال والقطط، وكانت هذه التماثيل تسمى بالعَلاليق؛ لأنها كان تعلق على أبواب دكاكين صناع الحلوى، وترفع بخيوط، وكان منها ما يزن عشرة أرطال إلى ربع رطل[٥١].

وعلى الرغم من حرص الفاطميين على توزيع جميع أنواع الحلوى في احتفال المولد النبوي على أرباب الرسوم وكبار الموظفين، إلا أنهم حرصوا على عدم إرسال هذه التماثيل إلى قاضي القضاة، إذ يذكر ابن العديم:"ويحمل إلى قاضي القضاة والشهود شدة من الطعام الخاص من غير تماثيل توقيراً للشرع"[٥٢].

ومن الطريف أن يلتفت بعض الشعراء إلى ظاهرة صنع التماثيل من الحلوى فيعبرون عنها في أشعارهم، فإبراهيم المعمار المعروف بابن غلام النوري يقول في تمثال من الحلوى:

قد صوَّرُوا الفيل الكبير	حَلاوة وله طلاوة
ما قولكم في معشر	الفيلُ عندهم حَلاوة[٥٣]

وكانت الحلوى ضمن الأطعمة التي تقدم في الاحتفال بفتح الخليج ووفاء النيل، إذ يذكر أبو المحاسن والمقريزي:" كان في ركوب يوم فتح الخليج تنصب موائد وتوضع عليها تماثيل مختلفة في أعداد وافرة على شكل الحيوانات كالغزلان والسباع والفيلة والزرافات"[٥٤]، كذلك كان من رسوم الدولة الفاطمية في الاحتفال بعيد يوم غدير خُم[٥٥] أن توزع أنواع من الحلوى، فيذكر المقريزي: "وفي الاحتفال بهذا العيد عام ٥١٦هـ عملت أربعون صينية خشكنانن وحلوى وكعك، وأطلق برسم المشاهد المحتوية على الضرائح الشريفة لكل مشهد سكر وعسل ولوز ودقيق، وصدر الأمر بأن يعمل خمسمائة رطل حلوى تفرق على المتصدرين والقراء والفقراء"[٥٦].

ولم يقتصر احتفال الفاطميين على الأعياد الإسلامية، بل امتد لمشاركة غير المسلمين - من يهود ونصارى - في الاحتفال بأعيادهم، وتوزيع الحلوى بها،

فيذكر المقريزي عن احتفال الأقباط بعيد الغطاس:" ويتم الاحتفال به في الحادي عشر من شهر طوبة، وقد حرص الفاطميون على إهدائهم البوري والقصب والحلوى والزهور"(٥٧)، كذلك اهتم الفاطميون بعيد ميلاد السيد المسيح إذ يذكر المقريزي أيضاً: "كان يحتفل به في اليوم التاسع والعشرين من كيهك، وكانت الدولة تفرق فيه الحلوى والسمك والزلابية وشراب الجلاب على أرباب الدولة"(٥٨).

أما عن أعياد اليهود فقد عرف لديهم عيد الأسابيع، ويكون بعد عيد الفطير بسبعة أيام، وهي الأيام التي أنزل الله تعالى فيها على بني إسرائيل الفرائض مُتضمِّنة الوصايا العشر المنسوبة إلى موسى عليه السلام، حيث يذكر القلقشندي:" وفيه يأكلون القطائف، ويتفنَّنون في عملها، ويأكلونها بدلاً من المنّ الذي أنزله الله عليهم في هذا اليوم"(٥٩).

وإلى جانب الاحتفال بالأعياد الإسلامية وغير الإسلامية كان بعض الخلفاء يحتفلون بيوم ميلادهم، ففي عهد الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ/١١٠١-١١٢٩م) - وكان مفتوناً بعظمة الاحتفالات وفخامتها - تجدَّدت الاحتفالات التي كانت قد أهملت منذ تسلط الوزير بدر الجمالي وابنه الأفضل ، ففي عام ٥١٦هـ/١١٢٢م تم الاحتفال بميلاد الخليفة الآمر بأحكام الله، فيذكر المقريزي:" تم عمل أربعين صينية خشكنانج وحلوى وكعك .... وفي عام ٥١٧ هـ وزع على المساكين بالجامعين الأزهر بالقاهرة والعتيق بمصر وبالقرافة خمسة قناطير حلوى وألف رطل دقيق، كما حمل من دار الفطرة إلى الأعيان والمستخدمين مقادير كبيرة من الحلوى"(٦٠). ويبدو أن الخليفة الآمر بأحكام الله كان مولعاً بالحلوى، ففضلاً عن توزيع الحلوى في يوم مولده كانت تصنع له يومياً كميات من حلوى الخُشكنانج والبسندود، وتقدم إليه وإلى وزيره المأمون، وكان يخصص لصنعها يومياً قنطار من السكر(٦١).

مما سبق يتضح أن صنع الحلوى وتوزيعها في جيمع الأعياد والاحتفالات أصبحت رسماً من رسوم احتفال الفاطميين خصوصا مع وجود مؤسسة تشرف على صناعة وتقديم هذه الحلوى وهي دار الفطرة.

رقابة المحتسب على صناع الحلوى :

لم تقف رقابة الدولة في الإشراف على صناعة الحلوى من خلال دار الفطرة، بل امتدت لتشمل الرقابة على صانعي الحلوى في الأسواق من خلال إشراف ومتابعة المحتسب لهم، خصوصا مع انتشار صناع الحلوى في العصر الفاطمى، ووجود أسواق تعرف بهم، فيذكر المقريزي:" كان سوق الحلوانيين في الفسطاط من أبهج الأسواق لما يشاهد في حوانيتها من الأواني وآلات النحاس الثقيلة الوزن، وفيها من أنواع الحلوى المصنوعة من السكر والعسل عدة ألوان وأشكال"(٦٢).

وكانت وظيفة المحتسب مع صناع الحلوى من الأمور المهمة لضبط الفاسد منها، وتقويم المعوج من أمور صانعيها وبائعيها، فيذكر المسبحي عن أحداث عام ٤١٥هـ/١٠٢٤م: "ضرب المحتسب بمصر رجلاً حلاويا يسكن على باب زقاق القناديل في حانوت نظيف، وطاف به على جمل بسبب أنه وجد أرطاله ينقص كل رطل منها أوقيتين، وكل صنجة، يزن بها الدراهم تزيد ثمن درهم"(٦٣).

على الجانب الآخر كان المحتسب يستعين بعرفاء الأسواق وأرباب الصناعة في مراقبة عمل الحلاوانيين، إذ كان البعض منهم يعمد إلى غش بعض أنواع الحلوى، كأن يعمد إلى مزج عسل القصب بالدبس (عسل التمر أو عصارته من غير طبيخ)، ومنهم من يغش الزلابية المشبكة بالقند المحلول عوضاً عن العسل، أو أن يضيف إلى بعض أنواع الحلوى النشا الخارج عن الحد عوضاً عن الدقيق، أو أن يعمل مكان اللوز قلب المشمش الحلو المسمُوط، ويخرطه أرباعاً، فيظن المُشتري أنه لوز، ومنهم من كان يغش الدقيق والنشا بدقيق الأرز أو العدس أو قشر السمسم(٦٤). كل هذه الأمور كان على المحتسب مراقبتها ومحاسبة مرتكبيها من صناع الحلوى .

من ناحية أخرى وضع المحتسب لصناع الحلوى وبائعيها بعض الاشتراطات للحفاظ على الصحه العامة، والتأكد من جودة الصناعة منها:

١- ينبغي أن تكون الحلوى تامة النضج، غير نيّئة ولا محترقة(٦٥).

٢- ينبغي على بائع الحلوى ألا يترك المذبة من يده ليطرد عنها الذباب بصفة دورية[٦٦].

ولما كان عمل الزلابية بالعسل واللوز أمراً شائعاً، وكان تداولها كثيراً بين الناس، فقد كانت هناك عدة تنبيهات من المحتسب لصناع الزلابية منها:

١- أن يكون مَقلى الزلابية من النحاس الأحمر الجيد، فضلا عن الاحتياطات العديدة لتنظيفها بصفة دائمة حتى لا يبقى في المقلاة أية رواسب للزيت[٦٧].

٢- أن يتحقق صانع الزلابية من المقادير الخاصة بصناعتها، ولا يتعداها سواء في نوعية الدقيق أو الزيت المستخدم في القلي، إذ كان عليه التأكد من أن دقيق الزلابية ناعم، وثلثيه سميذ خشكناني (خشن)؛ لأنه إذا كثر فيه السميذ زادت الزلابية بياضاً وخفة في الوزن ونُضجاً[٦٨]، كذلك اشترط المحتسب أن تقلى الزلابية بزيت الشيرج[٦٩]، فإن لم يكن فالزيت الصافي، ولا تقلى بالزيت المُعَاد، وهو الذي قُلِي به قبل ذلك، كذلك لا يبدأ الصانع في قليها حتى يختمر عجينها، وكانت علامة الاختمار أن تطفو الزلابية على وجه الزيت ولا ترسب في القاع، كذلك ألا يجعل في عجينها ملح ؛ لأنها تؤكل بالعسل فتغشى النفس إذا كانت بالملح[٧٠]، أيضاً نبَّه المحتسب صناع الزلابية إلى أن تصنع سلالماً صغاراً لطافاً، كل أربعين منها رطلا، ومتى حمض عجينها جعله الصانع خميراً، وكان المحتسب - بعد وضع هذه الشروط - يعتبر عليهم جميع ذلك، بل كان يمنع الزبائن من شرائها[٧١].

ولا شك فى أن هذه الرقابة التي وضعتها الدولة على صناع الحلوى من خلال عمل المحتسب معهم للتأكد من جودة الصناعة أدت إلى التزام الصناع في عملهم، وإقبال الناس على الحلوى بشكل كبير حتى أصبح الناس يتبارون في تقديمها للزائرين والأضياف لتكون موضع إكرام للزائر في الزيارات القصيرة أو المفاجئة[٧٢]، كذلك كانت هذه الرقابة عاملاً من عوامل تفنن الصناع في الابتكار لأصناف عديدة من الحلوى، وخلق مجال للتنافس داخل الأسواق.

أشهر أنواع الحلوى في العصر الفاطمى :

امتاز بعض أنواع الحلوى بالشهرة والانتشار، وإقبال الخاصة والعامة عليها، كما ارتبط البعض منها بمناسبات واحتفالات ذكرناها من قبل، كذلك كانت بعض الأنواع تعرف قبل مجيء الفاطميين، والبعض الآخر عرف مع مجيئهم لمصر.

(١) الكعك:-

شاعت صناعة الكعك في العصر الفاطمي، وكان نوعاً من الخبز الجاف، يصنع من جريش الحنطة ويجفف، وكان يسمى كعكاً، ويذكر المقريزي:" وكان أكثر أكلهم طوال العام من هذا الخبز ... وكان يستخدم كطعام أساسي لرجال الأسطول لإمكان تخزينه فترات طويلة دون أن يفسد"[٧٣]، كما كان هذا النوع من الكعك شائع الاستعمال على موائد الفاطميين، حيث كان يخبز منه في الأفران التابعة للقصر، ويخرج في ليالي الوقود برسم الجوامع.

من ناحية أخرى عرف نوع منه كان يصنع من الدقيق والعسل والزيت والزبد يسمى "بيشبارة" أو "شابورة"[٧٤]، وقد ذكر ابن عبد الظاهر عند حديثه عن دار الشابورة: "وسميت بهذا الاسم لأنها بيعت في أيام الشدة بشابورة حلواء"[٧٥]، كذلك عرف نوع من الكعك أطلق عليه "افطن له" لأنه كان يحشى بالدنانير الذهبية، ويقال إن أول من عمل له هذا النوع من الكعك هو أبو بكر محمد بن علي الماذرائي، أيام الإخشيديين، ثم استمر بعد ذلك على أيام الفاطميين[٧٦].

(٢) الناطف:-

كان من أنواع الحلوى التي تصنع بدار الفطرة، وتقدم على مائدة الخليفة الفاطمي كل يوم خلال شهور رجب وشعبان ورمضان، وهو نوع من الحلوى يدخل في صنعها العسل أو السكر والفستق والبندق[٧٧].

(٣) النيدة:-

كانت النيدة - وهي حلاوة القمح - من أشهر أنواع الحلوى التي أقبل عليها العامة في العصر الفاطمي، يذكر ابن سعيد عن طريقة صنعها:"يطبخ القمح حتى

يخلو من النشا، ثم يصفى، ويطبخ ذلك الماء حتى يغلظ، ثم يـدر عليـه الـدقيق، وعندما يتماسك يرفع على النار ويحلى"[٧٨]، ويذكر ابن بطوطة: "وكانـت تـصنع بمدينة منفلوط، وتباع في أسواق مصر"[٧٩]، وكان طباخو النيدة فـي الأسـواق لا يستعملون إلا الدقيق الأبيض، ويكثرون من إضافة النشا إليها لتزداد حلاوة، وهـي تشبه البالوظة حاليا[٨٠].

(٤) الجوذاب:-

كانت من أنواع الحلوى على المائدة المصرية في العصر الفـاطمي، وكانـت صناعتها منتشرة في الأسواق، ويقبل الناس على أكلها، والجـوذاب ضـرب مـن الحلوى يدخل في صناعته اللحم والأرز والسكر، وجوذاب معرب لكلمـة "كـوذاب" بالفارسية، وهو عبارة عن دجاج يقلى ويوضع على قدر فوق أرز مطبـوخ بـاللبن مصبوغ بالزعفران، ويغطى القدر ليكمل نضجه بداخل الفرن فيـسيل دهنـه علـى الأرز[٨١].

ويصف أحد الشعراء الجوذاب بقوله:

جوذابـة مـن أرز فـائق ... مـصفرة فـي اللـون كالعاشـق
عجيبـة مـشرقة لونهـا ... مـن كـف طـاه محكـم حـاذق
بـسكر الأهـواز مـصبوغة ... فطعمها أحلـى مـن الرائـق[٨٢]

وقال آخر فيها:

وجوذابـة مثـل لـون العقيـق ... وفي الطعم عندي كطعم الرحيـق
من الـسكر المحـض معمولـة ... ومن خالص الزعفـران الـسحيق
مغرقـة بـشحوم الـدجاج ... وبالشحم أكرم بهـا مـن غريـق
لذيـذة طعـم إذا اسـتعملت ... وفي اللون منها كلـون الخلـوق
تـدورها فـي الأنـا نفحـة ... ومـا لحلاوتهـا مـن مطيـق[٨٣]

(٥) الخشكنانج:-

لفظ فارسي معناه "الخبز الجاف"، وهو نوع من أنواع الحلوى يشبه "البقلاوة"

في العصر الحالي، كان يصنع من الدقيق الأبيض المسمى السميذ، يعجن ويبسط مثل الرقاع، ويضاف إليه قلوب اللوز المقشر والفستق والسكر وماء الورد والكافور، وقد وصف لنا البغدادي في كتاب الطبيخ طريقة صنعه:"يؤخذ الدقيق السميذ، ويجعل على كل رطل ثلاثة أواقي شيرج، ويعجن عجنا قوياً ويترك حتى يختمر، ثم يُقرَّص مستطيلاً، ويجعل في وسط كل واحدة مقدارها من اللوز والسكر المدقوق المعجون بماء الورد المطيب، وليكن اللوز مثل نصف السكر، ثم تجمع على العادة وتخبز في الفرن وترفع"(٨٤)، ويذكر الجواليقي: "وأهل الشام تسميه المُكَفَّن"(٨٥).

وقد كان الخشكنانج من أنواع الحلوى المفضلة لدى الخاصة والعامة، كما كانت دار الفطرة تنتج منه كميات كبيرة في الاحتفالات والمناسبات، ويذكر المقريزي:" كان الخشكنانج من الحلوى التي تصنع يومياً في مطابخ القصر الفاطمى، وتقدم إلى الخليفة الآمر ووزيره المأمون"(٨٦).

(٦) الفانيد:-

ضرب من الحلوى كان معروفاً، والكلمة فارسية الأصل من"پانيد"، وكان الفانيد يصنع من السكر ودقيق الشعير مع العسل، ويفتل فتائل طوال، وهو المعروف الآن بكعب الغزال(٨٧).

(٧) البسندود:-

الكلمة فارسية من"بشندة"، وهو نوع من الحلوى يدخل في صنعها الدقيق والبلح، ويصنع على هيئة أقراص صغيرة، كما كان يشكل على هيئة قرص مثقوب من الوسط يخبز في الفرن، ثم يوضع كل قرصين على بعضهما البعض، وبينهما حلوى بها اللوز والفستق(٨٨)، وكان البسندود من بين الأطعمة التي تقدم على مائدة سحور الخليفة الفاطمي.

وقد وصف أحد الشعراء البسندود بقوله:

أقرصة هشة مدورة	كأنها في النقا كافور
كأنها في الصحاف مطبقة	دراهم فوقها دنانير(٨٩)

(٨) الخبيص:-

كانت حلوى الخبيص من الأنواع المشهورة، وهي على أنواع؛ فمنها الناعمة والرطبة، ومنها خبيصة اليقطين، وخبيصة السكر، وكان الخبيص يصنع من دقيق الحنطة مع دهن اللوز أو الشيرج، ثم يضاف إليه بعد الطبخ شيئاً من السكر والعسل ويرفع على النار ليجمد[٩٠].

(٩) الصابونية:-

وهى نوع من الحلوى يصنع من الدقيق الذي يحمص بالسمن، ثم يضاف إليه السكر واللبن، ويعمل في قوالب مثل الصابون توضع في طبق، وتدخل الفرن حتى تنضج[٩١].

(١٠) القُرنية:-

خبزة غليظة تشوى، ثم تروى لبناً وسمناً وسكراً، وهي نسبة إلى الفرن الذي تخبز فيه، وهو نفس فرن القطائف[٩٢].

(١١) اللبنية:-

ضرب من الحلوى يدخل في تكوينها الأرز والسكر واللبن والسمن، وهو ما يعرف الآن بالأرز باللبن[٩٣].

(١٢) الزلابية:-

من أصناف الحلوى التي كانت تنتشر في دكاكين الحلوانيين في الدولة الفاطمية، وهي أيضا من الأطعمة المغربية الشائعة، وكانت تصنع من دقيق القمح الفاخر بعد عجنه وتخميره، ثم تقلى بزيت الشيرج، وتؤكل بالعسل والسكر، وهي تقابل ما يطلق عليه الآن لقمة القاضي، وكان بائعها يسمى الزلباني[٩٤].

وكانت الدولة الفاطمية تفرق حلوى الزلابية على أرباب الدولة بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاد السيد المسيح، ونظراً لانتشار وإقبال الخاصة والعامة على تناولها تنبَّه الشعراء وكتب بعضهم أبياتاً شعرية عنها، فقال أحدهم:

عنـدي مـن الحلـوا زلابيـات مـدورات مـشبكاتِ
صـفر وبـيض ملونـات بالـشيرج المقـشور مقلـواتِ
لينـة فـي الملمـس ناعمـات في العـسل المـاذي مغمُوسـاتِ
كقطـع العقيـان مـصفوفات وقصب الإبريـز منـسوجاتِ(٩٥)

(١٣) الفالوذج:-

نوع من أنواع الحلوى يصنع من الدقيق والماء والعسل، يذكر الجواليقي أن أصل الكلمة فارسي من"پالودة"، وهي من الأنواع المعروفة قديماً عند العرب حتى قال بعضهم:

أميـر يأكـل الفـالوذ سـراً ويُطْعم ضـيفه خبـز الـشعير(٩٦)

(١٤) الكنافة:-

كانت الكنافة من أشهر أصناف الحلوى في مصر في العصر الفاطمي وهي من الأنواع التي ينسب ظهورها إلى الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملـك (٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٨م) الذي أمر بأن تصنع له ليتسحر بها في ليالي رمضان، وقـد ارتبط الإقبال على الكنافة بالإقبال على القطائف وخصوصا في شـهر رمـضان، لذلك تفنن صناعها في تقديمها بـالجلاب والمـسك، أو محـشوة بقلـوب اللـوز والفستق(٩٧).

ويصف شاعر الفاطميين ظافر الحداد خباز الكنافة قائلاً:

وحـاذق يحكـم كنافتـه لا تـشبع العـين منـه بـالنظر
كأنمـا بـسطه العجـين علـى إكـراه لمـا حفـت بمـستعر
ينسج فيما من الـسحاب علـى وامض بـرق يكـتن بـالمطر(٩٨)

(١٥) القطائف:-

كانت القطائف من أكثر أصناف الحلوى التي يقبل الناس على تناولهـا فـي شهر رمضان، وهي من الأصناف المستحبة لدى الخلفاء وبخاصـة علـى مائـدة السحور، كما كانت تهدى إلى القراء والوعاظ والصوفية طوال هـذا الـشهر(٩٩)،

وذكر صاحب كتاب "كنز الفوائد في تنويع الموائد" بعض الطرق الخاصة بصناعتها:" أما القطائف المحشوة فيؤخذ سكر ومثله من اللوز المقشر أو الفستق، فيدق كل منهما ويخلطان، ويرش عليهما ماء الورد المعطر بالكافور والمسك على قدر الغرض، ويعجن ثم يدرج في القطائف بعدما تلوث بالسيرج، ويصف في الصحون، ويشرب عند أكله بالجلاب أو العسل... أما المقلي فيحشى في المدورات، ويطوى عليه ويلصق بالنشاء المحلول، ويغلى بالشيرج، ويرمى في الجلاب أو عسل النحل[١٠٠].

وقد أسهب الشعراء المعاصرون للدولة الفاطمية في وصف القطائف وما يستخدم في صناعتها من الجلاب والمسك والفستق وغيرها، ومن أمثلة ذلك ما ذكره ظافر الحداد:

قطائف لطائف روابي لم تحـ	ـش بل صفت على اصطحاب
في المسك والفستق والجلاب	كأنها ألسنة الأحباب
تنزل في الحلق بلا حجاب	فهي طعام وهي كالشراب[١٠١]

ومن طرائف ما قيل في القطائف وتفضيلها:

قال القطائف للكنافة ما	بالي أراك رقيقة الجسد
أنا بالقلوب حلاوتي حُشيت	فتقطعي من كثرة الحسد[١٠٢]

(١٦) الفستق الملبس :

كان الفستق هو المادة الأساسية في صناعة أنواع كثيرة من الحلوى، لذلك كانت تستهلك منه كميات كبيرة في دار الفطرة، يذكر ابن العديم: "جرت مفاوضة بين متولي بيت المال ومتولى دار الفطرة بسبب الأصناف ومن جملتها الفستق وقلة وجوده وتزايد سعره إلى أن بلغ رطل ونصف بدينار"[١٠٣]، لذلك كانت الدولة الفاطمية تستورد الفستق من عدة أماكن منها: الهند والشام والمغرب، ذكر البكري: "قفصة أكثر بلاد القيروان فستقا، ومنها يحمل إلى مصر"[١٠٤].

كان الفستق يُصنع منه نوعٌ من الحلوى تسمى الفستق الملبس إذ يذكر ابن العديم:" أمر عبد الله محمد بن مفسر قاضي مصر بعمل الفستق الملبس بالسكر

الأبيض الفانيد المطيب بالمسك، وعمل منه في أول الأمر أشياء عوض لبه لب ذهب في صحن واحد فمضى جملة وخطف قدامه حيث تخاطفه الحاضرون، ولم يعد لعمله مطلقاً، واستُعيض عنه بعمل الفُستق الملبس"[١٠٥]، وقد انتشر هذا الصنف من الحلوى وذاع صيته حتى أن إحدى أوراق البردي العربية يفتخر الكاتب فيها بحلاوة الفستق الملبس بالسكر[١٠٦].

(١٧) الطيافير:-

وهى نوع من الحلوى تعلو وتنتفخ عند إنضاجها، وكان هذا النوع يقدم بالزبادي الصيني إلى آخر أيام الأفضل بن أمير الجيوش، ثم أصبح يقدم في الأواني الذهب في آخر الأيام الآمرية، إذ يذكر المقريزي وابن العديم: "كانت تعبأ بين يدي الخليفة قوائمية ضمنها عدة من الطيافير المحمولة بالمرافع الفضة برسم الأطباق الحارة، وليس في المواسم مائدة بغير سماط للأمراء"[١٠٧].

وكانت هذه الطيافير تُعمل في أول رجب إلى نصف رمضان، ويفرق منها على جميع الناس على قدر منازلهم في أوان لا تستعاد.

(١٨) اللوزينج والجوزينج:-

وهى نوع من الحلوى شبه القطائف، كانت تصنع من دهن الجوز واللوز والسكر، وهي فارسية معربة من "لوزينه" و"كوزينه"[١٠٨].

(١٩) هريسة الفستق:-

وهى نوع من الهريسة كانت تصنع من لحم الدجاج بإضافة الفستق والجلاب، ويذكرها عبد اللطيف البغدادي بقوله: "وذلك أنهم يتخذون الدجاج بأصناف من الحلويات، وسبيل ذلك أن يسلق الدجاج ثم يرمى في الجلاب، ويلقى بندق مدقوق أو فستق أو خشخاش أو ورد ويطبخ حتى ينعقد ويرفع، وتسمى هذه الأطبخة باسم حشوها، فقيل الفستقية، والبندقية، والخشخاشية، والوردية"[١٠٩].

الخاتمة:-

تناولت هذه الدراسة صناعة الحلوى في مصر في العصر الفاطمي، وقد

خرجت ببعض الأسباب والنتائج المهمة التي ارتبطت بازدهار هذه الصناعة في مصر في العصر الفاطمي، ومنها ما يلي:

١- كان ازدهار صناعة الحلوى في العصر الفاطمي سبباً لاحتكار الدولة لمَعاصِر ومطابخ السكر في العديد من المدن المصرية.

٢- كان من نتائج ازدهار صناعة الحلوى ظهور عدة أشكال وألوان من منتجات الحلوى لم تعرف إلا مع الدولة الفاطمية.

٣- كان حرص الدولة الفاطمية على استخدام الحلوى سبباً فى ظهور مؤسسات حكومية عملت على إنتاج وتوزيع هذه الحلوى بصفة رسمية كدار الفِطّرة.

٤- حرصت الدولة الفاطمية على استخدام وجلب أمهر صناع الحلوى للعمل في القصور والمؤسسات الفاطمية لتقديم ما يتناسب من هذه الحلوى، ويواكب كل احتفال تُوزَّع فيه.

٥- كانت عناية الخلفاء الفاطميين بالاحتفال بجميع المناسبات الدينية (إسلامية وغير إسلامية) سبباً في ازدهار صناعة الحلوى ورواجها بين طبقات المجتمع المصري.

٦- كان اهتمام الفاطميين بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف مجالاً لإبداع وتفنن صناع الحلوى في صنع ألوان وأشكال عديدة استمرت حتى يومنا هذا.

٧- يحتمل أن صنع عروسة المولد يرمز – في رأينا – إلى السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وزوجة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، إذ كان له دلالة في تأكيد انتساب الفاطميين لآل البيت.

٨- امتد اهتمام الدولة الفاطمية بصناعة الحلوى إلى وضع رقابة رسمية على صانعي الحلوى تمثلت في عمل المحتسب مع كل من صانعيها وبائعيها للتأكد من الجودة والنظافة.

٩- انعكس ازدهار صناعة الحلوى على الأدباء والشعراء الذين عبروا عن ذلك من خلال كتاباتهم وأشعارهم.

الحواشي

(١) السكر هو ماء القصب إذا غلي واشتد وقذف بالزبد، وهي كلمة فارسية من "شكر" أدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب للبستاني، القاهرة، ١٩٨٨، ص٩٢؛ طوبيا العنيسي: تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، دار العرب للبستاني ، القاهرة ١٩٦٥، ص ٣٦.
(٢) الكندي : الولاة والقضاة ، بيروت، ١٩٨٧؛ ص ٦٥.
(٣) طه أبو سديرة: الحرف والصناعات في مصر الإسلامية ، القاهرة، ١٩٩١، ص ٣٥٥.
(٤) ناصر خسرو: سفر نامة، تحقيق يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١١٨؛ طه أبو سديرة: الحرف والصناعات، ص ٣٥٩.
(5) J. H. Kramers: Islamic Encyclopedia, Leiden, 1965, Vol 5, p320.
(٦) النابلسي: تاريخ الفيوم وبلاده، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ص ٢٩ - ١٢٣.
(٧) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت، ١٩٨٤، ص ٩٩؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مكتبة الآداب، ١٩٩٦، ج١، ص ٢٣٢؛ طه أبو سديرة: الحرف والصناعات، ص ٣٥٧.
(٨) الأدفوي : الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، القاهرة، ١٩١٤، ج ١، ص ٢٨.
(٩) ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت ١٩٩٠، ج١ ، ص٢٥١.
(١٠) ياقوت الحموي : المصدر نفسه، ج ١ ، ص ٢٥١.
(١١) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج١، ص ٣٤٢.
(١٢) القند : الجمع "قنود" وهو عصارة قصب السكر، تطبخ حتى تصير أغلظ وأكثر صلابة من السكر الأبيض المعتاد، وهو ما يعرف بالسكر الأحمر، والكلمة فارسية معربة من "كند". الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، ١٣٦١هـ، ص ٢٦١؛ أدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، ص ١٢٩.
(١٣) الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بيروت (د.ت) ، ج٤، ص ص ٤٠ -٤٦.
(١٤) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج١ ، ص ٣٤٢.
(١٥) ابن دقماق : الانتصار، ج٤ ، ص ٤٦.
(١٦) الطبرزد: كلمة فارسية معربة معناها سكر أو نبات غليظ صلب، وتبر معناها بالفارسية الفأس، وزد معناها الضرب ، فكأنما قصدوا أن هذا السكر قد نحت بالفأس وذلك لشدة صلابته، أدي شير : الألفاظ الفارسية المعربة، ص ١١١.
(١٧) السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي بالقاهرة ، ج ٢ ، ص ٣٢٠؛ Goitein, S. D.: A mediterranean Society, London 1983, Vol I, P80.
(١٨) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية في العصر الفاطمي ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ، ١٩٤٨، ص ١٧٦.
(١٩) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج١ ، ص ٤٢٥؛ الأزدي : أخبار الدول المنقطعة ، المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة ، ١٩٧٢، ص ٥٣، عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، دار الثقافة العلمية، ١٩٩٩، ص ٢٦٢، عبد المنعم ماجد :ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، دار الفكر العربي بالقاهرة، ١٩٩٤، ص ٣١٥.
(٢٠) ابن الطوير: نزهة المقلتين في أخبار الدولتين : تحقيق أيمن فؤاد سيد، بيروت ١٩٩٢، ص

١٤٣، المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص ١٥٨.
(٢١) المقريزي: المصدر السابق، ج٢ ، ص ٣٢٠ ؛ ابن الطوير : نزهة المقلتين، ص ١٤٥، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، بيروت، ١٩٨٧، ج ٣ ، ص ٦٠٢.
(٢٢) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مكتبة الدار العربية للكتاب بالقاهرة، ١٩٩٦، ص ٢٧.
(٢٣) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق ، ص ٢٨، ابن الطوير: نزهة المقلتين ، ص ١٤٥، المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢ ، ص ٢٨٢.
(٢٤) المقريزي: المصدر السابق، ج٢ ، ص ٤٢٢؛ ابن العديم : الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب، جامعة حلب ، معهد التراث العلمي العربي، ١٩٨٦، ص ٣٤٣.
(٢٥) ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ١٤٥؛ المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج١، ص ٤٢٦.
(٢٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣ ، ص ٥٢٨.
(٢٧) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٢٦.
(٢٨) المقريزي : المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٢٦.
(٢٩) ابن العديم: الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب، ص ٣٣٥.
(٣٠) ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص ١٤٤.
(٣١) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية الزاهرة، ص ٢٨.
(٣٢) كان من أهم الأعياد والمناسبات التي اهتم الفاطميون بالاحتفال بها : رأس السنة الهجرية، عيد الفطر، عيد الأضحى، المولد النبوي الشريف ، مولد علي بن أبي طالب، مولد الحسن، مولد الحسين، مولد السيدة فاطمة الزهراء، يوم عاشوراء، مولد الخليفة القائم (الحاضر) ، ليلة أول رجب، ليلة نصف رجب، ليلة أول شعبان، ليلة نصف شعبان، ليلة غرة رمضان، ليلة السابع والعشرين من رمضان، ليلة الختم، يوم النوروز، يوم الغطاس، يوم الميلاد (ميلاد السيد المسيح)، خميس العهد، أيام الركوبات (خروج الخلفاء) ، يوم غدير خم، فتح الخليج، عيد النصر، المحمل وكسوة الكعبة. ابن العديم: الوصلة إلى الحبيب ، ص ٣٣٢.
(٣٣) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٩٩.
(٣٤) الجام: الجام والجامة هو الطبق في لغة عصرنا، وأكثر ما كان يوضع فيه هو الحلوى. إبراهيم السامرائي: التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية، الأردن، ١٩٨٦، ص ص ٣٢-٣٩.
(٣٥) ابن العديم: الوصلة إلى الحبيب ، ص ٣٤٤.
(٣٦) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٩٠؛ ابن العديم: الوصلة إلى الحبيب ، ص ٣٣٢.
(٣٧) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ص ٤٤٥-٤٤٧.
(٣٨) المقريزي : المصدر السابق، ج ١، ص ٤٩١.
(٣٩) السماط: المائدة السلطانية، أو ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين. زين العابدين شمس الدين: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٣٢٧.
(٤٠) المن: وحدة وزن تقدر برطلين. طه أبو سديرة : الحرف والصناعات، ص ٣٦٠.
(٤١) ناصر خسرو: سفر نامة، ص ١٢٣.
(٤٢) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٣٨٨.

(٤٣) المقريزي : المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٨.
(٤٤) ابن العديم: الوصلة إلى الحبيب ، ص ٣٤٤.
(٤٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٥٢٩.
(٤٦) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٣٢.
(٤٧) المسبحي: أخبار مصر في سنتين (٤١٤-٤١٥هـ) تحقيق ولـيم ج. ميلـورد، القـاهرة، ١٩٨٠، ص ٤٠.
(٤٨) عبد الغني النبوي الشال: عروسة المولد، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣، ص ٦١.
(٤٩) المرجع السابق، ص ٦١.
(٥٠) المرجع السابق، ص ٥٨.
(٥١) طه أبو سديرة: الحرف والصناعات ، ص ٣٦١.
(٥٢) ابن العديم: الوصلة إلى الحبيب ، ص ٣٣٠.
(٥٣) عبد الغني النبوي الشال: عروسة المولد، ص ٤٨.
(٥٤) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقـاهرة، القـاهرة ١٩٦٣، ج٤، ص ص ٩٩-١٠٠؛ المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٧٢.
(٥٥) غدير خُم: هو مكان بين مكة والمدينة، يذكر الشيعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم نـزل به في الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشرة للهجرة. حسن إبراهيم حسن: تـاريخ الدولـة الفاطمية، القاهرة، ١٩٣٢، ص ٦٥١.
(٥٦) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٣٢.
(٥٧) المقريزي : المصدر السابق، ج ١، ص ٤٩٥.
(٥٨) المقريزي : المصدر السابق ، ج ١، ص ٤٩٤.
(٥٩) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢ ، ص ٤٢٧.
(٦٠) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٢١.
(٦١) المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٧ ، ج ٣، ص ٨٢؛ عبد المنعم سلطان: الحياة الاجتماعية فـي العـصر الفـاطمي، ص ٢٦٣.
(٦٢) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٩٩.
(٦٣) المسبحي: أخبار مصر في سنتين، ص ١٩٩.
(٦٤) الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، القاهرة ١٩٤٦، ص ٤١.
(٦٥) الشيزري: المصدر السابق، ص ٤٠.
(٦٦) الشيزري: المصدر السابق، ص ٤٠.
(٦٧) الشيزري: المصدر السابق، ص ٢٥.
(٦٨) الشيزري: المصدر السابق، ص ٢٦.
(٦٩) الشيرج : الشيرج والسيرج هو زيت السمسم، والكلمة فارسية معربة من "شيره". آدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٨٩.
(٧٠) الشيزري: نهاية الرتبة، ص ٢٦.
(٧١) الشيزري: المصدر السابق، ص ٢٦.
(٧٢) ابن العديم: الوصلة إلى الحبيب ، ص ٣٢٦.

(٧٣) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٤.
(٧٤) الجواليقي: المعرب من الكلام الأعجمي، ص ٢٠٤.
(٧٥) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية الزاهرة، ص ١١٠٣.
(٧٦) ابن العديم: الوصلة إلى الحبيب ، ص ٣٢٧؛ المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٣٣٢.
(٧٧) ابن العديم: الوصلة إلى الحبيب ، ص ٣٤٤؛ المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٢٢.
(٧٨) ابن سعيد الأندلسي: النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلي المغرب، تحقيق حسين نصار، دار الكتب المصرية، ١٩٧٠، ص ٥٨.
(٧٩) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق علي المنتصر الكتاني، بيروت ١٩٨٥، ص ٥٠.
(٨٠) نجوى كيرة: حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٤، ص ٣٤٩.
(٨١) الشيزري: نهاية الرتبة، ص ٣٥؛ آدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٣٩.
(٨٢) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، ١٩٨٨، ج ٤ ، ص ٣٦٨.
(٨٣) ابن سيار الوراق: كتاب الطبيخ، هلسنكي، ١٩٨٧، ص ٢٤١.
(٨٤) البغدادي: كتاب الطبيخ، الموصل، ١٩٣٤، ص ٧٨.
(٨٥) الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي، ص ١٣٤.
(٨٦) المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج٣، ص ٨٢.
(٨٧) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٢٦؛ آدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، ص١٢١.
(٨٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣ ، ص ٥١٠؛ الشيزري: نهاية الرتبة، ص ٤١.
(٨٩) الغزولي: مطالع البدور في منازل السرور، القاهرة، ١٢٩٩هـ، ج٢ ، ص ٨٤.
(٩٠) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ١، ص٤٢٢؛ الشيزري: نهاية الرتبة، ص ٤١؛ عبد المنعم سلطان: الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، ص ٢٦٥.
(٩١) الشيزري: نهاية الرتبة، ص ٤١؛ نجوى كيرة: حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي، ص ٣٥١.
(٩٢) الجواليقي: المعرب من الكلام الأعجمي، ص٢٤٤؛ إبراهيم السامرائي: التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية، ص ٢٨.
(٩٣) الشيزري: نهاية الرتبة، ص ٣٤.
(٩٤) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٩٤؛ ابن بسام : نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائي، بغداد، ١٩٦٨، ص ٤١؛ حسن خضيري: علاقة الفاطميين في مصر بدول المغرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٥٤.
(٩٥) ابن سيار الوراق: كتاب الطبيخ، ص ٢٧٠.
(٩٦) الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي، ص ٢٤٧.
(٩٧) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ١، ص٤٥٢.
(٩٨) ظافر الحداد: ديوان ظافر الحداد، تحقيق حسين نصار ، القاهرة، ١٩٦٩، ص١٣٢.

(٩٩) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ١، ص٤٩١.
(١٠٠) مجهول: كنز الفوائد في تنويع الموائد، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٩ (صناعة تيمورية) ، ورقة ١٠٨.
(١٠١) ظافر الحداد: ديوان ظافر الحداد، ص ص ٧-٨.
(١٠٢) الغزولي: مطالع البدور في منازل السرور، ج ٢ ، ص ٨٤.
(١٠٣) ابن العديم : الوصلة إلى الحبيب، ص ٣٤٤.
(١٠٤) البكري : المغرب في ذكر إفريقية والمغرب ، الجزائر، ١٩١١، ص ٤٧.
(١٠٥) ابن العديم : الوصلة إلى الحبيب، ص ٣٢٧.
(١٠٦) راشد البراوي: الحياة الاقتصادية في مصر في عهد الفاطميين، ص ١٧٧.
(١٠٧) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ١، ص٤٧٢؛ ابن العديم : الوصلة إلى الحبيب، ص ٣٢٩.
(١٠٨) الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي، ص ١٤٢.
(١٠٩) عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٤٢.

المصادر والمراجع

المصادر العربية

- **الإدفوى : كمال الدين أبو الفضل جعفر (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)**

– الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، القاهرة، ١٩١٤.

- **الأزدي: ابن ظافر جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي منصور (ت٦١٢هـ/١٢١٥م)**

– أخبار الدول المنقطعة، المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة ، ١٩٧٢.

- **ابن بسام: محمد بن أحمد بن بسام (ت قبل ٨٤٤هـ/١٤٤٠م)**

– نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائي، بغداد، ١٩٦٨.

- **ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي (ت٧٧٩هـ/١٢٧٧م)**

– تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق علي المنتصر الكتاني، بيروت، ١٩٨٥.

- **البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م)**

– كتاب الطبيخ، الموصل، ١٩٣٤.

- **البكري: أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٧م)**

– المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، الجزائر، ١٩١١.

- **الجواليقي: أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد (ت٥٤٠هـ/١١٤٥م)**

– المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، ١٣٦١هـ.

- **ابن دقماق : إبراهيم بن محمد المصري (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م)**

– الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بيروت (د.ت).

- **ابن سعيد الأندلسي: علي بن موسى المغربي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)**

– النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلي المغرب، تحقيق حسين نصار، دار الكتب المصرية، ١٩٧٠.

- **ابن سيار الوراق: أبو محمد المظفر بن نصر (ت٣٣٠هـ/٩٤١م)**

– كتاب الطبيخ، هلسنكي، ١٩٨٧.

- **السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)**

– حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٤.

- **الشيزري: عبد الرحمن بن نصر (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م)**

– نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، القاهرة، ١٩٤٦.

- **ابن الطوير: أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن (ت٦١٧هـ/١٢٢٠م)**

– نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد سيد، بيروت، ١٩٩٢.

- **ظافر الحداد: أبو منصور ظافر بن القاسم السكندري (ت٥٢٩هـ/١١٣٤م)**

– ديوان ظافر الحداد، تحقيق حسين نصار، القاهرة، ١٩٦٩.

- **ابن عبد الظاهر: محيي الدين أبو الفضل عبد الله (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م)**

– الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، مكتبة الدار العربية للكتاب بالقاهرة، ١٩٩٦.

- **عبد اللطيف البغدادي: عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي موفق الدين (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م)**

– الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، القاهرة، ١٩٩٨.

- **ابن العديم: كمال الدين (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م)**

– الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب، جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، ١٩٨٦.

- **الغزولي: علاء الدين علي بن عبد الله (ت٨١٥هـ/١٤١٢م)**

– مطالع البدور في منازل السرور، القاهرة، ١٢٩٩هـ.

- **القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)**

– آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت، ١٩٨٤.

- **القلقشندي: أبو العباس أحمد (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)**

– صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، بيروت، ١٩٨٧.

- **الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف (ت٣٥٠هـ/٩٦١م)**

– **الولاة والقضاة، بيروت، ١٩٨٧.**

• مجهول:

كنز الفوائد في تنويع الموائد، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٩، صناعة تيمورية.

• أبو المحاسن: جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩)

– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٦٣.

• المسبحي: الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله (ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م)

– أخبار مصر في سنتين (٤١٤-٤١٥هـ) تحقيق وليم ج. ميلورد، القاهرة، ١٩٨٠.

• المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)

– مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، ١٩٨٨.

• المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)

– اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٧.

– المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الآداب، ١٩٩٦.

• النابلسي: أبو عثمان النابلسي الصفدي الشافعي (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م)

– تاريخ الفيوم وبلاده، القاهرة، ١٩٩٨.

• ناصر خسرو: ناصر خسرو العلوي (ت٤٨١هـ/١١٨٨م)

– سفر نامة، تحقيق يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٩٣.

• ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

– معجم البلدان، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٠.

المراجع العربية

• آدي شير:

– الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب للبستاني، القاهرة، ١٩٨٨.

• إبراهيم السامرائي:

– التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية، الأردن، ١٩٨٦.

• حسن إبراهيم حسن:

– تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٣٢.

• حسن خضيري:

– علاقة الفاطميين في مصر بدول المغرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨.

• **راشد البراوي:**

– حالة مصر الاقتصادية في العصر الفاطمي ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨.

• **زين العابدين شمس الدين:**

– معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، القاهرة، ٢٠٠٦.

• **طه أبو سديرة:**

– الحرف والصناعات في مصر الإسلامية ، القاهرة، ١٩٩١.

• **طوبيا العنيسي:**

– تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، دار العرب للبستاني ، القاهرة، ١٩٦٥.

• **عبد الغني النبوي الشال:**

– عروسة المولد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.

• **عبد المنعم سلطان:**

– الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، ١٩٩٩.

• **عبد المنعم ماجد:**

– ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤.

• **نجوى كيرة:**

– حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٤.

المراجع الأجنبية

• **Goitein, S. D.:**

- A mediterranean Society, London 1983.

• **J. H. Kramers:**

- Islamic Encyclopedia, Leiden, 1965.

القُفص والبَلُوص وعلاقاتهم بالقوى السياسية فى كرمان

(٣٢٤-٤٤٠ هـ/ ٩٣٥-١٠٤٨م)

د/ ممدوح محمد حسن
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب – جامعة سوهاج

تمهيد:

حظى تاريخ المشرق الإسلامى باهتمام كبير من قبل الدارسين والباحثين والمهتمين بالدراسات التاريخية الذين أثروا المكتبة التاريخية فى عالمنا العربى والإسلامى بالكثير من البحوث والدراسات القيمة التى تناولت التاريخ السياسى والحضارى لكثير من مدن المشرق الإسلامى وأقاليمه خلال العصور الإسلامية المختلفة، وعلى الرغم من كثرة هذه الدراسات وتنوعها وأهميتها إلا أن هناك العديد من الموضوعات فى تاريخ المشرق الإسلامى التى تحتاج إلى مزيد من البحث والكتابة عنها وإخراجها من بطون المصادر، ومن بين هذه الموضوعات على سبيل المثال تاريخ بعض العناصر أو الأقليات العرقية فى بعض مدن وأقاليم المشرق الإسلامى، والتى فى حاجة إلى إبراز دورها التاريخى والحضارى، ومن هذه الأقليات "القفص والبلوص" فى نواحى كرمان، وإن لم يكونوا الوحيدين فى تلك النواحى، بل أن هناك الكثيرين مثلهم، فهناك البارزيون والجرومية والجاشكية وغيرهم من العناصر الأخرى التى كان لها أثرها الواضح على مجريات الأمور فى تاريخ المشرق الإسلامى بوجه عام، وفى أماكن سكناهم بوجه خاص كالقفص والبلوص فى نواحى كرمان.

وقد كان القفص والبلوص يتميزون عن غيرهم من سكان المناطق الجبلية

التابعة لكرمان، وكان لهم تأثيرهم على أوضاع البلاد، لدخولهم في حروب وصراعات متعددة مع السلطات الحاكمة فى كرمان خلال العصر العباسى الثانى، وكانت علاقاتهم بالسلطة الحاكمة تتأرجح بين العلاقات الودية والعدائية، ومن خلال البحث والاطلاع على كثير من المصادر التى بين أيدينا تبين لنا أن أكثر الفترات التى ظهر فيها دور القفص والبلوص كانت فى العهدين البويهى والسلجوقى الأول. وحَرِىّ بنا أن نشير إلى أنه على الرغم من وضوح دورهم فى تلك الفترة من تاريخهم فإن المصادر العربية والفارسية التى بين أيدينا لم تطلعنا إلا على النذر اليسير من تاريخهم آنذاك. وقد حرصت على جمع المعلومات من المصادر التاريخية والجغرافية أيضاً، وعنيت بدراستها وتحليلها؛ حتى استطعت أن أخرج بصورة تكاد تكون واضحة عن القفص والبلوص وعلاقاتهم بالقوى السياسية فى كرمان منذ سنة ٣٢٤/٩٣٥م حتى سنة ٤٤٠هـ /١٠٤٨م.

ويتناول هذا البحث عدة محاور رئيسية على النحو الآتى: أصل ونشأة القفص والبلوص وموطنهم، وأحوال القفص والبلوص قبل العهد البويهى، ثم علاقة القفص والبلوص بالبويهيين، وكذلك علاقتهم بالغزنويين فى عهد السلطان محمود الغزنوى، وابنه السلطان مسعود، وأخيراً تناولت علاقة القفص والبلوص بالسلاجقة فى عهد قاورد بك بن جغرى بك السلجوقى فى كرمان، والذى نجح فى القضاء عليهم وتشتيتهم فى البلاد.

أولاً: القُفص والبَلُوصُ نشأتهم وموطنهم وأصولهم

١- القُفص [١]:

القفص كلمة فارسية أصلها كوج[٢]، والقفص هم قوم يسكنون في جبال كرمان[٣] التى تعرف بجبال القفص نسبة إليهم[٤]، وذكرها صاحب كتاب حدود العالم تحت اسم جبال كوفج[٥]، وتتميز هذه الجبال بصعوبة مسالكها وعلوها[٦]، ويحدها من جهة الجنوب البحر، ومن جهة الشمال مدينة جيرفت[٧] والروذبار[٨] وقوهستان أبى غانم[٩]، ومن جهة الشرق الأخواش[١٠] ومفازة بين القفص ومكران[١١]، أما من جهة الغرب فيحدها البلوص وحدود المنوجان[١٢] ونواحى هرموز[١٣]، وتفصل جبال القفص بين الطرف الجنوبى للمفازة الكبرى[١٤]

ومكران[١٥].

وتشتمل جبال القفص على سبعة جبال متصلة ببعضها[١٦]، وكان لكل جبل منها رئيس من القفص[١٧]، ويبدو أن القفص كانوا موزعين على تلك الجبال على شكل قبائل، ولكل قبيلة رئيس منهم يتولى أمورهم[١٨]، وهذه القبائل الموزعة على الجبال السبعة كانت تخضع فى النهاية لزعيم أكبر يأتمر بأمره كل القفص، وباستقراء المصادر التى بين أيدينا نجد أن هناك زعماء للقفص تجمع تحت رئاستهم كل القفص خلال فترات تاريخهم المختلفة، وقاموا بدور كبير فى مواجهة السلطات الحاكمة فى كرمان والمناطق القريبة منهم[١٩].

والجدير بالذكر أن القفص تمتعوا بنفوذ كبير فى موطنهم بجبال القفص، إذ كانوا يشكلون قوة لا يستهان بها، وكان لهم تأثيرهم الواضح على الأوضاع فى كرمان وخارجها خلال العهد البويهى، وبداية العهد السلجوقى الأول، وكان لحصانة جبال القفص ومنعتها أثرهما على احتفاظ القفص بنفوذهم لفترات طويلة، فلم يكن من السهولة للقوات البويهيه وغيرها اجتياز هذه الجبال[٢٠]، كما كان يصعب الاستيلاء عليها بالحرب[٢١]، لذا كانت السلطات الحاكمة فى كرمان منذ العهد البويهى وحتى بداية الحكم السلجوقى تلجأ فى كثير من الأحيان إلى استخدام الحيلة والمكيدة من أجل النيل من القفص وكسر شوكتهم[٢٢].

أما عن القفص أنفسهم فكانت لهم بعض الصفات والعادات التى عرفوا بها، فبالنسبة لصفاتهم الجسمانية فقد اتصفوا بالنحافة والسمرة[٢٣]، ولعل هذا راجع إلى شدة حرارة المناطق التى يعيشون بها[٢٤]، كما كان لها تأثيرها فيما وصفوا به من حدة وشدة فى حياتهم، مما دفع البعض إلى أن يصفهم بأنهم قوم جبليون[٢٥].

كما وصفهم بعض المؤرخين والجغرافيين بأنهم قوم لا أخلاق لهم، وجوههم وحشة، وقلوبهم قاسية، وذوو بأس شديد[٢٦]، وأنهم قوم من شرار العالم[٢٧]، وكانوا يحترفون اللصوصية، ويروى المقدسى عنهم أنهم لا يبقون على أحد، ولا يقنعون بالمال حتى يقتلوا من ظفروا به بالأحجار كما تقتل الحيات، حيث يمسكون برأس الرجل ويضعونها على بلاطة، ويضربونه بالحجارة حتى يتصدع، ويضيف المقدسى أنه قد سألهم عن ذلك، فقالوا له: حتى لا تفسد سيوفنا، وكان لا يفلت منهم لحد إلا ما ندر[٢٨].

ونجد فيما ذكره المقدسى (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) عن أفعال القفص شئ من المبالغة خصوصا أنه يذكر أثناء حديثه عنهم أنهم لا يقنعون بالمال، وهذا ما يدعونا إلى أن نسأل ما غايتهم إذن مما يقومون به من أعمال سلب ونهب؟ ولم يفسر المقدسى لنا هذا، هذا بالإضافة إلى أننا لم نجد مثل هذا الوصف الذى ذكره المقدسى عند الاصطخرى (ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م) وابن حوقل (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) وهما أسبق من غيرهما فى ذكر القفص، وجوانب عدة من عاداتهم وحياتهم، كذلك لم نجد مثل هذا الوصف للقفص عند المؤرخين والجغرافيين بعد المقدسى، ولم يذكر ذلك إلا ياقوت الحموى (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) الذى نقل ذلك عن المقدسى دون أن يضيف إليه شيئاً أو يفسر ذلك أيضاً.

وإذا كنا لم نستطع أن ننفى عن القفص أعمال السلب والنهب التى يقومون بها فى نواحى كرمان وخارجها فإن ذلك لم يكن جل حياتهم، فقد كان من بينهم المزارعون والرعاة[٢٩]، وقد كانت المناطق التى يقطنون بها بجبال القفص غنية بزراعتها، وقد وصف المقدسى ذلك بقوله: «إن بها نخلاً كثيراً، وخصباً ومزارع»[٣٠]، كما يكثر بها قصب السكر الذى يحمل منها إلى سجستان[٣١] وخراسان[٣٢]، وتنوعت الخيرات ببلاد القفص[٣٣]، وأشار الإدريسى إلى ذلك بأنهم «أصحاب مواش ونخل»[٣٤]، كما كان القفص يجيدون الصيد، ولهم كلاب مدربة تعاونهم فى ذلك[٣٥].

وعلى الرغم من ذلك، فقد درج القفص على اللصوصية وقطع الطرق فى نواحى كرمان[٣٦] وخارجها، إذ كانوا كثيرى الإغارة على طريق كرمان المار بالمفازة الكبرى، ويثيرون فيه الرعب وترويع الآمنين[٣٧]، بل وصل خطر القفص إلى نواحى سجستان وحدود فارس[٣٨]، ولمسافات بعيدة عن طريق كرمان تصل إلى حوالى مائتى فرسخ (٦٠٠ ميل) يقطعونها ويقومون فيها بأعمال السلب والنهب، فزاعت شهرتهم بأنهم لصوص[٣٩].

وكان القفص متمرسين على القتال والحرب[٤٠]، ووصفوا بأنهم كانوا رحالة لا دواب لهم[٤١]، وقتالهم بالنشاب، ويحملون السيوف[٤٢]، وقد أثار القفص بأفعالهم العدوانية الرعب والفزع فى المناطق المحيطة بهم، وباتوا خطراً على التجار

بقطعهم الطرق، والتصدى للقوافل التجارية ونهبها، وكذلك أقلقوا السلطة الحاكمة طوال تاريخهم بما يحدثونه من اضطرابات سواء فى كرمان أو فى المناطق القريبة منها مستغلين فى ذلك جبالهم المنيعة لحمايتهم والتحصن بها[٤٣]، فقد كانت «جبال القفص منفصلة عن كرمان بأنهار وجبال منيعة وسبل وعرة»[٤٤].

وقد بلغ تعداد القفص فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى نحو عشرة آلاف رجل[٤٥]، كانوا ذوى قوة ونفوذ، وغير خاضعين لأحد، ولم يكن للسلطة الحاكمة فى كرمان أى سلطان عليهم، بل كانت السلطات الحاكمة التى توالت على الحكم فى كرمان تقنع بتحصيل الأموال من القفص، وكان يتفق عليها فيما بينهم، وقد أشار الاصطخرى إلى ذلك بقوله: «إن القفص كانوا مستظهرين ممتنعين، وكان للسلطان عليهم جراية يستكفيهم بها»[٤٦]، كما أشار صاحب كتاب حدود العالم إلى ذلك أيضاً بقوله: «إن عامل السلطان لا يقيم فى جبال القفص، وكان رؤساء القفص فى الجبال السبعة يقومون بجمع خراج كل جبل كل سنة وإرساله إليه»[٤٧]، وعلى ما يبدو لنا من سير الأحداث التاريخية فيما بعد، فإن ذلك كان فى عهد النفوذ البويهى فى كرمان حيث قنع البويهيون فى بداية عهدهم فى كرمان بذلك، ثم ما لبثوا أن دخلوا معهم فى صراعات وحروب انتهت بالقضاء على نفوذ القفص وتشتيت شملهم[٤٨].

ولكن ذلك لم يغير من سلوك القفص، فلم يقلعوا عن أعمال اللصوصية وقطع الطريق وإخافة الناس من عامة كرمان ونواحيها، بل كانت أفعالهم هذه تزداد قسوة وعنفاً، ووصفهم ياقوت بأن الرحمة انتزعت من قلوبهم[٤٩]، وجمعوا من وراء ذلك ثروات طائلة، وأشار الاصطخرى إلى ذلك «بأن بلاد القفص توصف أن بها من الأموال المجموعة والذخائر ما يكثر عن الوصف»[٥٠]، وكان القفص يستحلون ما يأخذون من أموال «ويبررون ذلك بتأويلهم أنها أموال تميز مزكاة، وأنهم محتاجون إليها، فأخذها واجب عليهم وحق لهم»[٥١].

أما عن مذهب القفص، فإن كثيراً من المصادر التى فى متناول البحث تشير إلى أنهم كانوا من الشيعة، ويعظمون على بن أبى طالب[٥٢]، ولعل ذلك يفسر لنا عدم إذعانهم للسلطات الحاكمة التى توالت عليهم، واعتبروهم مغتصبين للحكم،

ودخلوا معهم فى حروب عدة حتى نجح السلاجقة فى القضاء عليهم فيما بعد، وذلك باستثناء الفترات التى ساد فيها الهدوء بين القفص والسلطة الحاكمة فى كرمان.

وبالحديث عن أصل القفص، فإنه باستقراء المصادر التى بين أيدينا نجد أن هناك اختلافا بين كثير من المؤرخين والجغرافيين الذين تعرضوا فى مصنفاتهم لطرف من حياة القفص وتاريخهم حول أصولهم، فهناك من يرى أن القفص ينتمون إلى العرف، وذكر ياقوت «أنهم من اليمانية من الأزد بن الغوث، ثم من ولد سليمة بن مالك بن فهم»(٥٣)، غير أنه لم يذكر تاريخ هجرتهم إلى نواحى كرمان، واستقرارهم فى الجبال المعروفة باسمهم(٥٤) (جبال القفص)، علماً بأن القفص كانوا موجودين هناك قبل الإسلام بدليل أن البلاذرى (ت٢٧٩هـ) والطبرى (ت٣١٠ هـ) قد أشارا إليهم وذكروهم عند الفتح العربى لكرمان ونواحيها(٥٥)، غير أن البلاذرى والطبرى لم يشيرا إلى أصولهم.

وكان القفص يعتبرون أنفسهم من العرب، وقد أشار إلى ذلك الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى بقولهم إن القفص يزعمون أنهم من العرب(٥٦)، وإن كان الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى لم يشيروا صراحة إلى نسبة القفص إلى العرب، كما أنهم فى الوقت نفسه لم ينفوا عنهم ذلك، بل نجدهم يشككون فى ذلك بقولهم إنهم يزعمون.

والباحث هنا لا يميل إلى نسبة القفص إلى العرب، وذلك لأسباب منها أن من طبيعة العرب بعد هجرتهم من مواطنهم، سواء قبل الإسلام أو بعده أنهم ينساحون مع المجتمعات الجديدة التى حلوا بها، ولم يكونوا جماعات مستقلة عن كيان المجتمعات الجديدة كما فعل القفص، وفى الوقت نفسه لا أنفى هجرة العرب إلى كرمان، فمن المعروف أن هناك هجرات للعرب سابقة على الإسلام استقرت فى كرمان ونواحيها، واستمرت هذه الهجرات العربية بعد الفتح الإسلامى، وكان للعرب تأثيرهم على سكان البلاد الأصليين، وانصهروا معهم(٥٧).

هذا بالإضافة إلى أن لغة القفص لم يكن بها شىء من العربية، فقد كانوا يتحدثون الفارسية بجانب لغة خاصة بهم، وأشار الاصطخرى إلى ذلك بقوله: «ولسان أهل كرمان الفارسية، إلا أن القفص لهم مع لسان الفارسية لسان

القفص»[٥٨]، كما أشار صاحب كتاب حدود العالم إلى ذلك أيضاً بقوله: «ولهم لغة خاصة»[٥٩].

كما ذهب البعض إلى القول بأن القفص من الأكراد فنجد ابن حوقل، وإن كان يشكك فى كون القفص من العرب، إلا أنه ينسبهم إلى الأكراد إذ ذكر أن لكل جبل من جبال القفص السبعة رئيساً منهم، وهم صنف من الأكراد[٦٠]، كذلك ذهب الإدريسى إلى هذا القول نفسه[٦١]، وأيضاً ذكر ليسترنج ذلك معتمداً على ما ذكره ابن حوقل والإدريسى دون أن يدعم ذلك الرأى[٦٢]، غير أنى لا أميل إلى نسبة القفص إلى الأكراد.

فإنه بالرجوع إلى المصادر التى أشارت إلى ذلك مثل ابن منظور وياقوت نجدهما يشبهانهما بالأكراد بقولهما إنه «هناك بجبال كرمان جبل كالأكراد يقال لهم القفص»[٦٣]، وربما يكون هذا التشبيه نابعا من تشابه القفص فى بعض عاداتهم بالأكراد، خصوصا أنه قد حدثت هجرات لبعض الأكراد من غرب فارس، وسكنوا بعض جبال كرمان خلال العصر العباسى[٦٤]، ولكن لم تحدث هجرة الأكراد إلى كرمان قبل الإسلام، ووجود القفص بها سابق على دخول الإسلام إليها- كما أسلفنا من قبل- وربما ما دعا البعض إلى نسبة القفص للأكراد أو تشبيههم بهم يرجع إلى نزوح بعض الهجرات الكردية إلى القفص، وعيشهم معهم فى مناطق نفوذهم الواسعة فى جبال القفص.

أما المسعودى فلم ينسب القفص إلى العرب، ولا إلى الأكراد، بل ذكرهم فى معرض حديثه كعناصر أو جيل خاص بنفسه، ونفهم ذلك من قوله: «ذكرنا فيما سلف من كتبنا سائر من سكن البدو والجبال فى المشرق والمغرب والشمال والجنوب من العرب والأكراد، والجت، والبلوج والكوج وهم القفص ببلاد كرمان»[٦٥].

وصفوة القول، إنه من خلال الآراء السابقة المختلفة عن أصل القفص، يبدو أنهم من العناصر الإيرانية، لهم طبائعهم ولغتهم الخاصة بهم، هذا بجانب إجادتهم اللسان الفارسى مثلهم فى ذلك مثل سائر أهل كرمان، ثم اختلطت بهم على مر العصور عناصر أخرى من العرب والأكراد التى تفاعلت وتعايشت معهم، خصوصا أن جبال القفص كانت تستوعب كثيراً من الوافدين عليهم.

٢- البَلُوص:

البلوص من العناصر القديمة التى كانت تسكن فى الشمال الشرقى من جبال القفص[٦٦]،ويعرفون فى الفارسية باسم البلوج[٦٧]،وقد تردد ذكرهم فى الكثير من المصادر العربية باسم البلوص[٦٨]، فذكرهم الاصطخرى «بأنهم يقيمون فى سفح جبل القفص»[٦٩]، كما عرفت أماكن سكنى البلوص باسم جبال البلوص نسبة إليهم[٧٠]، والجدير بالذكر أنه باستقراء بعض المصادر الجغرافية التى أشارت إلى جبال القفص والبلوص نفهم منها أن جبال البلوص كانت مضافة إلى جبال القفص، وذلك لقربها الشديد منها[٧١]، كما كانت جبال البلوص ذات منعة وسبل وعرة كجبال القفص[٧٢].

كما كانت أماكن سكنى البلوص واسعة تستوعب أعدادهم الكبيرة، وقد وصفهم ياقوت بأنهم أولو بأس وقوة وعدد وكثرة[٧٣]، ولعل اتساع مناطق نفوذهم وكثرة عددهم وعظم أمرهم هو الذى جعل ابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ/ ٩١٢م) يطلق عليها مقاطعة البلوص[٧٤]، والتى عرفت بوفرة خيراتها، وذكر عن البلوص أنهم كان لديهم الكثير من الأغنام، وكانت لهم بيوت من الشعر مثل بيوت العرب فى البادية[٧٥]، وكانت حياتهم تقارب حياة البدو[٧٦].

وقد وصف البلوص بأنهم أصبر خلق الله على الجوع والعطش، وكان أكثر طعامهم النبق، كما كانوا لا يميلون إلى ركوب الدواب، وعادة ما يركبون الجمازات[٧٧]، وكانوا يجيدون الصيد، ولهم كلاب مدربة على ذلك[٧٨]، أما عن صفاتهم الجسمانية فقد كانوا يتصفون بنحافة الجسم والسمرة، وذلك لغلبة الحر عليهم مثل القفص، بل كانت هذه الصفات هى السمة الغالبة على أهل كرمان[٧٩].

ولم يشكل البلوص نظام حكم مستقل عن السلطة الحاكمة فى كرمان، بل كان نظامهم قبلياً، وكان يتولى رئاستهم رئيس منهم يدير أمورهم ويطيعونه[٨٠]، وعرف البلوص بأنهم يميلون إلى السلم عن جيرانهم القفص، ومما يدل على ذلك ما ذكره الاصطخرى (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م) من أنهم لا يقطعون الطريق، ولا يتأذى منهم أحد[٨١]، كذلك أشار ابن حوقل (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) إلى ما يعضد ذلك أيضاً فيما ذكره من أنهم قوم ذوو سلامة، لا يتأذى بهم أحد، ولا يعترضون أبناء السبيل إلا

بخير[٨٢]، ثم جاء الإدريسى (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م) ليؤكد ما ذكره الاصطخرى وابن حوقل فى وصف البلوص بأنهم أولو نجدة وحدة وشوكة وعرامة زائدة ومنة قائمة، مع قلة أذيتهم وتأمينهم الطرق[٨٣]، كذلك ذهب ياقوت (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) إلى مثل ذلك فذكر أن البلوص مأمونو الجانب، لا يقطعون الطرق، ولا يقتلون الأنفس، كما تفعل القفص، ولا يصل إلى أحد منهم أذى[٨٤].

ولكن على الرغم مما وصف به البلوص بأنهم قوم مسالمون عن القفص وغيرهم من سكان المناطق الجبلية بكرمان، فلم يكن ذلك عن ضعف منهم، بل كانوا على قدر كبير من القوة التى لا يستهان بها، وقد وصفوا بأنهم أشر من القفص[٨٥]، وذلك راجع إلى كثرة خروجهم على السلطة الحاكمة فى كرمان، وعدم رضوخهم لها فى معظم الأحيان خصوصا خلال الحكم البويهى والسلجوقى بكرمان[٨٦]، ومما يدل على ما بلغه البلوص من قوة وشدة أن جيرانهم من القفص كانوا لا يخافون من أحد إلا منهم[٨٧]، ويهابونهم، ويسعون إلى مسالمتهم، فقد ذكر الإدريسى أن أهل جبال القفص يخافون معاداة البلوص ويسالمونهم عن غلبة[٨٨]، وأشار ياقوت إلى ذلك أيضاً بقوله: «لا تخاف القفص مع شدة بأسهم من أحد إلا من البلوص»[٨٩].

وقد حرص القفص على التحالف مع البلوص والتعاون معهم من أجل مواجهة السلطة الحاكمة فى كرمان خلال العهدين البويهى والسلجوقى، والذين كانوا يخشون على نفوذهم فى كرمان من قوة القفص والبلوص فتربصوا بهم للقضاء عليهم مما دفع القفص والبلوص إلى أن يخرجوا عليهم حفاظاً على وجودهم ونفوذهم الذى تمتعوا به قبيل امتداد نفوذ البويهيين إلى كرمان، ثم السلاجقة من بعدهم، ودائماً ما كانت السلطات الحاكمة تصف القفص والبلوص بأنهم قوم مفسدون[٩٠]. وعلى أية حال فقد كان لمجاورة البلوص للقفص وتعاونهما معاً ما جعلهم معدودين من الأشرار المفسدين مثلهم مثل القفص.

ولم يكن البلوص رحماء مع أعدائهم وأسراهم، إذ كان من عاداتهم أنهم إذا أسروا رجلاً حملوه على السير معهم عشرين فرسخاً (٦٠ ميلاً) حافى القدمين[٩١]، بدون طعام أو شراب، ولعل تلك الأفعال من جانب البلوص هى التى جعلت بعض

المؤرخين يصفونهم بالقسوة والشدة.

وقد كان البلوص يدينون بالإسلام،وكانوا على المذهب الشيعى، وقد أوضح ياقوت ذلك بقوله: «إن الغالب على أهل البلوص التشيع، ويبدو أنهم كانوا مغالين فى تشيعهم ومتعصبين حتى وصفوا بأنهم يدعون الإسلام، وأنهم أشد على المسلمين من الروم والترك»[٩٢].

والجدير بالذكر أن المذهب الشيعى كان أكثر تركيزاً وانتشاراً فى المناطق الجبلية فى كرمان[٩٣]، كما هو الحال بين القفص والبلوص، أو فى بعض النواحى الأخرى مثل قوهستان أبى غانم، والمنوجان[٩٤]، وقد أرجع بعض المؤرخين هذا التركيز إلى أنه سمة خاصة للفكر الشيعى الذى تبنى الدعوة السرية والتخفى بعد تعرض هذه العناصر لمطاردة الدولة الأموية، واستمرت هذه الخاصية خلال العصر العباسى بعد تصدى العباسيين للعلويين ومطاردتهم لهم[٩٥].

أما عن أصل البلوص فقد اختلفت الآراء أيضاً حول أصولهم، وبالرجوع إلى المصادر التى بين أيدينا لم نقف على رأى قاطع فى ذلك، ومن بين هذه الآراء ما ذكره ياقوت من أنهم جيل كالأكراد[٩٦]، كما نسبهم بعض المؤرخين إلى العرب ويظهر أن هذا الرأى مأخوذ من القصة البلوجية التى تزعم أنهم انحدروا من صلب ميرحمزة، وأنهم قدموا حلب، وحاربوا يزيد بن معاوية تحت لواء الحسين بن على فى كربلاء[٩٧]، واستناداً إلى تلك القصة فقد رأى البعض أن اسم حلب الذى جاء فى هذه القصة يثبت أن البلوص (البلوج) إنما انحدروا من قبيلة علاقى العربية، وهم من بنى علاق الذين كانوا فى كرمان فى عام ٦٥هـ/٦٨٤م تقريباً، واحتفظوا بالبلاد بعد أن قتلوا سعيد بن أسلم الذى كان الحجاج قد استعمله عليهم[٩٨].

وأيا ما كان الأمر فإن نسبة البلوص (البلوج) إلى العرب فى حاجة إلى ما يدعمها من أدلة، وإن كانت بعض العشائر العربية قد وفدت على البلوص، ووصلت إلى مكانة ذات شأن بينهم، لذا يرى بعض المؤرخين أنه ليست هناك أدلة كافية تسمح بالجزم بأنهم ينتسبون إلى العرب بوجه خاص[٩٩].

كذلك هناك آراء أخرى بالنسبة لأصل البلوص، فنجد من ينسبهم إلى

الزط(١٠٠)، وهذا الرأى قد انفرد به أبو الفدا (ت٧٣٢ هـ/١٣٣١م) حيث ذكر أن البلوص يقال لهم فى زمانه الجُت، وتقرب لغتهم من الهندية(١٠١)، ولكن باستقراء المصادر التاريخية والجغرافية التى بين أيدينا لم نعثر على ما يدعم ما ذكره أبو الفدا، بل نجد المسعودى (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) يذكر أنه فى بلاد كرمان القفص والبلوج (البلوص)، والجت(١٠٢)، وهو ما يفهم منه أن الجت عناصر تختلف عن البلوص والقفص أيضاً، وهناك من يرى أن البلوص من أصل إيرانى لا طورانى(١٠٣)، أما عن لغة البلوص (البلوج) فقد ذكر الاصطخرى (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م) أنهم كانوا يتحدثون إلى جانب الفارسية بلسان آخر خاص بهم(١٠٤).

وقبل أن ننهى الحديث عن نشأة وأصل القفص والبلوص، فإنه من الأهمية أن أشير هنا إلى العلاقة بينهما، وذلك لما لها من أثر على موقف السلطة الحاكمة فى كرمان خلال العهدين البويهى والسلجوقى الأول تجاه كل منهما؛ فقد كان لتجاور البلوص للقفص فى مساكنهم(١٠٥) أن أوجد فيما بينهما نوعاً من التعاون فى مواجهة الأخطار التى تواجهما، هذا فضلاً على أن القفص كانوا حريصين على مسالمة البلوص(١٠٦)، كما وضح من خلال المصادر التاريخية والجغرافية عند الحديث عنهما إذ كان يجيء ذكرهما دائماً متلازماً باسم القفص والبلوص أو الكوج والبلوج(١٠٧)، هذا إلى جانب أن تلك المصادر لم تشر بأية صورة من الصور إلى حدوث نزاعات أو مشاحنات بين القفص والبلوص تدل على وجود علاقات عدائية بينهما، بل على النقيض من ذلك فقد كانت روح التعاون والمسالمة هى السائدة بين القفص والبلوص مما جعل مواقفهما تجاه السلطة الحاكمة فى كرمان واحدة(١٠٨)، ولعل ذلك يجعلنى أميل إلى حد ما إلى القول بأن القفص والبلوص ربما كانوا ينتمون إلى أصل واحد، خصوصا أنه اتضح من خلال الصفحات السابقة من هذا البحث وجود أشياء عدة متشابهة بينهما، وإن كان هذا يحتاج إلى دليل يدعمه من خلال المصادر، وربما يظهر فيما بعد من مصادر لم تصل إلينا ما يضيف جديداً إلى ما طرحته فى صفحات هذا البحث بالقدر الذى أتاحته لنا المصادر التاريخية والجغرافية التى فى متناول الباحثين والمؤرخين فى أيامنا هذه.

ثانياً: القُفص والبَلُوصُ قبل العهد البويهى:

مع وصول حركة الفتوحات الإسلامية إلى كرمان فى خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢٣هـ/٦٤٣م استطاعت قوات الجيش الإسلامى بقيادة مجاشع بن مسعود السلمى من دخول كرمان، بعد محاولات شديدة، وصمود أهلها أمام القوات الإسلامية، وقد استعان أهل كرمان ببعض سكان المناطق الجبلية فى كرمان كالقفص[(١٠٩)]، وذلك لبراعتهم فى القتال وخوض الحروب[(١١٠)]، وعلى الرغم من استعداد أهل كرمان لمواجهة المسلمين فإن القوات الإسلامية تمكنت من دخول كرمان[(١١١)]، وبعدها كانت المواجهات مع أهالى المناطق الجبلية فى نواحى كرمان، ومن بينهم القفص والبلوص، ولكن المصادر المبكرة التى تناولت امتداد حركة الفتوحات الإسلامية إلى كرمان لم تشر إلا إلى مواجهة القفص، وخصوصا بعد أن توالت حملات المسلمين على كرمان فى عهد عثمان بن عفان، ونجاح القوات الإسلامية فى إحكام سيطرتها على بروخردة، والسيرجان[(١١٢)]، وبم[(١١٣)]، وجيرفت[(١١٤)].

وقد ذكر البلاذرى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) أنه «بعد أنْ فتح مجاشع بن مسعود مدينة جيرفت عنوة، وسار فى كرمان وأتى القفص»[(١١٥)]، ونجح فى التغلب عليهم وفى إذعانهم لهم، ثم ما لبث أن أحكم المسلمون سيطرتهم على كرمان حتى هرب كثير من أهلها، ولحق بعضهم بمكران وسجستان، وأقطع العرب منازلهم[(١١٦)]، واستقرت الأوضاع فى كرمان بعد ذلك، لكن المناطق الجبلية كانت مصدراً لكثير من القلاقل، وبخاصة المناطق التى كان يقطنها القفص والبلوص، فقد كانوا كثيرى الاضطرابات، معتمدين فى ذلك على أماكنهم الحصينة، وقد امتد خطر القفص إلى المناطق المجاورة لكرمان، ففى سنة ٣٦هـ/٦٥٦م، خلال ولاية عبد الرحمن بن سمرة على سجستان[(١١٧)]، أغار القفص على تجار سجستان أثناء عبورهم المناطق القريبة من القفص بصحراء كرمان، وتمكن القفص من قتل جماعة من هؤلاء التجار، وأسروا بعضاً منهم، ثم تركوهم مكبلين فى الصحراء، واستولوا على ما كان معهم من أموال وخيل وغير ذلك، ولكن ما إن علم المهلب بن أبى صفرة، قائد جيش عبد الرحمن بن سمرة آنذاك، وبذلك كان قريباً منهم، سار لنجدتهم، واستطاع

أن يلحق بمن كان معه بالقفص ويهزمهم، رغم كثرتهم، وقتل بعضاً منهم، ومن نجا منهم ترك ما استولى عليه من تجار سجستان والذين استردوا أمتعتهم وأموالهم، وعندما عاد المهلب إلى سجستان، وعلم واليها عبد الرحمن بن سمرة بما أبداه المهلب من شجاعة وهزيمته للقفص كافأه على ذلك، وخلع عليه، ومنحه عطايا وفيرة[118].

على الرغم من أن القفص والبلوص كانوا خارج نطاق السيطرة الإسلامية فى كرمان فى عهدى الراشدين والأمويين إلا أنهم ظلوا على ذلك حتى العصر العباسى[119].

وفى العصر العباسى اكتفى ولاة العباسيين بإعلان القفص والبلوص طاعتهم لهم، وإرسال الأموال إليهم، فى الوقت الذى احتفظ فيه القفص والبلوص بنفوذهم وبما تحت أيديهم[120]، وبقوا على هذا الحال حتى بعد تغلب الطاهريين على كرمان[121]، ولم تشر المصادر التى بين أيدينا إلى وقوع مصادمات بينهم وبين القفص والبلوص طوال عهد الدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ/٨٢٠-٨٧٢م)، ولكن الأوضاع قد تغيرت بعض الشىء بعد أن نجح الصفاريون[122] فى التغلب على كرمان سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م، وأحكموا سيطرتهم على سكان المناطق الجبلية[123]، ونجحوا فى إخضاع البارزين المقيمين فى جبال البارز غرب مدينة جيرفت، حيث تمكن عمرو الصفار (٢٦٥-٢٨٧هـ/٨٧٨-٩٠٠م) من إضعاف قوتهم مما اضطرهم إلى الإذعان إليه، وكذلك الحال عندما أذعن القفص والبلوص كجيرانهم إلى للصفاريين[124].

وهكذا دخل القفص والبلوص فى طاعة الصفاريين، ولم تحدث من جانبهم أى اضطرابات أو قلاقل تؤدى إلى دخولهم فى صراعات مع الصفاريين، ويبدو أنهم ظلوا على هذا النهج حتى سقوط الدولة الصفارية فى سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م[125]، وبنجاح الخلافة العباسية فى إعادة سيطرتها على كرمان، أرسل الخلفاء الولاة وعمال الخارج إليها من بغداد[126]، واستمر القفص والبلوص على طاعتهم للخلافة، يرسلون الأموال من قبلهم دون تدخل ولاة الخلافة فى كرمان فى شئونهم، وفى سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م عندما تمكن أبو على محمد بن إلياس من الانفراد بحكم كرمان[127]،

ساد بينه وبين القفص والبلوص شيء من التعاون مما أدى إلى استقرار الأحوال أمامه فى كرمان، ولم يحدث ما يؤدى إلى وجود نزاعات فيما بينهم[١٢٨].

وفى عام ٣٢٤هـ/٩٣٥م تغيرت أحوال القفص والبلوص، ودخلوا فى العديد من الصراعات والنزاعات مع القوى السياسية الجديدة فى كرمان، والتى بدأت بامتداد النفوذ البويهى إلى هناك[١٢٩]، فقد حرص البويهيون على القضاء على القفص والبلوص؛ لكى تكون لهم السيطرة الكاملة على كرمان دون منازع، ومنذ دخول البويهيين إلى كرمان سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م حتى امتداد النفوذ السلجوقى إليها فى سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م دخل القفص والبلوص فى حروب عدة مع البويهيين، ثم مع الغزنويين والسلاجقة من بعدهم، وكانت هذه الحروب تهدف إلى القضاء على القفص والبلوص، والتخلص منهم، وكانت آخر هذه الحروب على يد قاورد بك بن جغرى بك السلجوقى، وفيما يأتى سنتحدث عن موقف البويهيين والغزنويين والسلاجقة من القفص والبلوص منذ عام ٣٢٤هـ/٩٣٥م حتى عام ٤٤٠هـ/١٠٤٨م،وما تخلل تلك الفترة من أحداث أثرت على أوضاع القفص والبلوص إلى أن ضعف نفوذهم، وانهارت قواهم، وتفرقوا فى كثير من البلاد خارج كرمان.

ثالثاً: علاقة القُفص والبَلُوصُ بالبويهيين:

تبدأ علاقة القفص والبلوص بالبويهيين منذ دخول قوات أحمد بن بويه إلى كرمان فى سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م، وتغلبه عليها، لذا تقتضى ضرورة البحث أن نشير إلى بداية دخول البويهيين إلى كرمان فى إيجاز حتى لا نخرج عن موضوع البحث الذى نحن بصدده، ولكى نتتبع موقف البويهيين من القفص والبلوص ومدى علاقاتهم بهم.

فعندما تمكن على بن بويه من فارس، وأخوه الحسن بن بويه من أصفهان بإقليم الجبال[١٣٠]، وجها أخاهما الأصغر أحمد بن بويه فى سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م إلى كرمان على أن تكون خالصة له[١٣١]، فاصطحب معه نحو ألف وخمسمائة رجل من كبار قادة الديلم، ونحو خمسمائة رجل من الأتراك غير العسكر، كما كان برفقته كاتبه أبو الحسين أحمد بن محمد الرازى الذى كان يعرف «بكوردفير»، وكان من

المقربين لأحمد بن بويه، وممن يثق بهم واشتهر كوردفير بالشجاعة والإقدام وسعة الصدر[١٣٢]، وقد كان له دور فعال في موقف أحمد بن بويه من القفص والبلوص فيما بعد، وعلى أية حال فقد نجح أحمد بن بويه ومن معه في دخول مدينة السيرجان[١٣٣] دون مقاومة، وحصل منها على أموالٍ كثيرة وأنفقها على عسكره[١٣٤].

والجدير بالذكر أن استيلاء القوات البويهية على مدينة السرجان التي تعد العاصمة الأولى لكرمان يرجع إلى انشغال بنى إياس حكام كرمان آنذاك، وتدهور نفوذهم، وذلك لتعرضهم لهجمات القوات السامانية، حيث قام الأمير نصر بن أحمد الساماني (٣٠١-٣٣١هـ/٩١٣-٩٤٣م) بإرسال قواته بقيادة إبراهيم بن سيمجور الدواتي[١٣٥]،وحاصر محمد بن إلياس بن إليسع[١٣٦] في قلعة بردسير[١٣٧]، ولكن ما إن علم إبراهيم بن سيمجور بسيطرة أحمد بن بويه على السيرجان عدل عن قتال ابن إياس، وترك حصاره لقلعة بردسير وعاد بقواته إلى خراسان[١٣٨].

وقد ترتب على دخول القوات البويهية مدينة السرجان أن تخلص محمد بن إلياس من محاصرة القوات السامانية له في بردسير، وكان عليه مواجهة البويهيين، ولكن على ما يبدو فإنه لم يجد في مقدوره التصدي للقوات البويهية فقام على الفور بمغادرة قلعة بردسير، وتوجه إلى مدينة بم القريبة من مفازة سجستان[١٣٩]، لكن قوات أحمد بن بويه كانت من ورائه، وتمكنت من دخول مدينة بم بعد فرار محمد بن إلياس ومن معه إلى سجستان، وقام أحمد بن بويه بتولية أحد قادته على مدينة بم، ثم توجه بقواته إلى مدينة جيرفت[١٤٠] التي وصفها مسكويه بأنها قصبة كرمان آنذاك[١٤١].

ثم بدأت المواجهات بين القفص والبلوص والقوات البويهية بتحرك أحمد بن بويه بقواته إلى مدينة جيرفت الواقعة تحت نفوذ القفص والبلوص حينئذ، حيث نجحوا في مد نفوذهم خارج موطنهم في جبال القفص والبلوص، وتغلبوا على بعض النواحي القريبة منهم حتى وصلوا إلى جيرفت[١٤٢]، وهنا أود أن أشير إلى أنه يتبين من سير الأحداث أن بني إلياس لم ينفردوا بالسلطة والنفوذ على كرمان قبيل دخول البويهيين إليها، بل كان يشاركهم القفص والبلوص في ذلك، وقد أشار

عباس إقبال فى أثناء حديثه عن أحمد بن بويه إلى ذلك بقوله: «إن كرمان كان قسم منها بيد محمد بن إلياس، وقسم آخر بيد رؤساء البلوج (البلوص)» [١٤٣]، ونضيف إلى ذلك أن البلوص لم يكونوا منفردين فى هذا، بل كان معهم القفص أيضاً.

لقد كان القفص والبلوص وقت دخول البويهيين إلى كرمان متحدين فيما بينهما تحت رئاسة على بن الزنجى المعروف «بعلى بن كلويه» الذى ما إن علم بمسير القوات البويهية إلى جيرفت حتى أرسل إلى أحمد بن بويه عارضاً عليه دفع مال يتفق عليه فيما بينهما، شريطة أن يحتفظ القفص والبلوص بنفوذهم وأن يتعهد أحمد بن بويه بعدم التعرض لهم، كما أوضح على بن كلويه لأحمد بن بويه أن ذلك رسم متعارف عليه بينهم وبين كل من تئول إليه السلطة فى كرمان، وذلك منذ عهود سابقة لأسلافهم من القفص والبلوص[١٤٤].

ولم يكن أحمد بن بويه صاحب القرار فى تحديد موقفه فيما عرضه عليه على بن كلويه رئيس القفص والبلوص، إذ كان عليه الرجوع إلى أخيه على بن بويه فى فارس، ويتضح ذلك مما ذكره مسكويه فى هذا الشأن من أن أحمد بن بويه قد «أجابه بأن الأمر فى هذا إلى أخيه على بن بويه»[١٤٥].

وفى الوقت نفسه طلب أحمد بن بويه من على بن كلويه ضرورة دخول مدينة جيرفت أولاً حتى يرد عليه[١٤٦] فيما طلبه، وعلى ما يبدو فإن على بن كلويه ومن معه من القفص والبلوص كانوا حريصين على مسالمة البويهيين فى هذه المرحلة، فقد استجاب على بن كلويه لطلب أحمد بن بويه ورحل بقواته عن مدينة جيرفت، غير أنه نزل على بعد عشرة فراسخ (٤٠ ميلاً) من المدينة، وتحصن فى أحد المواضع المنيعة التى يصعب على القوات البويهية ارتيادها[١٤٧]، ثم دخل أحمد بن بويه بقواته إلى جيرفت[١٤٨]، فى حين ظل على بن كلويه رئيس القفص والبلوص متحصناً فى موقعه بالقرب من مدينة جيرفت، وترددت المراسلات بينه وبين أحمد بن بويه فى جيرفت إلى أن تمت موافقة على بن بويه فى فارس على المصالحة والمهادنة مع القفص والبلوص، وأرسل إلى أخيه أحمد بن بويه بذلك، والذى قام بدوره بالاتفاق مع على بن كلويه على أن يرسل إليه ألف ألف درهم كل سنة، وذلك نظير استقلال القفص والبلوص بما تحت أيديهم، ودون التدخل فى شئونهم، كما قام

على بن كلويه بإرسال رهائن من القفص والبلوص إلى أحمد بن بويه دليلا على صدق نواياه ومسالمته للبويهيين، وأرسل إليه فى الوقت نفسه هدية من المال تبلغ حوالى مائة ألف درهم غير محسوبة من المال المتفق عليه، وأقام على بن كلويه الخطبة باسم أحمد بن بويه فى مناطق نفوذهم بجبال القفص والبلوص، ومن ثم استقرت الأوضاع بين الطرفين على هذا النحو(١٤٩).

ويلاحظ مما سبق كيف سلك على بن كلويه طريق المسالمة مع أحمد بن بويه، وسعيه إلى الموادعة فيما بينهما(١٥٠)، لكن موقف أحمد بن بويه ما لبث أن تغير تجاه القفص والبلوص، ولم يستمر طويلاً فى مسالمتهم، وذلك نتيجة لتحريض بعض أصحابه على ضرورة النيل من القفص والبلوص وزعيمهم على بن كلويه(١٥١)، وكان من أبرز محرضيه كاتبه كوردفير(١٥٢)، الذى أشار على سيده أحمد بن بويه بأن يغدر بهم ويباغتهم(١٥٣)، خصوصا بعد أن أمِنُوا جانب البويهيين بعدما صار بينهم من عهود، وظل كوردفير يزين لسيده أحمد بن بويه ذلك الأمر وأنه سوف يفوز بالاستيلاء على ما لدى القفص والبلوص من أموال وذخائر كثيرة، فضلاً على استيلائه على بلادهم، وبعدها تكون له السيادة على كرمان، ومن ثم يحقق ما لم يحققه أحد من قبله(١٥٤).

لم يفكر أحمد بن بويه فى عواقب ما يحدث نتيجة غدره بالقفص والبلوص، وعدم حفاظه على العهود التى بينهما، واندفع وراء ما أشار به أصحابه وكاتبه كوردفير، ولعل ذلك الاندفاع نابع من «اغتراره بنفسه وحداثة سنه»(١٥٥)، فجمع خيرة قواته، وخرج بهم من جيرفت قاصداً على بن كلويه ومن معه من القفص والبلوص ومباغتتهم ليلاً(١٥٦).

من ناحية أخرى كان على بن كلويه ومن معه من القفص والبلوص على جانب كبير من الحيطة والحذر، إذ إنه لم يركن إلى ما جرى بينه وبين البويهيين من صلح، وكان قد دس عيونه وجواسيسه بين رجال أحمد بن بويه فى جيرفت لمراقبة ما يحدث، وعندما وصله الخبر بخروجه على رأس قواته لمهاجمة القفص والبلوص قام على بن كلويه بالاستعداد لملاقاتهم، ورتب قواته من على مضيق بين جبلين تمر به القوات البويهية، وما إن حل الليل فاجأهم على بن كلويه بقواته وقتل

واسر منهم الكثير، ولم يفلت إلا القليل منهم، كما أصيب أحمد بن بويه في هذه المعركة، وقطعت يده اليسرى وبعض أصابع يده اليمنى، وسقط مغشياً عليه بين القتلى لكثرة ما أصاب جسده من ضربات على يد القفص والبلوص، وما إن وصل الخبر إلى مدينة جيرفت وكان بها كوردفير وبعض أصحاب أحمد بن بويه خرجوا منها هاربين إلى مدينة السرجان(١٥٧) خشية أن ينتقم منهم على بن كلويه.

ولما انتصر القفص والبلوص على قوات أحمد بن بويه، قام زعيمهم على بن كلويه بتفقد القتلى، وعندما رأى أحمد بن بويه قد أشرف على الموت عمل على إنقاذه، وحمله إلى مدينة جيرفت وأحضر الأطباء لعلاجه(١٥٨) إلى أن شفى، وأحسن معاملته هو وسائر من وقعوا أسرى فى يده من رجاله(١٥٩)، وهذا يبين لنا مدى حرص على بن كلويه على مسالمة البويهيين؛ لأنه يدرك أن أحمد بن بويه قد غرر به فيما فعل من مهاجمة القفص والبلوص ونكسه بما كان بينهما من عهود.

ثم أرسل على بن كلويه إلى على بن بويه فى شيراز يطمئنه على أخيه أحمد بن بويه ويعتذر عما حدث، وأوضح له موقفه، وأنه ما زال على عهده الذى أبرمه معهم من قبل(١٦٠).

وكان على بن بويه قد حزن لما وقع لأخيه وقواته فى جيرفت، واشتد غضبه على كوردافير كاتب أخيه لتحريضه على ما فعل، وأرسل أبا العباس الحناط ليحل محل كوردافير ومعه حاجبه (خطلخ)، وبصحبته ألفى رجل من قواته إلى مدينة السرجان، ونجح رجال على بن بويه فى القبض على كوردافير، والحفاظ على ما بقى لأحمد بن بويه فى السرجان، وجمع شمل عسكره بعدما حل بهم على يد القفص والبلوص(١٦١).

كما أرسل على بن بويه من قبله فى شيراز إلى على بن كلويه، زعيم القفص والبلوص فى جيرفت، جماعة من وجهاء رجاله منهم قاضى شيراز، وأبا العباس الحناط، وأبا الفضل العباس بن فسانجس، يشكرونه على حُسْن موقفه مع أحمد بن بويه رغم ما حدث منه، وأقروا معه ما كان بينه وبين البويهيين من عهود، كما ردوا عليه رهائنه من القفص والبلوص الذين كانوا طرفهم، وجددوا العهد والعقد معه، واستقر الصلح بينهما، وأحسن على بن كلويه استقبال رسل على بن بويه إليه،

وأطلق أحمد بن بويه وسائر من كانوا تحت يده من رجاله، وعـادوا إلـى مدينـة السرجان[١٦٢]، وبهذا برهن على بن كلويه على حسن نوايـاه، وأن تظـل علاقـة القفص والبلوص بالبويهيين يسودها الود والتعاون فيما بينهما.

ويبدو من سير الأحداث أن أحمد بن بويه لم يستعد مدينة جيرفت، وأن على بن كلويه لم يغادرها، وظلت تحت نفوذ القفص والبلوص كما كانت قبـل دخـول البويهيين إلى كرمان.

والجدير بالذكر أن الأوضاع لم تستقر لأحمد بن بويه فى السرجان، فقد كان لما لحقه من هزيمة على يد القفص والبلوص أثره فى تشجيع محمد بن إلياس الذى كان قد هرب إلى سجستان على إعادة ملكه فى كرمان الذى سلبه منه البويهيـون، وجمع قواته وخرج بها فى سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م متوجهاً إلى كرمان، ومـا أن علـم أحمد بن بويه بذلك حتى سار على رأس قواته من السرجان، والتقى مع ابن إلياس عند بلدة خناب[١٦٣]، ووقع القتال بينهما عدة أيام، تمكن خلاله أحمد بن بويه مـن هزيمة ابن إلياس الذى فر هارباً بمن معه إلى سجستان، وعاد أحمد بن بويه بقواته منتصراً إلى مدينة السرجان مقر حكمه فى كرمان[١٦٤].

وقد حفز هذا الانتصار أحمد بن بويه على معاودة قتال القفص والبلـوص، والانتقام من على بن كلويه، وخرج بقواته لقتاله غير مبال بما بينهما من عهـود، وكان على بن كلويه كعادته متيقظاً له، مستعدا لقتاله، فحشد قواتـه مـن القفـص والبلوص، وخرج للقائه خارج مدينة جيرفت، وبادر على بن كلويه بتوجيه الضربة الأولى لأحمد بن بويه، ومباغتته ليلاً ، ونجح القفص والبلوص بما عرف عنهم من براعة فى العدو، والمصابرة فى القتال، من قتل كثير من قوات أحمد بـن بويـه، ونهب معسكره، ثم انصرفوا وعسكروا على بعد فرسخين (٦ أميال) منها، حيـث سقطت الأمطار بغزارة مما عرقل حركتهم، لكن أحمد بن بويه اسـتطاع أن يعيـد تنظيم قواته وهاجم على بن كلويه عازماً التشفى منه، ودارت الدائرة على القفـص والبلوص وحلت الهزيمة بهم، وقتل كثير منهم، وهرب على بن كلويه بمن بقى معه من القفص والبلوص إلى مدينة جيرفت[١٦٥].

وقد فرح أحمد بن بويه بانتصاره على القفص والبلوص وفرار قائدهم علـى

بن كلويه، وكتب إلى أخيه على بن بويه فى شيراز يخبره بما حققه من انتصار، فما كان من أخيه على بن بويه إلا أن أرسل إليه طالباً منه أن يتوقف عند هذا الحد، ولا يتجاوزه[١٦٦]، وبعث إليه أحد قادته الكبار ويدعى «المرزبان بن خسرة الجيلى»، وأمره بالعودة إليه، وألزمه بذلك، ولم يخالف أحمد بن بويه أمر أخيه وغادر كرمان ولحق بأخيه على بن بويه[١٦٧]، الذى كان موجوداً فى إصطخر آنذاك[١٦٨].

مما سبق يتبين أن على بن بويه بموقفه من أخيه أحمد بن بويه قد كان بعيد النظر، وذا خبرة سياسية وعسكرية كبيرة؛ لأنه أراد أن يحافظ على الوجود البويهى فى كرمان الذى يعد تأميناً وحماية لوجودهم فى فارس أيضاً.

وقد رأى على بن بويه أن بقاء أخيه أحمد بن بويه فى كرمان باندفاعه وتهوره ومصادماته المتكررة مع القفص والبلوص- على الرغم من دخولهم فى طاعة البويهيين- وسياسته تجاه القفص والبلوص- ستؤدى إلى ضياع ما حققه من مكاسب للبويهيين هناك، وعلى حد قول ابن خلدون «إن كرمان قد امتنعت على أحمد بن بويه»[١٦٩]، لذا كان من الحكمة أن قام على بن بويه باستدعائه- كما أشرنا- وأسند الأمر لمرزبان بن خسرة الجيلى[١٧٠]الذى اتبع سياسة سابقيه ممن تولوا حكم كرمان قبل دخول البويهيين إليها من مسالمة القفص والبلوص مقابل دخولهم فى طاعة البويهيين.

أما عن مصير على بن كلويه رئيس القفص والبلوص، فلم تشر المصادر التى بين أيدينا إلى ما آل إليه أمره بعد هزيمته على يد أحمد بن بويه، وفراره إلى مدينة جيرفت، إلا أنه يمكننا القول بأنه لم تنله أيدى البويهيين، ومما يدل على ذلك أن أحمد بن بويه لم يستطع التشفى منه وقتله، وقد أشار مسكويه إلى ذلك بقوله: «إن أحمد بن بويه رجع إلى حضرة أخيه كارها، لأنه ما كان بلغ ما فى نفسه من على بن كلويه وأصحابه»[١٧١].

على أية حال، فإن الأوضاع قد استقرت بعض الشيء بين القفص والبلوص والبويهيين، إذ عمل المرزبان بن خسرة الجيلى، نائب على بن بويه فى السرجان، على تنفيذ سياسة سيده، ومصالحة القفص والبلوص على ما كانوا قد اتفقوا عليه من

قبل على أن يقوم القفص والبلوص بدفع مال متفق عليه سنوياً مقابل عدم تدخل البويهيين فى شئونهم، ويبدو أن الأوضاع قد استمرت على هذا النحو طوال عهد على بن بويه، فلم تشر المصادر إلى ما يعكر صفو هذا الهدوء بين القفص والبلوص ونواب على بن بويه فى كرمان حتى سيطرة عضد الدولة البويهى على مقاليد الأمور فى كرمان، والذى عمل على التخلص من القفص والبلوص، لتكون له السيطرة الشاملة على البلاد دون منازع، وهذا ما سنوضحه فى الصفحات الآتية من البحث.

ولم يكن يعنى القفص والبلوص إلى من تئول السلطة الحاكمة فى كرمان، إذ كان من شأنهم أن يؤدوا إلى المتغلب الجديد، أو من يتولى شئون الحكم ما اعتادوا عليه من الأموال كل عام، والاعتراف به، مقابل احتفاظهم باستقلالهم فى مناطق نفوذهم، وممارسة حياتهم التى ألفوها دون تدخل من السلطة الحاكمة(١٧٢).

ففى سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م حدث أن تغيرت الأوضاع السياسية فى كرمان، وذلك عندما نجح أبو على محمد بن إلياس الذى فر إلى سجستان بعد دخول أحمد بن بويه مدينة السرجان سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م فى استعادة نفوذه فى كرمان(١٧٣)، وانتزاعها من قبضة إبراهيم بن كاسك نائب على بن بويه آنذاك، ثم ما لبث أن دخل أبو على بن محمد بن إلياس فى طاعة على بن بويه، وأصبح ينوب عن بنى بويه فى حكم كرمان، واستمر ابن إلياس فى حكم كرمان حتى بعد وفاة على بن بويه سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م، وأرسل إليه من قبل الخلافة فى بغداد سنة ٣٤٨هـ/٩٥٩م لواء وعهد مع القاضى أبى بكر أحمد بن سيار الصميرى(١٧٤) مما زاد من استقرار الأوضاع لأبى على بن محمد بن إلياس فى كرمان(١٧٥).

وخلال تلك الفترة لم يدخل أبو على محمد بن إلياس فى صراعات مع القفص والبلوص، بل كانت علاقته بهما يسودها الود والتعاون فيما بينهما، ومن اللافت للنظر أن نجد أن ابن إلياس قد تركهم يمارسون ما اعتاد عليه كثير منهم من قطع الطرق وأعمال السلب والنهب كسالف عهدهم(١٧٦)، وكان ذلك نظير أموال يحصلها منهم، إذ ذكر مسكويه «أن أبا على محمد بن إلياس شارك اللصوص وصعاليك القفص والبلوص فحصل عنده على طول السنين من جهتهم مال عظيم فى قلعة

بردسير»[١٧٧].

وقد ظل القفص والبلوص طوال فترة حكم أبى على محمد بن إلياس يقومون بقطع الطرق، ويعتدون على القوافل التجارية حتى أشاعوا الكثير من الاضطرابات والقلاقل دون أن يتصدى لهم ابن إلياس، بل كان يسعى إلى تحقيق المكاسب من ورائهم، ومقاسمتهم ما يحصلون عليه، ففى سنة ٣٥٧هـ/٩٦٧م حدث أن قام القفص والبلوص بمهاجمة إحدى القوافل التجارة، وغنموا منها أموالاً عظيمة كانت لبعض التجار، فما أن علم ابن إلياس بذلك حتى خرج إليهم من بردسير طالباً نصيبه من تلك الأموال التى استولوا عليها من التجار[١٧٨].

ومن البديهى أن تؤثر تلك الأعمال التى كان يقوم بها القفص والبلوص على الحياة الاقتصادية، وبوجه خاص على النشاط التجارى فى كرمان والمناطق المجاورة لها، ولم يعمل ابن إلياس على إيقاف ذلك، بل أسهم فى استمرار أعمال السلب والنهب وهنا نسأل لماذا لم يقم ابن إلياس بالتصدى للقفص والبلوص وردعهم؟ وباستقراء الأحداث التاريخية وتطورها خلال هذه الفترة يمكننا القول بأن ابن إلياس كان يخشى قوة القفص والبلوص، هذا بالإضافة إلى أنه كان يحرص على جمع الأموال، وتحقيق بعض المكاسب المادية من ورائهم، وذلك لأنه أدرك أن وجوده فى كرمان مرهون برضا البويهيين عليه، وأنه لا يأمن جانبهم وقد سبق لهم أن أخرجوه من قبل، واستولوا على ما تحت يده فى كرمان، لذا نجده لا يعمل إلا لمصلحته فقط، ومما يدل على ذلك أنه جمع على مر السنين من وراء القفص والبلوص الكثير من الأموال والجواهر والأمتعة الفاخرة، والتى أودعها فى قلعة بردسير، وهذه الأموال وغيرها استولى عليها عضد الدولة البويهى فيما بعد[١٧٩].

وقد ارتبطت أحوال القفص والبلوص فى كرمان بتطور الأوضاع فى الدولة البويهيه وكرمان، فعندما توفى على بن بويه فى شيراز سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م، وآل الأمر من بعده لابن أخيه عضد الدولة بن ركن الدولة البويهى[١٨٠]، وظل أبو على محمد بن إلياس يحكم كرمان كتابع للبويهيين حتى تدهورت أحواله بعد مرضه بالفالج فى سنة ٣٥٧هـ/٩٦٧م، ووقع الاختلاف بين أبنائه، وقام أخوه سليمان بالخروج عليه، مما أثر على علاقات القفص والبلوص بالسلطة الحاكمة فى كرمان،

وسوف أشير إلى هذه الاضطرابات التى وقعت فى كرمان، وذلك بالقدر الذى يوضح لنا ارتباط القفص والبلوص بها.

وقد كانت بداية الاضطرابات بين أبناء أبى على محمد بن إلياس فى بردسير عندما قام بتقسيم ما تحت يده بين أبنائه الثلاثة، فجعل لابنه إليسع تدبير عسكره وولاية عهده، ثم يكون الأمر من بعده لأخيه إلياس، أما ابنه الثالث سليمان فقد أمره أبوه بأن يتوجه إلى الصغد(١٨١)، ويحصل منها على أموال وذخائر كثيرة قد أودعها هناك، وقد أراد أبو على محمد بن إلياس بذلك إبعاد ابنه سليمان عن كرمان لعدائه لأخيه إليسع، وأظهر الجميع قبولهم لذلك(١٨٢).

لكن سليمان بن محمد بن إلياس لم يرض بما فعله أبوه معهم، ولم يخرج إلى الصغد، وتوجه إلى القفص والبلوص، واستنجد بهم، وطلب منهم مساعدته فى الحصول على أن تكون له الولاية فى كرمان بدلاً من أخيه إليسع، ويبدو أنهم رحبوا به وأيدوه، ومما يدل على ذلك أنه حصل منهم على أموال كثيرة كان سيتسلمها أبوه منهم، فحال مرضه دون ذلك(١٨٣).

وما إن علم أبو على محمد بن إلياس بذلك، وكان فى عاصمة ملكه فى بردسير، غضب على مخالفة ابنه سليمان لأوامره، ولجوئه إلى القفص والبلوص، وكذلك لمساندتهم له، فما كان منه إلا أن أمر ابنه إليسع بأن يخرج على رأس قواته لمواجهة ابنه سليمان ومسانديه من القفص والبلوص، وكان سليمان قد تحصن بمن معه فى مدينة السرجان، وحاصره أخوه إليسع، ووقع القتال بينهما لعدة أيام، حتى ضاق سليمان ومساندوه من القفص والبلوص، وهرب من السرجان إلى الصغد، واكتفى إليسع بذلك، ولم يلحق به امتثالاً لأمر أبيه، ثم دخل مدينة السرجان(١٨٤)، وقام بمعاقبة كل من عاونوا أخاه سليمان ووقفوا بجانبه فى مدينة السرجان، ثم ما لبث أن صفح عنهم وعن القفص والبلوص، واستقرت الأوضاع لإليسع فى كرمان، وخصوصا بعد أن ترك له أبو على محمد بن إلياس الحكم فى بردسير، ورحل إلى خراسان، وأقام بها حتى مات فى سنة ٣٥٧هـ/٩٦٧م(١٨٥).

على أية حال فإنه منذ أن آلت الأمور إلى إليسع بن محمد بن إلياس فى بردسير بكرمان لم تحدث بينه وبين القفص والبلوص نزاعات، ولم تشر المصادر

التى فى متناول البحث إلى وقوع أية صدامات تعكر صفو العلاقات بينهما، ويبدو أن الأوضاع بينهما عادت كما كانت فى عهد أبيه محمد بن إلياس، وعلى الرغم من ذلك لم يدم الأمر طويلاً لليسع بن محمد بن إلياس، إذ سرعان ما تمكن الأمير عضد الدولة البويهى من إحكام قبضته على كرمان، واصطدم بالقفص والبلوص، وحرص على التخلص منهم، والسيطرة على ما تحت أيديهم من بلاد(١٨٦).

وقد استغل عضد الدولة البويهى وقوع الاضطرابات بين أبناء أبى على بن محمد بن إلياس فى كرمان، وتمكنت قواته من دخولها فى شهر رمضان سنة ٣٥٧هـ/٩٦٧م، واستولت على ما كان لإليسع بن محمد بن إلياس بعد هروبه إلى خراسان(١٨٧)، واستولى عضد الدولة على قلعة بردسير مقر ملك بنى إلياس فى كرمان(١٨٨)، ومن ثم دخلت كرمان تحت مناطق نفوذ عضد الدولة البويهى، وأرسل الخليفة المطيع لله العباسى (٣٣٤-٣٦٣هـ/٩٤٥-٩٧٣م) فى بغداد العهد والخلع إليه والعقد على أعمال كرمان كلها(١٨٩)، وبسط عضد الدولة البويهى بذلك نفوذه على كرمان، وقام بتقليد الأمر فيها لأكبر أولاده أبى الفوارس شيرزيل(١٩٠)، وأناب عنه عليها كوركير بن جستان كبير قادته، ثم عاد عضد الدولة إلى مقر ملكه فى شيراز(١٩١).

لم يهنأ البويهيون بالسيادة الكاملة على كرمان، إذ لم يذعن القفص والبلوص لهم، ولم يدخلوا فى طاعة عضد الدولة البويهى، ووقعت بينهم وبين قوات عضد الدولة صراعات عدة فى كرمان، وكانت بداية هذه الصراعات عندما نجح سليمان بن محمد بن إلياس- الذى كان قد هرب إلى الصغد- كما مر بنا- فى تحريض الأمير منصور بن نوح السامانى (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) صاحب خراسان على ضرورة مهاجمة كرمان وانتزاعها من قبضة البويهيين، وأوضح سليمان بن محمد بن إلياس للأمير منصور بن نوح أنه يضمن له التغلب عليهم، وذلك لتأييد القفص والبلوص له، ومساندتهم لهم فى ذلك، وعلى ما يبدو فإن الأمير منصور بن نوح كان متشوقاً لانتزاع كرمان من البويهيين، فأمد سليمان بن محمد بن إلياس بجيش قوى؛ وسار به صوب كرمان، وانضم إليه القفص والبلوص والعديد من العناصر الأخرى التى شقت عصا الطاعة على البويهيين مثل المنوجانيه(١٩٢).

وما إن وصلت أنباء تحالف القفص والبلوص مع سليمان بن محمد بن إلياس إلى كوركير بن جستان نائب البويهيين فى كرمان حتى خرج علـــى رأس قواتـــه، ودارت بينهما معركة شديدة بالقرب من مدينة جيرفت، حيث تمكنت القوات البويهية من هزيمة القفص والبلوص، وقتل الكثيرين منهم، وكذلك قتل سليمان بن محمد بن إلياس وبكر والحسين أبناء أخيه إليسع، وعدد كثير من قادة منــصور بــن نــوح السامانى الذين كانوا برفقته، وحملــت رءوســهم إلـــى عــضد الدولـــة البـــويهى بشيراز(١٩٣).

وترتب على هزيمة القفص والبلوص وحلفائهم من العناصر الخارجـــة عــن طاعة عضد الدولة البويهى فى نواحى كرمان أن ازداد موقفهم صلابة فى مواجهة البويهيين، فاجتمعت كلمة القفص والبلوص تحت زعامة أبى سعيد البلوصى، كمـــا توحدت كلمتهم مع المنوجانيه، وتحالفوا على الثبات ومواجهة قوات عضد الدولـــة البويهى، وإزاء هذا الخطر الذى أصبح يهدد النفوذ البويهى فى كرمـــان، أرســـل عضد الدولة من شيراز بعض قواته بقيادة عابد بن على إلى مدينة جيرفت للوقوف إلى جانب نائبه كوركير بن جستان هناك للتصدى للقفص والبلوص وحلفائهم، وفى شهر صفر عام ٣٦٠هـ/٩٧٠م تجدد القتال بينهم وبين قوات عضد الدولة بـــالقرب من مدينة جيرفت، وانهزم القفص والبلوص، وقتل منهم حوالى خمسة آلاف رجل، وكان من بينهم ابنان لأبى سعيد البلوصى، كما أسر العديد من المنوجانيه، منهم أبو الفوارس المنوجانى، وأبو الليث المنوجانى(١٩٤).

والجدير بالذكر أن القائد البويهى عابد بن على لم يكتف بما أنزله بـــالقفص والبلوص عند مدينة جيرفت، بل تتبع فلولهم الهاربة حتى أوقع بهم، وقتل الكثيرين منهم، ووقع فى أسره حوالى ألف أسير من رجالهم ونسائهم، وأمـــام ذلـــك اتجـــه القفص والبلوص إلى طلب الأمان، وتسليم ما تحت أيديهم من المعاقـــل والمنـــاطق الجبلية الحصينة، ويطلعنا مسكويه وابن الأثير على ما تعهدوا به للقائـــد البـــويهى عابد بن على من القفص والبلوص يريدون أن يدخلوا فى السلم/ وينزعـــوا شـــعار الحرب، ويقتنعوا بالأقوات التى تحل وتطيب ويقيموا حدود الإسلام مـــن الـــصلاة والزكاة والصوم، ويتمسكوا بسائر شروط الإيمان، وعقدوا على أنفسهم بذلك عقـــداً

وثيقا[١٩٥].

وقد كان لموقف القفص والبلوص هذا أن توقف القائد البويهى عابد بن على عن ملاحقتهم،واستقرت الأوضاع للبويهيين بعض الشيء، ولم يقم القفص والبلوص بما يؤدى إلى اضطراب الأحوال فى كرمان، غير أن ذلك لـم يـستمر طـويلاً إذ سرعان ما عادوا إلى أعمال السلب والنهب، وقطع الطرق، وشق عـصا الطاعـة على النفوذ البويهى فى كرمان[١٩٦]، ولعل ذلك كان بدافع الانتقام من البويهيين لما لحق بهم من هزائم وقتل وتنكيل كما مر بنا.

ولم تمض شهور على نقض القفص والبلوص لتعهداتهم للقائد البويهى عابـد بن على فى عام ٣٦٠هـ/٩٧٠م حتى وجد الأمير عضد الدولة البويهى أنه لا حيلـة إلى إصلاحهم، ويئس منهم، ووجد أيضاً أنه من الضرورى أن يقضى على نفوذهم وسطوتهم قضاءً مبرماً، لذا عزم على التوجه إليهم من شيراز بنفسه[١٩٧].

ولم يكن حرص الأمير عضد الدولة البويهى على التخلص من نفوذ القفـص والبلوص بدافع الانفراد بكرمان بدون منازع فقط، وإنما كان لما أحدثوه من أعمال السلب والنهب وقطع السبل وسفك الدماء، وما لذلك من آثار ضارة علـى النـشاط التجارى فى كرمان وخراسان وسجيستان[١٩٨]، فكان ذلك دافعاً لعضد الدولة علـى حماية أرجاء البلاد من المفسدين وقطاع الطرق وتوفير الأمن للتجار، وتماشياً مع سياسة عضد الدولة هذه عمل على التصدى للقفص والبلوص بشدة وعنف[١٩٩].

وكيفما كان الأمر فقد خرج عضد الدولة البويهى على رأس قواته من شيراز فى شهر ذى القعدة سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م متوجهاً إلى كرمان، وما إن وصل إلى مدينة السرجان حتى وجد البلوص وحلفاءهم من القفص، وقد بسطوا سيطرتهم على كثير من أعمال كرمان، وعانى أهل البلاد كثيراً مما أحدثوه من أعمال السلب والقتـل، وكانوا قد تجمعوا تحت زعامة على بن محمد البارزى[٢٠٠].

مما سبق يتبين أن القفص والبلوص لم يكونوا على جانب كبير من القوة فى ذلك الوقت، على الرغم من أنهم عادوا إلى الخروج على طاعة البويهيين، إلا أنهم قد أصيبوا بشىء من الضعف نتيجة الهزائم المتكررة التى لحقت بهم على يد قوات

عضد الدولة البويهى، ومما يدل على ذلك أنهم اتحدوا مع جيرانهم البارزيين ليعضدوا من قوتهم، ودخلوا تحت زعامة على بن محمد البارزى، وقد كان البارزيون من أهل المناطق الجبلية بنواحى كرمان، وكانوا أشر من جيرانهم القفص والبلوص، وقد وصفهم الاصطخرى فى القرن الرابع الهجرى «بأنهم لا يتأذى منهم أحد، ولم يزالوا على المجوسية أيام بنى أمية، وكانوا شراً من القفص، فلما ولى الأمر بنو العباس أسلموا.. وكانت جبالهم أخصب من جبال القفص»[٢٠١].

وأمام تحالف القفص والبلوص مع البارزيين قام عضد الدولة البويهى بإعداد قوات كثيفة بقيادة عابد بن على، الذى تمرس على قتال القفص والبلوص، وكان على دراية كبيرة بهم طوال مواجهته وحروبه معهم،وفى التاسع عشر من ربيع الأول سنة ٣٦١هـ/٩٧١م، سار عابد بن على بقواته تجاه السرجان لملاقاة القفص والبلوص، وملاحقتهم، وما إن أدرك القفص والبلوص قرب القوات البويهية منهم فروا هاربين، وعمدوا إلى أن يسلكوا طرقاً ضيقة شاقة حتى لا يلحق بهم عابد بن على وقواته، ولكنه كان ذا حنكة عسكرية، فقام بإرسال أخيه فى سرية قوية من قواته خلفهم، فى حين سار هو مع باقى الجيش فى طريق آخر قاصداً بلادهم قبل أن يحتموا بها، ويصعب الانقضاض عليهم، ونجح فى أن يداهم جبال البارز، ويسيطر عليها، وأمسك بمحمد بن على البارزى حليف القفص والبلوص[٢٠٢].

وتابع عابد بن على انتصاراته على القفص والبلوص، ففى يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول من نفس عام ٣٦١هـ/٩٧١م هاجم القفص والبلوص بمناطق نفوذهم بجبال القفص والبلوص، وقتل وأسر الكثيرين منهم، ولم يبق منهم إلا اليسير[٢٠٣]، بينما هرب بعض زعمائهم، ومن بينهم ابن أبى الرجال البلوصى، غير أنهم لم ينجوا من قبضة البويهيين الذين تمكنوا من اللحاق بهم وقتلهم[٢٠٤] ويصور لنا ياقوت ما وقع للقفص والبلوص بأن عضد الدولة قد غزا أهل القفص، ونكى فيهم نكاية لم ينكها أحد فيهم، وأفنى أكثرهم[٢٠٥].

أما عمَّن بقى من القفص والبلوص، فقد لجأوا إلى طلب الأمان، فأمنهم القائد البويهى عابد بن على، وأمر عضد الدولة بنقلهم من جبال القفص والبلوص، وأسكن مكانهم الأكرهة والمزارعين، والعديد من العناصر الأخرى الذين عمروا تلك

الأماكن، وساد فيها الأمن والأمان[٢٠٦]، وبذلك نجحت سياسة عضد الدولة في السيطرة على جميع نواحى كرمان، وفى توفير الأمن للتجار مما ساعد على رواج التجارة الداخلية والخارجية فى عهده، خصوصا بعد أن أمن الطرق التجارية من اللصوص والمفسدين، وتوفير كثير من الإصلاحات على الطرق التجارية، وتيسير سبل القوافل التجارية[٢٠٧].

رابعاً: علاقة القُفص والبَلُوصُ بالغزنويين:

كانت وفاة الأمير عضد الدولة البويهى سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م إيذاناً بانقسام خطير بين الأمراء البويهيين، فدب النزاع والتنافس فيما بينهم على الحكم فى بغداد وجميع أرجاء دولتهم فى المشرق الإسلامى[٢٠٨]، وعانت كرمان من هذه الصراعات التى بلغت ذروتها بضعف النفوذ البويهى بها مما أدى إلى تمكُّن القفص والبلوص من استعادة سطوتهم ونفوذهم الذى كانوا يتمتعون به قبل الهزائم التى لحقت بهم على يد عضد الدولة البويهى، وأصبحوا مصدر خطر على المناطق المحيطة بهم أكثر من ذى قبل، سواء فى كرمان أو خارجها، أمام ضعف الأمراء البويهيين ونوابهم فى كرمان[٢٠٩]، وازدادت أعمال الاضطرابات وقطع الطرق من قبل القفص والبلوص، واستمرت حتى عهد أبى كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة البويهى (٤١٩-٤٤٠هـ/١٠٢٨-١٠٤٨م) الذى يعد آخر أمراء بنى بويه فى كرمان[٢١٠].

ومما زاد الأمر سوءاً أمام البويهيين خلال تلك الفترة، وعدم إحكام قبضتهم على القفص والبلوص فى أماكن نفوذهم بكرمان، ما تعرض له البويهيون من هجمات على يد الغزنويين[٢١١]، الذين اتجهوا آنذاك إلى الاستيلاء على أملاك البويهيين التى تحيط بدولتهم من الغرب والجنوب الغربى، وقد تهيأت الظروف أمام السلطان محمود الغزنوى (٣٨٧-٤٢١هـ/٩٩٧-١٠٣٠م) نتيجة انقسام البويهيين فيما بينهم، فزحف على أملاكهم فى إقليم الجبال[٢١٢]، ودخل مدينة الرى سنة ٤٢١هـ/١٠٢٩م[٢١٣].

وبعد استيلاء الغزنويين على مدينة الرى أصبح الطريق أمامهم مفتوحاً للاستيلاء على العديد من ممتلكات البويهيين بما فيها كرمان نظراً لاضطراب

الأحوال فيها[٢١٤]، سواء نتيجة لضعف النفوذ البويهى بها، أو لما يقوم به القفص والبلوص من أعمال، انتقاماً من البويهيين، وقد أشاعت هذه الأعمال الخوف وعدم الأمان بين الأهالى والتجار الذين تعرضوا لنهب قوافلهم التجارية من جراء ذلك.

وقد بلغ السلطان محمود الغزنوى فى الرى مدى ما يُحْدثه القفص والبلوص من فزع واعتداءات فى كرمان والمناطق القريبة منهم، وكانت بداية ذلك عندما اشتكت امرأة للسلطان محمود الغزنوى ما حل بها على يد جماعات من القفص والبلوص إذ كانت لتلك المرأة قافلة تجارية تسير برباط دير الجص[٢١٥]، فهاجم جماعة من القفص والبلوص هذه القافلة، واستولوا على ما كان فيها، وطلبت هذه المرأة من السلطان محمود الغزنوى أن يعيد إليها متاعها، وذلك على الرغم من أن القفص والبلوص غير خاضعين لولايته ودولته، إلا أنه أمر بإرضاء المرأة وإعطائها المال من خزائنه، وعزم على ضرورة تأديب هؤلاء، والقضاء عليهم، وتأمين الطرق التجارية فى هذه النواحى من خطرهم[٢١٦].

وقد طالعنا نظام الملك[٢١٧] فى كتابه «سياست نامه»، بما قام به السلطان محمود الغزنوى من خطوات أدت فى نهاية الأمر إلى التخلص من خطر القفص والبلوص فى عهده، وإن كان فيما ذكره نظام الملك بعض الأمور التى اختلطت عليه، والتى سنوضحها خلال عرضنا لما أورده فى تصدى السلطان محمود الغزنوى للقفص والبلوص.

وكان أول ما قام به السلطان محمود الغزنوى أن كاتب أمير كرمان طالباً منه ضرورة التصدى للقفص والبلوص، وقال له: «لقد بلغنى اليوم أن قوماً من مفسدى القفص والبلوص قد ضربوا رباط دير الجص، وسرقوا الأموال، وإننى أريد الآن أن تقبضهم، وتسترد هذا المال وتصلبهم، أو أن ترسلهم جميعاً إلى الرى، وقد غلت أيديهم ومعهم الأموال التى سرقوها، وذلك حتى لا يجسر أحدهم من بعد على أن يهبط ولاية كرمان، ويقطع الطريق، فإن لم تفعل ذلك أسوق جندى إلى كرمان وأدمرهم تدميراً»[٢١٨].

لقد ذكر نظام الملك فى كتابه «سياست نامه» خطاب السلطان محمود الغزنوى، وقال إنه وجهه إلى حاكم كرمان أبى على محمد بن إلياس، ولكن من

خلال الأحداث السابقة نجد أن أبا على محمد بن إلياس لم يكن معاصراً للسلطان محمود الغزنوى (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)، إذ كانت وفاة ابن إلياس فى سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م، وأن حكم بنى إلياس فى كرمان قد انتهى فى سنة ٣٥٧هـ/٣٦٧م بدخول الأمير عضد الدولة إلى كرمان- كما مر بنا من قبل- هذا بالإضافة إلى أنه عندما نجح السلطان محمود الغزنوى فى انتزاع مدينة الرى فى سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م فى البويهيين كانت كرمان آنذاك تحت نفوذ أبى كاليجار مرزبان البويهى (٤١٩-٤٤٠هـ/١٠٢٨-١٠٤٨م)، لذا من الواضح هنا الخلط الذى وقع فيه نظام الملك.

لذا أرى أن الرسالة التى كتبها السلطان محمود الغزنوى قد أرسلها إلى نائب أبى كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة البويهى، حيث كانت كرمان من مناطق نفوذه آنذاك، وقد وضح لنا ذلك أيضاً من خلال استقراء أحداث هذه الفترة، وهى على النحو الآتى:

سبق أن ألمحنا إلى أن الفترة التى تلت موت عضد الدولة البويهى سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م اشتعلت فيها الصراعات بين الأمراء البويهيين من أجل السلطة والنفوذ، وكان من محصلة هذه الصراعات أن نجح أبو كاليجار فى أن ينفرد بحكم كرمان فى سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م، وانشغل فترة من الوقت بأمرها، وتثبيت نفوذه بها، وبعد أن اطمأن على أوضاعه بكرمان سار منها تجاه العراق، وانشغل منذ عام ٤٢٠هـ/١٠٢٩م بصراعه مع بعض الأمراء البويهيين من أجل الانفراد بحكم البصرة والأهواز، وتوليه الأمر فى بغداد، واستمر الأمر على هذا الحال حتى سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م، وفى أثناء تلك الفترة كان أبو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة البويهى قد أناب عنه فى كرمان أحد رجاله ليدير شئونها، وفى سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م تمكن أبو كاليجار من أن ينفرد بأمر بغداد بعد موت جلال الدولة البويهى، فشمل نفوذه بذلك بغداد وكرمان وفارس وخوزستان، ودام نفوذه على هذه البلاد حتى موته سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، ويذكر أن وفاته كانت أثناء خروجه من بغداد متجهاً إلى كرمان لتأديب نائبه الثائر عليه هناك[٢١٩].

مما سبق عرضه يتبين أن كرمان فى عام ٤٢١هـ/١٠٣٠م كان يلى أمرها

نائب أبى كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة البويهى، ولهـذا نقـول إن خطـاب السلطان محمود الغزنوى السالف الذكر كان موجهاً إلى نائب أبى كاليجار مرزبان البويهى هناك، ولم يكن الخطاب موجهاً إلى أبى على محمد بن إلياس (ت٣٥٦ هـ) كما ذكر نظام الملك فى كتابه «سياست نامه».

على أية حال خاف نائب أبى كاليجار مرزبان البويهى فى كرمان على نفسه من غضب السلطان محمود الغزنوى، وأحسن استقبال رسول السلطان إليه، وأرسل معه الهدايا الثمينة من الذهب والفضة، وكتب إلى السلطان محمود يوضح له موقفه قائلاً: «إنى عبد أسمع وأطيع، ولكن هلا علم السلطان بأحوال عبده وبأحوال ولاية كرمان، فأنا لا أرضى بفساد قط، وأهل كرمان من أهل السنة المصلحين البـررة. أما جبال القفص والبلوص فمنفصلة عن كرمان بأنهار وجبال منيعة وسبل وعـرة، وقد عييت بهم، وضاقت بى فيهم المذاهب لأن جلهم من اللصوص والمفسدين الذين يهددون من الطريق مائتى فرسخ (٦٠٠ ميل) يقطعونها وينهبون فيها، وإنهم لخلق كثير لا طاقة لى بمقاومتهم، وسلطان العالم أقدر منى عليهم، فهو وحده القادر على تدبير أمرهم فى كل البلاد، ومالى فيما يأمر به إلا الطاعة والعبودية»[٢٢٠].

هكذا حرص نائب أبى كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة البويهى فى كرمان على أن يبين للسلطان محمود الغزنوى أنه لا يرضى عما يحدثه القفص والبلوص من اضطرابات، غير أنه لا يقدر على مقاومتهم، لبعدهم عنـه، ولتحـصنهم فـى مناطق منيعة بجبالهم، كما بين للسلطان أنه لا طاقة له بالقفص والبلوص، وأنـه لا يخرج على طاعة السلطان.

شعر السلطان محمود الغزنوى من رسالة نائب أبى كاليجار مرزبان البويهى فى كرمان أنه على صواب فيما ذكره له بشأن القفص والبلوص، وأنـه لا يمكنـه التصدى لهم وحده، وأدرك حسن نيته تجاهه، لذا أمر له السلطان محمود بخلعـه، ورد رسوله إليه، وطلب منه أن يتجهز بحشد جند كرمان، وأن يضعهم بالقرب من الأماكن المتاخمة لمساكن القفص والبلوص، وينتظر حتى تأتيه الأوامر من السلطان محمود[٢٢١].

ثم قام السلطان محمود الغزنوى بالاستعداد لمواجهة القفص والبلوص، وكانت

خطته فى ذلك أن يرسل بعض رجاله إلى أسواق الرى وأصفهان[٢٢٢] وغيرها من المدن القريبة منها، وينادون بين التجار على من يريد أن يسافر من أجل التجارة إلى يزد[٢٢٣] وكرمان فليتهيأ لذلك، وأن السلطان محمود سوف يرسل معهم دليلاً، ومن يؤمنهم من خطر المتلصصين من القفص والبلوص، كما تعهد السلطان محمود بأنه سيعوضهم من خزائنه إذا وقع لهم مكروه على يد القفص والبلوص، فتجمع الكثير من تجار مدينة الرى ونواحيها، وعزموا على الرحيل من أجل التجارة تجاه كرمان، وحفاظاً على سلامتهم أرسل معهم السلطان محمود أحد أمرائه، وفى رفقته مائة وخمسين فارساً ليكونوا لهم أدلاء[٢٢٤].

ووضع السلطان محمود الغزنوى خطته من أجل الإيقاع باللصوص من القفص والبلوص مع أمير الجند المصاحبين للتجار، وأمره بأن يدس السم فى كثير من أحمال التفاح الأصفهانى[٢٢٥] حتى صار التفاح ملوناً بالسم، ثم عبأهُ فى أقفاص، وحملها على الإبل المصاحبة للتجار، وأمره إذا انقض عليهم اللصوص من القفص والبلوص ألا يشتبك معهم لكثرتهم، ويتراجع ومن معه من الجند والتجار، ويبعد عنهم تاركاً القافلة وما بها من تفاح مسموم، ويتابعهم عن بعد، ويمهلهم بعضا من الوقت حتى يكون قد هلك من هلك من أكل التفاح، ثم ينقض عليهم بجنده، ويقتل من ظل حياً منهم[٢٢٦].

وقد علم القفص والبلوص عن طريق عيون لهم فى أصفهان بأمر هذه القافلة التى يبلغ قوامها بضعة آلاف دابة محملة بالكثير من السلع والبضائع، وأن بصحبتها نحو مائة وخمسين فارساً من رجال السلطان محمود الغزنوى، فتجهزوا للانقضاض عليها، واستعد لها حوالى أربعة آلاف رجل من القفص والبلوص فى كامل سلاحهم، وظلوا يتربصون لدوم القافلة على طريق كرمان، وقد نجحت خطة السلطان محمود الغزنوى، فما أن انقض رجال القفص والبلوص على القافلة حتى هرب أمير الجند ومن معه، واندفع رجال القفص والبلوص إلى تحصيل الغنائم، ووقعت فى أيديهم أقفاص التفاح الأصفهانى، وأقبلوا على أكله بشراهة، ولم يمض قليل على ذلك حتى أخذوا يتساقطون ويموتون ولم ينجُ منهم إلا القليل ممن لم يأكل من التفاح المسموم، وولوا هاربين، ولحقت بهم قوات السلطان محمود الغزنوى حتى قتلتهم عن آخرهم،

وأنقذت القافلة منهم[٢٢٧].

لم تنته خطة السلطان محمود الغزنوى عند هذا الحد فى التخلص من المتلصصين من القفص والبلوص على طريق كرمان، بل كان هدفها القضاء عليهم بصفة عامة، لذا تابع جنده ملاحقتهم ، وأرسل إلى نائب أبى كاليجار مرزبان البويهى فى كرمان الذى كان قد حشد جنده، وعسكر بهم على حدود مساكنهم فى كرمان، وأمره بمهاجمتهم بعد أن انضم إليه جند السلطان محمود، واستطاعوا أن يباغتوا القفص والبلوص، وقتلوا منهم ما يزيد على عشرة آلاف، واستولوا على الكثيرون من الأموال والأمتعة والدواب والأسلحة، ووقع فى أسرهم الكثيرون من القفص والبلوص الذين أرسلوا إلى السلطان محمود الغزنوى فى مدينة الرى[٢٢٨].

وقد سُرَّ السلطان محمود الغزنوى بنجاح جنده فى القضاء على نفوذ القفص والبلوص فى كرمان، وتأمين الطرق التجارية من شرهم، وقد أشار نظام الملك إلى ذلك بقوله: «أرسل محمود منادياً فى الناس ينادى من كانت لصوص القفص والبلوص قد سلبته شيئاً حتى قدومى إلى العراق[٢٢٩] فليأت ليأخذ عوض ذلك منى، فأقبل عليه الكثيرون، وانقلبوا إلى أهلهم فرحين»[٢٣٠].

وبذلك ضعف نفوذ القفص والبلوص على يد السلطان محمود الغزنوى، وكان هذا النصر الذى حققه عليهم دافعًا إلى أن يتطلع الغزنويون إلى مد نفوذهم إلى كرمان وانتزاعها من قبضة أبى كاليجار مرزبان البويهى، فبعد وفاة السلطان محمود سنة (٤٢١هـ/١٠٣٠م) آل أمر الدولة الغزنوية من بعده إلى ابنه السلطان مسعود (٤٢١-٤٣٢هـ/١٠٣٠-١٠٤٠م)، ولم يمض على توليته الحكم عام، حتى أرسل قواته فى سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م إلى كرمان مستغلاً اضطراب الأحوال بها، وتمكن قائده أحمد على نوشتكين من الاستيلاء عليها دون صعوبة، وطرد منها نائب أبى كاليجار مرزبان البويهى وجنده[٢٣١].

كذلك تعرض القفص والبلوص فى عهد السلطان مسعود لهجمات عدة من قبل القوات الغزنوية التى ألحقت بهم هزيمة كبيرة بالقرب من مدينة خبيص[٢٣٢]، ونتيجة لما حل بالقفص والبلوص من هزائم، وجدوا أنه ليس فى مقدورهم أن يقوموا بالإغارة على طرق التجارة فى ظل وجود القوى الغزنوية التى زعزعت

نفوذهم وقوتهم[٢٣٣]، وعلى أية حال، فإنه على الرغم من عدم احتفاظ السلطان مسعود بكرمان تحت نفوذه طويلاً ، وذلك لما أحدثه جنده من ظلم لأهلها الذين استنجدوا بالأمير أبى كاليجار البويهى فى بغداد، والذى نجح فى استرداد نفوذه فى كرمان من قبضة الغزنويين[٢٣٤]، وطوال تلك الفترة لم تشر المصادر التى بين أيدينا إلى أية أعمال اضطراب أو عنف من قبل القفص والبلوص، وذلك حتى دخول السلاجقة إلى كرمان سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م.

خامساً: علاقة القُفص والبَلُوصُ بالسلاجقة:

بظهور السلاجقة فى المشرق الإسلامى، ونجاحهم فى بسط سيطرتهم على العديد من مناطق نفوذ بنى بويه[٢٣٥]، وعظم نفوذهم بعد اعتراف الخلافة العباسية بهم فى سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م[٢٣٦]، ولما استتب الأمر لطغرلبك السلجوقى، قام بتقسيم الولايات التى استولوا عليها بين زعماء البيت السلجوقى، وبالنسبة لكرمان ونواحيها، فقد أسند أمرها إلى قاورد بك، أكبر أولاد أخيه جغرى بك[٢٣٧]، ونجح قاورد فى دخول كرمان بعد أن سلمها إليه نائب أبى كاليجار مرزبان البويهى فى سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م[٢٣٨].

وفى سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م خرج أبو كاليجار مرزبان البويهى من شيراز متوجهاً بقواته إلى كرمان لاستعادتها من يد قاورد بك السلجوقى، غير أنه لم يكد يصل إلى مدينة خناب[٢٣٩] حتى مرض ومات فى منتصف شهر جمادى الأولى من العام نفسه، ولم ينل قاورد بك شيئا من قواته، واستقر وضعه فى كرمان[٢٤٠].

ومما تجدر الإشارة إليه أن معظم المصادر التى بين أيدينا، والتى توضح موقف السلاجقة من المفسدين ومثيرى القلاقل بنواحى كرمان، قد أشارت إلى تصديهم للقفص دون الإشارة إلى البلوص، وكان تركيز هذه المصادر التى تحدثت عن ذلك على القفص دون البلوص، ويمكن أن نرجع ذلك إلى أن القفص والبلوص بعد الهزائم المتكررة التى لحقت بهما على يد البويهيين، ثم على يد الغزنويين- كما مر بنا- قد ضعفت قوتهم، باستثناء الفترة التى تمكن فيها الأمير أبو كاليجار مرزبان البويهى من استعادة النفوذ البويهى فى كرمان حتى دخول السلاجقة، حيث تمكن القفص من استعادة قوتهم وترتيب حالهم، وعادوا إلى حياتهم التى ألفوها من

قبل، وباتوا خطراً على السلطة الحاكمة الجديدة فى كرمان فى العصر السلجوقى، أما البلوص فقد مالوا إلى الاستقرار وحياة الهدوء بعد ما حل بهم من هزائم وخسائر على أيدي البويهيين والغزنويين، وأصبحوا فى العصر السلجوقى لا يشكلون خطراً عليهم، ومما يدل على ذلك أن قاورد بك بن جغرى بك السلجوقى كان جل اهتمامه بعد استقرار الأوضاع له فى كرمان، هو فرض نفوذه على القفص، والتخلص منهم دون غيرهم.

وقد أراد قاورد بك إحكام سيطرته على نواحى كرمان المنيعة، وبخاصة المناطق الجبلية كجبال القفص، الذين كانوا مصدراً لكثير من القلاقل واضطراب الأوضاع طوال تاريخهم فى كرمان والمناطق المجاورة لهم، فما أن علم بمدى تغلبهم على نائب البويهيين وجنده فى كرمان قبل ذلك أدرك مدى خطرهم على النفوذ السلجوقى فى كرمان، ووجد أنه لا يمكنه النيل منهم واقتلاع جذورهم إلا عن طريق الحيلة للايقاع بهم(٢٤١).

وجاءت خطة قاورد بك بأن أرسل إلى زعيم القفص كتاباً يعلن فيه اعترافه بهم، وأرسل إليه بهداياه، كدليل على حسن نيته تجاهه، وجاءت رسالته للقفص على النحو الآتى: «إنى أهبك أمر ولاية الجروم(٢٤٢)، ونيابة الملك من سفح درفارد وسربزين حتى ساحل عمان، وذلك لأننى تركى، ولا يوافق مزاجي ومزاج حشمى الطقس فى الأصقاع الحارة، وأنه لابد من إرسال نائب إلى هناك، وإن أى نائب تقدر على إرساله نيابة عنك سيكون أليق»(٢٤٣)، فاطمأن القفص بذلك، وعاشوا دون خوف بعد ما أظهره لهم قاورد بك من ود نحوهم.

ومن ناحية أخرى قام قاورد بك باستكمال مخططه، فأرسل إلى أحد رجاله المقربين، الذى كان على دراية بالقفص وأحوالهم، وكان قد أرسله إلى زعيم القفص برسائله من قبل، وكيفما كان الأمر، فقد اتفق قاورد بك مع هذا الرجل على أن يظهر الاختلاف معه، ثم يتهمه بعد ذلك بأنه كان يراسل أحد أعداء الملك، ويأمر على ملأ من الناس بطرده من الخدمة، وقطع مرتبه، ومصادرته، ثم يأمر بنفيه من المملكة، ثم يتوجه هذا الرجل إلى زعيم القفص، ويشكو إليه ما وقع له من سيده قاورد بك، ويطلب منه أن يسعى فى الصلح بينه وبين قاورد بك(٢٤٤).

ومن الواضح أن هدف قاورد بك من خطته هذه أن يرسل هذا الرجل من طرفه إلى القفص ليتقرب من زعيمهم ويستطلع أحوالهم وأماكنهم التى يتحصنون بها، ويتحين الفرصة المناسبة لإبلاغ سيده قاورد فى مدينة بردسير بالمسير إلى القفص للانقضاض عليهم والتمكن منهم.

ثم بدأ مبعوث قاورد بك فى تنفيذ ما اتفق عليه، وغادر مدينة بردسير مقر قاورد بك السلجوقى فى كرمان متجهاً إلى جبال القفص، ونجح فى الوصول إلى منازل القفص، والتقى مع زعيمهم، وشكا إليه حاله، وما وقع بينه وبين سيده قاورد بك، وطلب من زعيم القفص أن يسمح له بأن يظل لديه لبضعة أيام حتى يهدأ سيده قاورد بك، وطلب من زعيم القفص أن يتدخل بعد ذلك فى أن يصالحه على سيده، ولم يشك زعيم القفص فى الرجل، وأقام بين القفص عدة أشهر استطاع بدهائه أن يتقرب من زعيمهم، حتى أصبح من المقربين والمحببين إليه[٢٤٥]، وبلغ الأمر على حد قول أحد المؤرخين، «أن زعيم القفص قد اعتمد على هذا الرجل حتى صار معاونه وكاتم أسراره»[٢٤٦].

واستمر هذا الرجل من جهة قادر بك طيلة ستة أشهر يعيش بين القفص حتى صار ذا منزلة معروفة ومشهورة بينهم، وذلك لما عرف عنه من حنكة وفصاحة مما أثار قلق كثير من كبار القفص ومشايخهم، وتسرب الشك إليهم فى حقيقة هذا الرجل مغبة أن يكون وراءه ما يصيبهم من شر وأذى، فدخل بعض مشايخ القفص على زعيمهم، وذكروا له مدى مخاوفهم من بقاء هذا الرجل بينهم، الذى كان من رجال قاورد بك المقربين، وأنهم يخشون أن يكون لجوؤه إليهم خدعة، وأنه يضمر شيئاً فى نفسه، ولكن زعيم القفص لم ينصت إلى قولهم، وانفعل عليهم، واعتبر قول كبار رجال القفص ومشايخهم من قبيل الحقد والحسد على هذا الرجل، وبالغ زعيم القفص فى عناده، وزاد رجل قاورد بك قرباً من زعيم القفص، وعزم على تزويج ابنته بهذا الرجل[٢٤٧].

وأمام إصرار زعيم القفص وعدم سماعه لنصائح مشايخ القفص أقلعوا عن نصحه[٢٤٨]، فحاول أن يبرر لهم أنهم غير متخوف من قاورد بك وذكر لهم «إن بيننا وبين قاورد بك جبالا شامخة وجبالا راسخة، وعقابا شديدة، وشعابا مليئة

بالأشجار تحول بيننا وبينه، فإذا ما تخطى واحدة من هذه العقابات انهالت عليه عقوباتنا، كما بين لهم أنه إذا فكر قاورد بك في ذلك فإنه سوف يتصدى له القفص بكل قوتهم، وينكلون به وبرجاله»(٢٤٩).

وهكذا نجح رجل قاورد بك فى أن ينال ثقة زعيم القفص، على الرغم من تربص مشايخ القفص به، واستطاع خلال فترة وجوده بين القفص أن يتعرف على مداخل بلادهم المنيعة ومخارجها، وكان ينتظر الفرصة المناسبة التى يجتمع فيها مشايخ القفص وسادتهم وزعيمهم، ثم يرسل إلى سيده قاورد بك فى بردسير، وكان رجل قاورد بك يجيد علم الفلك، ففوض إليه زعيم القفص اختيار اليوم المناسب للاحتفال بزواجه من ابنة زعيم القفص، وأختار يوماً، وكان برفقة رجل قاوردبك إلى القفص أحد تلاميذه المقربين إليه ويدعى «عليك»، وكان عليك على دراية بمداخل بلاد القفص ومخارجها ومكامنها ومضائقها، كما كان طوال إقامته مع أستاذه لدى القفص على معرفة بأماكن إقامتهم، وطرق معيشتهم، ومزارعهم ومراعيهم، كما عرف أوقات احتشاد الجنود، والأماكن التى ينزلون بها بعد تفرقهم(٢٥٠).

ووجد رجل قاورد بك أن الفرصة أصبحت مواتية للانقضاض على القفص، فقام باختلاق مشاجرة مع تلميذه «عليك»، وأجبره على مفارقته والرحيل عن بلاد القفص، وطلب منه أن يذهب إلى سيدة قاورد بك فى بردسير، ونجح «عليك» فى الوصول إلى قاورد بك، وأخبره بأحوال القفص، ونجاح أستاذه فى السيطرة على زعيمهم، ومصاهرته له، كما أخبر «عليك» سيده قارود بك بموعد العرس واجتماع رؤساء القفص ورجالهم فى هذا اليوم، وما إن علم قاورد بك بكل ذلك حتى قام من فوره بالاجتماع برجاله، وقرر تجهيز قواته لاغتنام هذه الفرصة لمهاجمة القفص والتخلص منهم(٢٥١).

ثم تحرك قاورد بك بقواته من مدينة بردسير حتى وصل إلى مدينة جيرفت، وهناك انضم إليه الكثيرون من أهلها، والذين كانوا يعانون من مخاطر القفص وهجماتهم عليهم،وتابع قاورد بك سيره بمن معه حتى وصل إلى جبال القفص، واتفق أن كان يوم وصوله إلى هناك هو ليلة الاحتفال بالعرس الذى اجتمع فيه

جميع القفص، وعلى حد قول أفضل الدين الكرمانى «إنه فى هذه الليلة اجتمع جميع الأكابر والصغير والكبير والنساء والرجال من أشراف المجتمع وأراذله مجتمعون وانشغلوا باللهو»[٢٥٢].

على أية حال هجم عليهم جند قاورد بك فى وقت السحر، وأمر بالقضاء عليهم، وقتل الصغير والكبير[٢٥٣]، واستولى قاورد بك على جميع ما كان للقفص من أموال ودواب وغير ذلك، وفرض سيطرة السلاجقة على تلك المناطق، وأمن أهالى كرمان من شرهم[٢٥٤]، ولم تقم للقفص بعد ذلك قائمة، ولم نعد نسمع عنهم شيئاً طوال الوجود السلجوقى فى كرمان، ومما يدل على ذلك ما ذكره نظام الملك (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م) الوزير السلجوقى من «أنه لا يذكر أن تطفلاً أو فضولاً بدا من القفص فى هذه الخمسين سنة الأخيرة» [٢٥٥]، وكذلك الحال بالنسبة للبلوص الذين مالوا إلى المسالمة، وتخلوا عن أعمال العنف فى ظل وجود السلاجقة بكرمان والذين نجحوا فى القضاء على نفوذ القفص جيرانهم، وعلى قوتهم، لذا يرى بعض المؤرخين أن ذلك كان دافعاً إلى هجرة كثير من البلوص إلى ناحية الجنوب والشرق إلى مكران والسند، وسرعان ما وصلوا إلى حدود الهند[٢٥٦].

خاتمة:

تناولت هذه الدراسة أصل القفص والبلوص ونشأتهم وعاداتهم، وما تميزوا به عن غيرهم من سكان المناطق الجبلية فى نواحى كرمان والمناطق المجاورة لها، كما أبرزت هذه الدراسة أيضاً مدى استقلال القفص والبلوص بشئونهم فى مناطق نفوذهم، ومحاولتهم كَسْب ود السلطة الحاكمة فى كرمان عن طريق بذل الأموال لهم مقابل عدم التعرض للقفص والبلوص، كذلك وضح من هذه الدراسة أن أعمال السلب والنهب وقَطْع الطريق التى كان يقوم بها القفص والبلوص قد أرهبت أهالى البلاد فى كرمان، بل وصل مداها إلى المناطق المجاورة لها مما أدى إلى إشاعة الفوضى والاضطرابات، ودفع السلطات الحاكمة فى كرمان إلى أن تتخذ موقفاً معادياً تجاههم.

كما بينت هذه الدراسة موقف البويهيين المعادى للقفص والبلوص منذ امتداد نفوذهم إلى كرمان، ودخولهم فى صراعات كثيرة معهم حتى نجح الأمير عضد

الدولة البويهى فى القضاء على نفوذ القفص والبلوص، وذلك باستثناء فترات السلم التى تخللت هذه المرحلة من تاريخهم .

كما أوضحت الدراسة أن القفص والبلوص لـم يكونـوا أسـعد حظـا مـع الغزنويين، بل عمل السلطان محمود الغزنوى على الإيقاع بهم وتـأمين الطـرق والتجار من خطرهم، وكذلك الحال حين وقف قاورد بك السلجوقى موقفاً معادياً من القفص والبلوص لما عرف عنهم، فمنذ دخول القوات السلجوقية إلى كرمان أخـذ قاورد بك يتربص بهم حتى أفناهم، وأبعد مَنْ بقى منهم عن موطنه فى جبال القفص والبلوص، ولم يعد لهم ذكرٌ فى تلك الأنحاء ومن ثم صمتت المصادر التـى بـين أيدينا عن ذكرهم مما يدل على ضياع نفوذهم وقوتهم وهيبتهم.

الهوامش :

(١) جاءت أيضاً برسم القفس بالضم ثم السكون، والسين المهملة، وذكر ياقوت أن أكثر ما يتلفظ به غير أهله بالصاد. (معجم البلدان، طبعة بيروت سنة ١٩٧٦م، جـ٤، ص٣٨٠؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، طبعة ١٨٥٠م، ص٣٣٥).

(٢) المسعودى: التنبيه والإشراف، طبعة بيروت، بدون تاريخ، ص٧٩؛ محمد التونجى: المعجم الذهبى، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٨٠م، ص٤٨٢؛ محمد موسى هنداوى: المعجم الفارسى، طبعة بيروت، بدون تاريخ، ص٣٥١.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، طبعة دار المعارف، سنة ١٩٧٩، جـ٥، ص٣٧٠٢؛ ياقوت: المصدر السابق، جـ٤، ص٣٨٠. وكرمان: من أقاليم المشرق الإسلامى ذات مدن واسعة، وقرى كثيرة، يحدها من الغرب أرض فارس، ومن الشرق مكران، ومن الشمال المفازة التى بين فارس وخراسان وسجستان، ومن الجنوب بحر فارس وقصبتها مدينة السيرجان. (ياقوت: المصدر السابق، جـ٤، ص٤٥٤؛ أبو الفداء: المصدر السابق، ص٣٣٤).

(٤) مجهول: حدود العالم، تحقيق يوسف الهادى، طبعة القاهرة، ١٩٩٩م، ص٩٨؛ محمد إبراهيم باستانى باريزى: وادى هفتواد بحثى در تاريخ اجتماعى وآثار تاريخى كرمان، جلد نخت، طهران ٢٥٣٥ش، ص٣٨٧.

(٥) مجهول، ص٢٨.

(٦) الإدريسى: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، طبعة ١٩٨٩م، م١، ص٤٤١. ومن جبال كرمان: نذكر جبال البارز وجبال معدن الفضة. (الإدريسى: المصدر السابق، نفس المجلد والصفحة).

(٧) جيرفت: إحدى مدن كرمان الحصينة، كثيرة الزروع، وكانت تعد متجر خراسان وسجستان لوفرة خيراتها. (الإصطخرى: مسالك الممالك، طبعة ليدن، سنة١٩٣٧، ص٩٩؛ ابن حوقل: صورة الأرض، طبعة ليدن، سنة١٩٣٧، ص٤١١؛ باريزى: المرجع السابق، ص٢٢٦).

(٨) الروذبار: من مدن كرمان المعروفة تقع جنوب مدينة جيرفت، وهى مدينة عامرة كثيرة الخيرات والزروع، والغالب على أهلها التشيع (الإصطخرى: المصدر السابق، ص٩٩).

(٩) قوهستان أبى غانم: منطقة جبلية تقع بين جيرفت ومنوقان، وهى عامرة ذات نعم كثيرة (مجهول: حدود العالم، ص٩٨).

(١٠)ذكرها ابن حوقل بأنها نواح تعرف بالأخواش، وهم بواد أصحاب إبل، ولهم أخصاص ينزلون فيها وينتجعون المراعى، يكثر بها النخيل وقصب السكر. (صورة الأرض،

ص٣١٣).

(١١)مكران: منطقة جبلية تغلب عليها المرتفعات، وتمتد سواحلها الجنوبيـة بحـذاء المحـيط الهندى، ويحدها شمالاً إقليم سجستان والمفازة الكبرى، وشرقاً سجستان وبلاد السند، ومن أهم مدن مكران كيز والقيربون والتيز (ابن خرداذبة: مسالك الممالك، ص١٧١؛ ياقوت: المصدر السابق، ج٥، ص١٨٠).

(١٢)المنوجان: ذكرها ياقوت برسم المنوقان، وهى مدينـة بكرمـان (معجـم البلـدان: ج٥، ص٢١٦).

(١٣)الإصطخرى: مسالك الممالك، ص٩٨؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص٣٠٩؛ المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، تقديم محمد مخزوم، طبعة بيـروت، سـنة ١٩٨٧م، ص٣٥٤. هرموز: من الموانئ المهمة، والمدن ذات الشهرة التجارية فى كرمان، وهـى تعد مجمع التجار، حيث تكثر الأسواق بها، وتشتهر أيضاً بكثرة النخيل. (ابـن حوقـل: المصدر السابق، ص٣١١؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٤٠٢).

(١٤)المفازة الكبرى: كانت هذه المفازة قليلة العمران ليس بها نهر يجرى ولا مدينة مشهورة، يسكنها اللصوص وقطاع الطرق، وكانت صعبة المسالك، وكانت فيها بعض الطرق تسلك من بعض النواحى، والتى لا يمكن اجتيازها بالخيل، وإنما تعبر دروبها الإبل فى جهـد ومشقة، الإدريسى: المصدر السابق، م١، ص٤٤٢).

(١٥)ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، طبعة بيروت، سنة ١٩٨٥م، ص٣٥٥.

(١٦)مجهول: حدود العالم، ص٢٨.

(١٧)الاصطخرى: مسالك الممالك، ص٩٨؛ الإدريسى: نزهة المشتاق، م١، ص٤٤١؛ علـى أكبر دهخداه: لغت نامه، ج٥، ص٦٥٦٧.

(١٨)مجهول: المصدر السابق، ص٩٨؛ باريزى: وادهفت واد، ص٣٨٧.

(١٩)مسكويه: تجارب الأمم، طبعة القاهرة، بدون تاريخ، ج١، ص٣٥٣؛ ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، طبعة بيروت، سنة ١٩٦٨م، ج٧، ص٤١.

(٢٠)ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٣٨١؛ بارتولد: تذكرة جغرافيا تاريخى إيـران، ترجمـة حمزة سردار، جاب أول طهران، سنة ١٠٣٨ ش، ص٢٠٠.

(٢١) مجهول: حدود العالم، ص٢٨.

(٢٢) سوف نوضح ذلك فى موضعه من البحث.

(٢٣) ياقوت: المصدر السابق، ج٤، ص٣٨١. وكان الغالب على أهل كرمان ونواحيها نحافة الجسم والسمرة أيضاً لشدة الحر بها. (الاصطخرى: المصدر السابق، ص٩٨).

(٢٤) لسترنج: بلدان الخلافة، ص٣٥٥.
(٢٥) مجهول: المصدر السابق، ص٩٨.
(٢٦) المقدسى: المصدر السابق، ص٣٦٩؛ ياقوت: المصدر السابق، جـ٤، ص٣٨١.
(٢٧) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٣٣٥.
(٢٨) أحسن التقاسيم: ص٣٦٩.
(٢٩) مجهول: حدود العالم، ص٩٨.
(٣٠) أحسن التقاسيم، ص٣٥٥.
(٣١) سجستان: تقع جنوب خراسان، يحيط بها من الغرب أقاليم قوهستان وكرمان والمفازة الكبرى، وشرقاً بلاد السند، وجنوباً مكران، وتعد سجستان ناحية كبيرة بينها وبين هراة نحو ثمانين فرسخاً (ابن حوقل: المصدر السابق، ص٢٩٧).
(٣٢) لسيترنج: المرجع السابق، ص٣٥٥.
(٣٣) مجهول: المصدر لسابق، ص٢٨.
(٣٤) نزهة المشتاق، م١، ص٤٤١.
(٣٥) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم، طبعة القاهرة، بدون تاريخ، جـ٣، ص٥٨.
(٣٦) ابن منظور: لسان العرب، جـ٥، ص٣٧٠٢.
(٣٧) ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص٣٨١.
(٣٨) الاصطخرى: مسالك الممالك، ص٩٨.
(٣٩) نظام الملك: ساست نامه ، تحقيق السيد محمد العزاوى، طبعة ١٩٧٦، ص٩٨.
(٤٠) ابن منظور: لسان العرب، جـ٥، ص٣٧٠٢؛ الزبيدى: تاج العروس، تحقيق على شيرى، الطبعة الأولى، دار الفكر العربى، القاهرة بدون تاريخ، جـ٩، ص٣٤١.
(٤١) ابن حوقل: المصدر السابق، ص٣١٠؛ الإدريسى: المصدر السابق، م١، ص٤٤١.
(٤٢) المقدسى: المصدر السابق، ص٣٦٩؛ ياقوت: المصدر السابق، جـ٤، ص٣٨١.
(٤٣) الاصطخرى: المصدر السابق، ص٩٨.
(٤٤) نظام الملك: سياست نامه، ص٩٨.
(٤٥) ابن حوقل: المصدر السابق.
(٤٦) الاصطخرى: المصدر السابق، ص٩٨؛ وانظر ابن حوقل: المصدر السابق، ص٣١٠.
(٤٧) حدود العالم، ص٢٨.
(٤٨) سوف نوضح ذلك بالتفصيل فى موضعه من البحث.
(٤٩) ياقوت: المصدر السابق، جـ٤، ص٣٨٠.
(٥٠) الاصطخرى: مسالك الممالك، ص٩٨؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣١٠.

(٥١) ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص٣٨٢.
(٥٢) ابن حوقل: المصدر السابق، ص٣١٢؛ ياقوت: المصدر السابق، جـ٤، ص٣٨١؛ دائـرة المعارف الإسلامية، جـ٨، ص٨٢.
(٥٣) معجم البلدان، جـ٤، ص٣٨٠.
(٥٤) ياقوت: المصدر السابق، جـ٤، ص٣٨١.
(٥٥) البلاذرى: فتوح البلدان، طبعة بيروت، سنة ١٩٨٣م، ص٣٨١؛ الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف، ١٩٧٧م.، جـ٤، ص١٠٧، ١٠٨.
(٥٦) مسالك الممالك، ص٩٨؛ صورة الأرض، ص٣١٠؛ أحسن التقاسيم، ص٣٥٥.
(٥٧) عبد الحسين سعيدان: سرزمين ومردم إيران، تهران ١٣٦٠ش، ص٢٣.
(٥٨) مسالك الممالك، ص٩٩.
(٥٩) مجهول: ص٢٨.
(٦٠) صورة الأرض: ص٣٠٩.
(٦١) نزهة المشتاق: جـ١، ص٤٤١.
(٦٢) بلدان الخلافة الشرقية، ص٣٥٥.
(٦٣) لسان العرب، جـ٥، ص٣٧٠٢؛ معجم البلدان، جـ٤، ص٣٨٠.
(٦٤) محمد نصر عبد الرحمن: كرمان من الفتح الإسلامى حتى نهاية الدولة الطاهرية، رسالة ماجستير، آداب عين شمس، ١٩٩٦، ص٢٢٣.
(٦٥) التنبيه والإشراف، ص٥٩؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تقديم مفيد محمد قميحة، ط بيروت، د.ت، جـ٢، ص١٣٥.
(٦٦) الإدريسى: نزهة المشتاق، جـ١، ص٤٤١.
(٦٧) المسعودى: التنبيه والإشراف، ص٧٩؛ مروج الذهب، جـ٢، ص١٣٥؛ محمد إبراهيم باريزى: واد هفت واد، ص٣٩٦.
(٦٨) الاصطخرى: المصدر السابق، ص٩٠؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص٦٧؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٣٣٤.
(٦٩) مسالك الممالك، ص٩٨.
(٧٠) ياقوت: المصدر السابق، جـ١، ص٤٩١.
(٧١) الاصطخرى: المصدر السابق، ص٩٨؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص٦٧.
(٧٢) نظام الملك: سياست نامه، ص٩٨.
(٧٣) ياقوت: المصدر السابق، جـ١، ص٤٩٢.

(٧٤) المسالك والممالك، ص٥٥.
(٧٥) الاصطخرى: المصدر السابق، ص٩٧؛ الإدريسى: المصدر السابق،م١، ص٤٤١؛ أبو الفدا: المصدر السابق، ص٣٣٤.
(٧٦) دائرة المعارف الإسلامية، جـ٨، ص٩٤.
(٧٧) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٣٦٩؛ ياقوت: المصدر السابق، جـ٤، ص٣٨٢. والجمازات: ناقة تعدو الجمزى، الجمزى: نوع من العدو السريع الوثوب. (ابن منظور: لسان العرب، جـ١، ص٦٧٧).
(٧٨) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٥٨.
(٧٩) الاصطخرى: المصدر السابق، ص٩٨؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص٣١١؛ مجهول: حدود العالم، ص٩٧.
(٨٠) المقدسى: المصدر السابق، ص٣٦٩؛ على أكبر دهخداه: لغت نامه، ص٢٧١.
(٨١) مسالك الممالك، ص٩٨.
(٨٢) صورة الأرض، ص٣١٠.
(٨٣) نزهة المشتاق، م١، ص٤٤١.
(٨٤) معجم البلدان، جـ١، ص٤٩٢.
(٨٥) المقدسى: المصدر السابق، ص٣٦٩.
(٨٦) ياقوت: المصدر السابق، جـ٤، ص٣٨١؛ دائرة المعارف الإسلامية، جـ٨، ص٩٥.
(٨٧) الاصطخرى: مسالك الممالك، ص٩٨.
(٨٨) نزهة المشتاق،م١، ص٤٤١.
(٨٩) معجم البلدان، جـ١، ص٤٩٢.
(٩٠) نظام الملك: سياست نامه، ص٩٨.
(٩١) ياقوت: المصدر السابق، جـ٤، ص٣٨٢.
(٩٢) ياقوت: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.
(٩٣) محمد نصر: كرمان من الفتح الإسلامى حتى نهاية الدولة الطاهرية، ص٢٤٩.
(٩٤) الاصطخرى: مسالك الممالك، ص٩٩؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣١٢.
(٩٥) محمد نصر: المرجع السابق، ص٢٤٩، ٢٥٠.
(٩٦) معجم البلدان، جـ١، ص٤٩٢.
(٩٧) دائرة المعارف الإسلامية، جـ٨، ص٦٦.
(٩٨) دائرة المعارف الإسلامية، نفس الجزء والصفحة.
(٩٩) دائرة المعارف الإسلامية، نفس الجزء والصفحة.

(١٠٠)سبق التعريف بهم من قبل.

(١٠١)تقويم البلدان، ص٣٣٤.

(١٠٢)مروج الذهب، ج٢، ص١٣٥؛ التنبيه والإشراف، ص٧٩.

(١٠٣)دائرة المعارف الإسلامية، ج٨، ص٦٥.

(١٠٤)مسالك الممالك، ص٩٩.

(١٠٥)ابن حوقل، صورة الأرض، ص٦٧.

(١٠٦)المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٦٩.

(١٠٧)الاصطخرى: مسالك الممالك، ص٩٨؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٠٩-٣١٠؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج١، ص٣٥٣؛ نظام الملك: سياست نامه، ص٩٨؛ النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ج٢٦، ص١٨٠، ٢١٢؛ بابريزى: واد هفت واد، ص٣٧٦، ٣٩٦.

(١٠٨)ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، سنة ١٩٦٧م، ج٧، ص٤١؛ النويرى: المصدر السابق، نفس الجزء، ص١٨٠، سوف نوضح ذلك فى موضعه من البحث.

(١٠٩)الطبرى: تاريخ الطبرى، ج٤، ص١٨٠.

(١١٠)ابن منظور: لسان العرب، ج٥، ص٣٧٠٢

(١١١)ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٥.

(١١٢)السيرجان: سبق التعريف بها من قبل.

(١١٣)بم: ذكر ياقوت أنها مدينة جبلية من أعيان مدن كرمان، وأكثر أهلها حاكة، وثيابها مشهورة فى جميع البلدان وبينها وبين جيرفت مرحلة (معجم البلدان، ج١، ص٤٩٥).

(١١٤)البلاذرى: فتوح البلدان، ص٣٧٩.

(١١٥)البلاذرى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(١١٦)ياقوت: المصدر السابق، ج٤، ص٤٥٥.

(١١٧)مجهول: تاريخ سجستان من المصادر الفارسية فى التاريخ الإسلامى، ترجمة محمود عبد الكريم على، طبعة المجلس الأعلى للثقافة، سنة ٢٠٠٦م، ص٧٥،وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، وكان يسمى عبد كلال، فسماه النبى ﷺ «عبد الرحمن»، وولاه عبد الله بن عامر سجستان (ابن قتيبة: المعارف: تحقيق ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، دار المعارف، ص٣٠٤).

(١١٨)مجهول: المصدر السابق، ص٧٦، ٧٧.

(١١٩)محمد نصر عبد الرحمن: كرمان من الفتح الإسلامى حتى نهاية الدولة الطاهرية، ص٧٨.

(١٢٠)مسكويه: تجارب الأمم، جـ٢، ص٣٥٣؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٢٥٥.

(١٢١)إقبال: تاريخ إيران، ص١٤-١٨، والدولة الطاهرية، من أوائل الدول الإسلامية المستقلة فى المشرق عن الخلافة العباسية، فحين كان طاهر بن الحسين والياً على خراسان من قبل الخليفة المأمون العباسى مكافأة له على ما قام به من دور بارز فى الأحداث التى وقعت بين الأمين والمأمون استغل طاهر هذه الفرصة وأقام دولة الطاهريين، واتخذ من نيسابور حاضرة لدولته، واستقل عن الدولة العباسية مع اعترافه بتبعيته للخليفة، واستمرت الدولة الطاهرية فى المشرق الإسلامى حتى كانت نهايتها سنة ٢٥٩هـ/٨٧٣م على يد الصفاريين. (الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٩٤؛ الكرديزى: زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان، جـ١، ص٢١٤؛ أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية، جـ١، ص٢٦٩).

(١٢٢)استطاع يعقوب بن الليث الصفارى فى منتصف القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) تأسيس الدولة الصفارية فى شرق الدولة الإسلامية، والتى شملت معظم أقاليم إيران كسجستان، وكرمان، ومكران، وطبرستان، والأهواز، وأذربيجان، وخراسان، ونواحى إقليم الجبال كالرى وقزوين، ووصل به الحد أن بات يهدد بغداد مقر الخلافة العباسية، وامتد حكم دولة الصفاريين من سنة ٢٥٤-٢٩٦هـ/٨٦٨-٩٠٨م) حتى جاءت نهايتهم على يد السامانيين ضموا أراضيهم إلى مناطق نفوذهم. (الكرديزى: المصدر السابق، جـ١، ص١٥٩، ٢٢٥، ٢٣١؛ أحمد السعيد سليمان: المرجع السابق، جـ١، ص٢٧١).

(١٢٣)الكرديزى: المصدر السابق، جـ١، ص١٥٩.

(١٢٤)الاصطخرى: مسالك الممالك، ص٩٨، ٩٩؛ المقدسى: أحسن التقاسيم، ص١٩٤، ١٩٥.

(١٢٥)ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣١٠؛ أحمد السعيد سليمان: المرجع السابق، جـ١، ص٢٧١.

(١٢٦)الهمذانى: تكملة تاريخ الطبرى، ص٢٢٨، ٢٥٠.

(١٢٧)المقدسى: المصدر السابق، ص٣٥٥.

(١٢٨)الهمذانى: المصدر السابق، ص٣٠٤.

(١٢٩)ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٧، ص٢٧.

(١٣٠)إقليم الجبال: يسمى بلاد البهلويين، وهو من أقاليم إيران المهمة، ويحده شرقاً مفازة خراسان وفارس، وغرباً خوزستان والعراق العربى، وشمالاً أذربيجان وجيلان وطبرستان، وجنوباً فارس وخوزستان، وجانب من العراق العربى، ويسمى أيضاً بالعراق العجمى. (ياقوت: المصدر السابق، جـ٢، ص٩٩).

(١٣١)ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر، تقديم عبادة

كحيلة، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة، بدون تاريخ، ج٤، ص٤٣٠؛ محمود عرفة محمود: الدول الإسلامية المستقلة فى المشرق وعلاقتها بالخلافة العباسية،طبعة دار الثقافة، القاهرة، بدون تاريخ،ص١٩٦.

(١٣٢)مسكويه: المصدر السابق، ج١، ص٣٥٢، ٣٥٣.

(١٣٣)السيرجان: من أهم مدن كرمان، بينها وبين شيراز أربعة وعشرون فرسخا (٧٢ ميلاً) وهى مدينة عامرة كثيرة البساتين والأسواق الواسعة، معتدلة المناخ (ياقوت: المصدر السابق، ج٣، ص٢٩٥).

(١٣٤)ابن الأثير: المصدر السابق، ج٦، ص٢٥٥.

(١٣٥)هو الأمير إبراهيم بن أبى عمران، وأبو عمران هو سيمجور الدواتى، وكانت وفاته سنة ٣٣٦ هـ، وكان بنو سيمجور من ولاة السامانيين، وكان الأمير سيمجور أول بنى سيمجور مملوكا لإسماعيل بن أحمد السامانى، ولقب هو وأولاده بلقب الدواتى، (أحمد السعيد سليمان: المرجع السابق، ج١، ص٢٧٧).

(١٣٦)النويرى: نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٨٠.

(١٣٧)بَرْدَسير: من أعظم مدن كرمان، وهى تقع شرق مدينة السيرجان، وإلى الشمال من مدينة جيرفت، وكانت بها قلعة حصينة اتخذها أبو على بن إلياس مقراً لملكه،وينسب إليها جماعة من العلماء (انظر ياقوت: المصدر السابق، ج١، ص٣٧٧؛ مسعود كيهان: جغرافياى مفصل إيران، تهران ١٣١١، الطبعة الأولى، ص٢٥٥).

(١٣٨)مسكويه: المصدر السابق، ج١، ص٣٥٣؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٤٣٠.

(١٣٩)مسكويه: المصدر السابق، ج١، ص٣٥٣. وبم: تقع فى جنوب شرق مدينة بورسير، وشرق مدينة جيرفت (مسعود كيهان: المرجع السابق، ص٢٤٩).

(١٤٠)ابن الأثير: المصدر السابق، ج٦، ص ٢٥٥؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج٤، ص ٤٣٠.

(١٤١)تجارب الأمم، ج١، ص٣٥٣.

(١٤٢)النويرى: نهاية الأرب، ، ج٢٦، ص١٨٠.

(١٤٣)تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، ترجمة محمد علاء الدين منصور، مراجعة السباعى محمد السباعى، طبعة دار الثقافة، القاهرة سنة ١٩٩٠م، ص٥٨.

(١٤٤)مسكويه: المصدر السابق، ج١، ص٣٥٣.

(١٤٥)مسكويه: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(١٤٦)ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٤٣١.

(١٤٧)ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٢٥٥؛ النويرى: المصدر السابق، جـ٢٦، ص١٨١.
(١٤٨)خواندمير: حبيب السير: تهران ١٣٣٣ش، جـ٢، ص٤٢٥.
(١٤٩)مسكويه: المصدر السابق، جـ١، ص٣٥٣، ٣٥٤.
(١٥٠)مسكويه: المصدر السابق، جـ١، ص٣٥٤.
(١٥١)ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٤٣١.
(١٥٢)مسكويه: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.
(١٥٣)ابن خلدون: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.
(١٥٤)مسكويه: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.
(١٥٥)مسكويه: المصدر السابق، جـ١، ص٣٥٤.
(١٥٦)ابن الأثير: المصدر السابق ، جـ٦، ص٢٥٥.
(١٥٧)مسكويه: المصدر السابق، جـ١، ص٣٥٤.
(١٥٨)ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٤٣١.
(١٥٩)مسكويه: المصدر السابق، نفس الجزء، ص٣٥٥.
(١٦٠)ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٦، ص٢٥٥؛ النويرى: المصدر السابق، جـ٢٦، ص١٨١.
(١٦١)مسكويه: المصدر السابق، جـ١، ص٣٥٥.
(١٦٢)مسكويه: المصدر السابق، جـ١، ص٣٥٥. وبعودة أحمد بن بويه إلى مدينة السرجان علم بما جرى لكاتبه كوردافير، فتوسط له لدى أخيه على بن بويه وبرأه مما حدث، وأطلق سراحه. (مسكويه: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة).
(١٦٣)خَنَّابُ: ذكر ياقوت أنها ناحية بكرمان، لها رستاق وقرى. (معجم البلدان، جـ٢، ص٣٩٠).
(١٦٤)ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٦، ص٢٥٦؛ النويرى: المصدر السابق، جـ٢٦، ص١٨٢.
(١٦٥)مسكويه: المصدر السابق، جـ١، ص٣٥٥، ٣٥٦.
(١٦٦)ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٦، ص٢٥٦؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٤٣١.
(١٦٧)مسكويه: المصدر السابق، نفس الجزء، ص٣٥٦.
(١٦٨)النويرى: المصدر السابق، جـ٢٦،ص١٨٢؛ بدر عبد الرحمن محمد: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الإسلامى من أوائل القرن الرابع الهجرى حتى ظهور السلاجقة، طبعة مكتبة الأنجلو، القاهرة، سنة ١٩٨٩م، ص١٤١؛ وإصطخر: من أشهر مدن فارس وأقدمها، وبينها وبين مدينة شيراز اثنا عشر فرخساً، وينسب إليها العديد من العلماء (ياقوت: المصدر السابق، جـ١، ص٢١١، ٢١٢).
(١٦٩)العبر، جـ١، ص٤٣٢.
(١٧٠)مسكويه: المصدر السابق، جـ١، ص٣٥٦.
(١٧١)تجارب الأمم، جـ١، ص٣٥٦.
(١٧٢)الاصطخرى: مسالك الممالك، ص٩٨؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣١٠؛ حسن أحمد

محمود، أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، القسم الثانى، طبعة دار الفكر العربى، بدون تاريخ، ص٥١١.

(١٧٣)مسكويه: المصدر السابق، جـ١، ص٣٦٦.

(١٧٤)مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٤٩.

(١٧٥)مسكويه: تجارب الأمم، جـ٢، ص١٧٦.

(١٧٦)ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٧، ص٢٥٥.

(١٧٧)مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٥٠.

(١٧٨)مسكويه: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(١٧٩)مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٤٩.

(١٨٠)الذهبى: دول الإسلام، تحقيق نعيم محمد شلتوت، محمد مصطفى إبراهيم، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٤م، جـ١، ص٢١٠.

(١٨١)ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص٣٥١.

(١٨٢)ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٧، ص٢٧.

(١٨٣)مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٥٠.

(١٨٤)مسكويه: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(١٨٥)مسكويه: المصدر السابق، نفس الجزء ص٢٥١.

(١٨٦)مسكويه: المصدر السابق، نفس الجزء، ص٢٥٣.

(١٨٧)ميرخواند: روضة الصفا، ص١٩٠. ويذكر أن إليسع لجأ إلى بخارى، ولقى كل ترحيب من الأمير السامانى آنذاك، غير أنه نقم على السامانيين لعدم مناصرتهم له فى استرجاع ملكه بكرمان، فرحل إلى خوارزم، وأصابه المرض إلى أن مات، (ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٧، ص٢٨).

(١٨٨)النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٦، ص٢١٢.

(١٨٩)مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٥٣.

(١٩٠)هو أبو الفوارس شرف الدولة شيرزيل بن عضد الدولة بن ركن الدولة البويهى، آل إليه حكم فارس بعد وفاة والده، وكانت وفاة أبى الفوارس فى سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م، وكان عمره تسعاً وعشرين سنة (الذهبى: دول الإسلام، جـ١، ص٢٣١؛ ميرخواند: المصدر السابق، ص١٩٥، ١٩٦).

(١٩١)ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٧، ص٢٨.

(١٩٢)مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٩٨.

(١٩٣)ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٧، ص٣٩.

(١٩٤)مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ، ص٢٩٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٧، ص٤١.

(١٩٥)مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٩٩، ابن الأثير: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(١٩٦)ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٧، ص٤١.

(١٩٧)مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٩٩.

(١٩٨)ابن الأثير: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(١٩٩)محمد محمود إدريس: الأمير عضد الدولة البويهى سياسته الداخلية والخارجية ومظاهر الحضارة فى عهده، طبعة دار الثقافة، القاهرة، سنة ١٩٨٤م، ص٩٩.

(٢٠٠)مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٠٠.

(٢٠١)مسالك الممالك، ص٩٨.

(٢٠٢)مسكـ : المصدر السابق، جـ٢، ص٣٠٠.

(٢٠٣)النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٦، ص٢١٣.

(٢٠٤)مسكويه: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٢٠٥)معجم البلدان، جـ٤، ص٣٨٢.

(٢٠٦)مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٠٠؛ ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٧، ٤٢.

(٢٠٧)محمد محمود إدريس: المرجع السابق، ص٩١، ص٩٩.

(٢٠٨)عن تفاصيل الصراعات بين أبناء البيت البويهى انظر فاضل الخالدى: الحياة السياسية ونظم الحكم فى العراق خلال القرن الخامس الهجرى، طبعة بغداد، سنة ١٩٦٩م، ص٤١-٦٢.

(٢٠٩)أفضل الدين الكرمانى: بدائع الأزمان فى وقائع كرمان، ترجمة ثريا محمد على، مراجعة بديع محمد جمعة، طبعة دار عين القاهرة سنة ٢٠٠٠، ص٥٦.

(٢١٠)إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٨٤-٨٦.

(٢١١)يرجع تأسيس الدولة الغزنوية إلى ناصر الدين سبكتكين (٣٦٦-٣٨٧هـ/٩٧٧-٩٩٧م) أحد غلمان البتكين أمير غزنة الذى صارت إليه إمارة غزنة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، ولم يقف سبكتكين على ولاية الحكم فى غزنة، فقد نجح فى مد نفوذ دولته شرقاً وجنوباً، وسيطر على قصدار فى إقليم مكران، وبست من مدن سجستان، وخراسان، وغزا أطراف الهند، وبعد وفاة سبكتكين خلفه ابنه إسماعيل الذى تنازل عن الحكم لأخيه محمود، ونجح السلطان محمود الغزنوى فى توسيع أملاك دولته على حساب البويهيين فى الرى، وعظمت الدولة الغزنوية فى عهده (ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص٨٥، ٨٦، ١٦٤).

(٢١٢)إقليم الجبال: سبق التعريف به من قبل.

(٢١٣)الكرديزى: زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان، طبعة القاهرة، ١٩٨٢م، ص١٩٣؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ٣، ص١٦٧؛ بدر عبد الرحمن، رسوم الغزنويين والنظم الاجتماعية، ص٢٢. ومدينة الرى هى من عواصم إقليم الجبال الكبرى، وكانت ذات شهرة عالية، وبينها وبين مدينة نيسابور مائة وستون فرسخاً، وينسب إليها العديد من العلماء والأدباء. (ياقوت: معجم البلدان، جـ٣، ص١١٦، ١١٧).

(٢١٤)بدر عبد الرحمن: المرجع السابق، ص٢٣.

(٢١٥)دير الجص: حصن حصين مبنى بالجص والأجر عامر بالناس والأجناد. (الإدريسى: نزهة المشتاق، م١، ص٤٥٢).

(٢١٦)نظام الملك: سياست نامه، ص٩٥، ٩٦.

(٢١٧)نظام الملك: هو الوزير أبو على الحسن بن على بن إسحاق الطوسى، من أبناء الدهاقين بطوس، وزير السلطان ملكشاه السلجوقي، أنشأ عدة مدارس ومساجد نسبت إليه، وعرفت بالمدارس النظامية، وقتل نظام الملك فى سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢ بالقرب من مدينة نهاوند على يد الباطنية (ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص١٦٢، ١٦٣؛ الذهبى: دول الإسلام، جـ٢، ص١٣).

(٢١٨)نظام الملك: المصدر السابق، ص٩٨.

(٢١٩)إقبال: المرجع السابق، ص٨٢، ٨٣.

(٢٢٠)نظام الملك: المصدر السابق، ص٩٨.

(٢٢١)نظام الملك، المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢٢٢)أصفهان: تعد من أكبر مدن إقليم الجبال وأشهرها، وهى مدينة عامرة، وينسب إليها العديد من أهل العلم والمعرفة. (ياقوت: معجم البلدان، جـ١، ص٢٠٦، ٢٠٧).

(٢٢٣)يزد: ذكر ياقوت أنها مدينة متوسطة بين نيسابور وشيراز وأصفهان، وهى معدودة فى أعمال فارس، وبين يزد وشيراز سبعون فرسخاً (٢١٠ أميال) (المصدر السابق: جـ٥، ص٤٣٥).

(٢٢٤)نظام الملك: المصدر السابق، ص٩٩.

(٢٢٥)اشتهرت أصفهان بزراعة التفاح الذى ذاعت شهرته فى البلدان؛ لأنه كان يمتاز بذكاء رائحته، ولذة طعمه، وحسن منظره، (ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦٤).

(٢٢٦)نظام الملك: نفس المصدر والصفحة.

(٢٢٧)نظام الملك: المصدر السابق، ص١٠١.

(٢٢٨)نظام الملك: المصدر السابق، ص١٠١.

(٢٢٩)العراق هنا المعنى به إقليم الجبال المعروف بالعراق العجمى (انظر ياقوت: المصدر السابق، جـ٢، ص٩٩).

(٢٣٠)نظام الملك: المصدر السابق، ص١٠١، ١٠٢.

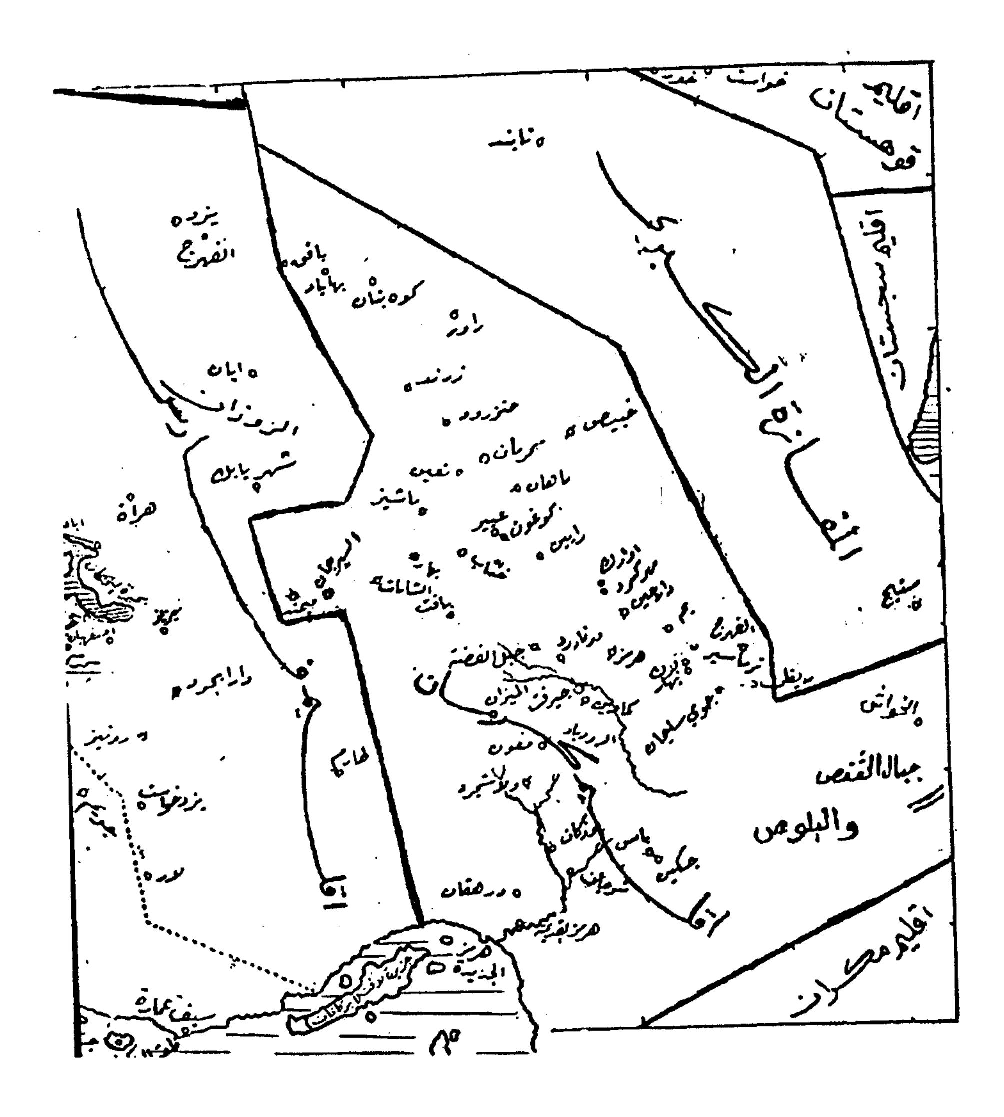
(٢٣١)البيهقى: تاريخ البيهقى، ترجمة يحيى الخشاب، صادق نشأت، طبع مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ، ص٤٥٦، ٤٥٧؛ إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص١٧١، ١٨٩؛ بدر عبد الرحمن: رسوم الغزنويين، ص٢٣.

(٢٣٢)دائرة المعارف الإسلامية، جـ٨، ص١٥، ومدينة خبيص: هى إحدى مدن كرمان الحصينة، والقرية من بلاد القفص، (ياقوت: معجم البلدان، جـ٢، ص٣٤٥).

(٢٣٣)دائرة المعارف، جـ٨، ص٨٣.

(٢٣٤)البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٤٥٨.

(٢٣٥)البندارى: تاريخ آل سلجوق، طبعة بيروت، سنة ١٩٨٠م، ص١٠؛ إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٨٣.
(٢٣٦)الراوندى: راحة الصدور وآية السرور من تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة إبراهيم الشواربى وآخرين، طبعة القاهرة، ١٩٦٠م، ص٨٣.
(٢٣٧)الراوندى: المصدر السابق، ص١٦٧.
(٢٣٨)ميرخواند: روضة الصفا، جـ٤، ص١٠٤؛ خواندمير: حبيب السير، جـ٢، ص٥٣٧.
(٢٣٩)خَتَّابُ: سبق التعريف،
(٢٤٠)محمد بن إبراهيم: سلجوقيان وغز در كرمان، ص٣٢٦.
(٢٤١)أفضل الدين الكرمانى، بدائع الأزمان فى وقائع كرمان ، ص٥٦.
(٢٤٢)الجروم: يقصد بها المناطق الحارة، أما المناطق الباردة فتعرف بالصرود. (أبو الفضل النيسابورى: السامى فى الأسامى، تحقيق محمد موسى هنداوى، طبعة مصر، بدون تاريخ، ص٤١٢-٤١٣).
(٢٤٣)أفضل الدين الكرمانى: المصدر السابق، ص٥٦.
(٢٤٤)أفضل الدين الكرمانى: المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٢٤٥)أفضل الدين الكرمانى: المصدر السابق، ص٥٦.
(٢٤٦)محمد بن إبراهيم: سلجوقيان وغز دركرمان، ص٣٣٥.
(٢٤٧)أفضل الدين الكرمانى: المصدر السابق، ص٥٧.
(٢٤٨)محمد بن إبراهيم: المصدر السابق، ص٣٣٧.
(٢٤٩)أفضل الدين الكرمانى: المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٢٥٠)أفضل الدين الكرمانى: المصدر السابق ، ص٥٧.
(٢٥١)أفضل الدين الكرمانى: المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٢٥٢)بدائع الأزمان، ص٥٧.
(٢٥٣)أفضل الدين الكرمانى: المصدر السابق، ص٥٨.
(٢٥٤)الأفضل: عقد العلى، ص١٢٣.
(٢٥٥)سياست نامه، ص١٠٢.
(٢٥٦)دائرة المعارف الإسلامية، جـ٨، ص٦٥، ٨٣.



إقليم كرمان وحدوده السياسية ومدنه

وجبال القفص والبلوص

(انظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، خريطة رقم ٦)

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- ابن الأثير: أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ/١٢٢٣م)، "الكامل فى التاريخ"، طبعة دار الكتاب العربى- بيروت- الطبعة الثانية- سنة ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م.
- الإدريسى: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسى (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)، "نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق"، طبعة بيروت- عالم الكتب- الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- الإصطخرى: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م)، "مسالك الممالك"، طبعة ليدن- سنة ١٩٣٧م.
- البلاذرى: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، "فتوح البلدان"، طبعة بيروت- مكتبة الهلال- الطبعة الأولى- سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)
- البندارى: الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، "دولة آل سلجوق"، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى فى دار الآفاق الجديدة- بيروت- سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- ابن حوقل: أبو القاسم بن حوقل النصيبى (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، "صورة الأرض"، طبعة ليدن- الطبعة الثانية سنة ١٩٣٨م.
- ابن خرداذبة: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ/٩١٢م)، "المسالك والممالك"، تحقيق: محمد مخزوم- طبعة بيروت- دار إحياء التراث العربى- ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون المغربى (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، "العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر"، الهيئة العامة لقصور الثقافة، تقديم عبادة كحيلة، بدون تاريخ.

- الذهبى: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، "دول الإسلام"، تحقيق: فهيم محمد شلتوت- محمد مصطفى إبـراهيم، طبعـة الهيئة المصرية العامة للكتاب- سنة ١٩٧٤م.
- الروذ راورى: أبو شجاع محمد بن الحسين (الملقب ظهير الدين الروذراورى) (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٥م)، "ذيل تجارب الأمم"، اعتنى بتصحيحه هـ. ف. آمـدروز، طبعة القاهرة- دار الكتاب الإسلامى- بدون تاريخ
- الطبرى: محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، "تاريخ الرسل والملوك " (تـاريخ الطبرى)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- طبعـة مـصر- دار المعـارف ١٩٧٧م.
- أبوَ الفدا: عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تقويم البلدان، طبعة مدينة باريس- بدار الطباعة السلطانية سنة ١٨٥٠م
- مجهول: حدود العالم، تحقيق يوسف الهادى، طبعة القاهرة ١٩٩٩م
- المسعودى: أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت٣٤٦هـ/٩٥٦م)، "مـروج الذهب ومعادن الجوهر"، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد- دار الجيـل- بيروت- بدون تاريخ.
- المسعودى : "التنبيه والإشراف"، طبعة بيروت- دار مصعب- بدون تاريخ.
- مسكويه: أبو على أحمد بـن محمـد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)، "تجـارب الأمـم"، تصحيح: هـ. ف. أمدروز، طبعة القاهرة د.ت.
- المقدسى: شمس الدين أبو عبد الله محمد الشافعى البشارى (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، "أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم"، تحقيق: محمد مخزوم- طبعة بيروت- دار إحياء التراث العربى ١٩٨٧.
- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ/١٣١١م)، "لـسان العرب"، طبعة مصر- دار المعارف سنة ١٩٧٩م
- النويرى: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، "نهاية الأرب فى فنون الأدب" ، جـ٢٦ ، تحقيق: محمد فوزى العنتيل- مراجعة: محمد طـه الحاجرى، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

- الهمذانى: محمد بن عبد الملك (ت٥٢١هـ/١١٢٧م)، تكملة تاريخ الطبرى- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف سنة ١٩٨٢م.
- ياقوت: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، "معجم البلدان"، طبعة بيروت- دار صادر سنة ١٩٨٦م

ثانياً: المراجع العربية والمترجمة :

- **أحمد السعيد سليمان:** "تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة"، جزآن- طبعة دار المعارف- مصر سنة ١٩٧٢م
- **بدر عبد الرحمن**: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الإسلامى من أوائل القرن الرابع الهجرى حتى ظهور السلاجقة، طبعة مكتبة الأنجلو، القاهرة، سنة ١٩٨٩م.
- **بدر عبد الرحمن،** رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية، طبعة مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٧م.
- **حسن إبراهيم حسن:** "تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى"، ج٣، طبعة مكتبة النهضة المصرية- الطبعة الحادية عشر، ١٩٨٤م
- **حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف:** العالم الإسلامى فى العصر العباسى، طبعة دار الفكر العربى، بدون تاريخ.
- **دائرة المعارف الإسلامية:** طبعة دار الشعب، القاهرة- بدون تاريخ.
- **فاضل الخالدى**: "الحياة السياسية ونظم الحكم فى العراق" (خلال القرن الخامس الهجرى)، طبعة بغداد- دار الأديب- الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م

- **كي لسترنج:** "بلدان الخلافة الشرقية"، ترجمة: بشير فرنسيس- كوركيس عواد- طبعة بيروت- الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- **محمد التونجي:** "المعجم الذهبى" (فارسى- عربى)، طبعة بيروت- دار العلم للملايين- الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٠م
- **محمد محمود إدريس:** "الأمير عضد الدولة البويهى"، طبعة القاهرة- دار الثقافة سنة ١٩٨٤م
- **محمد محمود هنداوي:** المعجم الفارسى، طبعة بيروت، بدون تاريخ.
- **محمد نصر عبد الرحمن:** كرمان من الفتح الإسلامى حتى نهاية الدولة الطاهرية، ماجستير، آداب عين شمس، ١٩٩٦م.
- **محمود عرفة محمود:** الدول الإسلامية المستقلة فى المشرق وعلاقتها بالخلافة العباسية، طبعة دار الثقافة، القاهرة، د.ت.

ثالثا: المصادر الفارسية :

- **أفضل الدين الكرماني:** أبو حامد أحمد بن حامد الكرمانى (ت٦١٥هـ/١٢١٨م)، بدائع الأزمان فى وقائع كرمان، ترجمة ثريا محمد على، مراجعة بديع محمد جمعة، طبعة دار عين، القاهرة، سنة ٢٠٠٠م.
- **أفضل الدين الكرمانى،** عقد العلى للموقف الأعلى، مقدمة باستنانى باريزى، تهران ٢٥٣٦ش.
- **البيهقي:** أبو الفضل (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م)، تاريخ البيهقى، ترجمة يحيى الخشاب، صادق نشأت، طبع دار النهضة العربية، بيروت، سنة ١٩٨٢م.

- **خواندمير:** غياث الدين بن همام الدين الحسينى (ت٩٤٢هـ/١٥٣٥م)، "حبيب السير"، جلددوم- طبعة طهران- ١٣٣٣ ش
- **الراوندي:** محمد بن على بن سليمان (ت٦٠٣هـ/١٢٠٦م)، "راحة الصدور وآية السرور" من تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة: إبراهيم الشواربى- عبد النعيم حسنين- فؤاد عبد المعطى الصياد، طبعة القاهرة سنة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م
- **الكرديزى:** أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود (ت٤٤٣هـ/١٠٥١م)، "زين الأخبار"، ترجمة: عفاف السيد زيدان- طبعة القاهرة- الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
- **مجهول:** تاريخ سجستان من المصادر الفارسية فى التاريخ الإسلامى، ترجمة محمود عبد الكريم على، طبعة المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٦م.
- **محمد بن إبراهيم:** (ت١٠٢٥ هـ)، سلجوقيان وغزدر كرمان، مقدمة وتصحيح باستانى باريزى، ١٣٧٣ش.
- **ميرخواند:** محمد بن خاوندشاه (ت٩٠٣هـ/١٤٩٧م)، "روضة الصفا" فى سير الأنبياء والملوك والخلفا، ترجمه عن الفارسية: أحمد عبد القادر الشاذلى- مراجعة: السباعى محمد السباعى- طبعة الدار المصرية للكتاب- الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م
- **نظام الملك:** الطوسى (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، "سياست نامة"، ترجمة وتعليق: السيد محمد العزاوى- طبعة القاهرة- دار الرائد العربى سنة ١٩٧٦م

رابعاً: المراجع الفارسية والمترجمة:

- **بارتولد:** تذكرة جغرافيا تاريخى إيران، ترجمة حمـــزة ســـردار، جـــاب أول طهران، ١٣٠٨ش.
- **عباس إقبال الاشتياني:** "تاريخ إيران بعد الإسلام" (من بداية الدولة الطاهريـــة حتى نهاية الدولة القاجارية) (٢٠٥-١٣٤٣هـ/ ٨٢٠-١٩٢٥م)، ترجمة: محمد علاء الدين منصور- مراجعة: السباعى محمد السباعى- طبعة القـــاهرة- دار الثقافة سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م
- **عبد الحسين سعيدان:** سرزمين ومردم إيران، تهران ١٣٦٠ش.
- **على أكبر دهخدا:** لغت نامة، تهران ١٣٣٦ش
- **محمد إبراهيم بـايزى:** وادى هفتواد بحثى در تاريخ اجتماعى وآثـــار تـــاريخى كرمان، جلد، نخست طهران ٢٥٣٥ش.
- **مسعود كيهان:** جغرافياى مفصل إيران، طهران، ١٣١٠ش.



الخَيْلُ وَالفُرُوسِيَّةُ فِى الْيَمَنِ
مِنْ ظُهُوْرِ الإِسْلَامِ حَتَّى نِهَايَةِ الدَّوْلَةِ الرَّسُوْلِيَّةِ

د/ عبد الرحمن بشير
أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة المساعد
كلية الآداب – جامعة الزقازيق

المقدمة:

استأنست قبائل اليمن الخيول فى أوائل الألف الأخيرة من القرن الأول ق.م تقريبًا وأنتجوها، وأصبحت لديهم أغلى من الولد (يُجاع العيال ولا تُجاع)، ومثلهم مثل كُلّ عرب شبه الجزيرة العربية اعتنوا بها وبأنسابها لما فيها من الصفات الجليلة، ويرجعُ تعدُّدُ الكيانات السياسية فى جنوب الجزيرة منذ الألف الأول ق .م إلى العصبية القبلية والتضاريس والخيول؛ لذلك فالخيل كانت جزءًا من المعادلة السياسية، وكذلك كانت لها قيمتها الاجتماعية وأخيرًا الاقتصادية . ولعلَّ أكثر حُكَّام اليمن اهتمامًا بالتَّأريخ للخيل وصفاتها حُكَّام الدولة الرَّسوليَّة (٦٢٦-٧٦٤هـ/١٢٢٨-١٣٦٢م) فقد كان اهتمامهم بها مثل اهتمامهم بالعلوم الأخرى، حيث أفرد الملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر الرسولى(٦٩٤-٦٩٦هـ/١٢٩٤-١٢٩٦م) للخيل جانبًا من مُصنَّفه " **المُغنى فى البيطرة** "، وكذلك كتب المؤرخ تاج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م) كاتب الإنشاء فى عهد الملك المؤيد داود بن يوسف بن عمر (٦٩٦-٧٢١هـ/١٢٩٦-١٣٢١م) وصاحب كتاب "**بهجة الزمن فى تاريخ اليمن**" "**رسالة فى الخيل**" ومناقبها وألوانها؛ أملاها على النويرى، وأوردها فى كتابه " **نهاية الأرب** "، وكذلك كتب الملك المجاهد على بن داود الرسولى (٧٢١-٧٦٤هـ/١٣٢١-١٣٦٢م) كتابه فى الخيل (**الأقوال الكافية والفصول الشَّافية فى الخيل**) .

ولاشك فى أن امتلاك الخيل يعد من العزِّ والشَّرف ما لا يُدانيه شرفٌ؛ فهى الرفيق فى السَّفر، وهى المُنجِّى من الخطر، وفى الصيد أسرع من الحُمُر، وفى الحرب أثبت من الحجر . المصير واحد؛ فإذا عقر صار الفارس والفرس إلى أمر قد قدر، وهو حيوانٌ مُعجبٌ بنفسه يمشى فى خيلاء، واشتقَّ اسمه من هذه الصِّفَة، فيه من عزَّة النَّفس أن يُنكر على صاحبه سوء المعاملة فى عدم الاستجابة لأوامره، والعكس صحيحٌ، عندها يخلص لصاحبه يخوض معه الخطر، وعندما ظهر الإسلام كرم الرسول ﷺ الخيل، وأبقى على رياضتها، واعتمد العرب عليها فى فتوحاتهم، حيث خرجت بطون من قبائل الجنوب على ظهور خيولهم غزوا فى سبيل الله ﷻ .

ويعتبر هذا البحث محاولة لتأصيل عملية استئناس الخيل فى جنوب الجزيرة العربية ثم التوقف أمام قيمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية لدى قبائل اليمن منذ ظهور الإسلام حتى الدولة الرسولية من خلال رصد علاقة هذه القبائل والحكام بالخيل، والتَّعرُّف على أماكن التربية والنِّتاج فى اليمن، وطريقة اقتنائها، والعناية بها، ورصد حركة تجارة الخيول من اليمن إلى الهند، ثم التعرف على قيم الفروسية فى البلاد، ورصد اشتراك الخيول فى المناسبات الاجتماعية المختلفة، مستعينا بالله أولاً، ثم بالمنهج الرصدي، وفى بعض الأحيان التحليلى لمحاولة الوصول إلى أقرب نقطة من الحقيقة داعيا الله التوفيق والسَّداد .

تَمْهِيدٌ

انتقل الحصان من أمريكا الشمالية إلى بقية مناطق العالم قبل انفصالها بفعل نشوء المحيطين الهادى والأطلسى منذ ملايين السنين كحيوان برى، وبدأ ترويضه من منطقة شمال البحر الأسود، حيث انخرط الصيادون فى اصطياده وتدريبه قبل أربعة آلاف وخمسمائة سنة قبل الميلاد، ثم وصلت عمليات الترويض إلى الصين وبلاد الرافدين، وتأكد بالدليل القوى أنَّ سيطرة الإنسان على الحصان سيطرة كاملة من ٣٠٠٠ سنة ق.م وبعد هذا التاريخ، وبدأ يحلُّ محلَّ حيوانات أخرىَ مثل الثيران وغيرها فى كثير من المناطق كأهم حيوان للقيادة [١]، وأصبح يمثل تغيرا كبيرا فى الحياة السياسية والاجتماعية فى آسيا أولا، ثم آخر الأمر فى أغلب الأقطار، حيث عرفت مناطق آشور وبابل وكذلك الحيثيين فى أسيا الصغرى وسوريا الحصان،

وانتقل منها إلى مصر عبر التجارة منذ نهاية الدولة الوسطى ١٦٧٥ق.م تقريبا [٢]، ولم يقتصر ترويض الحصان على إتقان طرق السوس والتدريب، وتصنيع الأدوات المناسبة لاستخدامه مثل أدوات التطقيم والسراجة، بل أيضًا تطلب تغيرات جوهرية في خصائص الحصان؛ ليتماشى مع الظروف البيئية والعملية للبلاد التي انتقل إليها[٣].

وعندما وصل الحصان إلى شبه الجزيرة العربية مثلما وصل إلى بقية العالم[٤]، تطور نسله بطبيعة الحال ليتأقلم مع البيئة [٥]، وانفرد بخصائص جديدة عرف بعدها بالخيل العراب، وبالتالي فالأمر المؤكد هو أنَّ الخيل لم تكن أصيلة في بلاد العرب؛ وإنَّما وفدت عليها [٦]، ويشير بعض الحفريات الأثرية التي أجريت في جنوب الجزيرة العربية إلى تحديد الألف الأول ق.م تاريخًا لاستئناس الخيل في المنطقة، حيث تشير بعض النقوش التي عثر عليها في نجران والتي تعبر عن الفترة البرونزية حتى العصور الإسلامية إلى وجود رسوم بأعداد كبيرة للحيوانات يأتي الجمل في مقدمتها، ثم تليه الخيول[٧]، وكذلك عثر على رسوم خيول كثيرة، ومعارك على الخيول بالرّماح الطويلة لعلها تعود إلى الألف الأول قبل الميلاد في منطقة أبها [٨] .

فإذا كانت الكشوف الأثرية حددت الألف الأول ق.م لترويض واستئناس الخيل في شبه الجزيرة فإنَّ الرُّوايات التاريخية العربية تؤكِّد على أنَّ أول مَنْ روَّض الخيل من العرب واتخذها هو نبي الله إسماعيل [٩]، قبل ذلك التاريخ بأكثر من ألف ومائتي عام تقريبًا، حيث تقول هذه النصوص " وذكر أنَّ الله تعالى أخرج له من البحر مائة فرس، وكانت وحشية لا تطاق، فرسنها وركبها [١٠] "، " ورُوي أنَّ إسماعيل عليه السلام لمَّا رفع القواعد من البيت مع أبيه إبراهيم أوحى الله إلى إسماعيل : إنِّي مُعطيك كنزًا من كنوزي لم أعطه أحد من قبلك؛ فاخرج فنادِ بالكنز يُلبك، فخرج حتَّى أتى أجياد من جبال مكة، فألهم الله إسماعيل الدعاء بالخيل فنادى: يا خيل الله اركبي، فلم يبقَ في بلاد العرب كلّها فرسٌ إلا أتاه وذلّله الله له، فأمكنه الله من نواصيها " [١١]، " وتعلم بنوه رياضتها منه فصارت فيهم إلى الآن " [١٢] .

وقضية استئناس نبي الله إسماعيل الخيل وترويضها ليس فيها خلاف، لكن

من غير المُؤكَّـد استمرار استئناس الخيول وتربيتها وتكاثرها فى شبه الجزيرة بعده، وربما اقتصر الأمر على ترويض المُتوحش منها، خـصوصا أنَّ هنـاك روايـات تاريخية تُؤيِّـدها النُّقـوش الأثرية، وتعود إلى نفس السياق الزمني، هذه الروايـات تؤكِّـد على أنَّ أول فرس انتشر بين العرب وأنتج كان من خيل نبـى الله سـليمان ﷺ، حيث كانت مملكته من المناطق التى وصلتها الخيل منذ فترة مبكرة، وملخص الرواية التى وردت عند كثير من المؤرخين هى أنَّ قومًا مـن الأزد مـن جنـوب الجزيرة قدَّموا على سليمان بن داود ﷺ الذى امتدت فترة حكمه فيمـا بـين سـنة (٩٦٠-٩٢٥ق.م) بعد أنَّ تزوج بلقيس، وفى رحلة عودتهم دفع إليهم سليمان فرسًـا من خيله، وقال: " هذا زادكم، فإذا نزلتم فاحملوا عليه رجلاً وأعطوه مطردًا، وأوروا ناركم ، فإنَّكم لن تجمعوا حطبكم، وتوروا ناركم حتى يأتيكم بالصيد، ففعلوا، فلم يلبث أن يأتيهم بصيد من الظِّباء والحمر ... فقال الأزديون ما لفرسنا هـذا اسـم إلا زاد الركب، فكان ذلك أول فرس انتشر فى العرب من تلك الخيل " (١٣)، وبالتالى لم تكن للعرب أية علاقة بالخيل لا على زمن الملك داود، ولا على زمن ولـده سـليمان، إذ كانت عملية بيع الخيل تتم بالدرجة الأولى مع مصر، وكانت شبه الجزيرة مقفلة أمام هذه التجارة فى ذلك الوقت حتى زواج الملك سليمان من بلقيس. (١٤)

وبالتَّالى فإنَّ الكشوف الأثرية تؤكِّد على صحة قضية زاد الرَّكب، حيـث إنَّ الفترة الزَّمنية لحكم الملك سليمان تتزامن مع تاريخ هذه النُّقوش، وبالتـالى هنـاك فاصل زمنى يمتدُّ لأكثر من ألف ومائتي عام بين استئناس نبى الله إسـماعيل ﷺ للخيل وترويضها وبين إنتاج العرب لها، وأمَّا تعلُّم العرب لرياضاتِ الخيل مثلمـا جاء عند القلقشندى (١٥) فيأتى ضمن فعل الأمر الذى جاء فى حديث ابن عباس ﷺ على لسان نبى الله إسماعيل ﷺ (اركبوها واقتنوها) (١٦)، ويبدو أنَّ هذا الأمر قـد أخذ وقتًا طويلاً حتى انتشر بين العرب فى عهد نبى الله سليمان ﷺ، وإذا صدقت هذه الرواية يمكن القول بأنَّ جنوب الجزيرة هى المحطة التى انتشرت منها الخيـل إلى كل أرجاء الجزيرة .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ وهب بن منبه يروى أنَّ الرسول ﷺ قال :" لمَّا أراد الله أن يخلق الخيل قال لريح الجنوب : إنِّى خالق منك خلقًا أجعله عزًا لأوليـائي،

ومذلّة لأعدائي، وإجلالاً لأهل طاعتي، فقبض قبضة من ريح الجنوب فخلق منها فرسًا وقال سميتك فرسًا، وجعلتك تطير بلا جناح فأنت المطلب وإليك المآرب"، ويروى عن الرسول ﷺ أنه قال :" ريح الجنوب من ريح الجنة، خلق الله الخيل العراب وهى الرياح اللوامح " [١٧] .

ونسبة خلق الخيل إلى الرِّيح الآتية من الجنوب جعل أحد مؤرخى اليمن [١٨] يربط بين اليمن وبين ريح الجنوب محاولاً إيجاد علاقة بين خلق الفرس واليمن، ويجعلها ضمن فضائل اليمن، ويضع ذلك فى مصاف الرُّكن اليمانى من الكعبة الذى هو تشريف لليمن [١٩]، وأورد كذلك أحد ملوك اليمن فى العصر الرسولى هذه الأحاديث ضمن كتابه عن الخيل، ولم يربط بين اليمن وريح الجنوب، وهو فيما يبدو الأقرب إلى الصحة [٢٠] .

وقضية خروج الخيل من البحر تكرَّرت فى الروايات التى تتحدث عن خيل نبى الله إسماعيل عليه السلام، وأيضًا فى الروايات التى وردت عن خيل نبى الله سليمان عليه السلام، وينقل ابن الكلبى عن بعض أهل العلم أنَّ الله تعالى أخرج لنبيه سليمان من البحر مائة فرس من البحر لها أجنحة، وكان يُقال لتلك الخيل الخير، فكان يُراهن بينها ويجريها [٢١]، ولم تذكر الروايات من أى بحر جاءت هذه الخيل إلى النبى إسماعيل عليه السلام، والملك سليمان، فمن المعقول أن تأتى من البحر الأحمر، والذى يُلامس الواقع من هذا النَّص هو أنَّ البحر الأحمر هو أقرب بحر لمكة، وكذلك كان مجال إطلالة الملك سليمان على تجارة بلاد العرب وشرق أفريقيا، وفى نفس هذا البحر جزر[٢٢]تعيش فيها الخيول البرية استطاع السكان ترويضها، وإقامة مرابط لها فى هذه الجزر[٢٣]، والمُتخيَّل عند الناس فى ذلك الوقت أنَّه لابد لهذه الخيول من أجنحة حتى تعبر مياه البحر من الجزر إلى مكة، وإلى مملكة سليمان فى وقت عزَّت فيه السُّفن الكبيرة التى تحمل كميات من هذا الحيوان، والمقبول أن يتم عبور البحر من مخاضات [٢٤] كانت موجودة فيه، وقد وضَّح الرسول ﷺ هذه الصورة للخيل المُجنَّحة عندما ورد قوله عن ربِّ العزة ﷻ : " وجعلتك تطير بلا جناح "، كما أنكر الأقوال التى وردت عن خيل سليمان المجنحة [٢٥] .

ويبدو أنَّ هناك علاقة ما بين ما أورده ابن الكلبى عن الخيول المجنحة [٢٦] وبين

الأساطير التى ترسم صورة خيالية فانتازية لهــذا الحيوان؛ كما فى الأساطير اليونانية والفينيقية [٢٧]، يدلل على ذلك اتخاذ قبيلة همدان اليمنية معبودا لها على هيئــة فــرس يدعى "يعوق" الذى ورد فى القرآن الكريم، وهذا الصنم غالبا ما يستدعى فى تــصميمه وشكله ثقافات جنوب الجزيرة فى ذلك الوقت، حيث لعبت الخيل فيه دورا كبيــرا فــى حسم المعارك؛ فهو يلحق بالأعداء، ويعوقهم، فلا بد أن يتمتع بقــدرات خارقــة مثــل السرعة الفائقة وغيرها من الصفات [٢٨].

ووفقا لما جاء فى رواية زاد الركب فرس الأزد يبدو أنَّ أهل اليمن كانوا أول مَنْ روض الفرس، واستنتجه فى منطقة جنوب شبه الجزيرة، ومنــه انتــشر بــين العرب فى المنطقة وفقًا لرواية ابن الكلبى وغيره من المؤرخين [٢٩]، حيث اقتنــت القبائل العربية نسل زاد الركب، وانتقل النسل من قبيلة لأخرى، ومن نسله الفحــل (أعوج) الذى قيل إنَّه كان لقبيلة باهلة التى ضربت فى نجد، وقيل أيضًا إنَّــه لقبيلة كندة [٣٠]، وأيا كان لباهلة أو لكندة [٣١]، فإنَّه انتقل منهما إلى قبائل شمال الجزيرة، ووصل بنى هلال[٣٢].

وقد تكاثرت الخيل فى اليمن بأعداد كبيرة، حيث يروى أنَّ عمرو بن عامر المعروف بميزيقاء، وهو أحد تبابعة اليمن لما أحس بخراب سد مأرب بداية القرن الثانى الميلادى "، وأراد الارتحال من اليمن، اختار من خيله البلــق [٣٣] خاصــة، وترك ما سواها، وأحصيت البلق فكانت تسعين ألفا " [٣٤]، وإن كانت هناك مبالغة فى هذا الرقم [٣٥]، لكنه يدلل على كثرة الخيل فى اليمن إبان انهيار سد مأرب، ويبدو أنَّ هذه الهجرة زادت من انتشار الخيل فى شمال شبه الجزيرة العربية؛ إذ كانــت الخيــول هــى الوسيلة الأسرع للهجرة من الجنوب إلى الشمال [٣٦].

مميزات خيل اليمن وقيمتها :

بدأ الاهتمام بالخيل من جانب سكان شبه الجزيرة عن طريق الانتقاء المناسب للفرس الأنثى، وللحصان (الفحل) للحصول على نسل يتميز بصفات مثل الــسرعة والخفة والقدرة على الاحتمال تناسب البيئة فى شبه الجزيرة، وفى الــيمن بالغــت القبائل العربية قبل الإسلام فى ذلك، حيث كانت الخيل من " مناشب أهل اليمن"[٣٧]، وتقدمت (الخيل العربية الفائقة) على كل الحيوانات المستأنسة والوحشية عند ذكــر

حيوانات اليمن [٣٨]، لذلك تحرَّى أهل اليمن جيدًا نسب الخيل، فكانت الوصيَّة بسلالة الخيل تتقدم على الوصية باختيار نسب الفرد، " يا معشر همدان ليستخير الرجل منكم الفحل لحجره، ولا يستخيره لكريمته "، والحجر هنا بمعنى الكريمة من الخيل؛ أى عليه أن يدقق النَّظر مليًّا فى اختيار الفحل لفرسه حتَّى تنجب جيادًا عرابا أكثر من أن يدقق فى اختيار زوج لابنته أو أخته [٣٩]، وهذه الوصية جاءت من المنذر بن أبى حمضة الهمدانى إلى قومه همدان فى اليمن، وتقديرًا لخبرته فى الخيل، وبلائه فى الفروسية أصبح بعد إسلامه عاملاً لأبى عبيدة بن الجراح على أحد ثغور الشام [٤٠] .

وعلى الرُّغم من أنَّ الخيل لم تكن أصيلة فى بلاد العرب، لكن عناية العرب بها أدَّت إلى توليد أعظم السُّلالات، واعتزازهم بها أدَّى إلى ظهور أنساب لها، ولعل أعرق الخيل نسبًا ما كان فى شبه الجزيرة حيث يعد من أجود الخيول فى العالم [٤١]، وقد أثمرت جهود العرب عن تميز المنطقة بنوع من الخيول التى يطلق عليها خيول الدَّم الحار، وأطلق عليها الخيل العراب نسبة للعرب؛ وهى من أفضل الخيول وأغلاها ثمنا تطلب للسبق، والملوك تتغالى فى أثمانها [٤٢]، فذاعت شهرتها، وأصبحت نمطا اجتماعيا للسكان [٤٣]، فهى بخلاف استخدامها فى الحرب والقنص تستخدم فى الركوب والنقل وللوجاهة الاجتماعية، وليست للخيول قيمة اقتصادية عدا استخدامها سلاحا للحصول على الغنائم والنفوذ؛ ولهذا السبب تسمى الخيل المغنيات، ويقال : بطون المهار تحوى الكنوز، وظهورها تعين على السلطة، وكلما كثرت خيول القبيلة ازدادت قوتها، وخافتها القبائل المجاورة [٤٤] .

وقد انحدرت الخيول اليمنية من سلالة رفيعة، وحافظت اليمن على نقاء عرق الخيول فيها [٤٥] ساعد على ذلك عزلة البلاد لسنين طويلة، لذلك تمتعت خيولها بجمال مستقل وقائم بذاته [٤٦]، حيث اعتلى الفرس اليمنى المرتبة الثالثة فى أنساب الخيل العربية الأصيلة العشرة التى رتبها نسابة الخيل بعد الحجازى وهو أشرفها، والنجدى وهو أيمنها، واليمنى، وهو أصبرها [٤٧]، لذلك كان للتضاريس أثر فى تشكيل هيئة وإمكانيات الخيل اليمنى فعندما يقول ابن البيطار [٤٨] بأنَّه أصبر الخيول، وكذلك قول الهمدانى [٤٩] إن" لها صبراً وصباحة "، يأتى ذلك انسجامًا مع تضاريس

اليمن التى تحتاج إلى قدرة فى صعود وهبوط المرتفعات، حيث انعكس ذلك على بنية الحصان، فاتصف بأرجل قوية لكنها أقل طولاً من غيرها، وصدر عريض (٥٠)، وظهر مقوس (٥١)، مما ساعده على خفة الحركة والرشاقة والسرعة (٥٢) فى الهبوط والصعود، كما أنَّ المناخ مثل التضاريس له أهمية بالنسبة للخيل فى اليمن، ففى فصل الشتاء تتساقط الثلوج خصوصا على مناطق المرتفعات، ولم يكن ذلك يمثل أية مشكلة فى استخدام الخيول التى ألفت هذا المناخ (٥٣)، حيث تصنع لها النعال التى تقى حوافرها من الثلوج والصخور والأرض الصلبة (٥٤)، وهذه النعال نوع من إكرام أهل اليمن للخيل، والخيول الجيدة هى التى تقبل ذلك(٥٥).

وظهرت صفات الخيل اليمنية في ساحة الوغى؛ فقد امتطى سهيل بن صباح إحدى الخيول اليمنية ليخبر خالد بن الوليد بما حدث لمؤخرة جيشه بعدما ترك دمشق فى طريقه لمنازلة الروم فى أجنادين، حيث يصف الفارس فرسه بقوله :" وكان تحتى الجواد (محجل) من خيل اليمن شهدت عليه اليمامة، فقومت السنان، وأطلقت العنان؛ فخرج كأنَّه الريح العاصف، فما كان غير بعيد حتى لحقت بخالد بن الوليد والمسلمين " (٥٦)، وهذه المميزات جمعها الهمدانى فى قوله عن خيل اليمن : " خيل لها أنفس وخراجات وانحرافات، وليست مثل المصرية والجزرية متنًا، ولها صبر وصباحة على أنها ليست بجسام، وهى أشهم وأجمع قلوبًا، ويطأن القتيل، ويحملن السلاح الثقيلة، ويجلن بها، ويجرين فلا ينقص الثقل جريهن شيئًا " (٥٧)

وقد اقتنى ملوك اليمن على مر العصور الكثير من الخيول ، وتغالوا فى أثمانها، فعلى سبيل المثال اصطحب أحد تبابعة اليمن معه فى هجرته إلى الشَّمال بعد انهيار سد مأرب تسعين ألفا (٥٨)، وشغف بها حكام اليمن، وامتطوها فى رحلات الصيد والقنص؛ فكان ذو يزن الحميرى مولعا بالصيد والقنص، وكذلك ولده سيف بن ذى يزن، اللّذان حكما فى منتصف القرن الأول الميلادى، وهو الذى قُتِلَ فى رحلة صيد من جانب الأحباش (٥٩). كما استخدمها الحكام فى نقل الأشياء الثمينة؛ فيقال : إنَّ عليا بن محمد الصليحى (ت٤٧٣هـ/١٠٨١م) مؤسس الدولة الصليحية كان يصحب فى رحلته إلى الحجّ التى لقى مصرعه فيها من جانب بنى

نجاح خمسمائة فرس تحمل الذهب والفضة [٦٠]، وإن كانت هناك مُبالغة، لكن ما يعنينا هو أنَّ فى ذلك نوعًا من أنواع التشريف للخيل والافتخار والاعتزاز بها، وقدرتها على حمل الأثقال، فلا ينقص الثقل من جريهن شيئًا [٦١] .

وقد ظهر الإسلام فى شبه الجزيرة عندما كانت الخيل هى أهم سلاح من أسلحة العرب فأقسم الباري سبحانه وتعالى بالخيل وهى تعدو فى سبيله " **والعاديات ضبحا** "؛ للدلالة على شرفها وفضلها، حيث كانت من أهم الوسائل التى ساعدت المسلمين على الفتح ونشر الإسلام في أماكن لم يكونوا بالغيها بدون الخيل إلا بشقِّ الأنفس، ويرد ذكر الخيل فى عدد غير قليل من آيات القرآن الكريم، ويورد المولى تبارك وتعالى الأنواع الجيدة والأصيلة منها ضمن الشهوات المحببة للإنسان (الخيل المسومة) ذات العلامات التى تدل على أصالتها " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث " [٦٢]، وأنس بها الحكام، وكانت وسيلة للفرار من الموت؛ وإن كان البعض يسميها المغنيات فهى أيضًا المنجيات، فمن مميزات الخيل العربية السرعة والرشاقة خلال الانسحاب [٦٣]؛ فقد فرَّ بها سعيد الأحول أحد حكام دولة بنى نجاح [٦٤] هو وخاصته من هجمة المكرم الصليحى ثانى حكام الدولة الصليحية على زبيد إلى ساحل البحر الأحمر، ومنه فى السفن إلى جزيرة دهلك، فقد أعدَّ هذه الخيل، وضمرها لذلك اليوم [٦٥] .

كما ربط أهل اليمن بين لون الفرس وبين التفاؤل بالظَّفر؛ وقالوا :" إنَّ السلطان إذا قصد الغلبة على شيء فركب الأشقر، فإنَّه يحصل له المقصود سريعًا، ومَنْ به خوف غالب على قلبه ينفعه النظر إليه والركوب عليه ، ويدلل الملك على بن داود على ذلك بأن الملك المظفر أسر الإمام الزيدى وهو على حصان أشقر"[٦٦]، وهذا التفاؤل يبدو أنَّه مرتبط بحديث الرسول ﷺ الذى ورد فى فضل الخيول الشقراء؛ فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ "يمن الخيل فى شقرها"[٦٧] . وسأل سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير، والأخير هو صاحب تجربة فى معارك المغرب والأندلس، عن أى الخيل رأيت أصبر فقال: الشقر [٦٨] .

كذلك اقترنت الخيل وأعدادها وأنسابها بالفخر لدى القبائل العربيـــة، فكـــان العرب لا يهنأون إلا بغلام يُولد، أو شاعر ينبغ منهم، أو فرس تنتج [٦٩]، كما كان اقتناء فرس عند أهل اليمن أفضل من جارية؛ فقد وفد سيف بن عمرو وهو من بنى قسم بن مرهبة على بعض الملوك، فأحب أن يعرف رغبته فى الخيل، فخيَّره بـــين فرس من خيوله، وجارية عرضها عليه فى كامل زينتها، " فأومضت الجارية إليـــه أن يختارها فكره، واختار الفرس " [٧٠]، وبالتَّضاد تظهر قيمة الفرس ومكانته عنـــد العربي، ففى عصر دولة بنى نجاح، وفى وزارة مفلح الفاتكي، وهو مـــن أصـــل حبشي، خيره أحد مواليه من الغز يدعى عثمان الغزى لمَّا زاره فى منزلـــه بـــين الخيل وجاريته المغنية وردة فرفض الخيل، وقبل الجارية، وأصبحت من جاريـــات الوزير مفلح[٧١].

ويقارن الملك على بن داود الرسولى [٧٢] بين النساء والخيل مفضلا الأخيرة فيقول : " فإن طالت مدة الإنسان مع واحدة من النساء ملها وأعرض عنهـــا، أمَّـــا الخيل لا يقنع الرجل منها بالألوف، ولا يلهو ولا يُغرَى عنها، وكلما كثرت عنـــده كثر إعجابه بها ... ولذته من المرأة مقصورة على لذة ساعة ثم تسأم وتمل ... ولا يباهى بها غيره، ولا يناظر بها سواه، بخلاف الخيل فإن اللذة تتفرع إلـــى أشـــياء كثيرة، منها المفاخرة بها، والمغالبة عليها، وقهر الأضداد ... "، ويبـــدو أنَّ حُـــبَّ الرَّجل اليمنى للخيل انتقل للمرأة اليمنية، حيث كانت النساء تركبن الخيل وتسوسها، وتقاتل على صهواتها، حيث تقول عفرة بنت غفار الحميرية التى أسرها الروم فى الشَّام عندما كانت فى جيش خالد بن الوليد " والله لقد اعتدنا ركوب الخيل، وهجوم الليل " [٧٣]، وكن أيضًا يربين الخيل، ويدخلن بها سباقات الـــسرعة فـــى عـــصر الولاة[٧٤]، وعادة تربية وركوب الخيل والفروسية عند النساء يبدو أنَّها كانت وليدة الظروف الطبيعية والاجتماعية فى بلاد العرب وغيرها من الـــبلاد التـــى تماثـــل ظروفها؛ مثل نساء الأكراد اللاتى تميزن بفروسية عظيمة فى ركوب الخيل [٧٥] .

ولم يأنف الوجهاء من أهل اليمن من خدمة خيولهم، وكانوا يُؤثرون الخيـــل على أنفسهم وأولادهم، ويحرصون على العناية بها؛ لأنَّها حصونهم ومعاقلهم [٧٦]،" يجاع لها العيال ولا تجاع " [٧٧]، والكرم عند أهـــل الـــيمن يبـــدأ بعلـــف فـــرس

الضيف[٧٨]، كما علقوا التمائم فى رقاب الخيل خوفًا من العين والحسد [٧٩]، وقد وصف الملك الرسولى على بن داود علاقته بالخيل [٨٠]، حيث يقول : " لم أزل أرتبطها فى مجالسي، وآنس بها كأنسى بمجالسي، وأباشر علفها ومرابطها، وأعاين رياضتها، وتأديبها وتمرينها وتعليمها، وتفقد آلتها، وتغيير لجمها وإصلاحها، وإسراجها وإلجامها فى ليلى ونهارى ... ولم تزل الأيام تجدد حبى لها فى كل يوم جديد، وأقول للذة النفس هل امتلأت، فتقول هل من مزيد "، وبالغ على بن داود كذلك [٨١] فى وصف العلاقة بين الفرس وصاحبها فى اليمن كشاهد عيان؛ فإذا ما دعا العربى فرسه باسمه وهو فى مرعاه يقبل عليه مُسرعًا، لا يلوى على ما وراءه من مرعى وماء أو أبيه وأمه، فإذا ملكه غير عربى وأراد استدعاءه لم يجبه، ولو بالغ فى إكرامه .

كذلك رفض اليمنى بيع فرسه مهما بلغ ثمنها إلا مضطرًا فى حالة العوز الشديد، ولذلك غالى اليمنيون فى أسعار خيولهم؛ ففى معرض حديث الصحابى الجليل عمرو بن أمية الضمرى للرسول ﷺ عن بلاد الملك شهاب الخثعمى سيد خثعم وولده الملقب برأس الغول يقول : سمعت أنَّ بعض العرب كان يملك فرسًا شقراء؛ لم يكن فى زمانه أحسن منها، عرض عليه أحد الأكابر ملء عنق بعير ثمنًا لها فأبى، وسمع بها رأس الغول فأخذها منه عنوة وقتله [٨٢]، والمغالاة فى سعر الخيل باليمن أثارت أيضًا استغراب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ؛ ففى صنعاء اشترى عبد الرحمن بن أمية شقيق يعلى بن أمية عامل صنعاء من قبل عمر بن الخطاب ﷺ فرسًا من رجل بمائة ناقة، ثم ندم البائع، وقرَّر أن يعود عن بيعه؛ فرفض المشترى ممَّا جعل البائع يلجأ إلى عمر بن الخطاب شاكيًا [٨٣] بقوله :(غصبنى يعلى وأخوه فرسًا) [٨٤]، فكتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى يعلى أن أقدم على فأتاه، وتعرَّف منه على القضية، فقرَّر فرض دينار على كُلِّ فرسٍ فى اليمن نتيجة ارتفاع أسعار الخيل فيها [٨٥].

كما باع أحد أبناء اليمن فرسًا له يسمى الفيل إلى بعض ملوك بنى رسول بثلاثة آلاف دينار وخلعة وكسوة، وعندما قبض المال طلب من المشترى إعارته الحصان ليبلغ عليه مأمنه " لدم كان يطلب به عند العرب "، فلمَّا علم أصحاب الدم

ببيعه فرسه قطعوا عليه طريق عودته ظنًّا منهم أنَّه سوف يعود راجلاً أو راكبًا غير فرسه، فصدم أحدهم بفرسه (الفيل) فقتله هو وفرسه الذى تحته، وانهزم الباقون، فلمَّا بلغ منزله أعاد ثمن الفرس ورجع عن بيعه، وقال :" ما كنت لأبيع حاقن دمى " (٨٦)، كما كان للفرس نصيب من غنائم الحرب يساوى ضعف ما يناله الفارس؛ حيث كان له سهمان والفارس سهم، واختصت الخيل العراب الأصيلة بذلك دون سائر الحيوانات حتى ولو كان أعظم الدواب كالفيل (٨٧) .

وقد اجتهد أحد القواد اليمنيين فى التفريق بين الفرس العربى والفرس غير العربي؛ وهو المنذر بن أبى حمضة الهمدانى الذى كان عاملاً لأبى عبيدة بن الجراح على أحد ثغور الشام، حيث فرَّق فى تقسيم الفيء بين الخيل العتاق والبراذين (٨٨)؛ الفرس العتيق سهمان والبرذون سهم، وأجراه عمر بن الخطاب ﷺ سنة بعد ذلك، وأثنى على المنذر (٨٩)، فهذا الهمدانى يعرف ويقدر العتاق من الخيل، وهو صاحب المقولة المشهورة " يا معشر همدان ليستخير الرجل منكم الفحل لحجره ولا يستخيره لكريمته " والتى عرضناها سابقًا ، ولذلك كان هناك من العرب من اشتهر بفحص الخيل، وتعريب العراب، وتهجين الهجين منها، حيث استعمل عمر بن الخطاب سلمان بن ربيعة الباهلى على الخيل لخبرته فى ذلك، ومن أشهر ما هجن فرس عمرو بن معد يكرب الزبيدى الكاملة (٩٠)، ولما كانت الخيل هى أهم غنائم الحرب كان على الزعيم أن يدفع لأهل الفارس المقتول دية قدرت بألف دينار زمن الزريعيين، وأن يدفع أيضا دية للخيل المعقورة، وتعويضا مناسبا للخيل المسلوبة، وتزيد دية الفرس المعقور عن التعويض مقابل سلبه، حيث تتفاوت قيمة الدية للمعقور ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار حسب مؤرخى اليمن(٩١)، وللمسلوب ثمن فرسه الذى كان يقدر بمائتى دينار مالكى خلال القرن الخامس الهجرى (٩٢) .

كذلك اعتنى عرب اليمن بأنساب الخيل كما اعتنوا بأنسابهم، فلما سأل عمر بن الخطاب عمرو بن معد يكرب الزبيدى فارس اليمن عن معرفته بالخيل العراب قال له : معرفة الإنسان بنفسه وأهله وولده (٩٣)، ورتَّب العرب فى اليمن نسب الخيل وفق منظومة الأنساب العربية من خلال حفظ نسب السلالات العربية الأصلية وكذلك أوصافها، وينسب لليمن أشهر وصافى العرب للخيل؛ وهو الشاعر

مالك بن حريم بن مالك بن حريم بن دألان الهمداني، كان يوصف بمفزع الخيل من قوة شعره فى الحماسة والتَّحفيز للقتال، وفى وصف الخيل الأصيلة (٩٤)، وكثير هو المدح والتحفيز فى الخيل وكذلك الرثاء؛ ففى علة أصابت الخيل فى اليمن سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م نفق فيها (المسك والصقر) فرسًا الملك على بن داود فى ليلة واحدة وساعة واحدة ممَّا أصاب الملك بحزن شديد عليهما ورثاهما أعظم رثاء (٩٥).

كما اشتهرت أسماء خيل فرسان اليمن مثل (الجون) فرس امريء القيس؛ وهى من الخيل اليمنية ذات السُّمعة العالية، و (العطاف) فرس عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وهو من فرسان العرب ذو خبرة طويلة مع الفروسية ومصاحبة الخيل، حيث أصبحت فرسه العطاف من الخيول التى يعتز بنسبها(٩٦)، ومن أسماء خيل اليمن التى أوردها النَّسابة (المعلى والضبيح) فرسى الأسعر بن مالك الجعفى، (ورعشن) وهو فحل لسلمة بن يزيد الجعفى، (والورد) فرس الأعرج الطائى وهو عدى بن عمرو،(وسكاب) وهو للأجدع بن مالك الهمدانى (٩٧)، وينسب (الخطار) إلى مالك بن ملالة بن أرحب سيد همدان(٩٨)، (والعارم) فرس المنذر بن الأعلم الخولانى (٩٩)، (والغزالة) فرس محطم بن الأرقم الخولانى (١٠٠)، (والحليل) فرس مقسم بن كثير الأصبحى من حمير (١٠١)، وهكذا كان الفرسان يتخيَّرون خيلهم من أفضل السُّلالات وأشهرها، ويصف أحد الرُّواة فرس أحمد بن على الصليحى بأنَّها مثل البعير تعبيرًا عن قوتها وشدة صبرها وشكيمتها (١٠٢)، كما كانت فرس على بن محمد الصليحى حضرمية تُسمَّى (بالدبال)(١٠٣)، وفرس مهدى بن على بن مهدى تسمى (حيزوم)(١٠٤).

وتعد الخيل من أفضل الهدايا التى يتهادى بها الحكام فيما بينهم وفيما بين الحكام والرعية، حيث استخدم الإمبراطور الرومانى قسطنطين الثانى (٣٣٧-٣٦١م) الخيل كهدية يكسب بها ود الحكام الحميريين فى اليمن فى سبيل الحصول على مناطق نفوذ فى جنوب شبه الجزيرة (١٠٥) خصوصا أنه يعرف قيمة الخيل عندهم، حيث أرسل سنة ٣٤٤م مائتى فرس من أفضل خيول كبادوكيا (أرض الخيول الجميلة)، وهى مقاطعة فى آسيا الصغرى من أولى مناطق ترويض الخيل زمن الحيثيين (١٠٦) ، كما كان حكام اليمن يشترون الخيول فى الموسم الذى ينعقد

فى عدن كل عام لإسطبلاتهم ، وللهدايا التى يهادون بها كبار حكام الهند ووجهائها، وكذلك حكام مصر [١٠٧]، والهدايا لابدَّ أن تكون على قدر صاحبها، لذلك كان يتحرَّى فيها أن تكون من الخيل المُسوَّمة الأصيلة النَّسب، كما كان إهداء الخيل عند حكام اليمن خيرًا من بيعها حتى ولو غالى المشترون فى سعرها،حيث عرض الفائق حصان الملك المظفر يوسف الرسولى فى موسم عدن بحضوره ورآه تجار الهند فعرضوا فيه اثنى عشر ألفًا فكره بيعه ووهبه لبعض الأمراء، فقد كانت هبة الخيل وبخاصة ما كثر ثمنه وعظم فى العيون هى من شيم الكرام من الملوك [١٠٨]، كما وهب أحد قواد بنى رسول (أسد الدين محمد بن الحسن بن على بن رسول) ثمانين حصانًا من خيوله المشهورة [١٠٩]، وعادة ما كان يكتب مع الهدية من الخيل عبارات تدلل على فضل الخيل فصلها القلقشندى [١١٠] .

كما تظهر قيمة الخيل عند العرب، وكذلك حكام اليمن من خلال دفنها فى مقابر خاصة معلومة، ولا تترك تأكل منها الطَّير بل تدفن تكريمًا، وهو ما يفسِّر عمق العلاقة بين الخيل والحكام من خلال تكريمها بالدَّفن فى مقابر معلومة لكُلِّ فرس، ويكتب على القبر أبيات من الشعر قيلت فى حياتها وقيلت فيها بعد مماتها[١١١]، ومن أشهر الخيل التى قبرت عند العرب فرس يدعى ذا العقال، وهو من خيل امريء القيس اشتراه رجلٌ من جرم، وكان له شهرة كبيرة فى حلبة السِّباق فى العراق، وعندما مات دفنه صاحبه فى داره وكفَّنه بجلاله وبراذعه [١١٢]، وهذه عادة جاهلية كانت موجودة عند فراعنة مصر خلال الدولة الحديثة (١٥٧٠-١٠٧٠ق.م) [١١٣]، وعند مملكة نباتا(٦٥٦-٥٩٠ق.م)، ومملكة مروى (٥٩٠ق.م-القرن الرابع الميلادي) فى السودان حيث عثر على ممياوات خيل محنطة، ومنها ما هو معروض بالمتحف المصرى بالقاهرة فى قاعة النوبة، ويلاحظ تجهيز المومياء تجهيزًا كاملاً، وفى كامل زينتها [١١٤]، لكن تعلق الحكام فى اليمن بخيولهم التى اشتركت معهم فى الملمات جعلهم يتغاضون عن جاهلية هذه العادة، ويقبرون خيلهم، ويكتبون على قبورها أبياتا من الشعر [١١٥] .

تربية الخيل فى اليمن :

تختلف طبيعة بلاد اليمن من منطقة إلى أخري؛ فمنها ما هو صحراوى وشبه

صحراوي، ومرتفعات وهضاب، ومناطق استقرار زراعي، وسواحل على البحر الأحمر وبحر العرب، ومع ذلك انتشرت تربية واقتناء الخيل فى أنحاء البلاد، وإن بزَّت منطقة على أخرى وبخاصة المناطق الشرقية والشمالية، وهى مناطق صحراوية وشبه صحراوية؛ فالخيل فيها ملاذ لأهل البلاد للذود عن الأوطان، وللغزو فى كثير من الأحيان، حيث اعتمد الكثير منهم على اقتصاد الغزو(١١٦) خصوصا فى العصر الجاهلي، لذلك فرضت الظروف الطبيعية والاقتصادية والسياسية على القبائل والحكومات وحتى عامة الشعب تربية واقتناء الخيل، ولم تكن ترفا فى أعدادها وصفاتها بطبيعة الحال إلا عند الحكام وكبار القوم، وبالتالى فإنَّ تربية الخيول فى هضاب وجبال اليمن ساعدت الخيل الأصيلة على خفة الحركة والرشاقة، وهو ما ميزها عن غيرها من الخيول فى كثير من الصفات مثل السرعة(١١٧) وقوة الأرجل (١١٨) .

وقد عرفت نجران تربية الخيل منذ زمن بعيد (١١٩)، واشتهر سكانها بذلك وبخاصة قبيلة مذحج وبطونها التى وصفت بأنَّها " أهل الخيل العتاق " (١٢٠)، ومن بطونها بنو عبد المدان الذين كانت لهم شهرة قديمة فى تربية الخيول(١٢١)، كما انتشرت مناطق إنتاج الخيول فيما بين نجران وبيشة (١٢٢)، وعندما دخل الإسلام اليمن كانت الخيل ضمن شروط الرسول ﷺ على نصارى نجران ممَّن بقى على دينه منهم؛ حيث اشترط عليهم إعارة جيوش المسلمين ثلاثين فرسا فى حالة وجود كيد أو غدر فى اليمن (١٢٣)، وشروط الرسول ﷺ فى الخراج والجزية كانت تتضمن دائما أشهر ما تنتجه البلاد المفتوحة .

وتربية الخيل فى نجران جعلت أهلها دائمى التَّمرد على السلطة خلال العصور الوسطى، فعلى سبيل المثال عندما خرج أهل نجران سنة ٣٨٩هـ/٩٩٨م عن طاعة الإمام الزيدى المنصور القاسم بن على بن عبد الله الحسنى طلب الإمام المساندة من الأمير أسعد بن عبد الله القحطانى بن أبى يعفر(ت٣٨٧هـ/٩٨٨م)، فخطب له بكحلان (١٢٤)، وأمدَّه بمال جزيل وخيل لحسم صراعه مع نجران (١٢٥)، فالأمير القحطانى يعلم جيدًا شهرة نجران فى تربية الخيول، واستعمالها فى الدفاع عن البلاد، ويبدو أنَّ الإمام لم يكن يحتاج لرجال بقدر حاجته للخيل والدعم المعنوى.

ومن مناطق إنتاج الخيول أيضا فى اليمن، والتى اشتهرت خيولها بالجمال منطقة ظفار؛ وهى مدينة على ساحل بحر الهند من أعمال الشحر [١٢٦] استوردت الخيل منذ القدم من العراق من خلال الطريق التجارى القادم من بغداد ظفار مرباط مقابل العطر واللبان [١٢٧]، واستنتجت الخيل فيها، وطبعت خيلها بالرشاقة والجمال[١٢٨]، كما تربى الخيول فى منطقة ذمار [١٢٩] القريبة من صنعاء؛ حيث مضارب قبيلة عنس إحدى بطون مذحج [١٣٠]، ونسبت إليها الخيل العنسية [١٣١]، وتُعتبر منطقة الجوف القريبة من صنعاء أيضًا من أهم مناطق إنتاج الخيول اليمنية، ولها شهرة قديمة فى ذلك [١٣٢]، أمَّا صنعاء نفسها فكانت من مناطق تربية واقتناء الخيول [١٣٣]، إذ تغنى بخيلها قيس بن هبيرة بن المكشوح، وببلائها فى اليرموك وبصفاتها التى تماثل صفات الأسد [١٣٤]، وكثرة الخيل فيها وفى المناطق المجاورة لها زاد من الصراع على السلطة فيها خصوصا أنَّ قبيلة همدان اشتهرت بخيلها الوفير ممَّا جعل بطوناً منها تسيطر على صنعاء خلال فترات تاريخية طويلة [١٣٥].

وتربى الخيول أيضا فى مخلاف الشوافى بظاهر السحول [١٣٦]، وتنعت الخيول المنسوبة إليها بالشوافية ، وقد أدت شهرة هذه المنطقة فى تربية الخيول إلى شهرتها فى صناعة جلالات الخيل والسروج [١٣٧]، كذلك فإن منطقة أعراض نجد مضارب قبيلة خثعم بيشة وترج وتبالة هى الأخرى من مناطق إنتاج الخيول منذ القدم، وينسب إلى تبالة مناطق رياض الخيل [١٣٨]، وفى ظل الدولة الزيادية (٢٠٣-٤٠٩هـ/٨١٨-١٠١٨م) كانت تربية الخيل من ضرورات الحياة اليومية فى اليمن؛ فعندما أراد محمد بن زياد أول حكام الدولة تأسيس زبيد قرَّر أن يعمر المنطقة عن طريق مستوطنين جدد منح لكل واحد منهم " زوج بقر ومهار" [١٣٩].

كما اهتمَّ عرب تهامة بتربية الخيل [١٤٠] التى منحتهم القوة فى مواجهة القوى السياسية المتناحرة فى اليمن على مدى العصور الوسطى [١٤١]، كما كانت لحضرموت شهرة فى استنتاج الخيل، ومن أشهر خيولها الدبال فرس على بن محمد الصليحي. وعلى أيام الدولة الرسولية استنتجت الجحافل الخيول الأصيلة، وهى أهم بطون القبائل اليمنية التى ضربت فى جنوب اليمن فى أبين والشحر ، وباهوا بها، وحفظوا أنسابها، وغالوا فى أسعارها للحكام الرسوليين [١٤٢]، وعندما تأسست تعز عاصمة للدولة الرسولية أضحت مكانا لتربية الخيل واستنتاجها خصوصا فى اصطبلات الحكام ورجال الدولة [١٤٣].

الاصطبل :

الاصطبل هو موقف الفرس أو حظيرته، وهى كلمة قال بعضهم إنَّها شاميَّة، وليست من كلام العرب [١٤٤]، لكنها قديمة فى الموروث الشعبى اليمنى كما فى قولهم : (عز الخيل صُبولها)؛ أى بوجودها فى الاصطبل ؛ لذلك كانت الاصطبل ات تلقى اهتمام القبائل اليمنية حيث كانت القبيلة معنية بتجهيز أعداد من الخيول مسرجة للحرب؛ فخيل همدان أو خيل بطونها يربطها فى اصطبل ات أحد أبنائها المشهود له بالخبرة فى هذا المجال، ويجهزها للحرب، وهو نظام قديم معمول به، حيث كان الحارث بن مر بن ربيعة هو صاحب خيل قبيلة همدان فى حربها مع قضاعة اليمن [١٤٥]، كما أنَّ الحكومات اليمنية المتعاقبة على مرِّ العصور، كانت معنية بإقامة اصطبل ات لتربية الخيول ونتاجها، وكان الحكام يعتنون بتربية الخيل داخل اصطبل ات بكميات كبيرة منها ما هو للحرب، وأخرى للسبق وللصيد والمواكب، ومن الطبيعى أن تقام هذه الاصطبل ات بين مضارب القبائل، وفى العواصم، وكان من الأمور النادرة أن يقام الاصطبل فى مسجد صنعاء لمدة ثلاث سنين بعد دخول ابن الفضل داعى الفاطميين إليها سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م انتقاما من أهل السنة [١٤٦]، وعندما قتل سعيد بن نجاح على بن محمد الصليحى غنم منه " ألفى فرس بعددها " كانت فى اصطبل اتها مستعدة للقتال [١٤٧]. ويختلف اصطبل المربين عن اصطبل القبائل المُستعدة للحرب عن اصطبل الحكام والقوَّاد والوجهاء فى أقسامه وعدد الخيول والعاملين فيه، إلا أنَّ كتب التاريخ لم تورد تفصيلات هذه الأقسام بشيء من التفصيل إلا فى عصور متأخرة وبخاصة العصر الرسولى .

و يتألف الاصطبل من عدة أقسام أولها قسم خيول النوبة [١٤٨]؛ أى الخيول الجاهزة للركوب؛ منها ما هو معد للحرب أو لموكب الحاكم [١٤٩]، وأخرى للخيل التى يستعملها خلال إقامته، وقسم التضمير الذى يتجهز فيه الخيل للسباق [١٥٠]، وقسم النتاج والبيطرة، ومنطقة للتمريغ [١٥١] ، وقد تزيد هذه الأقسام أو تقل بحسب منزلة صاحب الاصطبل ، وتظهر هذه الأقسام فى اصطبل ات الحكام، حيث يقسم الاصطبل إلى عدد من الطوالات المُعدَّة لأكل الخيل، كل طوالة يربط عليها عدد

من الخيول حسب مساحة المكان، ويخدم الاصطبل عدد من الموظفين تحت قيادة كبير لهم [١٥٢] (الباشروش)؛ وهو المسئول الأول عن العناية بالخيل والإشراف عليها وعلى مَنْ يقومون بخدمتها، ثم السائس الذى يقوم على تدريب الخيل، (وقدصار)، وهو القائم على خدمة الخيل وعلفها وتنظيف الاصطبل ، والحشاشون وعمال النظافة والكتاب الذين يضبطون عمليات الشِّراء والبيع والصرف على الاصطبل.

وقد كان الشعير من أفضل ما يقدم للخيل فى الاصطبل، وكذلك كان يقدم لها أيضا التبن والبرسيم والحشيش والقصب والحسيك (وهو علف مكون من عدد من الحبوب)[١٥٣] بمقادير جرت العادة على أن تحدد وتصرف يوميًا، ويرى الملك على بن داود الرسولى (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) أنَّ أجود الأغذية التى كان يقدمها لخيوله هى الحليب، وينصح بحليب البقر لمَنْ أراد تسمين المهر، وبحليب الغنم لمَنْ أراد خفته وجريه، وبحليب الإبل لمن أراد القوة والصَّلابة، وهناك من الخيول التى لا تألف الحليب ولا تشربه فى اليمن على عهده مثل خيول صنعاء وذمار التى ألفت القصب والشعير، فإذا اشتدت يقدم لها الذرة والشعير [١٥٤]، لذلك كان العرب يضمرون الخيل بسقيه اللبن وإلقاء الجلال عليه ليعرق كنوع من العلاج [١٥٥]، والفرس المعلى من الخيل اليمنية المشهورة التى تربت على اللبن، وكانت للأسعر بن أبى حمران الجعفي، وكان له دم عند بنى مازن من الأزد، فكان يغير عليهم بالمعلى فجأة، ويقتل منهم ثم يهرب، ولا يدرك، وكانت له خالة متزوجة فيهم، فدلتهم على وسيلة للإيقاع به، وهى صب اللبن لفرسه عند وصوله، وهو ما حدث، ووقع الفارس، فلمَّا غشيته الرماح لم يهن على خالته، فقالت له :اضرب جراب قضيب الفرس تنجو، ففعل فوثب به ونجا [١٥٦].

ويطلق القلقشندى [١٥٧] على مخازن سروج وعدة الخيل بيت الركاب، أو الركاب خاناه (خزانة السروج) ، وتحفظ فيه عدة الخيل من السروج واللجم والكنابيش والعبى والأجلال والمخالى [١٥٨]، وغالبًا ما تلحق بقصر الحاكم، وفيه غالبًا ما تتم عمليات تصنيع السروج وصيانتها، وتصنيع السيور الجلدية التى تستعمل صدرًا للخيل، وفى عهد الدولة الرسولية استدعت العمال المهرة من نجد

إلى اليمن للعمل فى الصناعة؛ وهى من الصناعات الحربية بمقياس ذلك الزمن إذ كانت الخيل دائما مستنفرة للحرب، ولركوب الحكام والأمراء وكبار القوم، وكذلك ربما عمل المبردع فى هذا البيت، وهو صانع البرادع التى توضع تحت السرج، وهى تصنع من القماش، وفضلا عن التصنيع داخل خزانة السروج كان يتم شراء السروج من المناطق اليمنية المشهورة بإنتاجها مثل مخلاف الشوافى بظاهر السحول (١٥٩)، ومن صنعاء، ويتم الشراء لكثير من العدد والأدوات من سوق الخيل (١٦٠)، حيث كان يفضل فى اليمن شراء العدد التى تصنع من الجلد مثل سيور اللجم وغيرها مما هو مصنع فى مصر، فإن لم يكن فالصنعانى أو الصعدي(١٦١) .

وتختلف السروج باختلاف المهمة الموكلة للخيل، وأيضا بتباين طبقات المجتمع فى اليمن؛ فالعامة من القوم يستخدمون سرج يسمى (الرَّحالة)، وهو للاستخدام اليومى للبدوى فى باديته، وهو أكبر قليلا من السرج الأصلى (١٦٢)، أمَّا سرج الخاصة من أهل الحكم فى اليمن فكان يزين بالخلع من الحرير العتابى (١٦٣)، وفى الاحتفالات العامة والأعياد تستعمل السروج المذهبة (١٦٤)، أمَّا سروج الحرب والطعان والمثاقفة (١٦٥)، ويطلق عليها السُّروج العربية تميزًا عن غيرها، فيستحب فى اليمن منها ما يدخل فى صناعته اللبب، فهى أمكن وأثبت للفارس (١٦٦) ، ويرى على بن داود أنَّ الأولى أن يختار للخيل ما خفَّ من السُّروج، والسُّروج الخوارزمية فى زمانه أخف للخيل وأروح لها، لكنها لا تصلح لمباشرة الحروب فى اليمن، ومن عدة الخيل أيضًا الأجلال وتسمى زنابير، وتُصنع من الجوخ، ويكون مفتوحًا فوق صدر الحصان ومسدلاً على الكفل بحيث لا يرى الذيل (١٦٧) .

النتاج :

اهتمت القبائل اليمنية بسلالة الخيل وباختيار الفحل حتى تنجب جيادًا عرابا(١٦٨)، ويكون لكل قبيلة فحل (طلوقة) يعود بنسبه إلى الخيل الأصيلة، ولا تزيد الأفراس التى يعتليها الفحل فى اليوم الواحد على اثنتين واحدة فى الصباح وأخرى فى المساء، وتُعتبر الخيول موسمية التكاثر بالفطرة، يزداد نشاطها الجنسى من شهر أغسطس حتى مارس فى نصف الكرة الجنوبى (١٦٩)، ومن فضائل الخيل العراب أن الفحل من يأنف أن ينزو على أخته أو أمه (١٧٠)، وبعد مدة الخمسة والعشرين

يومًا التى تعقب اعتلاء الفحل للفرس تعاد ثانية، فإذا رفست الفحل فذلك يعنى أنها قد حملت (١٧١)، ومدة حمل الفرس من عند وقوع ماء الفحل فيها إلى وقت نتاجها أحد عشر شهرًا وأحد عشر يومًا، وإذا زادت على ذلك كان أقوى لولدها (١٧٢)، وتعزل الخيول فى تلك الفترة فى اصطبل خاص بها، وأجود الأغذية للمهر فى اليمن الجميد بالحليب، وتستمر فترة الإرضاع ١٠اشهور(١٧٣)، وأكثر مدة رضاع للفرس سنة لمن أراد اقتناءه، ويرى على بن داود أنَّ " يركب المهر لثمانية عشر شهرًا من ولادته، والمُهرة دون ذلك؛ لأنَّها أصلف من الذكر، فتعجيل ركوبها أصلح لها، فتركب لتمام سنة، فإنْ زاد تركها شهرًا أو شهرين فلا بأس "، وهو ما جربه بنفسه وفى اصطبل اته (١٧٤) .

أمَّا بالنسبة للخيول المريضة والهرمة وذوات العاهات والتى تحتاج للبيطرة فكانت تعزل فى اصطبل خاص بها (١٧٥)، ومنذ الجاهلية اهتمت القبائل اليمنية ببيطرة الخيل، وتخصص البعض فى علاج أمراض بعينها؛ مثل الخصيب بن مالك بن قيس بن شراحبيل بن رفاعة الذى كان رداداً للخيل (١٧٦)، وكذلك أحد حكام الدولة الرسولية الذى أفرد فصلا عن علاج الخيل فى كتابه المغنى فى البيطرة، وفى اصطبل البيطرة تجرى عمليات خصاء الخيل، حيث كان يُستحبُ خصيان الخيل فى الكمين والطلائع عند ملوك اليمن؛ لأنَّها أصبر وأبقى فى الجهد (١٧٧).

يقول عطاء بن رباح فى خصى الخيل " ما خيف عضاضه وسوء خلقه فلا بأس بخصائه (١٧٨) "، ويرى على بن داود أنَّ الفحول إذا قلت وخيف قلة نسبها لا تخصي، ولو كان فيها أى طبع سوء، أمَّا إذا كثرت وخصى منها شيء لم ير به بأسا (١٧٩). ومع اهتمام الحكومات اليمنية بالبيطرة لم تسلم الخيل فى اليمن من بعض الأوبئة التى قضت على كثير منها فى وقت قصير مثل العلة التى حدثت للخيل فى اليمن سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م، حيث بدأ هذا الوباء من حضرموت، ثم انتشر فى اليمن كله، وهو علة لم تذكر من قبل فى كتب البيطرة، ولم يعرف لها دواء، وتودى بالفرس سريعًا؛ إذ كان الرجلان يتساومان فى الحصان فيموت قبل عقد البيع بينهما، وفى هذا العام تلف الكثير من خيل موسم البيع فى عدن (١٨٠) .

تجارة الخيل وسوق عدن :

منذ الفتح الإسلامى وتجارة الخيل من وإلى اليمن مستمرة؛ فالرسول ﷺ اشترى فرسًا سماه البحر من تجار نزلوا اليمن (١٨١)، وكذلك أهدى قوم من مذحج الرسول ﷺ فرسًا يُسمَّى المرواح (١٨٢)، وبعد انفراط عقد الوحدة اليمنية سياسيًا ومذهبيًا (١٨٣) لم تتوقف تجارة الخيل فى ميناء عدن، هذه المدينة التى كانت نافذة اليمن على تجارة الشرق والغرب، وارتفع دخلها كثيرا من التجارة بشكل عام، واهتم حكامها بالميناء، وتأمين السبل منه وإليه، لذلك بلغ خراجها سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م مليون دينار أيام حكامها بنو معن نواب الصليحيين (١٨٤) ممَّا يعكس حجم التجارة فى الميناء، وتجارة الخيل جزء من هذه التجارة حيث يصفها العمرى (١٨٥) بأنَّها مربحة المكاسب لمَنْ يُتاجر فيها، وفضلا عن عدن كانت موانئ الجزء الجنوبى من الخليج العربى ومعظم موانى ساحل حضرموت هى الأخرى مناطق تصدير للخيل العربي(١٨٦).

وقد كانت بلاد الهند أهم مستورد للخيل من اليمن، وكانت المحطة الرئيسية لوصول هذه التجارة جزر وسواحل الملبار (١٨٧)، ويمكن القول بأنهم احتكروا استيراد الخيل من عدن، ويشير العمرى (١٨٨) إلى ذلك بقوله " كانت تستورد كميات كبيرة منها، ويفرق فى كل سنة عشرة آلاف فرس عربى من الخيل العراب المسَومة؛ منها ما هو مسرُج ملجم، ومنها ما هو عربى بلا سرج ولا لجام، والمسرجات والملجمات على أنواع منها ما هو ملبس، ومنها ما هو محلى، ثم إن تلك الملبسات والملجمات منها ما هو بالذهب، ومنها ما هو بالفضة ... ويبذل فيها أكثر الأثمان لكثرة ما يعطى ويطلق، وهى مع هذا غالية الثمن مربحة المكاسب لمن يتاجر فيها، لكثرة المكاسب والعساكر وجمهرة الخلق"، وكانت بلاد الهند تمر بمرحلة صراعات داخلية خلال العصور الوسطى وكانت الخيل هى الوسيلة التى تقوى مراكز المتصارعين (١٨٩)؛ ففى وقت متأخر من القرن الثالث عشر الميلادى سمح أحد حكام الهند للقراصنة بالقيام بعملياتهم انطلاقا من الموانئ التابعة له على المحيط وخلال سواحله فى مقابل حصوله على الخيول التى تقع فى أيديهم حتى يدعم قواته على الأرض (١٩٠) .

ويُقام سوق الخيل فى عدن خلال فترة قدوم التجار من الهند، ويطلق عليه (الموسم)، وهذا الموسم كان يقام سنويًا ويشهده الحاكم، ويبدو أنَّه كان تقليدًا متبعًا منذ القدم إذ ترد بعض الإشارات إلى عقده فى زمن سيف بن ذى يزن الحميري(١٩١)، وتصاحب فترة الموسم احتفالات أهمها افتتاح حاكم اليمن فعاليات الموسم إذا كانت البلاد موحدة، أو حاكم المدينة إذا كانت فى حالة حكم ذاتى أو استقلال عن الدولة المركزية، ومعه كبار رجال الدولة من منطقة مرتفعة مطلة على الميناء، ويعتبر هذا الموسم هو السوق العام للخيول فى اليمن إذ تأتيها الخيول من العراق (١٩٢)، ومن شبه الجزيرة (١٩٣)، ومن كل مكان فى اليمن وتعرض فيها للبيع والشراء، وهى المكان الوحيد الذى يمكن للتجار وربابنة السفن القادمة من الهند الشراء منه فقط، حيث لا يرخص لهم شراء الخيل من داخل اليمن، كما أنَّ الربابنة لا يسمح لهم أن يشتروا من خارج السوق فى عدن، وفى حالة مخالفة ذلك تصادر الحكومة خيولهم أو يرغمون على بيعها داخل الحلقة إذا رفقت الحكومة بهم(١٩٤)، والصفات الممدوحة للخيل لدى الهنود محددة بعدد من العلامات أهمها (العذاريان) مثنى عذار، وهى شامة من قفا الحصان إلى صدغيه، وكانت تسمى دائرة العمود عند الأوائل (١٩٥)، أما الصفات المذمومة فى الخيول التى لا يرغبون فى شرائها فى الأيدى والذنب والناصية ومحجر العينين وغيرها، أمَّا أهم علامات الخيل المذمومة عندهم هى نخلة الحارك ، وتكون فى منطقة التقاء العنق بالكتف(١٩٦).

ويعرض لنا المؤرخون طريقة البيع والشراء فى سوق عدن فى وقت متأخر، خصوصا فى العصر الأيوبى والرسولي، حيث تتم عملية البيع والشراء بالمزايدة فى السوق بداية بالخيل الحكومية التى كانت تتقدم على غيرها من خيول تجار اليمن فى البيع، وللحكومة الحق فى شراء خيولها أيضا من السوق قبل التجار، حيث ينتقى الحكام خيولهم من الخيول المعروضة للبيع فى السوق، وقد يقوم الحاكم أو من ينيبه بالشراء (١٩٧)، وكان تجار الخيل فى عدن يبالغون فى صفات خيولهم حتى يرغبوا الهنود فى الشراء، وتتواتر الحكايات عن هذه المبالغات، حيث يذكر بعضها الملك على بن داود الرسولى (١٩٨) .

وقد ارتبطت أسعار الخيل بالعرض والطلب، ويتزايد التجار فيما بينهم على السعر من خلال دلال حتى يرسو المزاد على المشتري، أما دور الحكومة فهو تنظيم السوق، وتحصيل رسوم جمركية على الخيول الواردة إلى عدن، وعلى الصادرة منها، وظلت هذه الرسوم بسيطة حتى العصر الأيوبي، حيث رفع حكام الدولة الأيوبية باليمن الجمارك على الخيول "إذا دخل الحصان البلد (عليه) خمسين دينارًا استجدت في دولة الملك الناصر أيوب بن طغتين بن أيوب (٦٠٠-٦١٢هـ/ ١٢٠٣-١٢١٥م) ، ويُؤخذ في خروجه إلى البحر سبعين دينارًا" (١٩٩) ، فضلا عن مصاريف تحميله في المركب، وخصَّصت الدولة الأيوبية خزانة خاصة؛ أي ديوانا خاصا بجمع الرسوم الجمركية على الخيول المصدرة إلى الهند كان متوسط ما يجبيه في اليوم على حد قول ابن المجاور(٢٠٠) مائة وخمسين ألف دينار على أيام الدولة الأيوبية، وهذا الرقم يمثل أعداداً كثيرة من الخيل المصدرة في تلك الفترة، واستمر الحال كذلك على أيام الدولة الرسولية، حيث يُضاف إلى ذلك الدلالة على الخيول الواردة وهي خمسة دنانير ونصف على كل حصان، وعلى الخيول الصادرة دينارًا واحدًا على تحميله في المركب، تحمل التجار الهنود هذه المصاريف فضلا عن المغالاة في سعر الخيل لأن السوق نافقة في بلادهم مما يعكس غناء حكام الهند خصوصا المسلمين في دهلي على زمن الرسوليين (٢٠١).

الفروسية :

عاشت القبائل في الجاهلية معيشة حربية، فهي كتائب تنزل للرعي، وفي الوقت نفسه تجهز بالأسلحة كي تدفع خصومها عن مراعيها، وقد كان لكل قبيلة فرسانها الذين يتدربون على ركوب الخيل طويلاً، وكيف يقفزون عليها، ويشهرون سيوفهم، ويلوحون برماحهم، وكيف يسددون ضرباتهم إلى أعدائهم (٢٠٢)، وتمثيل الحرب كأنَّه يوم الحرب الحقيقية (٢٠٣)، ولاشك في أنَّ طبيعة البلاد التي نشأ فيها الفرسان، وما فطروا عليه من حب الحرية، وكراهية الضيم والهضيمة والاستهانة بالموت، وبغض الحياة الذليلة كانت من أسباب تمتع الفارس بمكانة عظيمة بين قومه، وحتى الفرسان الصعاليك وهم قطاع الطرق وقراصنة الصحراء الذين كانوا يترصَّدون القوافل التجارية والحجاج في الأطراف الشمالية لليمن كان يحكمهم الكثير من المبادئ الأخلاقية (٢٠٤) .

والحروب القبلية هى مجال للفخر بالخيل وبفرسانها، فقد كان هناك التزام جبرى وأخلاقى من الفارس لحماية القبيلة والذود عنها حقًا أو باطلاً، وقد كان شعارهم فى الجاهلية انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، حتى جاء الإسلام وهذب هذه الحماسة غير المقيدة إلى حماسة إيجابية بناءة هادفة راشدة تتفق مع العقل والذوق الأصيل للإنسان [٢٠٥]، ويضرب المثل بأخلاق الفرسان، حيث إنه من الواجب أن يتحلى الفارس بالأخلاق الإيجابية للفرسان فى المعركة؛ ومنها إعلام الخصم بنية الهجوم وعدم المُباغتة، وعدم اشتراك أكثر من فارس ضد فارس واحد، وأخلاق أخرى مثل النجدة والشهامة والإباء [٢٠٦]، كما أنّ عقر الخيل فى المعركة فيه غدر ومناف للفروسية [٢٠٧].

وعندما جاء الإسلام صبغ الصفات الإنسانية الجميلة بالصبغة الشرعية، حيث أصّل الفروسية؛ فكان عمر بن الخطاب ﷺ عندما يثب على فرسه فكأنما خُلِقَ على ظهره ، وكذلك الوليد بن يزيد، كما أن خلفاء بنى العباس لم يقم أحد منهم بالملك إلا وهو جامع لأسباب الفروسية [٢٠٨]، وكان عدد الفرسان ذا قيمة فى حسم المعركة؛ فالقدرة على الحركة والمناورة لديهم أكثر من الراجلة، وترد أعداد الفرسان والراجلة عند مؤرخى اليمن فى وصفهم للمعارك بين الكيانات السياسية الكثيرة التى حكمت مناطقه بشكل دائم للدلالة على تفوق فريق على أخر، وقد تصل نسبة الفرسان للراجلة إلى ١٠% أو ١٥% على أكثر تقدير[٢٠٩] .

وقد خرجت الخيل بفرسانها من اليمن لتشارك فى الفتوحات الإسلامية فى العراق وفارس والشام ومصر، ثَمَّ فى بلاد المغرب والأندلس، حيث تحفظ كتب التاريخ التى أرّخت للفتوحات الإسلامية، وكذلك كتب التاريخ العام العديد من أسماء القواد من أهل اليمن، بل إن هناك بطونًا بكاملها خرجت على خيولها من اليمن ولم تعد إليها؛ فعلى سبيل المثال عندما استنفر أبو بكر الصديق أهل اليمن للجهاد " سارت حمير بكتائبها وأموالها، وأقبلت من بعدها كتائب مذحج أهل الخيل العتاق والرماح الدقاق، وأمامهم سيدهم قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادى " [٢١٠] ومعه سبعمائة من فرسان مراد وهمدان، واشتركوا فى معركة القادسية بعد انتصارهم فى اليرموك[٢١١] وفتح الشام، ونظم شعرًا فى خيل صنعاء التى شاركت فى هذه

الفتوحات [٢١٢]، كما شارك فى الفتوحات أيضا فرسان من خولان ولخم وتجيب والسكون والأزد وحضرموت والمعافر [٢١٣]، وأقامت القبائل اليمنية مدنا فى البلاد المفتوحة ظلت لفترة طويلة تحمل اسمها؛ فقد كانت فى الأندلس بلدة تسمى همدان تابعة لإقليم غرناطة ظلت تحمل الاسم فيما يبدو حتى هزيمة الموحدين فى العقاب (٦٠٩هـ/١٢١٢)[٢١٤]

ويُسجل كتب التاريخ سيف قيس بن هبيرة الصمصامة الذى أبلى به بلاءً حسنًا، ووهبه إلى سعيد بن العاص، وتوارثه أولاده، واشتراه الخليفة العباسى الهادى منهم بمال جليل، ووضعه بين يديه بعد أن جرده من غمده، وطلب من الشُعراء أن يقولوا فيه شعرًا [٢١٥] . وتتجلى فنون الفروسية عند قيس من خلال منازلة له مع أحد علوج الروم فى اليرموك، حيث امتلك ناصية فرسه قبل المبارزة، وبدأ فى الترتيب لها كما يورد الواقدى " أجرى جواده حتى لين عريكته، وكسر حدته، ثم بدأ المنازلة " [٢١٦]، ومن تقنيات الحرب القبلية يجنب الفرسان خيولهم ويريحوها حتى إذا وصلوا إلى أرض المعركة ركبوها، كما أنَّ من عاداتهم أنهم يسقون الخيل قبل الغارة بعض الشُرب، ويُراق ما بقى من الماء؛ ليُقاتل الفرسان على ماء العدو [٢١٧]، وهى تقنيات ألفها الفرسان فى اليمن فى ترويض الخيل قبل المنازلة [٢١٨]، وكان أول استعدادات على بن مهدى الذى أسس الدولة المهدية ٥٤٤هـ /١١٤٩م فى اليمن - لمعاركه تجهيز الخيل، ثم تدريب أتباعه على الفروسية؛ مما جعل عمارة يصف ذلك بقول المتنبى : كأنَّهم ولدوا على صهواتها [٢١٩]، وإنَّ كانت قلة الحال قد سلبتهم الخيل، فهم من حمير، وَالفروسية متجذرة فيهم، فعندما سمحت الظروف لهم بركوب الخيل ظهرت فروسيتهم .

وقد حذق فرسان اليمن فنون الفروسية، وإذا كان عنترة هو فارس العرب، وأب للفروسية العربية فإنَّ عمرو بن معد يكرب الزبيدى هو فارس اليمن الذى أفردت له كتب التَّراجم والتاريخ والأدب الكثير من أعماله البطولية فى خدمة الإسلام، ويرى بعضهم أنَّ عمرو بن معد يكرب الزبيدى كان السبب فى انتصار المسلمين هذه معركة القادسية، حيث ضرب خراطيم الفيلة بالسيف [٢٢٠]، وكذلك اشترك فى قتال الروم فى اليرموك، وهو من فرسان العرب المشهورين [٢٢١]،

وينعت بفارس اليمن[٢٢٢]، وبفارس زبيد [٢٢٣]، كما أن ابن شقيقته مسروقا الأجدع ت٦٣هـ/٦٨٢م القاضى الفقيه كان هو الآخر فارسا، ويوصف بـ (أفرس فارس باليمن) شلت يده يوم القادسية من هول بلائه [٢٢٤]، وكذلك المنذر بن أبى حمضة الهمدانى الذى شارك فى قتال الروم وولاه أبو عبيدة الجراح على بعض ثغور الروم [٢٢٥]، كما أطلق على بعض قادة اليمن صفة الفروسية مثل عبد الله بن محمد الصليحى شقيق على بن محمد الصليحى الذى كان يلقب بفارس العرب [٢٢٦]، ويُقال عن على بن أبى الغارات وعمه منيع بن مسعود وهم من قادة آل زريع الذين حكموا عدن فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى " لم تحمل الخيل أفرس منهما"[٢٢٧]، وأيضا اشتهرت قبائل جنوب الجزيرة بفنون الفروسية وقيادة الخيل خصوصا فى المعارك الحربية كأن يقال " همدان أحلاس الخيل"، وتقول العرب : لا يتفرس إنسان بعد أربعين سنة فيفرس إلا أن يكون همدانيًا [٢٢٨]، ويقال أيضًا " بنو مشعل هم أحلاس الخيل وفرسان الليل "[٢٢٩]، وقد أجاب أحد أبناء اليمن ويدعى خيفان بن عرابة الخليفة عثمان بن عفان عندما سأله عن أحوال اليمن وقبائله بقوله " هذا الحى من بلحارث بن كعب فحسك أمراس ومسك أحماس، تتلظى المنية فى رماحهم، وأمَّا هذا الحى من أغار بجيلة وخثْعم فجوب أب، وأولاد علة، ليست بهم ذلة، ولا قلة؛ صعابيب، وهم أهل الأنابيب، وأمَّا هذا الحى من همدان؛ فأنجاد بُسل، مساعير غير عُزل، وأمَّا هذا الحى من مذحج فمطاعيم فى الجدب، مساريع فى الحرب " [٢٣٠] .

وثبات الفارس العربى على فرسه يصرفه كيف يشاء جعل بعض المستشرقين[٢٣١] يصف هذه الحالة بأنها حالة توحد؛ الفارس والفرس قطعة واحدة، حيث اتحدت سرعة ورشاقة الفرس مع مهارة الفارس، ولنضرب مثلا من اليمن مثال ذلك رزيق الفاتكى وزير فاتك بن المنصور الذى اندق فيه رمحان وهو ثابت فى سرجه وينادى أعداؤه اعقروا به الفرس وإلا فما يسقط الأرض [٢٣٢]، وعقر الفرس ليس من شيم الفرسان، تلك كانت العلاقة بين الفرس والفارس؛ لا يتخلى الفارس عن فرسه فى أقصى الظروف، فهى علاقة عشق يمتزج فيها شعور المحبة والإعجاب بشعور المصير الواحد [٢٣٣]، فالخصم لا يفرق بين الفرس والفارس، وفى موقعة ظبوة سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م بين الإمام الهادى الزيدى وأعدائه رمى

فرسه، فسقط الهادى، وجرح فى رأسه، وأغشى عليه [٢٣٤] .

وقد فضل العرب إناث الخيل فى الحرب فهى أسرع من ذكورها، وروى أنَّ خالداً بن الوليد ﷺ كان لا يُقاتل إلا على أنثى؛ لأنَّها تدفع البول وهى تجري، والفحل يحبس البول فى جوفه حتى ينفتق، ولأنَّ الأنثى أقل صهيلاً . وروى أيضًا أنَّ العرب كانوا يستحبون إناث الخيل فى الغارات والبيات، ولما خفى من أمور الحرب، وكان يستحبون فحول الخيل فى الصفوف والحصون والسير والعسكر، ولما ظهر من أمور الحرب، وكانوا يستحبون خصيان الخيل فى الكمين والطلائع؛ لأنَّها أصبر وأبقى فى الجهد [٢٣٥]، وفى وصية من مروان بن محمد إلى أحد ولاته يقول، " وإيَّاك أن تقبل من دوابهم (الأعداء) إلا الإناث من الخيل المهلوبة، وأصبر فى معترك الأبطال أقدامًا " " ولتكن دوابهم إناث عتاق الخيل " [٢٣٦] .

وكذلك فضل بعض حكام اليمن الإناث، وفضل آخرون منهم الفحول؛ فقد كان محمد بن يوسف الثقفى والى اليمن من قبل الأمويين شقيق الحجاج يملك من إناث الخيل مائة [٢٣٧]، وفى اليمن اقتنى الأشراف الحسينيون (الزيدية) الإناث من الخيل، وفضلوها على الفحول، وغالوا فى أسعارها، وحجتهم فى ذلك أن الأنثى تنفح بولها وهى تجرى، إلا أنَّ الملك على بن داود كان يفضل الفحل على الأنثى، ويرى أنَّ الأنثى وإن جادت فليس لها شدة وطأة الفحل وصبره على ثقل ما يحمله الفارس من الحديد والعدد على فرسه؛ لكنها هى للسباق أولى من الذكور لحركاتها ومرحها[٢٣٨].

وقد استخدم الفرسان فى اليمن وجنوب الجزيرة الحربة منذ القدم، كما أنَّ معظم المناظر التى عثر عليها للخيل تصور معاركِ يستعمل الفارس فيها الرماح، وبعض المناظر القليلة تصوره يستخدم القوس والسَّهم [٢٣٩]، وكذلك عثر على رسوم معارك بالخيول يستخدم فيها المتحاربون الرماح الطويلة تعود إلى الألف الأول قبل الميلاد فى منطقة أبها [٢٤٠]، والفارس يقاتل من على صهوة جواده بالسيف والدرع والرمح، ويشير القلقشندى [٢٤١] إلى أنَّ أول من استخدم الحراب الحديدية من العرب كان ذو يزن الحميري، وكانت حِرابهم قبل ذلك من قرون البقر، وكانت لدولة الأحباش فى اليمن (بنى نجاح)٤٠٣-٥٥٥هـ/١٠١٣-١١٥٠م

شهرة كبيرة فى القتال بالحراب فى اليمن، حيث يباهى جياش أحد قادة بنى نجاح بجيشه فيقول : " صرت أركب فى عشرين ألف حربة من عبيدنا [(٢٤٢)]، وهذه الأدوات منها ما يجلب من خارج اليمن، ومنها ما هو محلى يصنع فى اليمن حيث اشتهرت مدن بعينها بتلك الصناعة مثل سلوق التى اشتهرت بصناعة الدروع [(٢٤٣)].

وتُعدُ الخيل من أهم غنائم الحرب فى اليمن؛ فعندما دب الخلاف بين الإمام الزيدى المنصور القاسم بن على بن عبد الله الحسنى أحد أئمة الزيدية وبين يوسف بن أبى الفتوح الخولانى أحد قادة خولان سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م بعد حلف كان بينهما " دخل الزيدى ألهان فأخذ حصن أشيح وكان إلى ابن أبى الفتوح، وأخذ له خيلاً وجمالاً " [(٢٤٤)]، وكما حصل فى حروب أخرى على مائتى فرس لعنس، وسلب أهل البون خيلهم عندما انقلبوا عليه [(٢٤٥)]، وخلال نزاعات الإمام الزيدى الحسين بن القاسم سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م مع صنعاء طلب من صفوة أهلها خمس عبيدهم وخيلهم [(٢٤٦)] . كما كان قتل الخصم والظفر بفرسه نوعًا من الإذلال للقتيل وفخرًا للقاتل مثلما حدث مع على بن محمد الصليحى وأخيه عبد الله فى معركتهما مع بنى نجاح حيث خرءًا صريعين، واستولى جياش على فرس على بن محمد، واستولى سعيد الأحول أخوه على فرس عبد الله [(٢٤٧)] .

كما كانت عقوبة عدم ركوب الخيل فى منطقة ما من جانب الحاكم هى نوع من أنواع التأديب لكبح جماح سكان هذه المنطقة، وسحب أهم سلاح فى أيديهم فى ذلك الزمان، وأيضا كان هذا القرار فى نفس الوقت نوعًا من الظُلم الاجتماعى ينسحب على قدر وقيمة وهيبة السكان المشمولين بهذا القرار . وفى محاولة من محمد بن زياد مؤسس دولة بنى زياد لتأمين دولته من جانب سكان منطقة تهامة خصوصا فى بداية تأسيس دولته " اشترط على العرب بتهامة ألا يركبوا الخيل"[(٢٤٨)]، حيث كانوا دائمى التَمرد والهجوم على الحواضر. وقرار سحب ابن زياد الخيول من عرب تهامة فقط دون غيرهم من قبائل اليمن الأخرى يؤكد على أن هؤلاء العرب سكان الجبال لم ينضووا تحت لواء قبيلة بعينها، حيث تنقصهم رابطة الدم فيطلق عليهم العرب؛ لأنَهم بطون من قبائل كثيرة وغير متجانسة من حيث النَسب تجمعهم المصلحة والغزو مما سهل تنفيذ القرار .

وقد اتضحت صحة قرار ابن زياد؛ فبعد انتهاء دولته وامتلاك العـرب مـن سكان تهامة الخيل حاصر زبيد " ثلاثة آلاف فارس " أيام دولة بنى نجاح، وتصدى لهم ريحان الكهلانى مولى سعيد بن نجاح وقضى عليهم [(٢٤٩)]، ويبدو أنَّها أضـحت عادة عند الحكام بعد ابن زياد؛ ليس على العرب فى تهامة فقط، بل على كل رعايا الدولة؛ ففى أيام دولة ابن مهدى اشترط على بن مهدى على فرسانه عدم امـتلاك خيل، فلا " فرس يملكه، ولا يربطه فى داره .... بل الخيل فى اصطبل اته " [(٢٥٠)]، ويبدو أنَّ هذا الإجراء انتقل لحكام مصر المماليك عندما منعوا القبائل العربية فـى جنوب مصر من امتلاك الخيل؛ فهم مثل عرب تهامة دائمو التمرد على الحكومـة المركزية فى القاهرة؛ حيث نص تقليد نائب السلطنة بالوجه القبلـى فـى عـصر الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٨م) على أن " لا يمكـن أحـد مـن العربان بجميع الوجه القبلى من أن يركب فرسا ولا يقتنيه ...ومـن وجـده مـن العربان خالف المرسوم الشريف من منعه من ركوب الخيل كائنا من كان ضـرب عنقه"[(٢٥١)].

وفى العصر الرسولى كانت عقوبة سلب الخيل لمن يرتكب إثما فـى حـق الدولة؛ ففى سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م أخذ الملك الرسولى الظافر عيسى خيـل أهـل منقذة وهى من أعمال ذمار المشهورة بتربية الخيل " لموجب فعلـوه "[(٢٥٢)]، وفـى المقابل كان النيل من الحكومة المركزية يعنى اغتنام خيلها والسيطرة على اصطبل اتها، فعندما خالف الأشراف السليمانيون حكام المخلاف السليمانى فى شمال الـيمن الدولة الرسولية، وقتلوا مقدم الدولة ببلدة الراحة شمال وادى بيش أخـذوا من خيله أربعين فرسًا [(٢٥٣)]، وكذلك نهب العسكر الأكراد اصطبل الحكومة المركزية فـى ذمار سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، وقتلوا مقدم الدولة [(٢٥٤)] .

سباق الخيل ورياضات أخرى :

لم تكن الخيل مسرجة فقط للحرب، بل استخدمها أهل اليمن فـى مجـالات أخرى مثل الصيد ولعب الكرة وسباقات السرعة [(٢٥٥)]، لذلك لم تقتصر الفروسـية فقط على الحرب، لكنها صفة يكتسبها الفارس فى حالة الحرب، وفى المطاردة فى اللعب، وفـى طراد الصيد، وفى الكرة، ويجب أن لا تكون الفروسية مقصورة على

فرس واحد فقط (٢٥٦). وسباق الخيل من الرياضات التى شغف بها العرب فى اليمن على مرّ الزمان، فها هم منذ القدم يحفزون خيولهم على القوة من خلال السابقات التى اشتهرت لديهم فى بعض المناطق التى أصبحت جزراً فى البحر الأحمر، " ويقال إن العرب فى قديم الزمان كانوا يطاردون الخيل فى قعر هذا البحر (الأحمر) لما كان ناشفا، ويقال مرابط الخيل بهذه الأمكنة " (٢٥٧) .

وتعتبر العرب السبق بالخيل من مفاخرها ومحمود مآثرها، ويقال إن أول سباق فى الجاهلية كان فى اليمن بين بطنين من بطون قبيلة مذحج هما بنو الأزد وبنو الحارث بين فرسين هما الحوى والكاملة على رهان مقبوضة، فضلاً عن الفرس الخاسرة، ووضعوا الرهان بيد المكشوح هبيرة المرادى والد الفارس قيس بن هبيرة فسبقت الحوي، وخسرت الكاملة (٢٥٨) .

وقد ارتبطت السباقات فى الجاهلية بالمناسبات المختلفة مثل فترة إقامة الأسواق؛ مثل سوق رابية الذى كان يقام فى حضرموت فى وادى العين تزامنًا مع سوق عكاظ، حيث كانت السباقات وألعاب الفروسية من أهم الممارسات الرياضية فيه(٢٥٩)، وعند ظهور الإسلام أبقى على هذه الرياضة المرتبطة بالفروسية والشجاعة، وأول مسابقة كانت فى الإسلام سنة ست من الهجرة، إذ سابق رسول الله ﷺ بين الخيل، فسبق فرس لأبى بكر الصديق ﷺ، فأخذ السبق . ولم يكن السباق من باب تعذيب الخيل، بل يأتى فى إطار تدريبها بالجرى، وإعدادها لتكون تحت الطلب، واختلف فيه، هل هو من باب المباح، أو من باب المرغب فيه والسنن، وعن سعيد بن المسيب أنه قال : ليس برهان الخيل بأس إذا أدخلوا فيها محللا ليس دونها، إن سبق أخذ السبق، وإن سبق لم يكن عليه شيء (٢٦٠)، وفى الصحيحين فى حديث ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ سابق بين الخيل، كما اقتنى ﷺ فرسًا يمنيًا وسابق به فسبق مرات، فأطلق عليه اسم البحر تشبيها بالبحر الذى لا ينقطع ماؤه(٢٦١) .

وكان يتم التجهيز لهذه المسابقات فى اليمن، وغالبا ما كانت تصاحب احتفالات جنى المحاصيل وبخاصة التمور، وكان الاستعداد لهذه السباقات يتطلب بذل الكثير من الأموال (٢٦٢)، وحرص الحكام عليها كتقليد قبلى يلاقى هوىً لدى

المحكومين، وترافق السباق ألعابٌ فى الفروسية وحـذق ركـوب الخيـل، حيث تخصصت فرق من الخيالة بعينها فى هذه الألعاب [٢٦٣]، وتبدأ العملية عن طريق دخول الخيل المتسابقة إلى مكان التجهيز والإعداد الذى يسمى المضمار، ويطلق على العملية تضمير بعد أن تلقى موافقة منظمى السباق، حيث كانت تختم بختم يسمح لها بدخول المسابقة، وتستمر عملية الإعداد مدة معلومة، وأكثر ما يشاع منها أربعون يوما تشد السروج على الخيل، وتجلل بالأجلة، وتعلف بالعلف اليابس، ثم تدرب على الجرى بالتدريج مسافة المسابقة [٢٦٤]، ويتفق على المدى، وكان العرب يجعلونها مائة غلـوة، والغلوة رمية السهم العربي، وهى خمسمائة ذراع، أو يتفق على مسافة من مواضع معلومة لأخرى، وفى بداية السباق تقف الخيل على الميدان، وترص حوافرها والجواد الذى يتهيأ للسباق يقبض فارسه عنانـه، فيشد قوائمه، ويفتح منخريه، ويملأهما من نفسه حتى ينتفخ جوفه منتصب الأذنين منتظرًا الأمر بالانطلاق [٢٦٥] .

ويمد حبل فى صدور الخيل على خط مستقيم يسمى (المقوس) بكسر الميم وتسكين القاف وفتح الواو، ثم يرفع المقوس بسرعةٍ لتنطلق الخيل دفعة واحدة [٢٦٦]. وينبغى أن يكون الفارس المُتسابق خفيف الجسم، قليل الحجم حتى لا يمثل ثقلا على الجواد ، ويُسمَّى الجواد (ذريعا) إذا جرى كان بين أثر حـافرى يديـه، وحـافرى رجليه ستة أذرع أو اثنا عشر قدما ، والجواد الافق ما زاد على ذلك [٢٦٧].

ومن أشهر سباقات الخيل فى اليمن ما كان منها على أيام محمد بن يوسـف الثقفى على زمن الأمويين فى صنعاء، حيث كتب إلى مخاليف اليمن بتنظيم سـباق فى مدينة صنعاء؛ فاجتمعت إليه الخيل من كل مكان من اليمن، وفازت به مهـرة لفتاة صغيرة من قبيلة خولان، وكانت قيمة الجائزة مائة ناقة، والمسابقة الأخـرى التى أجراها نفس الوالى تقدم لها غلام من حمير من ولد سيف بن ذى يزن بفرس أشقر أقرح، وطلب من الأمير محمد أن يختم إليه فرسه، فقال له : " ليس فرسـك هذا مما يختم "؛ بمعنى أنَّ فرسه غير مؤهلة للسِّباق، فقال الغلام :" والله لو قـرن بالصافنات الجياد ما شقت غباره "، فوافق الأمير محمد بـشرط إذا جـاء مـصليا (الثاني) عرقبه، أمَّا إذا جاء سابقا فله مائة ناقة، ولم يكن يدور بخلد الأمير أن يفوز

الغلام بالسَّبق لكن جاء الغلام بفرسه الأشقر سابقًا فدفع له الأمير محمد الإبل[٢٦٨] .

ومن عاداتهم أنَّهم إذا سبق الفرس قلدوه شيئًا ليعرف أنَّه سبق وكذلك يمسحون على وجه الفرس، أمَّا المتذيل للسباق فكانوا يحملون عليه قردًا، ويدفعون للقرد سوطاً، ويعير بذلك صاحب الفرس [٢٦٩]، وكانت العرب تعد السوابق عشرة، ويحكم بالسبق لمن بز بأذنه مع تساوى الأعناق فى الطول؛ فإن اختلفت بالطول والقصر كان الحكم بخروج الكاهل [٢٧٠]، ومن المسابقات التى تمت فى عهد الدولة الرسولية سباق بين خيل الملك المظفر يوسف بن عمر وخيل الأشراف من بنى حسن، وفاز به حصان الملك ويدعى الكامل [٢٧١] .

وقد شغف حكام اليمن قبل الإسلام برحلات الصيد والقنص؛ وفى منطقة نجران بالتحديد عثر على لوحات أثرية تحكى نقوشها رحلات الصيد فى المنطقة تعود للفترة البرونزية حتى العصور الإسلامية [٢٧٢]، وتعتبر رحلة زاد الركب مع الأزد أولى رحلات الصيد فى المنطقة ثم أضحت من هوايات العرب، فكان ذو يزن الحميرى مولعاً بالصيد والقنص، وكذلك ولده سيف بن ذى يزن اللذان حكموا فى منتصف القرن الأول الميلادى، وهو الذى قُتِلَ فى رحلة صيد من جانب الأحباش[٢٧٣]، وسجل العرب فى أدبياتهم وأشعارهم تلك الرحلات، ولعل من أهم من صورها لنا هو امرؤ القيس حيث برع فيها، فجاءت أشعاره معبرة عن واقعها[٢٧٤]، ويبدو أن هذه الهواية ظلت كذلك فى اليمن حتى الدولة الرسولية، إذ كان الحكام يخصصون خيلا بعينها للصيد تتميز بالسرعة والمناورة والسكون والأدب مثل الحصان (زهر النوفر) الذى كان الملك المؤيد يفضل ركوبه فى الصيد[٢٧٥] .

وكان من عادات العرب فى اليمن أن يبعثوا ربيئة يستطلع الطرائد، أو رقيبا، يراقب القطيع، ويخبر الصائدين بمكانها، وقد ذكر ذلك عمرو بن معد يكرب واصفا الربيئة ورحلة الصيد [٢٧٦]، أمَّا عمل الرقيب فهو التَّخفى حتى لا ينفر القطيع، فيصوُره امرؤ القيس مثل الذئب الخبيث الذى يترَّصد فريسته [٢٧٧]، ومن عاداتهم أنهم يركبون الفرس فى الصيد غلامًا متمرسا خفيفا حتى يتمكن الفرس من اللّحاق بالطريدة، ويتلقى الغلام النصيحة من الفرسان فى كيفية المناورة، فكان امرؤ القيس ينصح غلامه بألا يجهد الفرس، ولا يحمله على العدو كثيرا كى لا يصرعه،

وفى حالات أخرى يمتطى هو فرسه دون الحاجة إلى الغلام، وبعد قنص فريسته يخضب الفرس بدم الصيد (٢٧٨) .

وفى المناسبات الاحتفالية يستعرض الخيالة أمام أميرهم، يكبحون جماح أفراسهم حتى تثب رافعة أيديها إلى أعلى معتمدة على قوائمها الخلفية، وتتراجع قليلاً ثم تثب إلى الأمام مرة آخرى كطريقة تمثيلية لخوض المعركة (٢٧٩)، كما كان موكب الحكام عند انتقالهم من بلد إلى آخر يتم بمصاحبة عدد كبير من الفرسان، وهو ما يسمى فى العصر الرسولى بالركب السلطانى (٢٨٠)، وتجرى منافسات السباق فى كثير من المناسبات مثل الاحتفالات بالأعياد والأفراح (٢٨١)، حيث جرت العادة قديما أن تُزف العروس إلى بيت زوجها على ظهر الخيل، كنوع من التكريم، وفى المقابل كان التحقير من شأن الخصم بعد هزيمته فى المعركة يتم بركوبه على بغل لتجريسه (٢٨٢)، وكانت هناك خيل مخصوصة لدى الملوك والكبراء للمناسبات، وأول من تباهى فى العيد بالخيل يزيد بن الوليد حيث خرج فى العيد بصفين من الخيل (٢٨٣)، وخصص حكام اليمن خيلا بعينها لهذه المناسبات، حيث كان لدى الملك ضرغام بن داود شقيق الملك على بن داود حصان يسمى البحر يعتمد ركوبه فى الأعياد والفرح والزينة(٢٨٤)، وكان للملك على بن داود فرس يسمى الطرب " إذا سمع طربا من الطبل خانة أو من الطار، أو طبول العرب، رقص تحت راكبه طربًا كما يرقص الماهر على اختلاف الدقة"(٢٨٥).

أمَّا لعب الكرة فهو يعد من الألعاب التى دخلت إلى بلاد العرب عن طريق الفرس؛ وهى لعب الكرة بالصولجان من فوق الخيل (٢٨٦)، وتسمى حديثًا (البولو)؛ وهى كانت من ضمن الألعاب التى مارسها أهل اليمن، ولها من الخيول التى حذقتها مثل (زهر النوفر) حصان الملك المؤيد الرسولى الذى كان يفضله عند ممارسة هذه اللعبة (٢٨٧) .

كما شاركت الخيل أيضًا فى المناسبات الحزينة مثل تشييع عزيز إلى مثواه الأخير، حيث تهلب الخيل (٢٨٨)، وتقلب السروج فى الموكب الجنئزى، وعادة ما يتم ذلك للشخصيات ذات الحيثية كأن يكون زعيمًا لقبيلة، أو فارسا من فرسانها، أو أحد الحكام. وقد أوصى الملك المسعود الأيوبى (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) بأن لا تقام له هذه المراسم الجنائزية التى تستعمل فيها الخيل حال وفاته (٢٨٩)، ويبدو أنَّ هذه العادة كانت تقام للحكام من قبله، وأنف من أن تُقام له مراسم تشييع تُخالف ما نهى

عنه الرسول ﷺ؛ فقد ورد فى سند أبى داود فى كتاب الجهاد وباب كراهة جز نواصى الخيل وأذنابها عن عتبة بن عبد الله السلمى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :" **لا تقصوا نواصى الخيل ولا معارفها ولا أذنابها، فإن أذنابها مذابها، ومعارفها دفاؤها، ونواصيها معقود فيها الخير** " (٢٩٠)، وإذ كان ذلك مقبولاً فى مجتمع تلعب فيه الخيل دورًا كبيرًا فى حسم السلطة، فإنَّه من غير المعقول ذبح الخيل بعد موت صاحبها لئلا يمتطى صهوتها غيره، وهو ما أورده اليمانى (٢٩١) فى أحداث سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م التى توفى فيها الملك الظافر قطب الدين عيسى بن السلطان الملك المؤيد فى حياة أبيه، حيث أمر والده بذبح خيل المتوفى لئلا يمتطى صهوتها غيره، والتصدق بلحمها حالة حمل على الرقاب، وهى عادة جاهلية عرفت عند بنى رسول، وفى المقابل عندما مات شقيق السلطان الملك المظفر سنة٧١٢هـ/١٣١٢م أوصى المتوفى بألا يعقر على قبره شيء من خيله (٢٩٢) .

قصارى القول أنه كان لليمن دور كبير فى استنتاج وتكاثر الخيل فى شبه الجزيرة العربية، حيث انتشر نسل زاد الركب فى أنحاء البلاد، وأصبح الخيل من أهم أدوات الحرب فى الجاهلية والإسلام، واستمر كذلك حتى ظهور البارود عندما بدأ التخلى تدريجيًّا عنها، وإن ظلت من أهم رياضات العرب من خلال السباقات والصيد، كما أنَّ تكاثر الخيل فى اليمن وغيره من مناطق شبه الجزيرة أعطى الفرصة للسكان فى التفنن فى الفروسية، حيث اشتهرت قبائل بعينها بالفروسية وركوب الخيل، لذلك كان حسم السلطة فى اليمن خلال العصور مرتبطا ارتباطًا كبيرًا بالخيل وبالفرسان، ويؤكِّد على ذلك السياسة التى اتبعها بعض حكام اليمن فى تحريم تربية وركوب الخيل للسكان فى خطوة لقمع أية ثورة أو تمرد من خلال سحب أهم سلاح من الثوار، الأمر الذى جعل اصطبلات الحكام تحوى الكثير من الخيل استعدادًا للحرب يدفع بها للفرسان وقت اللزوم، لذلك اهتم الحكام بالاصطبلات، ورتَّبوا لها الموظفين والعمال، ومن فرط هذا الاهتمام حضورهم سوق الخيل السنوى فى عدن، وشراء ما يحلو لهم من الخيول قبل غيرهم من تجار الهند وغيرهم .

الهوامش :

(١) موريل، مينا ث . ج ديفيز، فيزيولوجيا التناسل الخيلى ، ترجمة محمد شحاتة البليلى، على عبد الله القرعاوى، جامعة الملك سعود ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ ، ص ح

(٢) تم اكتشاف ذلك عن طريق تحليل الهياكل العظمية التى عثر عليها فى منطقة بوهن بالنوبة ، راجع Lothar Stork, Pferde, in (Lexikon der Agyptologie, IV) Wiesbaden 1982,pp,1009-1013

(٣) موريل،، فيزيولوجيا التناسل الخيلى ، ص ح

(٤) موريل،، فيزيولوجيا التناسل الخيلى، ص ز،ح

(٥) موريل، فيزيولوجيا التناسل الخيلى، ص ز،ح

(٦) محمد بيومى مهران، تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م، ص١٣١ ؛ Irfan Shahid, Byzantium and the Arabs in the fourth century, Dumbarton Oaks, Washington, 1984, p65.

(٧) عبد الرحمن بكر كباوى ، حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية " وادى الدواسر – نجران " ١٤١١هـ/١٩٩٠م ، مجلة أطلال السعودية، العدد٤ السنة ١٩٩٦م ،ص٤٨ ، حمود الدغيشى ، الخيل فى الشعر الجاهلى ، دار جرير ، عمان الأردن، ٢٠٠٧م ،ص٢٠

(٨) حمود الدغيشى ، الخيل فى الشعر الجاهلى ، ص٢٣

(٩) وردت هذه الرواية عند عدد من المؤرخين باختلافات بسيطة ، راجع : ابن الكلبى، أبى المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى، كتاب أنساب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها، تحقيق : أحمد زكى ، دار الكتب، ١٩٤٦م،ص١٢، ابن جزى الكلبى الغرناطى، عبد الله بن محمد، كتاب الخيل مطلع اليمن والإقبال فى انتقاء كتاب الاحتفال، تحقيق : محمد العربى الخطابى، دار الغرب، بيروت ١٩٨٦م، ص ٣٤، ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ج٢، ص١٧٠ ، النويرى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى ، نهاية الأرب فى فنون الأدب ،دار الكتب العلمية، تحقيق: مفيد قميحة ، ط أولى، بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م، ٩ ص٢١٣ ، القلقشندى ، أحمد بن على ، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، تحقيق : يوسف على الطويل ، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م ، ١ص٤٨٨.

(١٠) ابن الكلبى ، أنساب الخيل ، ص١٢-١٣ ؛ على بن داود الرسولى ، الأقوال الكافية والفصول الشافية فى الخيل ، تحقيق : يحيى وهيب الجبورى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت، ١٩٨٧م ، ص١٠٣

(١١) ابن جزى الكلبى الغرناطى، كتاب الخيل، ص ٣٤، ابن الكلبى، كتاب أنساب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها، ص١٢، ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت ط٢، ص١٧٠

(١٢) القلقشندى، صبح الأعشى، ص٤٨٨

(١٣) وردت هذه الرواية عند معظم من كتب عن الخيل ، أنساب الخيل، ص١٤ ، النويرى ، نهاية الأرب، ص٢٦

(14) Irfan Shahid, Byzantium and the Arabs in the fourth century, p66

(١٥) صبح الأعشى، ١ص٤٨٨

(١٦) على بن داود ، الأقوال الكافية ، ص١٠٣

(١٧) ابن حيان الأصبهانى، العظمة، تحقيق: رضاء الله محمد إدريس المباركفورى ، دار العاصمة ، الرياض، ١٤٠٨هـ ، ص١٧٧٨، وضعَّف ابن كثير حديث وهب عن خلق الخيل من ريح الجنوب ؛ حيث يراه من الإسرائيليات، راجع ص٥٦٤

(١٨) الخزرجى، أبو الحسن الخزرجى ، اليمن فى عهد الولاة ، الفصول الخمسة الأول من الباب الرابع من كتاب الكفاية والإعلام فيمن ولى اليمن وسكنها من ملوك الإسلام ، تحقيق : راضى دغفوس ، الكراسات التونسية، الجزء ٢٧، رقم ١٠٧-١٠٨ لسنة ١٩٧٩م،ص٢٨

(١٩) الخزرجى، اليمن فى عهد الولاة،ص٢٨

(٢٠) على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية، ص٩٩

(٢١) ابن الكلبى ، أنساب الخيل ، ص١٢-١٣

(٢٢) أدى تصدع الأخدود الأفريقى إلى تكوين البحر الأحمر ، وترك أرخبيلا من الجزر فى جنوب البحر الأحمر ، راجع ، عبد الرحمن بشير ، من تاريخ اليمن ، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة، ٢٠٠٩م ، ص٣٧

(٢٣) ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتوح يوسف الدمشقى ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تأريخ المستبصر ، تصحيح أمسكر لوفجرين، ليدن، ١٩٥١م، ص٥١

(٢٤) ابن المجاور، المستبصر ، ص١٠٦

(٢٥) عندما رأى دمية عبارة عن فرس له جناحان من حاجيات السيدة عائشة رضى الله عنها ، وسألها عنه فقالت : أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة ؛ فضحك الرسول صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، راجع ، على بن داود الرسولى ، الأقوال الكافية ، ص١٠٤

(٢٦) أنساب الخيل ، ص١٢-١٣

(٢٧) لمزيد من التفاصيل عن الخيل المجنحة، راجع : حمود الدعيشى ، الخيل فى الشعر الجاهلى ، ص٣٤-٣٦

(٢٨) حمود الدعيشى ، الخيل فى الشعر الجاهلى ، ص٥٦

(٢٩) وردت هذه الرواية عند معظم من كتب عن الخيل، وكتب التاريخ العام ، أنساب الخيل، ص١٤، النويرى ، نهاية الأرب ، ١٠ ، ص٢٦

(٣٠) النويرى ، نهاية الأرب ، ١٠ ، ص٢٦

(٣١) كندة: من قبائل اليمن التى خرج بعض بطونها إلى نجد، وأقاموا دولة على غرار الغساسنة والمناذرة تحت حماية الحمريين لحماية طرق التجارة فى منتصف القرن الأول الميلادى ودامت لفترة لا تقل عن مائة وخمسين عاما، ثم عاد بعض بطونها إلى الجنوب قبل ظهور الإسلام ، راجع السلطان غالب بن عوض القعيطى ، تأملات عن تاريخ حضرموت ، كنوز المعرفة ، جدة، ١٩٩٦م ، ص١٤-١٥

(٣٢) على بن داود الرسولى ، الأقوال الكافية ، ص١٠٥-١٠٦

(٣٣) الخيل البلق هى التى يتجاوز البياض الركبة من اليد والعرقوب من الرجل، ويسمى أيضا أشرع ، انظر على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية،ص١٣٦

(٣٤) على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية، ص٣٣٨،٣٣٩، والبلق هى الخيول التى ارتفع تحجيلها إلى الفخذين، راجع ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقى المصرى ، لسان العرب، دار صادر بيروت ، ١٠، ص٢٥، وكل لون يخالطه بياض فهو أبلق، على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية، ص١٣٦

(٣٥) نقل الكاتب هذه الرواية، ويبدو أنه يشك فى صحتها فهو ملك بن ملك ورث عن أبيه ألف فرس فقط، راجع : على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية،ص٣٤٤

(٣٦) من قبائل الأزد التى هاجرت إلى الحجاز (خزاعة)، وقد استقرت فى مكة، و(الأوس والخزرج) وقد سكنتا المدينة المنورة، والغساسنة التى أسست لها دولة بالشام، ويرى المستشرق كوسان برسيفان أن بداية هذه الهجرة كان عام ١١٨م، راجع : أحمد شرف الدين، دراسات فى أنساب قبائل اليمن، ١٩٨٠م ، ص٤٥

(٣٧) على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية، ص٨٨ ، ونشب فلان منشب سوء إذا وقع فيه لا مخلص منه ، ونشبة صفة تعنى : إذا علق بإنسان لقى منه شرا ، والجمع المناشب ، راجع: ابن منظور: لسان العرب ، ١ ص٧٥٧

(٣٨) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥، ص١٥.

(٣٩) الهمدانى، لسان اليمن محمد الحسن بن أحمد يعقوب ، الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ، تحقيق:محمد بن على بن الحسين الأكوع ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ١٩٩٠م، ١٠، ص٩٦، والحجر الفرس الأنثى، وأحجار الخيل ما يتخذ منها للنسل، وهى المحرمة الرحم إلا على حصان كريم، راجع : ابن منظور، لسان العرب، ٤، ص١٧٠.

(٤٠) على بن داود الرسولى ، الأقوال الكافية ، ص ١٦١ .

(٤١) محمد بيومى مهران، تاريخ العرب القديم، ص١٣١.

(٤٢) القلقشندى، صبح الأعشى، ٢، ص١٧.

(٤٣) موريل، فيزيولوجيا التناسل الخيلى، ص ح

(٤٤) لويس موزل ، الخيل عند عرب الرولة ، ترجمة ، عبد الله العلى الزيدان ، الدارة ، العدد ١ السنة٢٢، المحرم ١٤١٧هـ،ص٥

(45) Hendricks, International Eencyclopedia of Horse Breeds, University of Oklahoma press,1995,p445

(46) Ammon,Karl Wilhelm, Historical Reports on Arab Horse Bbreeding and the Arabian Horse, p106

(٤٧) أبو بكر بن بدر الدين البيطار، كامل الصناعتين، تحقيق : عبد الرحمن الدقاق، دار النفائس، بيروت، ١٩٩١م،ص٧٩

(٤٨) كامل الصناعتين ، ص٧٩

(٤٩) صفة جزيرة العرب ، تحقيق: محمد بن الأكوع ، دار اليمامة، ١٩٧٧م ، ص٣٦٣

(50) Hendricks, International Encyclopedia of Horse Breeds, University of Oklahoma Press,1995,p445

(٥١) أحمد جابر عفيف، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء١٩٩٢م ١، ص٢٩٥

(٥٢) الواقدى، أبو عمر عبد الله بن عمر، فتوح الشام، دار الجيل، بيروت بدون، ١، ص٥١

(٥٣) تساقطت الثلوج على اليمن خلال فصل الشتاء ومع ذلك كانت الخيل تسير عليها، راجع: عبد المجيد اليمانى ، تاج الدين عبد الباقى ، بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ، تحقيق : عبد الله محمد الحبشى ، محمد أحمد السنبانى ، دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ١٩٨٨م ، ص ٦٧،٣٣

(٥٤) محمود حسن أبو ناجى ، شعراء العرب الفرسان ، ص٤٢

(٥٥) على بن داود ، الأقوال الكافية ، ص٢٢٨

(٥٦) الواقدى، فتوح الشام، ١، ص٥١، المحجل من الخيل أن تكون قوائمه الأربع بيضا، يبلغ البياض منها الوظيف أو نصفه أو ثلثيه بعد أن يتجاوز الأرساغ ولا يبلغ الركبتين، راجع : ابن منظور، لسان العرب، ١١، ص١٤٥.

(٥٧) صفة جزيرة العرب، ص٣٦٣،، وعن صفات الخيل العتاق الجيدة، وما يستقبح منها، راجع، القلقشندى، صبح الأعشى، ٢، ص١٧.

(٥٨) على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية، ص٣٣٨،٣٣٩، والبلق هى الخيول التى ارتفع تحجيلها إلى الفخذين، راجع: ابن منظور، لسان العرب، ١٠ ، ص٢٥، وكل لون يخالطه بياض فهو أبلق، على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية، ص١٣٦

(٥٩) الزبيدى، الإمام الحافظ تقى الدين أبى العباس حمزة بن عبد الله الناشرى اليمنى، انتهاز الفرص فى الصيد والقنص، تحقيق: عبد الله محمد الحبشى، الدار اليمنية ١٩٨٥م،ص٩٠

(٦٠) يحيى بن الحسين، غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، محمد مصطفى زيادة ، دار الكاتب العربى ، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٢٥٦

(٦١) صفة جزيرة العرب، ص٣٦٣،، وعن صفات الخيل العتاق الجيدة، وما يستقبح منها راجع، القلقشندى، صبح الأعشى، ٢ص١٧

(٦٢) سورة آل عمران الآية ١٤

(63) Irfan Shahid, Byzantium and the Arabs in the Fourth Century, p.178.

(٦٤) حكم بنو نجاح ذووالأصول الحبشية اليمن فى الفترة ما بين (٤٠٣-٥٥٥هـ/١٠١٣-١١٥٠م) راجع ، عبد الرحمن بشير ، من تاريخ اليمن ، ص٣٩

(٦٥) غبد المجيد اليمانى ، بهجة الزمن ، ص٧٨

(٦٦) الأقوال الكافية، ص١٢٩

(٦٧) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستانى ، سنن أبو داود، كتاب الجهاد، باب فى ما يستحب من ألوان الخيل، حققه، محمد محيى الدين عبد الحميد، ط دار الفكر ،٣ ص٢٢، حديث رقم (٢٥٤٥) ، الترمذى، أبو عيسى محمد (ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذى كتاب الجهاد، باب منا يستحب من الخيل، ٤ص٢٠٣، حديث رقم (١٦٩٥)

(٦٨) الذهبى ، أبو عبد الله أحمد بن عثمان بن قايماز ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب أرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسى ، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ ، ٤، ص٤٩٩

(٦٩) الأسود الغندجانى، أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها، تحقيق: محمد على سلطان، مؤسسة الرسالة، دمشق، ص١٥

(٧٠) أنشد فى ذلك شعرا قال فيه :

لقعقعة اللجام برأس طرف   أحب إلى من أن تحمليني

أخاف إذا وردن بنا مضيقًا   وحث الركض أن لا تحمليني .

راجع : الهمدانى، الإكليل،١٠، ص١٥٠ ، محمود حسن أبو ناجى ، شعراء العرب الفرسان فى الجاهلية وصدر الإسلام ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت، ١٩٨٤م ،ص٤٢

(٧١) عبد المجيد اليمانى ، بهجة الزمن ، ص١٠٧

(٧٢) الأقوال الكافية ، ص٨٤-٨٥

(٧٣) الواقدى، فتوح الشام، ١، ص٥٢

(٧٤) على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية، ص٢٢٠

(٧٥) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤، ص٣٤٥

(٧٦) عصام الدين عبد الرءوف، اليمن فى ظل الإسلام، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٢م ، ص٣٠٥

(٧٧) على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية، ص٣٢٣

(٧٨) يحى بن الحسين، أنباء الزمن فى أخبار اليمن من سنة ٢٨٠-٣٢٢هـ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة بدون تاريخ ، ص٤١

(٧٩) حمود الدغيشى ، الخيل فى الشعر الجاهلى ، ص٧٣

(٨٠) الأقوال الكافية ، ص٨٦

(٨١) الأقوال الكافية ، ص١٠٠

(٨٢) كتاب فتوح اليمن المعروف برأس الغول، طبع النجاتى المحمدى، مطبعة المنار - تونس، ص٨، وكان الصحابى الجليل قبل دخوله الإسلام متخصصا فى سرقة الخيول النجيبة ؛ فلما سمع بهذا الفرس ذهب إلى رأس الغول ومكث لديه عشرة أيام ثم سرق الفرس وباعها، وظل يسرقها ويبيعها عدة مرات ، نفسه، ص٨،٥

(٨٣) الخزرجى، اليمن فى عهد الولاة، ص٥٨-٥٩

(٨٤) الرازى : أحمد بن عبد الله الصنعانى ، تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين عبد الله العمري، عبد الجبار زكار ، صنعاء، ١٩٧٤م ، ص٢١١

(٨٥) عبد المجيد اليمانى ، بهجة الزمن ، ٢٢

(٨٦) على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية، ص٣٥٣،٣٥٤

(٨٧) ابن الكلبى ، أنساب الخيل ، ص٧

(٨٨) مفردها برذون، وهو من الخيل ما كان من غير نتاج الخيل العراب، راجع : ابن منظور، لسان العرب، ١٣، ص٥١

(٨٩) على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية، ص١٦١

(٩٠) ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م ، ٦ص٣٩٧

(٩١) ابن الديبع ، قرة العيون ،ص ٢٢٠ ، سليمان الثقفى ، سيرة الإمام أحمد بن سليمان ، ص ٢٣٩ .

(٩٢) سليمان الثقفى ، سيرة الإمام أحمد بن سليمان ، ص٢٣٤ .

(٩٣) ابن جزى الكلبى الغرناطى، كتاب الخيل، ص٤٠

(٩٤) الهمدانى، الإكليل، ١٠، ص١٠٠

(٩٥) حيث يقول :

فحزنى على (المسك) الكريم معظم   وحزنى على (الصقر) المكرم أعظم

إذا ما رأيت الخيل تكـرم هاج لى بذكرهما دمـع على الخـد يسجم
فيا (صقر) من فى الخيل مثلك أصفر ويا (مسك) من فى الخيل مثلك أدهم
سأبكيكما ما دام فى الجفن أدمـع لما كنت من تلك المحاسن أعلـم

راجع : على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية، ص٣٥١

(٩٦) أنشد امرؤ القيس لفرس الجون بقوله :

ظللت وظلَّ الجون عندى مسرجا كأنِّى أعدى عن جناح قبيض

راجع: ابن الكلبى، أنساب الخيل، ص٩٢، والقبيض هو الفرس سريع نقل القوائم، انظر : ابـن منظـور، لسان العرب، ٧ص٢١٥، والعطاف اسم من أسماء السيف، راجع : ابـن منظـور، لـسان العـرب، ٩، ص٢٥١،٢٥٢

(٩٧) أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابى، كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها، تحقيق: جرجس لـوى دلا ويدا، ليدن ١٩٢٨م، ص٩٩، والضبيح هو صهيل الخيل، راجع: ابن منظور، لسان العـرب، ٢، ص٥٢٣، رعشن بمعنى السريع، راجع : ابن منظور، نفسه، ٦ص٣٠٤

(٩٨) الهمدانى الإكليل، ١٠ص١٥٣ ؛ وفرس سكب بمعنى جواد كثير العدو، وذريع مثل السكب فرس الرسول ﷺ، أنظر : ابن منظور، لسان العرب، ١، ص٤٧٠

(٩٩) ابن الكلبى ، أنساب الخيل ، ص١٠٢

(١٠٠) ابن الكلبى ، أنساب الخيل ، ص١٠٥

(١٠١) ابن الكلبى ، أنساب الخيل ، ص١١٠

(١٠٢) عمارة اليمنى : نجم الدين عمارة بن أبى الحسن على الحكمى ، تاريخ الـيمن، تحقيـق:حـسن سليمان محمود ، القاهرة ، ص٥٧

(١٠٣) عمارة اليمنى، تاريخ اليمن، ص٩٤، وهو من الدبل بمعنى الثكل، راجع: ابن منظـور، لـسان العرب، ١١، ص٢٣٥، ويورد على بن داود أن اسم فرس على بن محمد الصليحى هو (الذيال)، الأقوال الكافية، ص٣٣٩، وهى تعنى المتبختر من الخيـل، ابـن منظـور : لـسان العـرب، ١١ص٢٦٠، وظنى أن الاسم الأول (الدبال) هو الصحيح لأن على بن محمد الـصليحى كـان زعيما لدولة مترامية الأطراف وهو قدوة للرعية لا يمكن أن يختار اسما لفرسه فيه نـوع مـن التعالى والنرجسية ولا يصلح لأن يكون اسما لفرس تخوض غمار الحرب، ومن المحتمل أنه قد حدث خطأ فى كتابته لأن رسم الدبال مثل رسم الذيال .

(١٠٤) على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية، ص٣٣٩، وحيزوم اسم فرس جبريل، وقال الجوهرى، هو اسم من خيل الملائكة، ابن منظور، لسان العرب، ١٢، ص١٣٣

(١٠٥) عبد الرحمن بشير ، من تاريخ اليمن ، ص٧٧

(106) Irfan Shahid, Byzantium and the Arabs in the fourth century, p.88, Ammon,Karl Wilhelm,Historical Reports on Arab Horse Breeding and the Arabian Horse,p72

(١٠٧) عبد المجيد اليمانى ، بهجة الزمن ، ص٢٣٦

(١٠٨) على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية،ص٣٤٢

(١٠٩) على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية، ص٣٤٠

(١١٠) صبح الأعشى ، ٩، ص١٠٥

(١١١) على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية، ص٣٥١

(١١٢) على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية، ص٢٢٦

(113) http://www.nature.com/nature/journal/v137/n3467/abs/137608a0.html nature137,(11 April 1936)p,608

(114) Lothar Stork, Pferde, in (Lexikon der Agyptologie, IV) Wiesbaden 1982, pp.1009-1013

(١١٥) عن هذه العادة والأشعار التى قيلت فى المناسبة، راجع : على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية، ص٣٥١

(١١٦) عبد الرحمن بشير ، من تاريخ اليمن ، ص٣٤

(١١٧) الواقدى، فتوح الشام، ١، ص٥١

(١١٨) احمد جابر عفيف، الموسوعة اليمنية، ١ص٢٩٥

(١١٩) راجع : عبد الرحمن بكر كباوى ، حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية " وادى الدواسر – نجران " ١٤١١هـ/١٩٩٠م ، مجلة أطلال السعودية، العدد١٤ السنة ١٩٩٦م ،ص٤٨ ، حمود الدغيشى ، الخيل فى الشعر الجاهلى ، ص٢٠

(١٢٠) الواقدى، فتوح الشام ١، ص٦،٧

(١٢١) اتصفوا باللين والقيادة وتربية الخيل، وأنشد بعض العرب يقول : ولولا بنو عبد المدان وخيلها لحلك يا نجران بعض القبائل، انظر: ابن المجاور، المستبصر، ص٢١٠

(122) Ammon,Karl Wilhelm,Historical reports on Arab Horse breeding and the Arabian Horse,p103

(١٢٣) البلاذرى، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص٧٦

(١٢٤) كحلان مخلاف يمنى بينه وبين ذمار ثمانية فراسخ وبين صنعاء أربعة وعشرين فرسخا ، راجع: ياقوت ، أبو عبد الله الحموى ، معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، ٤، ص٤٣٩

(١٢٥) عبد المجيد اليمانى ، بهجة الزمن ، ص٦١

(١٢٦) ياقوت ، معجم البلدان ،٤، ص٦٠

(١٢٧)ابن المجاور ، المستبصر ، ٢٦٣

(128) Ammon,Karl Wilhelm,Historical Reports on Arab Horse Breeding and the Arabian Horse, Olms,1993,p72

(١٢٩)علـــى بـــن داود الرســـولى، الأقـــوال الكافيـــة، ص ١٩٣، ؛ Hendricks, International Encyclopedia of Horse Breeds, University of Oklahoma press,1995,p445

وتبعد ذمار مرحلتين من صنعاء، راجع ، ياقوت ، معجم البلدان، ٣ص٧

(١٣٠)أحمد شرف الدين : دراسات فى أنساب قبائل اليمن، ص ٦٨

(١٣١)الهمدانى، صفة جزيرة العرب، ص٣٦٣،

(١٣٢)الهمدانى، صفة جزيرة العرب، تحقيق، محمد بن على الأكوع الحوالى، دار اليمامة، الريـــاض، ١٩٧٧م، ص٣٦٣، آمنة إبراهيم أبو حجر، موسوعة المدن العربية، ٢٠٠٢م، ص٥٦٩، منطقة الجوف هى المنطقة المحصورة بين نجران وحضرموت وهى منطقة سهلة غرينيـــة اشـــتهرت بمراعيها، وقامت فيها دولة معين، راجع: محمد بيومى مهران، تاريخ العرب القديم، ص٢١٣ ، Hendricks, International encyclopedia of Horse Breeds, p445

(١٣٣)على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية ، ص ٣٤٥

(١٣٤)البكرى ، أبوعبيد البكرى الأندلسى ، معجم مـــا اســـتعجم مـــن أســـماء الـــبلاد والمواضـــع ، تحقيق:مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت، ١٤٠٣هـــ ، ٤، ص١٣٩٣

(١٣٥)عبد الرحمن بشير ، من تاريخ اليمن ، ص٢١

(١٣٦)منطقة السحول باليمن ترجع إلى قبيلة السحول بن سوادة من جشم ، راجع : يـــاقوت ، معجـــم البلدان ، ٣، ص١٩٥

(١٣٧)الهمدانى، صفة جزيرة العرب، ص٣٦٣، وجلالات مفردها جل بضم الجيم وتشديد اللام، وهو ما تلبسه الدابة لتصان به، وتجليل الفرس : أن تلبسه الجل، وفى الحديث الـــشريف أن الرســـول صلى الله عليه وسلم جلل فرسا له فازت بالسباق بردا عدنيا، راجع : أبن منظور، لسان العرب، ١١، ص١١٨،١١٩

(١٣٨)الهمدانى : صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٨، ٣٣٢، خثعم ترجع إلى حمير، نفسه، ص١١٩

(١٣٩)ابن المجاور : المستبصر،ص٦٩

(140) Hendricks, International encyclopedia of Horse Bbreeds, Uuniversity of Oklahoma Press,1995,p445

(١٤١)عمارة اليمنى، تاريخ اليمن، ص٣٧ ؛ ابن المجاور، المستبـــصر،ص٦٧، ابـــن الـــديبع، بغيـــة المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد، تحقيق : عبدالله محمد الحبشى، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٧٩م، ص٣٩ ، عبد المجيد اليمانى ، بهجة الزمن ، ص٣٨

(١٤٢) على بن داود : الأقوال الكافية ، ص٣٥٣ ، والجحافل هى أفواه الخيل والدواب ، راجع : ابن منظور ، لسان العرب ، ١١، ص١٠٢ ، ويبدو أن تسمية هذه البطون بالجحافل راجع لحذقهم فى تربية الخيل

(143) Hendricks, International Encyclopedia of Horse Breeds, p445

(١٤٤) ابن منظور : لسان العرب ، ١١، ص١٨

(١٤٥) الهمدانى : الإكليل، ١٠، ص١٦٦ ؛ والحارث بن مر بن ربيعة من أرحب، راجع نفسه ص١٦٦

(١٤٦) يحيى بن الحسين ، أنباء الزمن ، ص٤٦

(١٤٧) عمارة اليمنى، تاريخ اليمن،ص٩٦

(١٤٨) عبد المجيد اليمانى ، بهجة الزمن ، ص٧٧

(١٤٩) عبد المجيد اليمانى ، بهجة الزمن ، ص٢٠٤

(١٥٠) على بن داود الرسولى : الأقوال الكافية ،ص٢٠٦

(١٥١) على بن داود الرسولى : الأقوال الكافية ، ص٢٢٨

(١٥٢) القلقشندى: صبح الأعشى ، ٥ص٤٣٢

(١٥٣) على بن داود الرسولى : الأقوال الكافية، ص١٩٣

(١٥٤) ابن الكلبى : أنساب الخيل ص٤٢

(١٥٥) بعد نجاته أنشد يقول :

أريد دماء بنى مازن ... وراق المعلى بياض اللبن

راجع :ابن الكلبى ، أنساب الخيل ، ص١٠٨

(١٥٦) [1]صبح الأعشى، ٤، ص١١

(١٥٧) والكنبش اسم أعجمى ويعنى البردعة التى توضع تحت السرج ،على بن داود الرسولى : الأقوال الكافية، ص٢٠٠

(١٥٨) الهمدانى : صفة جزيرة العرب، ص٣٦٣ .

(١٥٩) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٤، ص٦٣

(١٦٠) على بن داود الرسولى : الأقوال الكافية،ص٢٠٠، والصغد إقليم فى بلاد ما وراء النهر عاصمته سمرقند، راجع : ياقوت، معجم البلدان، ٣، ص٢٤٦

(١٦١) الهمدانى : صفة جزيرة العرب، ص٤٣٠، ابن منظور: لسان العرب، ١١، ص٢٧٥

(١٦٢) عبد المجيد اليمانى : بهجة الزمن ، ص١٨٣

(١٦٣) عبد المجيد اليمانى : بهجة الزمن ، ص٢٠١

(١٦٤) الثقاف والثقافة هو العمل بالسيف ، راجع ابن منظور ، لسان العرب ، ٩، ص٢٠

(١٦٥) الأقوال الكافية، ص٢٠٠ ، واللبب ما يشد على صدر الدابة ويكون للسرج يمنعه من الاستئخار (راجع : ابن منظور ، لسان العرب ، ١، ص٦٣٢) أما الثفر فهو سير في مؤخرة السرج (راجع: ابن منظور لسان العرب ، ، ٤، ص١٠٥)

(١٦٦) عبد المجيد اليمانى : بهجة الزمن ، ص٢٠١ ، والهامش

(١٦٧) الهمدانى، الإكليل، ١٠، ص٩٦، والحجر: الفرس الأنثى، وأحجار الخيل ما يتخذ منها للنسل، وهى المحرمة الرحم إلا على حصان كريم، راجع، ابن منظور، لسان العرب، ٤ص١٧٠

(١٦٨) موريل، فيزيولوجيا التناسل الخيلى، ص٤٣، ١٤٩

(١٦٩) ابن الكلبى : أنساب الخيل ، ص١١

(١٧٠) لويس موزل : الخيل عند عرب الرولة ، ص٩-١٠

(١٧١) على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية، ص ١٨٨، ١٩٣

(١٧٢) موريل، فيزيولوجيا التناسل الخيلى، ص٤٣، ١٤٩

(١٧٣) على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية، ص١٩٣

(١٧٤) على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية،ص١٩١

(١٧٥) الهمدانى، الإكليل، ١٠، ص١٢٤، وكل مجبر يقال له رداد، انظر: ابن منظور: لسان العرب، ٣، ص١٧٥

(١٧٦) النويرى : نهاية الأرب ، ٩ ، ص٢٢٦

(١٧٧) النويرى: نهاية الأرب ، ٩ ، ص٢٢٠

(١٧٨) على بن داود الرسولى: الأقوال الكافية؛ ص٩٨

(١٧٩) على بن داود الرسولى: الأقوال الكافية، ص٢٧٥

(١٨٠) على بن داود : الأقوال الكافية ، ص٢٨١

(١٨١) على بن داود : الأقوال الكافية ، ص٢٨٣

(١٨٢) عن الكيانات السياسية والمذهبية التى حكمت عدن من الفتح الإسلامى حتى الدولة الطاهرية، راجع : عبد الرحمن بشير ، من تاريخ اليمن ، ص٨٣-٩١

(١٨٣) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص٤٠

(١٨٤) ابن فضل الله العمرى، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، http://www.almeshkat.net/books/search

(١٨٥) مكتبة المشاة الإسلامية ، ص١١

(186) Simon Digby, The maritime trade of India, in The Cambridge Economic History of India, 1200-1750. Edited by Tapun Raychaudhuri, Cambridge University 1982,p148

(١٨٧) هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ترجمة : أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٩١م ،٢، ص٣٧٧، ٣٧٨

(١٨٨) العمرى، مسالك الأبصار، ص١١

(١٨٩) عبد الرحمن بشير : من تاريخ اليمن ، ص١٢٦ والهامش

(190) Simon Digby, The maritime trade of India, p.154.

(١٩١) يصف شاعر الدولة العفيف بن جعفر قدوم الملك المؤيد إلى عدن فى موسم بيع الخيل : وافى إلى عدن كمقدم جده سيف بن ذى يزن الكريم أصولا ، راجع : عبد المجيد اليمانى ، بهجة الزمن ، ص٢٠٠

(١٩٢) العمرى، مسالك الأبصار، ص٩ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥، ص٧٧

(١٩٣) الخزرجى، العسجد المسبوك، ص٧٩

(١٩٤) على بن داود الرسولى: الأقوال الكافية، ص٣٦٢

(١٩٥) على بن داود الرسولى: الأقوال الكافية، ص١٣٨

(١٩٦) عن صفات الخيل المكروهة فى الهند، على بن داود الرسولى، **الأقوال الكافية**،ص١٤٠-١٤١؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ٢، ص٣٢.

(١٩٧) عبد المجيد اليمانى : بهجة الزمن ، ص١٩٩

(١٩٨) بعد أن تنافس التجار الهنود على فرس فيها الصفات التى يحبونها قال لهم تجار عدن : إنَّ من " خصائص هذا الفرس أنَّ الملك إذا ارتبطه عاش فى ملكه مائة سنة، لا يهرم ولا يغتم ولا يمرض" ، ولمَّا رجعوا به إلى الهند بشروا به ملكهم الذى خرج ليتفحصه ، فوضع يده على كفله فرفسه الفرس، فمات فى ساعته ، على بن داود الرسولى: **الأقوال الكافية**،ص١٤١

(١٩٩) ابن المجاور: المستبصر،ص١٤١

(٢٠٠) المستبصر، ص١٤٤،١٤٥

(201) Simon Digby, The maritime trade of India, p.126

(٢٠٢) شوقى ضيف : العصر الجاهلى ، دار المعارف ، القاهرة، ط تاسعة ، ص٣٦٦

(٢٠٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٥ص٢٠٠

(٢٠٤) محمود حسن أبو ناجى : شعراء العرب الفرسان ، ص٣٣

(٢٠٥) محمود حسن أبو ناجى : شعراء العرب الفرسان ، ص٣٥

(٢٠٦) عن أخلاق الفرسان وبعض الأشعار التى وصفتها ، راجع ، محمود حسن أبو ناجى ، شعراء العرب الفرسان ، ص٤٤-٤٨

(٢٠٧) عبد المجيد اليمانى ، بهجة الزمن ، ص٢٦٠

(٢٠٨) أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق حسن السندوبى، دار المعارف، تونس ١٩٩٠م، ٣، ص١٨

(٢٠٩) على سبيل المثال راجع ، يحيى بن الحسين ، أنباء الزمن ، ص١٧ ، ٢٦

(٢١٠) الواقدى: فتوح الشام ١ص٦،٧

(٢١١) الطبرى ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ ، ٢، ص٤١٨

(٢١٢) يقول قيس :

جلبنا الخيل من صنعاء تردى   بكل مذحج كالليث سامي

إلى وادى القرى لديار كلب   إلى اليرموك فالبلد الشامى

انظر: البكرى: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ، ٤ص١٣٩٣، محمد أحمد سلامة، الخيل والفروسية، ص٩٩

(٢١٣) محمد حسين فرح : اليمن فى تاريخ ابن خلدون، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ٢٠٠١م،ص٣٤٨، هامش ٢٠٣

(٢١٤) مجهول ، الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق :سهيل زكار ، عبد القادر زمامة، دار الرشاد، الدار البيضاء ، ص٩٦

(٢١٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٦، ص١٠٨ ، وقيل فيه .... سيف عمرو وكان فيما سمعنا خير ما أغمدت عليه الجفون ... للمزيد راجع ، ابن خلكان ، نفسه ، ٦، ص١٠٩

(٢١٦) الواقدى، فتوح الشام، ١، ص١٩٤

(٢١٧) حمود الدغيشى : الخيل فى الشعر الجاهلى ، ص١٠٢

(٢١٨) على بن داود الرسولى: الأقوال الكافية، ص١٩٥

(٢١٩) فكأنما نتجت قياما تحتهم   وكأنما ولدوا على صهواتها .

راجع: تاريخ اليمن، ص١٢١، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص٢٩٩

(٢٢٠) محمود حسن أبو ناجى ، شعراء العرب الفرسان ،ص٢٢٩

(٢٢١) ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ٧، ص٤٥،٤٦

(٢٢٢) جواد على: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، مكتبة الحياة ، بيروت،١٩٦٦م ، ٥، ص٣٩١

(٢٢٣) محمود حسن أبو ناجى : شعراء العرب الفرسان ، ص٢٢٨

(٢٢٤) الذهبى ،: سير أعلام النبلاء ، ٤، ص٦٤-٦٥ ، ٦٧

(٢٢٥) الهمدانى: الإكليل، ١٠ص٩٦

(٢٢٦) عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ٩٤

(٢٢٧) عبد المجيد اليمانى : بهجة الزمن ، ص٨٣

(٢٢٨) الهمدانى: الإكليل، ١٠، ص٩٠ ؛ يبدو أن قبيلة همدان كانت لها الشهرة فى الفروسية، وفى تجهيز الخيل للحرب حيث يقول مالك بن ملالة بن أرحب سيد همدان ؛ وأنا ابن همدان الذين همهم بدعوا السروج وشلوا كل لجام ؛ انظر: المصدر نفسه، ص١٥٤

(٢٢٩) عمارة اليمنى، تاريخ اليمن،ص ١١٦ ؛ واحلاس مفردها حلس وهى كساء رقيق يكون تحت البردعة (ابن منظور، لسان العرب،٦ص٥٤)، أى أنهم ملازمون للخيل كما يلازم الحلس الفرس، (ابن كثير، البداية والنهاية، ٨، ص٢٤٤، والعبارة تعنى أنهم ملتصقون بخيولهم على أتم الاستعداد للحرب، ويورد ابن كثير عن ذلك محادثة بين معاوية بن أبى سفيان والضحاك بن قيس، حيث قال الأخير لمعاوية " نحن أحلاس الخيل، فقال معاوية : صدقت أنتم أحلاسها، ونحن فرسانها "، والقول فيه تورية من معاوية، أى أنتم راضة وساسة الخيل، ونحن فرسانها، راجع: البداية والنهاية، ٨، ص٢٤٤

(٢٣٠) الزمخشرى، محمود بن عمر، الفائق فى غريب الحديث، تحقيق محمد البجاوى، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢ دار المعرفة، لبنان، ٣ص١٠٨، وأمراس جمع مرس بكسر الراء، وهو الشديد الذى مارس الأمور وجربها، أبن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقى المصرى، لسان العرب، دار صادر، بيروت،١٠ص٤٨٨، ويستشهد أبن منظور بنفس الحديث للتعريف بكلمة أمراس، وأحماس مفردها الحمس من الحماسة والمنع والمحاربة، ابن منظور: نفسه، ٦، ص٥٧، الأنبوب ما بين العقدتين فى القصب والقناة، وأنبوب القصبة والرمح كعبهما، ابن منظور: نفسه، ١، ص٧٤٧

(231) Irfan Shahid, Byzantium and the Arabs p.178

(٢٣٢) عبد المجيد اليمانى : بهجة الزمن ، ص١٠٠

(٢٣٣) محمد أحمد سلامة: الخيل والفروسية، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٢م،ص١٠٨

(٢٣٤) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن فى أخبار اليمن، صححه ووضع حواشيه محمد عبد الله ماضى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص٣١

(٢٣٥) النويرى ، نهاية الأرب ، ٩ ، ص٢٢٦

(٢٣٦) القلقشندى، صبح الأعشى، ١٠، ص٢٢٥، ٢٣٧

(٢٣٧) على بن داود الرسولى: الأقوال الكافية، ص٢٢٠

(٢٣٨) على بن داود الرسولى: الأقوال الكافية، ص٢١٨

(٢٣٩) عبد الرحمن بكر كباوى : حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية "وادى الدواسر - نجران" ، ص٤٨ ، حمود الدغيشى ، الخيل فى الشعر الجاهلى ، ص٢٠

(٢٤٠) حمود الدغيشى : الخيل فى الشعر الجاهلى ، ص٢٣

(٢٤١) صبح الأعشى : ١، ص٤٤٨

(٢٤٢) عبد المجيد اليمانى : بهجة الزمن ، ص٩٤

(٢٤٣) البكرى : معجم ما استعجم ، ٣ ، ص٧٥٢

(٢٤٤) عبد المجيد اليمانى : بهجة الزمن ، ص٦١

(٢٤٥) عبد المجيد اليمانى : بهجة الزمن ،ص٦٦ ، يذكر الكاتب أنه أستولى على مائتى فرس لعبس ، لكن يبدو أنها لعنس أحدى بطون مذحج التى اشتهرت بتربية الخيل

(٢٤٦) عبد المجيد اليمانى ، بهجة الزمن ، ص ٦٤- ٦٥

(٢٤٧) عمارة اليمنى، تاريخ اليمن، ص٩٤

(٢٤٨) عمارة اليمنى، تاريخ ليمن، ص٣٧ ؛ ابن المجاور، المستبصر،ص٦٧، ابن الديبع، بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد، ص٣٩ ، عبد المجيد اليمانى ، بهجة الزمن ، ص٣٨

(٢٤٩) ابن المجاور: المستبصر، ص٧٨

(٢٥٠) عمارة اليمنى: تاريخ اليمن، ص١٢٧

(٢٥١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ١١ص٤٢٦

(٢٥٢) عبد المجيد اليمانى : بهجة الزمن ، ص٢٠٦

(٢٥٣) عبد المجيد اليمانى : بهجة الزمن ، ص٢٠٧

(٢٥٤) عبد المجيد اليمانى: بهجة الزمن ، ص٢٦٠

(٢٥٥) على بن داود الرسولى: الأقوال الكافية، ص١٩٦

(٢٥٦) على بن داود الرسولى : الأقوال الكافية ، ص١٩٦

(٢٥٧) ابن المجاور: المستبصر ،ص٥١

(٢٥٨) على بن داود الرسولى: الأقوال الكافية، ص٢٠٣

(٢٥٩) القعيطى : ملامح عن تاريخ حضرموت ، ص١٩-٢٠

(٢٦٠) النويرى : نهاية الأرب ، ٩ ص٢٣٠

(٢٦١) ابن جزى الكلبى: عبد الله بن محمد بن جزى الكلبى الغرناطى، كتاب الخيل مطلع اليمن والإقبال فى انتقاء كتاب الاحتفال، تحقيق، محمد العربى الخطابى، دار الغرب، بيروت، ١٩٨٦م، ص٨٩

(٢٦٢) عصام الدين عبد الرءوف: اليمن فى ظل الإسلام، ص٣٠٥

(٢٦٣) ابن الديبع الزبيدى: الفضل المزيد على بغية المستفيد فى أخبار زبيد، تحقيق: محمد عيسى صالحية، الكويت ١٩٨٢م،ص٧٢،٧٣

(٢٦٤) على بن داود الرسولى: الأقوال الكافية،ص٢٠٦

(٢٦٥) على بن داود الرسولى : الأقوال الكافية ، ص١٧٨

(٢٦٦) على بن داود الرسولى: الأقوال الكافية،ص٢٠٦، ٢٠٧

(٢٦٧) على بن داود الرسولى: الأقوال الكافية،ص٢٠٦، ٢٠٧

(٢٦٨) على بن داود الرسولى: الأقوال الكافية، ص٢٢٠-٢٢٢

(٢٦٩) حمود الدغيشى : الخيل فى الشعر الجاهلى ، ص١٣٩-١٤٠

(٢٧٠) على بن داود الرسولى: الأقوال الكافية، ص٢٠٩ ، النويرى ، نهاية الأرب ، ٩، ص٢٣٢

(٢٧١) على بن داود الرسولى: الأقوال الكافية، ص٣٤١

(٢٧٢) عبد الرحمن بكر كباوى ، حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية "وادى الدواسر - نجران" ص٤٨

(٢٧٣) الزبيدى: الإمام الحافظ تقى الدين أبى العباس حمزة بن عبد الله الناشرى اليمنى، انتهاز الفرص فى الصيد والقنص، تحقيق، عبد الله محمد الحبشى، الدار اليمنية، ١٩٨٥م،ص٩٠

(٢٧٤) امرؤ القيس الذى كان شاعر معروف من أشهر فرسان قبيلة كندة ، واحد من أشهر شعراء الجاهلية . فى عام ٥٤٠ م حطم المناذرة جمع القرى والمستوطنات الكندية فى نجد لإجبارهم على الرجوع إلى موطنهم فى حضرموت، لكنهم فضلوا التحالف مع المناذرة ، راجع : القعيطى: تأملات عن تاريخ حضرموت ، ص١٥؛ حمود الدغيشى : الخيل فى الشعر الجاهلى ، ص١١٦.

(٢٧٥) على بن داود الرسولى : الأقوال الكافية ، ص٣٤٥

(٢٧٦) فأرسلنا ربئتنا فأوفى فقال : ألا أولى خمس رتوع ... راجع ، حمود الدغيشى ، الخيل فى الشعر الجاهلى ،ص١٢٥

(٢٧٧) حمود الدغيشى: الخيل فى الشعر الجاهلى ، ص١٢٥

(٢٧٨) حمود الدغيشى : الخيل فى الشعر الجاهلى ، ص١٢٧، ١٣٠-١٣١، ١٦٧

(٢٧٩) لويس موزل : الخيل عند عرب الرولة ، ص١٣

(٢٨٠) عبد المجيد اليمانى: بهجة الزمن ، ص٢٠٤

(٢٨١) على بن داود الرسولى: الأقوال الكافية، ص ٣٥٧

(٢٨٢)فى سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م فى محاولة استعادة الإمام الهادى صنعاء وهزيمته من آل طريف أسر ولده محمد "، ودخلوا به إلى صنعاء على بغلة ، وطافوا به الأسواق " راجع ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن فى أخبار اليمن ، تحقيق : محمد عبد الله ماضى ، مكتبة الثقافة الدينية ، ص٣٦

(٢٨٣) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ٥، ص٣٧٥-٣٧٦

(٢٨٤) على بن داود الرسولى: الأقوال الكافية، ص٣٤٦،٣٤٧

(٢٨٥) على بن داود الرسولى، الأقوال الكافية،ص٣٤٨

(٢٨٦) الصولجان عصا معقوفة يضرب بها الكرة على الدواب (ابن منظـور: لسان العـرب، ٢، ص٣١٠)، وقد ذكرها الطبرى فى معرض حديثه عن الصراع بين الإسكندر الأكبر ودارا الملك الفارسى (تاريخ الطبرى، ١ص٣٣٧)

(٢٨٧) على بن داود الرسولى، لأقوال الكافية، ص٣٤٥

(٢٨٨) التهليب هنا بمعنى قص شعر الذنب، راجع، ابن منظور، لسان العرب، ١، ص٧٨٦

(٢٨٩) الخزرجى: على بن حسن، العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح وتنقـيح محمـد بسيونى عسل، القاهرة، ١٩١٤م،١ص ٤٢

(٢٩٠) أبو داود: سنن أبو داود، كتاب الجهاد، باب فى كراهة جز نواصى الخيل وأذنابها، ٣، ص٢٢، حديث رقم (٢٥٤٢)

(٢٩١)بهجة الزمن ، ص٢٢٢

(٢٩٢) عبد المجيد اليمانى : بهجة الزمن ، ص٢٦٨

المصادر والمراجع

أولا : المصادر

- البكري، أبوعبيد البكرى الأندلسي(ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق:مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣هـ
- البلاذرى،أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ
- البيطار، أبو بكر بن بدر الدين البيطار، كامل الصناعتين، تحقيق: عبد الرحمن الدقاق، دار النفائس، بيروت، ١٩٩١م
- تاج الدين عبد الباقى عبد المجيد اليمانى (ت٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م): بهجة الزمن فى تاريخ اليمن، تحقيق : عبد الله محمد الحبشي، محمد أحمد السنباني، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ١٩٨٨م
- الترمذى، أبو عيسى محمد (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م): سنن الترمذى، كتاب الجهاد، باب ما يستحب من الخيل
- الجاحظ، أبو عثمان الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق حسن السندوبى، دار المعارف، تونس، ١٩٩٠م
- ابن جزى الكلبى، عبد الله بن محمد بن جزى الكلبى الغرناطى (ت القرن الثامن الهجري)، كتاب الخيل مطلع اليمن والإقبال فى انتقاء كتاب الاحتفال، تحقيق، محمد العربى الخطابى، دار الغرب، بيروت ١٩٨٦م،
- ابن حيان الأصبهاني، عبد الله بن محمد بن جعفر(ت٣٦٩هـ/٩٧٩م)، العظمة، تحقيق: رضاء الله محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض١٤٠٨هـ
- الخزرجى، أبو الحسن على بن حسن الخزرجى (ت ٨١٢هـ/١٤١٠م، اليمن فى عهد الولاة، الفصول الخمسة الأول من الباب الرابع من كتاب الكفاية

والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من ملوك الإسلام، تحقيق : راضي دغفوس، الكراسات التونسية، الجزء ٢٧، رقم ١٠٧-١٠٨ لسنة ١٩٧٩م

- ــــــــــــ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح وتنقيح محمد بسيوني عسل، القاهرة ١٩١٤م
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق : إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م): سنن أبو داود، كتاب الجهاد، باب في ما يستحب من ألوان الخيل، حققه، محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار الفكر
- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي بن عمر ت٩٤٤هـ/١٥٣٧م، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق، عبدالله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٧٩م
- ــــــــــــ، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد، تحقيق،: محمد عيسى صالحية، الكويت ١٩٨٢م
- الذهبي، أبو عبد الله أحمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب أرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ
- الرازي، أحمد بن عبد الله الصنعاني (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م): تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين عبد الله العمري، عبد الجبار زكار، صنعاء، ١٩٧٤م
- الزبيدي، الإمام الحافظ تقي الدين أبي العباس حمزة بن عبد الله الناشري اليمني، انتهاز الفرص في الصيد والقنص، تحقيق، عبد الله محمد الحبشي، الدار اليمنية ١٩٨٥م
- الزمخشري، محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢ دار المعرفة لبنان

- الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ
- الأعرابي، أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابى: كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها، تحقيق: جرجس لوى دلا ويدا، ليدن ١٩٢٨م
- على بن داود بن يوسف بن عمر بن رسول الملك المجاهد (٧٠٦-٧٦٤هـ/١٣٠٦-١٣٦٢م)، الأقوال الكافية والفصول الشافية فى الخيل، تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م
- عمارة اليمنى، نجم الدين عمارة بن أبى الحسن على الحكمى (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م): تاريخ اليمن، تحقيق:حسن سليمان محمود، القاهرة
- الغندجاني، الأسود: أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها، تحقيق: محمد على سلطان، مؤسسة الرسالة، دمشق
- ابن فضل الله العمرى من كتاب القرن السابع الهجرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، http://www.almeshkat.net/books/search ، مكتبة المشاة الإسلامية،
- القلقشندي، أحمد بن على (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، تحقيق : يوسف على الطويل، دار الفكر، دمشق ١٩٨٧م
- ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) : البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت
- ابن الكلبى، أبى المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى، كتاب أنساب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها، تحقيق : أحمد زكي، دار الكتب، ١٩٤٦م
- ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتوح يوسف الدمشقى (ت ٦٩٠هـ/١٢٩١م): صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تأريخ المستبصر، تصحيح: أمسكر لوفجرين، ليدن، ١٩٥١م

- مجهول: الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق :سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد، الدار البيضاء

- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقى المصرى (ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، دار صادر، بيروت

- النجاتى المحمدي، كتاب فتوح اليمن المعروف برأس الغول، طبع مطبعة المنار – تونس

- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب فى فنون الأدب،دار الكتب العلمية تحقيق: مفيد قميحة، ط أولى، بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م

- الهمدانى، لسان اليمن محمد الحسن بن أحمد يعقوب (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م): الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق:محمد بن على بن الحسين الأكوع، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء ١٩٩٠م

- ———— صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن الأكوع، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٧م

- الواقدى، أبو عمر عبد الله بن عمر: فتوح الشام، دار الجيل، بيروت بدون

- ياقوت، أبو عبد الله الحموى (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت

- يحيى بن الحسين (ت١١٠٠هـ/١٦٨٩م): غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى، تحقيق، سعيد عبد الفتاح عاشور،محمد مصطفى زيادة، دار الكاتب العربي، القاهرة١٩٦٨م

- يحيى بن الحسين، أنباء الزمن فى أخبار اليمن، صححه ووضع حواشيه: محمد عبد الله ماضى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة

ثانيا المراجع العربية:

- أحمد جابر عفيف، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ١٩٩٢م
- أحمد شرف الدين، دراسات فى أنساب قبائل اليمن، ١٩٨٠م
- آمنة إبراهيم أبو حجر، موسوعة المدن العربية، ٢٠٠٢م
- جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، مكتبة الحياة، بيروت١٩٦٦م .
- حمود الدغيشي، الخيل فى الشعر الجاهلي، دار جرير، عمان الأردن، ٢٠٠٧م
- شوقى ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط تاسعة .
- عصام الدين عبد الرءوف، اليمن فى ظل الإسلام، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٢م
- عبد الرحمن بشير، من تاريخ اليمن، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٩م
- عبد الرحمن بكر كباوي، حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية " وادى الدواسر - نجران " ١٤١١هـ/١٩٩٠م، مجلة أطلال السعودية، العدد١٤ السنة ١٩٩٦م
- لويس موزل، الخيل عند عرب الرولة، ترجمة: عبد الله العلى الزيدان، الدارة، العدد ١ السنة٢٢، المحرم ١٤١٧هـ
- القعيطي، غالب بن عوض، تأملات عن تاريخ حضرموت، كنوز المعرفة، جدة، ١٩٩٦م
- محمد أحمد سلامة، الخيل والفروسية، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٢م
- محمد حسين فرح، اليمن فى تاريخ ابن خلدون، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ٢٠٠١م .

- محمود حسن أبو ناجي، شعراء العرب الفرسان فى الجاهلية وصدر الإسلام، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ١٩٨٤م
- هايد، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطي، ترجمة : أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩١م

ثالثا: المراجع الأجنبية:

- Ammon, Karl Wilhelm,Historical reports on Arab Horse breeding and the Arabian Horse, Olms,1993
- Hendricks, International encyclopedia of Horse breeds, university of Oklahoma press,1995
- Irfan Shahid, Byzantium and the Arabs in the four the century, Dumbarton Oaks, Washington,1984.
- Lothar Stork, Pferde, in (Lexikon der Agyptologie, IV) Wiesbaden 1982
- Simon Digby, The maritime trade of India, in The Cambridge Economic history of India, 1200-1750. Edited by Tapun Raychaudhuri, Cambridge university 1982
- http://www.nature.com/nature/journal/v137/n3467/abs/137608a0.html nature 137,608-608(11 April 1936)



قطوف من بستان الثقافة الليبية
بين العصرين العثمانى و الإيطالي

د/ زينب الجابرى

مــقــدمــة

من المعروف أن الرعيل الأول فى أية دولة، وخصوصا فى الدول العربية، أعطى الكثير والكثير للثقافة وللحضارة الإنسانية – ونحن بصدد الحديث عن ليبيا، يقدم هذا البحث بعض الشخصيات فى مجالات مختلفة أدبية كانــت أم تاريخيــة أم ثقافية أم اجتماعية أم سياسية، وحتى فى مجال الحرب فى ميدان المعركــة هنــاك شخصيات متعددة تركت بصماتها على مضمون المقاومة الليبيــة ضــد موجــات الاحتلال التى تعرضت لها البلاد ونخص بالذكر الاحتلال الإيطالي، ومن ســردنا لتلك الشخصيات تستطيع أنت يا عزيزى القارئ أن تضع كل شخصية فى ميزانها ومعيارها الحق .

أهدى هذا البحث للشباب العربى فى كــل مكــان ليتــوخى خطــوات تلــك الشخصيات التى عملت بالقدر المستطاع على أن تجعل من ليبيا دولة على الخارطة الإنسانية، أريد من هؤلاء الشباب أن يترسموا خطى وأعمال تلــك الشخــصيات، ويستوعبوا تاريخها، وما قامت به .

أتوجه بجزيل الشكر لكل من أسهم فى إخراج هذا البحث إلى حيز الــضوء، وأخص بالشكر الأستاذ "سلامة" بمعهد البحوث الأفريقية بجامعة القــاهرة، وكــذلك مركز "دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي" بطرابلس الغرب بليبيا، كما أشكر الله بداية وختاما فهو وحده ولى التوفيق .

تمهيد:

أثمرت البيئة الليبية العديد من المثقفين الذين أسهموا فى إقامة المؤسسات الثقافية فى جميع مجالات الثقافة من تعليم وصحافة وأدب وفن ونظام قضائي، ولعل مرجع ذلك يعزى إلى أسباب كثيرة منها : أن ليبيا بمدنها الساحلية ومناطقها الصحراوية كانت تعد طرقا تجارية شهيرة ـ شهد بها المعاصرون خلال قرون متتالية سابقة على القرن العشرين، ذلك ان تلك الطرق التجارية بالإضافة إلى إسهامها فى نقل السلع التجارية كانت تسهم أيضا فى نقل الثقافة الليبية تصديرا، وتنقل إلى ليبيا ثقافات الأقطار المستوردة للسلع التجارية الليبية، أى أنه كانت هناك حركة تبادل سواء للسلع التجارية وأيضا للثقافات، الأمر الذى جعل تلك الطرق التجارية الليبية تعج بالزخم الثقافى فى شتى المجالات، كذلك فإن فريق المنفيين الذى أم طرابلس فى العصر العثماني، ذلك الفريق الذى كان يتألف من المغضوب عليهم خلال ذلك العصر كون أفراده روحا ثقافية أفادت البلاد الليبية فائدة جمة، أجل لقد أحب هؤلاء الأشخاص البيئة الليبية وألفوها، فصنعوا منها حقولا ثقافية أثمرت وأينعت ثمارا وينعا أفاد البلاد الليبية فائدة امتدت عبر عصور تالية، وفضلا عن ذلك حب الليبيين للثقافة، فقد أخذوا على عاتقهم بناء المدارس وتأسيس المؤسسات الصحفية، بل كان من بين رجال القبائل الليبية علماء شهيرون أثروا البلاد ثراء ملحوظا سواء كان ذلك فى كتاباتهم فى حقل التصوف والأدب الصوفى والتاريخ وعلوم اللغة وغيرها، كل تلك الأسباب وغيرها جعلت الليبيين يعتنقون شعار (اخدم نفسك بنفسك)، وكان ذلك شعارا ومبدأ عبر العصور، وفى ظل الأزمات التى سادت موجات الاحتلال للبلدان الليبية، وقد كان فى مقدمة المساهمين فى بناء المؤسسات الثقافية فئة التجار، ثم لا ننسى المعلمين الذين قاموا بالعملية التعليمية دون مقابل مادى ثم ايضا الصحفيين الذين ساروا على نفس النهج، وتتابع المثقفون الليبيون سيرا على نفس الدرب مما جعل البيئة الليبية بحق تعطى للثقافة والحضارة الإنسانية الكثير والكثير فى ظل أحلك الظروف وأبسط الإمكانات.

أبو إسحق الإجدابى الأديب المؤلف

هو أحد علماء اللغة، ولد بطرابلس، وقد تسارع الكثيرون على مؤلفاته فى

علوم اللغة، وهو من الرعيل الأول الذى سبقت الإشارة إليه، والذى أعطى لبلاده ليبيا الكثير والكثير فى مجال الثقافة والحضارة الإنسانية، وارتقى بشأنها ليجعلها فى مصاف الدول المعطاءه فى سخاء سواء بفضل ذلك العالم أو سواه من أبناء ذلك الرعيل.

وتجدر الإشارة الى أن شتى المدن الليبية أثمرت وأنجبت الكثيرين ممن أثروا الثقافة والحضارة العربية، ونحن عند حديثنا عن هذا العالم نكون بصدد الحديث عن مدينة "أجدابيا" التى ينتمى إليها؛ فهى مدينة فى جوف الصحراء تبعد عن طرابلس العاصمة الليبية بنحو ٩٠٠ كم بها، الكثير من الآثار الإغريقية والرومانية سواء فى شكل قصور أو أبنية، وقد عرفت "أجدابيا" بأنها موئل لمن يقصد المشرق والمغرب، أى أنها تعد همزة وصل -ولو بشكل معنوى حسى- بين بلدان المشرق وبلدان المغرب، إرتادها بعض الرحالة مثل "البكري" الذى يقول عنها (أرضها حجرية، وبها عين عذبة، ونخيل وبساتين، كانت معسكرا لجنود الإغريق والرومان، وكان بها ميناء عرف بالمحور يبعد عن مدينة "أجدابيا" حوالى ١٨ ميلا، أما عن مناخها فيستطرد البكرى قائلا : رياحها شديدة كانت تأخذ الناس بمنازلهم[١].

وهناك رحالة آخر هو "أبو سالم العيشي" الذى يقول عن مدينة أجدابيا : (إنها بنيت منذ ٣٠٠ سنة هجرية، بها زوايا ومساجد لدراسة أصول الفقه والتشريع)، هذا عن أجدابيا موطنه وبيئة جذوره.

أما عن نشأة "أبو إسحق الإجدابي" فقد ولد ونشأ بطرابلس، ولم يرحل عنها مطلقا، وقد اختار علوم اللغة وشملها بالدراسة والتمحيص فى أصولها طوال حياته. وجدير بالاهتمام والملاحظة أنه لم يكن أستاذا يلقى الدروس على الطلاب فحسب، بل كانت له مساجلات ومناظرات اضطلع بها الباحثون والدارسون إبان ذلك العصر، كذلك احتوت المكتبات الطرابلسية على العديد من مؤلفاته لعل فى مقدمتها كتابه (كفاية المتحفظ) الذى يمكن اعتباره كتيبا بلغة عصرنا الحاضر، بيد أنه رغم صغر حجمه احتوى غزارة المادة العلمية فى أصول اللغة، كما يدل على رحابة أفق هذا العالم فى البحث والتعمق الشديد، كما أنه يعد مصدرا ومرجعا أساسيا مهما

استعان به بعض العلماء المتخصصين فى علوم اللغة من أمثال "كمال الدين الدميري" صاحب كتاب (الحيوان)، وكذلك "أحمد الفيومي" صاحب كتاب (مختار الصحاح)، وذلك ما سقناه على سبيل المثال لا الحصر.

هذا وقد استعين بهذا المؤلف من قبل أصحاب المعاجم اللغوية سواء من بلاد المشرق أم بلاد المغرب على السواء، وللأجدابى أيضا العديد من الرسائل العلمية مثل : رسالته فى فن تجويد القرآن الكريم، ثم رسالته بعنوان (ما آخره ياء من الأسماء المعتلة)، والتى ساق فيها أمثلة كثيرة من الأسماء المنتهية بحرف الياء مثل: (علي، وفي، هنى وغيرها) حيث يقول فى هذه الرسالة عن ذلك مسترشدا ببعض الآيات القرآنية (إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبارا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام عليا يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) (٢) وقام بشرح تلك الآيات من حيث إنهائها بخرف الياء شرحا مستفيضا يدل على سعة الإدراك، وإرهاف السمع والحس مستنبطا منها قواعد الصرف فى اللغة، وله أيضا رسالة فى علم الأنساب، وتسلسل القبائل وفروعها بعنوان (فن الأنساب) ذلك الفن الذى كانت له مكانة عالية ومرموقة فى عصور خلت، وقد استقى "عبد الله بن الزبير" من تلك الرسالة الكثير من المادة العلمية لكتابه (نسب قريش). كما ألف الأجدابى كذلك فى علم الجغرافيا واصفا الرياح والأمطار، وقد ضمنها كتابه بعنوان(الأنواء)، تلك المؤلفات وغيرها لها قيمتها ومكانتها العلمية التى تضفى على مؤلفها نفس القيمة والمكانة رغم أنها قد اندثرت فيما عدا كتابه (كفاية المتحفظ)، وهذا المؤلف جدير بنقل صورة ذاتية عن هذا العالم الذى يعد بعلمه ومؤلفاته تراثا فاخرا لمدينة طرابلس من جهة، وفخرا للحضارة والثقافة العربية والإسلامية من جهة أخرى، وقد وصفه معاصروه بأنه جيد الخط أجل، وقد تحدثت المصادر باستفاضة عن هذا .

أما عن صفاته الشخصية وخلقه فنستقيه من حديث الرحالة "أبوذكري" حيث يقول ما مؤداه : (كان الأجدابى طليق اللسان كريما جوادا ما إن سمع بأحد يرتاد طرابلس إلا ويسرع مبادرا بإكرامه والإغداق عليه، كما كان مجالسا للأعيان وعلية القوم)

وكان موقع منزله بالقرب من مسجد أحمد باشا، ولا ننسى أن نذكر من بين رسائله رسالة بعنوان (الحول) . أما عن سبب عدم رحيله من طرابلس فتذكر المصادر أن ذلك يرجع إلى أمرين رئيسيين؛ أولهما عظم صيته وشهرته العلمية بها، وثانيهما اعتزازه بمجتمعه القبلى ومدلول ذلك أنه سئل يوما عن عدم رحيله عن طرابلس ليفيض بعلمه على أى مكان، فكانت إجابته مفاخرا : لقد اكتسبت العلم من "هوارة" و"زناتة" أى من مجتمعه القبلي.

وقد دفن الأجدابى بمنطقة باب البحر، وذكر أحد الرحالة قبره بأنه مزارا للكثيرين، وهذا الرحالة هو "التيجاني".

أما عن ميلاده فلم تذكر المصادر أكثر من أنه ولد خلال القرن السابع الهجرى دون ذكر تاريخ ميلاده أو تارخ وفاته.

بشــيــر الســعــداوي

ينتمى السعداوى إلى قبيلة الزهور إحدى فروع قبيلة بنى الأغلب، وهى التى نسب إليها خلال العصور الماضية، وهى من تأسيس دولة الأغالبة التى حكمت بلاد المغرب العربى خلال القرن التاسع الميلادى /السادس الهجري. وكانت دولة الأغالبة إلى جانب دورها السياسى فى تاريخ المغرب العربى أحد أفرع العلم والثقافة فى ليبيا ضمن بلاد المغرب العربى؛ فكان منها العلماء الأجلاء، وقادة الفكر الذين ذاع صيتهم خلال تاريخ هذه المنطقة، فتذكر المصادر التاريخية العالم "أبا محمد بن عبد السلام بن الأغلب" الذى كان من أقطاب علم التصوف، والذى ولى القضاء بمنطقة مصراتة فى ليبيا ردحا من الزمن، كذلك كان "إبراهيم السعداوي" الجد الأكبر لـــ"بشير السعداوي" أحد الكتبة فى الدولة القرمانلية، وقد خلف مكتبة زاخرة بأمهات الكتب فى علوم التصوف والتاريخ والأدب.

وفى هذا البيت، وفى هذه البيئة، ووسط هذا الزخم الثقافى نشأ "بشير السعداوي" الذى ولد حوالى عام ١٨٨٤ ميلادية فى بيت عرف ببيت الســعــداوى، وكانت المكتبة التى خلفها جده منهلا له منذ نعومة أظفاره، تلقى السعداوى تعليمه الأول بمنطقة (سرت)، وكانت العلوم حين ذاك هى العلوم الدينية، وفى عام ١٨٩٧ ميلادية التحق الســعــداوى بإحدى الزوايا السنوسية التى كانت منتشرة بمنطقة

المغرب العربى وما حولها، والتى كان لها أثرها البالغ على مواطنى تلك المنطقة، فهناك مقولة ملحوظة وملموسة مؤداها (المرء لا يستطيع فهم أى مواطن من مواطنى تلك المنطقة إلا من خلال الزوايا، فلكل مجتمع طابعه الخاص). [٣]

عاش السعداوى تلك الفترة بكل ما فيها، ومن أبرز مظاهرها بعض مظاهر الفساد التى عمت بلاد المشرق العربى عامة وبلاد المغرب العربى خاصة، تلك الفترة التى سبقت صدور الدستور العثماني، أجل لقد أستشرى الفساد وذلك العصر كأعم ما يكون، إذ تخبرنا المصادر التاريخية أنه كان ببلاد المغرب العربى عامة، وفى ليبيا بوجه خاص مجلس يدعى (مجلس إدارة المتصرفة)، وكان أعضاؤه من الموالين للسلطة، والذين كان لا يعنيهم إلا مصالحهم الخاصة فى المقام الأول، والذين كان سعيهم حثيثا بإخضاع الرعية بأساليب البطش والقهر لإرادة هذا المجلس إلى حد أنه كان لا يوقع على المقترف لأية جريمة مثل القتل أو السرقة أية عقوبات، بل إن أعضاء هذا المجلس كان يحل لهم الاستيلاء على الدية من القبيلة التى ينتمى إليها القاتل أو السارق، وتجبر وترغم القبيلة المعتدى عليها على إتمام الصلح تحت أساليب القهر والبطش والجبروت، كذلك كان يقوم هذا المجلس بجباية الضرائب قبل الموعد المقرر، وتقول المصادر التاريخية إنه فى تلك الأثناء شكلت جمعية (تركيا الفتاة – Jenue Torque) بقيادة "أنور باشا" الضابط التركى، والتى إنضم اليها فى تلك الأثناء "بشير السعداوي"، والذى لم يكن قائم مقام (سرت) راضيا عنه، وحتى عن هذه الجمعية، إذ أنه كان يرى فى هذه الجمعية توعية للمواطنين بما يجب عليهم إزاء السلطة. لقد كانت جمعية سياسية بشتى المقاييس، ولكن القائم مقام المذكور كان يرى أن هدفها قلب نظام الحكم للتخلص من الإستبداد الحميدي[٤]، ولكن السعداوى إستطاع أن يتحدى القائم مقام مما حدا بالأخير إلى إيداعه السجن لمدة عام كامل، غير أن هذا لم يفت فى عضد السعداوى الذى استطاع أن يكمل دراسته بالسجن، إذ عكف على قراءة أمهات الكتب فى التاريخ الإسلامى والتصوف وغيرها من أصول العلوم، فقد أخذ ينهل من تلك الأصول مثل (مروج الذهب للمسعودي، وتاريخ غزوات الرسول ﷺ وغيرها ..)، وبمقتضى ذلك وعى السعداوى دروس التاريخ جيدا، وكأنما كان القدر يعده لكى يلعب دورا رئيسيا

ومشهودا فى قضايا بلاده خلال ذلك العصر، وفى تلك الأثناء أنشئت المدرسة الرشيدية بمدينة (الخمس)، والتى كان يرأسها "حقى باشا" المعلم الأكبر بها، وقد عرف "حقى باشا" بسعة الثقافة، إذ كان يتقن لغات أجنبية متعددة مثل الفرنسية والإنجليزية وكذلك الألمانية، وكان واسع الاطلاع على أمهات الكتب العربية، ومن حسن الطالع أن السعداوى صار أحد معاونى هذا المعلم بالمدرسة، وبذلك إنضم إلى معلمى المدرسة بصفة تمهيدية قبل تخرجه، وفى نهاية العام الدراسى حوالى عام ١٨٩٨ م تخرج حوالى ٢٠٠ تلميذ من بينهم السعداوى والذى أصبح أحد المعلمين، وفى ذلك العام أضيفت إلى العلوم التقليدية بالمدرسة علوم التاريخ العثمانى والجغرافيا والرياضيات، وقد حرص المعلمون بها على معاونة السعداوى على غرس الثقة بالنفس لتكون من بين المبادئ المهمة فى نفوس التلاميذ، وكان هؤلاء المعلمون يعلمون بروح الفريق بلا منافسة أومضاربة ولكن بروح التقارب والمشاركة والوئام، وكان من المأثور عن هؤلاء المعلمين بث الكثير من المبادئ، فضلا عن مبدأ الثقة بالنفس، وذلك بعبارات محببة قوية تلمس قلوب الطلبة، ومن بين تلك العبارات (أنتم طلاب علم، وعلى الطالب أن يرى نفسه أهلا لأن يقود أمته، وعلى الطالب أيضا أن يتسلح بالخلق المتين[٥]). وبما أن "بشير السعداوي" كان من ضمن الطلبة، وأيضا من فريق المعلمين فقد كان لتلك الكلمات بطبيعة الحال صداها القوى والمؤثر الذى تفشى فى روح السعداوى وجوارحه، الأمر الذى كان من أثره أن يأخذ على عاتقه العزم المعقود على قيادة بلاده، أجل فمن الغريب أن السعداوى قد أتم دراسته فى عامين ونصف بدلا من أربعة أعوام حسب منهج الدراسة .. وتذكر بعض المصادر أنه قد تخرج عام ١٩٠٤ م – ١٣٢٣ هـ، ومنحته المدرسة الإجازة، حيث توجه إلى مدرسة "العشائر" بالآستانة العاصمة التركية حينذاك، وهناك التقى بالشيخ العالم الجليل "محمد الأمين"، والذى عرف بتقربه إلى السلطان العثمانى "عبد الحميد"، كما تعرف السعداوى أيضا بالشيخ "حسن الشاعر" أحد أساتذته فى المدرسة الرشيدية حين دراسته بها، ومن البديهى أن هذين الأستاذين قد لعبا دورا مهما فى المستقبل الثقافى للسعداوى، إذ كان لهما أثرهما فى تكوينه الثقافى والفكرى، وكذلك فى الجانب العلمى من شخصيته، فهما بمثابة همزة ومسمار التزكية للسعداوى لدى الباب العالى مما أتاح له ارتقاء سلم

الترقيات بسهولة، وبعد إنهاء دراسته فى المدرسة الرشيدية عين فى وظيفة رئيس قلم بمدينة "الخمس"، ثم بعد ذلك مشرفا على جباية الأعشار بمنطقة "سرت"، ثم مشرفا على تقسيم الأرض بترهونه. وبطبيعة الحال فقد منحته تلك المناصب الإدارية القدرة على الإلمام بأمور البلاد والعباد، وأكسبته صفات القيادة الرشيدة التى ينبغى أن يتحلى بها أى قائد ناجح .. فقد عرف بالروية والحكمة فى فض المنازعات التى كانت تنشب بين حين وآخر بين القبائل أو حتى بين أفراد السلك الإدارى فى الجهات التى عمل بها، مثال ذلك الخلاف الذى نشب بين القائم مقام "عمر بن المنتصر" وأحد الموظفين بمنطقة "تورغاء"، وكان هذا الخلاف على الوسيلة التى اتبعت فى تقسيم الأراضى، فاستطاع فض هذا النزاع بحكمته وحنكته، كما كان أول من عين فى منصب مدير التحريات فى عهد الوالى "إبراهيم باشا أدهم"، فقد زكاه الوالى لدى السلطان العثماني وعليه فقد صدق له السلطان العثمانى، على هذا المنصب وذلك أمر غير مسبوق، إذ إن قرار التعيين كان يصدر عادة من قبل السلطان العثمانى رأسا، ولم يكن يصدر من قبل الوالى، وهذا دليل على معرفة السلطان العثمانى بحنكة السعداوى وحكمته، وقد ظل يشغل هذا المنصب حتى منيت البلاد بالاحتلال الإيطالى عام ١٩١١ ميلادية.

ولعل تدرجه خلال هذا السلم الوظيفى قد أتاح له عن كثب الدراية والإدراك عن وعى واقتدار وحس سياسى رفيع ناضج بمشاكل بلاده وأهلها، فنجده وقد اضطلع بهموم وطنه خلال العصرين العثمانى والإيطالي؛ ففى أثناء الاحتلال الإيطالى بدأ يبرز كسياسى مدافع عن وطنه ضد الغزوالإيطالى وذلك بالجهاد المقدس بالكلمة التى بلورت فى جوهرها إخلاصه بالكلمة الفعالة الواعية.

وقد التقى بالملك "عبد العزيز آل سعود" حين عمل مستشارا له، حيث سجلت المصادر التاريخية مواقفهما بمصر ليس بشأن القضية الليبية فحسب ولكن أيضا بشأن قضية إحتلال المشرق العربى بأسره، كما كان فى مقدمة الساسة فى التمهيد لتولى الأمير "إدريس السنوسي" فيما بعد مقاليد الأمور، وذلك لإشراك هذا الأمير وإدماجه فى قضية الجهاد المقدس، وإعداده لتولى أمور البلاد بعد التخلص من الاحتلال الإيطالى وتحرير البلاد، كذلك يعزى إلى السعداوى الفضل الأول فى

تأسيس لجنة الدفاع الطرابلسى البرقاوى والتى كانت الخطوة السابقة على تأسيس هيئة تحرير ليبيا التى إنتهت باستقلال البلاد من نير الغزوالإيطالى حتى إنه بعد مرحلة الاستقلال حاول جاهدا تضييق الفجوة التى خلقها الإستعمار بين كل من البرقاويين والطرابلسيين وذلك بتقريب وجهات النظر بين الطرفين وبث الوعى السياسى والثقافى والإخاء، وذلك من أجل حب الوطن الذى ينبغى أن يرقى فوق كل الخلافات، وبعد هذا الجهاد الطويل توفى "بشير السعداوي" حوالى عام ١٩٥١م بعد أن أرسى مبادئ الوحدة والتعاون والتفانى فى حب الوطن بين البلدان الليبية، فلا فرق هنالك بين برقاوى وطرابلسى، ولا بين السواحل والدواخل، وذلك بفضل ما تمتع به من مرونة وحزم فى آن واحد، وكذلك الثقة بالنفس والحب بمعناه الواسع الشاسع، تلك المبادئ التى جعلت منه أحد أقطاب الثقافة والسياسة فى آن واحد فى داخل ليبيا وخارجها، وبذلك سطر التاريخ حروف اسمه وسط هالة من النور، أجل لن ينسى له التاريخ مراسلاته للسياسى السورى الشهير "شكيب أرسلان" التى نقلت القضية الليبية إلى الرأى العام العالمى، وذلك بفضل ما احتوته الرسائل من مظاهر التنديد بفظائع الأحتلال الإيطالي.

محمد على السنوسى :

إذا ما استعرضنا جوانب الحياة الثقافية والفكرية خلال العصر العثمانى الثانى من ١٨٣٩ م إلى ١٩٢٠ م فيما يتعلق بالشخصيات الثقافية الليبية التى لعبت دورا بارزا ومشهورا فى الحياة الثقافية الليبية يبرز من بين تلك الشخصيات هذا المعلم والمصلح "على السنوسي"؛ والذى كان الجد الأكبر للملك الليبى المعروف "إدريس السنوسي" الذى حكم ليبيا بعد إجلاء الإيطاليين عنها من حوالى عام ١٩٥٢م إلى عام ١٩٦٩ م . وقد أسس "محمد على السنوسي" الحركة المعروفة بالحركة السنوسية، ورغم أن بعض المؤرخين يرى أن تلك الحركة ضمن الحركات السلفية أى على نهج الحركة الوهابية مثلا إلا أن الحركة السنوسية لها جانبها المشرق الذى يختلف عن الحركة السلفية المزعومة، ذلك الجانب الذى وضع نصب عينيه فى المقام الأول الاهتمام بالناحية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الليبى كما سيتضح لنا من خلال استعراضنا لجوانب شخصية السنوسي.

نشأتــــــه :

هو"محمد على الإدريسى المهدى السنوسي" الذى ينتمى إلى مؤسس دولة الأدارسة بمنطقة المغرب؛ وهى إحدى الدول التى حكمت منطقة شمال أفريقيا خلال القرن التاسع الميلادى تقريبا . وقد إختلف المؤرخون فى تحديد تاريخ مولده غير أن أغلب المصادر التاريخية قد أورد أنه ولد عام ١٧٨٩ م ببلدة "مستغانم" بالجزائر، ثم تلقى تعليمه الأولى بها، وحين بلغ الثانية عشرة من عمره رحل إلى مدينة "فاس" بالمغرب حيث الجامعة الشهيرة التى كانت تضاهى جامعة الأزهر، وكانت جامعة فاس مقصداً لطلاب العلم من كل حدب وصوب، وتغص بأقطاب العلم حين ذلك.

وتروى المصادر أن الدافع الأساسى لرحيل "محمد علي" إلى تلك الجامعة هوشغفه باستكمال دراسته، ولكن تلك المصادر التاريخية التى ذكرت ذلك(٦) ترى أن ما عجل بهذا الرحيل هوالفتنة التى حدثت بين الأتراك والعرب بمنطقة "تلمسان" بالجزائر، والتى استشرى أثرها فى باقى البلاد الجزائرية، والتى كان مؤداها أن الباى على مدينة وهران تتبع أعضاء إحدى الطرق الصوفية المعروفة (بالطريقة الدرقاوية)، وأمعن فى التنكيل بهم بعد أن أمر باغتيال شيخ الطريقة وكان يدعى "محمد الشريف الفيلاني" مما أدى إلى عدم استـــتــباب الأحوال الأمنية وإضطرابها، وإنتشار الفوضى فى ربوع البلاد، حيث غدا المناخ العام غير ملائم للاستقرار وتحصيل العلم.

ولهذا ارتحل السنوسى إلى جامعة فاس على أثر تلك الفتنة، وهناك بجامعة فاس أوجامعة القراوين التى تعد أقدم جامعات العالم إذ تم تأسيسها خلال القرن التاسع الميلادى الرابع الهجرى، أى حوالى عام ١٨٨٩م، وهوالتاريخ السابق على إنشاء الأزهر(٧)، وهناك عكف السنوسى على القراءة وسعة الإطلاع، وقد عرف عنه ذلك، فانكب على التعليم بجد واهتمام ملحوظين، وكانت تدرس بجامعة القراوين علوم القرآن الكريم والفقه والرياضيات والهندسة والحيل (الميكانيكا)، وكذلك الموسيقى والمساحة والتاريخ والجغرافيا (٨) كما عرفت عنه المواظبة التامة على مواعيد الدرس وحضور الحلقات الدراسية، وعرف كذلك بأنه شخصية جاذبة

وجذابة تسعى إلى التعرف على الآخرين وخصوصا فئة العلماء، وكانت الصلة بينه وبين أساتذته قوية يسودها الإحترام، ويلفها التناسق والسعى إلى التعرف على العلماء الموجودين بالجامعة وحتى بجارتها عن طريق المساجد فقد تعرف مثلا على علماء من مكة ومصر وبلاد الشام وغيرها، وكان من أبرز علماء مكة الشيخ "حمودة بن الحاج" والشيخ "حمدون بن عبد الرحمن" والشيخ "الطيب القيراني" والشيخ "محمد بن عامر المعواني" وهؤلاء كانوا من بين أساتذته بجامعة القراوين.

وكان السنوسى حريصا على التردد على هؤلاء العلماء داخل وخارج حلقات الدرس، كما كان حريصا على حضور المناظرات والمساجلات التى يقوم بعقدها هؤلاء الأساتذة بين حين وآخر حتى استطاع بذلك أن يلم بالكثير من العلوم، وبذلك بدأ يتبلور تكوينه الثقافى والذى أدى فيما بعد إلى إنتهاجه منهجا خاصا قوامه المرونة فى الاجتهاد. ومنذ ذلك الحين بدأ يجتمع حوله العديد من المريدين من بين أصدقائه الذين أعجبوا بفكره ومنهاجه، وبدأ السنوسى حينئذ فى تحديد هدفه الذى وضعه نصب فكره ومخيلته، والذى كان مؤداه السعى إلى إصلاح البلاد وتخليصها قدر الإمكان وتدريجيا من الموروثات التى عفا عليها الدهر من سلوك خاطئ ومعتقدات بالية فاسدة شوهت الدين الإسلامي. وكذلك القضاء على التقاليد التى لا قيمة لها وذلك لن يتأتى إلا بنشر الوعى، وإحلال الصواب محل الخطأ بطبيعة الحال بالقدر المستطاع، أجل لقد وضع السنوسى فى إعتباره القيام بدور ثقافى قيادى واضح المعالم، وتأسيسا على ذلك حدد المؤرخون الذين أرخوا للحركة السنوسية إطار وجوهر شخصيته فى ثلاثة معالم رئيسية :

أولها : نظرته إلى المذاهب والطرق الصوفية[٩]، وكانت مدينة فاس وجامعتها ملتقى هذه الطرق الصوفية وموئلا للمتصوفة، وإن كان ذلك معروفا عن منطقة شمال أفريقيا بأسرها إلا أن جامعة القراوين كانت قد حازت قصب السبق فى ذلك إذا جاز لنا هذا التعبير بكونها مركز التصدير لتلك الطرق على الأرجح.

وكانت الطرق الصوفية بما لها من فكر روحى وطابع جذاب تلقى هوى فائقا فى نفوس الأهالى بصورة جعلتهم يقدسون المتصوفة، وكذلك حلقات الذكر وترتيل القرآن والتسبيح لفترات طويلة، وما من شك فى أن ذلك المناخ الروحى الأخاذ كان

ملازما لعامة الناس للتخفيف من بطش الاستبداد من قبل السلاطين العثمانيين، فهؤلاء المتصوفة هم موضع احترام وتبجيل الحكام والمحكومين على السواء، وفى هذا السياق يقول "الناصري" فى كتابه الإستقصاء ما مؤداه : (أن داى تونس أمعن فى إكرام الشيخ "التيجانى" قطب متصوفة الطريقة التيجانية، فكان يجلسه فى صدر مجلسه ومنحه دارا فخمة خاصة أنفق فى بنائها عشرين مثقالا).

وكان الشيخ "التيجاني" من بين العلماء الذين التقى بهم "محمد على السنوسي" أثناء إقامته فى مدينة "فاس"، كذلك شغف السنوسى بالقراءة فى طرق صوفية أخرى، ففضلا عن التيجانية قرأ المؤلفات الصوفية فى الطريقة القادرية والحبيبية والشاذلية والناصرية وغيرها، الأمر الذى كان له أثره البالغ فى منهجه الإصلاحى، ذلك أنه باطلاعه وإلمامه بمناهج تلك الطرق استطاع من خلال ذلك تكوين طريقة صوفية خاصة انتهجها ولقنها لتلاميذه ومريديه عرفت بالطريقة السنوسية، ويرى المؤرخون للحركة السنوسية أنها كانت مصباحا هاديا ورائدا فى رسم خطوط الحركة الإصلاحية التى مثلت شغله الشاغل، ذلك عن أول معلم من معالم تلك الشخصية.

ثـانـيـهـا : أما ثانى المعالم فيتمثل فى إلمامه بالفقه لاسيما فقه المذهب المالكى باعتباره المذهب السائد بدول شمال أفريقيا منذ الفتح العربى الإسلامى لتلك المنطقة، وقد عكف السنوسى على دراسة هذا المذهب باستفاضة على علماء أجلاء ذائعى الصيت مثل الشيخ "محمد بن على المعداني"، والشيخ "محمد بن عبد السلام الناصري"، وقد سجل ذلك "محمد على السنوسي" نفسه فى كتابه (الموطا) للإمام "مالك".

ثـالـثـهـا : ويأتى الخط الثالث لشخصية السنوسى وهومحاولة إلمامه بالأحوال السياسية فى ربوع العالم العربى قاطبة، وحركات الإصلاح التى نبضت بها هذه الربوع، ومن خلال ذلك التعرف على الوسائل المثلى لجمع كلمة الشعوب وتوحيدها، ولن يتأتى ذلك بطبيعة الحال إلا بتصحيح الإطار الفكرى والسلوكى لتلك الشعوب.

وقد كان السنوسى يعكف دائما على قراءة الصحف والمجلات ما تيسر له

ذلك، وما تحمله من النذر اليسير من أخبار العالمين الإسلامى والعربى، فتلك الشعوب التى كانت تعانى آفات الجهل والتخلف ينبغى أن يحل الوعى والرقى والارتقاء بالعقول محل تلك الآفات.

وقد حصل "محمد على السنوسي" على الإجازة (المشيخة الكبرى) كما كانت تسمى بذلك عام ١٨٢٩م، حيث عين أستاذا بجامعة القراوين، وخلال تلك المرحلة أخذ بصورة ملحوظة يجد فى جمع طلاب العلم حوله، وذلك ببث المبادئ المثلى وفى مقدمتها الثقة بالنفس مما جعله يفوز بثقة وحب أولئك الطلاب وأخذ يلمع نجمه ويذيع صيته فى سماء العلم حتى بلغ مسامع والى مراكش (مولاى سليمان)، فكان ذلك أول اتصال له بالسلطة السياسية خلال تلك المرحلة. وقد حاول ذلك الوالى تقريب السنوسى إليه عن طريق مجالس العلم التى كان يدعو إلى عقدها بقصره، ولكن يذكر أن السنوسى لم يستجب لهذا التقريب، وكأنما كان حريصا على عدم الزج بنفسه فى علاقات سياسية وهومازال فى مقتبل العمر، أجل لقد حدد لنفسه إطارا ومنهاجا هادئا للسير قدما فى طريق الإصلاح، فبدأ بنشر فكرة الوحدة الإسلامية بين طلابه ومريديه، وجمع كلمة المسلمين على أساس مبادئ العدل والخير مترجمة إلى أفعال، يغلف كل ذلك نقاء النفوس، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والسلوك القويم، وفرارا من التقلبات السياسية فى الغرب الأقصى آثر السنوسى الارتحال إلى الجزائر موطنه، وكان ذلك حوالى عام ١٨٣٠م حيث أخذ يجوب المدن الجزائرية مثل "مستغانم" مسقط رأسه، والأغوات وقسنطينة وغيرها. وكانت الأغوات إحدى المراكز التجارية المهمة وملتقى طرق القوافل، إذ كانت تمثل زخما اقتصاديا وثقافيا.

وظل السنوسى بالجزائر حوالى ثلاثة أعوام يجوب مدنها يلقى الدروس، ويجمع حوله الطلاب والمريدين، وهناك شاهد بوضوح مساوئ الغزوالفرنسى للجزائر حيث أساليب البطش بالمثقفين، وكبت أنفاسهم، والتنكيل بالمفكرين وتشريدهم، وتكميم الأفواه، ومحاولة طمس الهوية الثقافية العربية.

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن "محمد على السنوسي" قبل مغادرته الجزائر قام ببناء زاوية بمدينة قسنطينة وألقى بها الدروس[١٠].

ثم رأى السنوسى بعد ذلك أن يغادر الجزائر إلى تونس والتى كانت معروفة عندئذ بـــ "قابس" مارا ببعض المدن الليبية مثل مصراتة وغدامس وغيرها وقد اعتاد عند حلوله بأية مدينة أن ينشئ زاوية بها؛ وذلك للارتقاء بها، ومما لا شك فيه أن كان من أثر ذلك جمع الطلاب والمريدين حوله.

ثم قصد بعد ذلك مكة لأداء فريضة الحج من جهة، والتعرف على علمائها من جهة أخرى، ومكة بلا شك هى معقل الرسالة الإسلامية وهى قبلة المسلمين والملاذ الروحى لعلماء الإسلام، وكانت مكة غاصة بعلماء الدين الذين درس السنوسى على يد الكثيرين منهم، وفى طريقه إليها رأى أن يمر بمصر ليطلع على أحوالها عن كثب حيث إنه كان فى ذلك الوقت من العسير التعرف على الأحوال العامة فى قطر من الأقطار أوعلى مستوى الأقطار قاطبة، أجل لم يكن من المستطاع التعرف على أخبار وأحوال العرب والمسلمين إلا من النذر اليسير الذى كان يكتب على صفحات الجرائد والمجلات، وكان ذلك على الأرجح خلال الثلاثينيات من القرن التاسع عشر، وكأنه أراد أن يتخذ من الترحال وسيلة للتعرف على أخبار العالم الإسلامى عن كثب، ومعايشته بالقدر المستطاع فى وقت كانت فيه البلدان الإسلامية فى شبه انغلاق، فمن النادر التعرف على أخبار بعضها البعض اللهم إلا عن طريق الجرائد والمجلات، وكذلك عن طريق التجار الذين كانوا يجوبون بقوافلهم الطرق التجارية لتسويق منتجات بلادهم، ولعله فى ذلك أراد التمثل بالعديد من قادة ورواد حركات الإصلاح من أمثال "جمال الدين الأفغاني" و"محمد بن عبد الوهاب"، وكذلك الإمام المجدد "محمد عبدة".

وبعد أن وصل السنوسى إلى مصر رأى أن يقيم بها لبعض الوقت عله يتعرف على علماء الأزهر؛ تلك الجامعة الإسلامية المناظرة لجامعة فاس، وجدير بالعناية والملاحظة أن مصر فى تلك الآونة كانت تحت حكم "محمد علي" الذى تصفه المصادر التاريخية بأنه رائد ومؤسس النهضة الحديثة فى مصر التى تمثلت مظاهرها فى استجلاب الخبراء من دول أوروبا وبخاصة فرنسا لتطوير شتى المجالات فى مصر رغبة فى اللحاق بأوروبا مثل المجالات الاقتصادية والعسكرية بوجه خاص، ثم إن رجال الأزهر وعلماءه هم الذين مهدوا وعززوا تولية "محمد

على" حكم مصر، الأمر الذى لم يكن متاحا فى أى من الدول الإسلامية، وإن دل ذلـــك على شئ فإنما يدل على مدى ما كان لعلماء الأزهر من قوة وسلطة وحرية – ولو– نسبية، ولكن لم يطب له المقام بين علماء الأزهر رغم ما ترويه المصادر المؤرخة للحركة السنوسية من محاولة السنوسى بذل الجهود الملحوظة بإلقاء العديد من المحاضرات بالأزهر، وعقد المناظرات بينه وبين العلماء [١١] إذ تذكر تلك المصادر أنه اتهم من قبل هؤلاء العلماء بالمبتدع، ولا يعنينا فى هذا المقام الدخول فى سرد تفاصيل ما وقع بينه وبين علماء الأزهر، فالمصادر التاريخية مليئة بهذه التفاصيل ولكن ما يعنينا هو أن نوضح أنه لم يستطع التجاوب مع هؤلاء العلماء ربما لطبيعته أوطبيعة منهجه الذى يدعو إلى وجوب الإجتهاد فى المسائل القابلة لذلك.

ثم رحل السنوسي بعد ذلك مباشرة إلى مكة وهناك طاب له المقام بين علمائها واجتمع حوله الكثيرون من المريدين وطلاب العلم، الأمر الذى جعله يبدأ بإقامة زاوية بمنطقة "أبى قبيس" التى صارت معقلا لطلاب العلم، وكان السنوسى يعقد بها المناظرات والمساجلات بينه وبين العديد من علماء مكة مثل الشيخ "سليمان بن عبد الحفيظ العجمي" مفتى مكة حينذاك وقاضيها، وكذلك الشيخ "عمر بن عبد الرسول العطار"، والشيخ "يوسف الكامل"، والشيخ "أحمد بن إدريس العرائيشي" ... وغيرهم من الذين كانوا أساتذة وعلماء أجلاء ذائعى الصيت، وقد ذكر "محمد بن على السنوسي" أن للعالم الأخير أثره البالغ والملحوظ فى حياته وتكوينه الثقافى وأسلوبه الفكرى، وكذلك فى سلوكه [١٢] حيث تأثر به السنوسى سواء عن طريق المقابلات والمناظرات التى كانت تعقد بينهما من حين لآخر، أو عن طريق قراءته لمؤلفات ذلك العالم وفى مقدمتها مؤلفه المعروف "روح اليقين"، إذ تعرف على الطرق الصوفية بتفقه وتعمق أكثر لقراءته لهذه المؤلفات فى مرحلة الدراسة، كما تعرف على الطريقة القادرية التى يعد "العرائيشي" من بين أقطابها.

وبعد إنتهاء رحلة الحج آثر السنوسى العودة إلى منطقة المغرب العربى برفقة العديد من المريدين الذين صاروا فيما بعد من بين علماء منطقة المغرب العربي، وكان من بين هؤلاء المريدين أناس كانوا يقطنون بعض المدن الليبية، والذين اتفقت

ميولهم مع السنوسى، ورغبوا فى بناء زاوية تماثل زاوية (أبى قبيس) بمكة، ووقع اختيارهم على مدينة برقة وبالتحديد منطقة البيضاء لتكون مقر بناء الزوايا بشتى المدن الليبية وفى خارج ليبيا أيضا، إذ تذكر المصادر أنه زار مصر فى عهد الخديوى "عباس حلمى الثاني" حيث قام ببناء زاوية بمنطقة باب الحديد بمصر.

ومن الجدير بالملاحظة أن السنوسى قد عمل على إنشاء الزوايا أينما حل، فعمت الزوايا أغلب البقاع الإسلامية حتى وصلت إلى اسطنبول ذاتها عن طريق مريدى السنوسى ومؤيدى الحركة السنوسية. وتجدر الإشارة إلى أنه كان للسنوسى أثره على المدى الطويل بحيث سار جميع علماء شمال أفريقيا تقريبا لا يحلون بمكان إلا ويقومون بإنشاء الزوايا، ولعل من بين هؤلاء العلماء "محمد الوفا" صاحب الزاوية الوفائية الشهيرة بمنطقة المقطم بمصر، والذى زار مصر فى أواخر القرن التاسع عشر حسبما تروى المصادر التاريخية وهو تونسى الأصل.

وكانت الزوايا عبارة عن مبنى محدود فى بادئ الأمر، تُلقى به الدروس، وتعقد به المناظرات فى الفقه والتصوف والحديث وتلاوة القرآن الكريم، فضلا عن دروس القراءة والكتابة والحساب والتاريخ أثناء فترة الصباح، وبمرور الوقت إتسع نطاق الزوايا، وذلك بقيام بعض الأثرياء بالتبرع بمساحات من الأرض للعمل على اتساعها، الأمر الذى كان يتم بمقتضاه تشغيل الدارسين بمختلف الحرف وذلك فى فترة المساء، ومن هذه المساحات ما كان يصلح للزراعة، ثم أخرى عبارة عن أراض فضاء يتم بها تدريب الدارسين على بعض الحرف الأخرى مثل النجارة والحدادة، ثم ثالثة لإقامة مصنع صغير للصناعات القائمة على ذلك، كما أنشئت بكل زاوية مكتبة ضمت أمهات الكتب التى تم استجلابها بواسطة العلماء فى شتى العلوم، وبطبيعة الحال تخرج من تلك الزوايا العديد من العلماء الذين أسهموا فى إثراء الفكر، والذين قاموا بدور قيادى ثقافى سواء فى المجال التعليمى أوالسياسى أوالقضائى... وغيرها من مجالات الحياة على الصعيد الليبى والعربى والإسلامى على حد سواء، وبذلك يكون "محمد على السنوسي" قد قام بدور مهم وملحوظ ومؤثر فى الحياة الثقافية فى ليبيا بوجه خاص مما دعا الكثير من المؤرخين إلى تناول دور السنوسى بالإشادة والتقدير فى كتاباتهم.

مؤلفاته:

أما عن مؤلفاته فهى عديدة ومتنوعة حيث شملت مجالات التصوف والفقه والتاريخ وغير ذلك، وسوف نتناول نماذج من هذه المؤلفات على أساس مسمياتها لا بالشرح والتحليل مثل (السلسبيل المعين فى الطرائق الأربعين)، ويتعرض فيه السنوسى لمسائل فقهية من الممكن أن تصير مرجعا فى علم الفقه، وكذلك مؤلفه (المسائل العشر) الذى يعرف بـــ (بغية المقاصد فى خلاصة المراصد) ومؤلف ثالث وهو (إيقاظ الوسنان بالعمل بالحديث والقرآن)، وكذلك مؤلفه الذى يعرف بـــ (المنهل الراوي) والذى يعنون بـــ (الرائق فى أسانيد العلم بأصول الطرائق) وغيرها، بل أن الكثير من المصادر التاريخية تذكر إن هناك بعض المؤلفات التى لم تطبع، وهناك أيضا ما فقد منها مع ما فقد من مؤلفات كثيرة لعلماء أجلاء ليبيين وغير ليبيين عند الاجتياح الإيطالى للأرض الليبية.

ويجدر بنا أيضا ألا ننسى تلاميذه الذين هم فى الحقيقة إمتداد له ولمؤلفاته وآثاره الثقافية، ولعل من أشهرهم الشيخ العلامة "المغراني"، والشيخ "أحمد الريفي" وغيرهما.

وقد توفى السنوسى حوالى عام ١٨٥١م تاركا أعمال رسالته إلى نجليه "محمد المهدي" و"محمد الشريف"، وقد تضاعفت الزوايا فى عصر "محمد المهدي"، أما الشريف فقد كان من بين رجال الثقافة و اختار الليبيون المهدى لإكمال دور أبيه، وتذكر المصادر المؤرخة للسنوسية أن عدد الزوايا قد بلغ فى عهد المهدى حوالى ١٨٠ زاوية (١٣) .

على مصطفى المصراتي :

من بين مؤرخى ليبيا وأدبائها، وله دوره البارز فضلا عن ذلك فى الحياة السياسية الليبية فى مرحلة ما بعد إجلاء الإيطاليين عن ليبيا.

ولد بحى بولاق بمصر عام ١٩١٩م لأسرة ليبية كانت تقيم بمصر حينذاك، ومنذ أن دخل معترك الحياة أخذ على عاتقه نشر الوعى والتبصير بقضايا وطنه وذلك بعد أن تخرج بالأزهر بمصر، وحين كان طالبا بالأزهر انكب بجد على

تحصيل العلوم أملا فى أن يعد نفسه لدور قيادى ثقافى لخدمة وطنه ليبيا، وخلال مراحل تعليمية كانت ليبيا تئن تحت وطأة الاحتلال الإيطالى، وحين تخرج اتجه من فوره إلى وطنه ليبيا وكان ذلك خلال الأربعينيات وقد تزامنت هذه العودة مع ظهور مشروع (بيفين سفورزا) عام ١٩٤٧م، لذا سارع المصراتى بعد قدومه إلى ليبيا بالمرور بجميع بلدانها وقراها لنشر الوعى بين الأهالى وتبصيرهم بضرورة إختيار طريق الحرية، ووجوب الإدلاء بذلك إلى لجنة الإستفتاء التى شرع كل من بريطانيا وإيطاليا فى تشكيلها وإرسالها إلى ليبيا لاستطلاع آراء الشعب الليبى فى إختيار أسلوب الحكم، وبعد تحرير ليبياعام ١٩٥٢م أخذ المصراتى على عاتقه إبراز ملامح التاريخ الليبى فى شتى جوانبه الثقافية والاجتماعية وذلك بالقيام بتأليف العديد من المؤلفات لإطلاع الناس فى كل مكان على طبيعة المجتمع الليبى وتاريخه وثقافته، حيث قام بتأليف العديد من المؤلفات فى شتى المجالات من بينها على سبيل المثال لا الحصر : (مؤرخون من ليبيا – أعلام من طرابلس – الصحافة الليبية فى نصف قرن – الأدب الشعبى فى ليبيا – رجال فى الظل) وغيرها مما جعل تلك المؤلفات بحق تعد مصادر غنية لابد لأى باحث فى تاريخ المجتمع الليبى سواء من الناحية الاجتماعية أومن الناحية الثقافية من الرجوع إليها ودراسة فحواها، كما قام بالتأليف فى أدب التراجم مثل كتابه عن "محمد سعدون" ولعل هذا الدور جعل المصراتى اسما يثير هيبة الواجب وسموالحق وقدسية الدفاع عن الوطن بالكلمة والقلم وحب التضحية فى سبيل الدفاع عن الوطن، وقد جعل منه ذلك فى سجل التاريخ اعترافا بأنه إحدى اللبنات القوية المتينة فى صرح الجهاد الليبى، وصفحة ساطعة تكتب بأحرف من نور فى سجل نضاله الذى يلفه الحس الوطنى الرفيع.

محمد سعدون

نـــشـــأتــــــه:

هو"محمد سعدون الشيناوي"، كان أصغر إخوته، ولد حوالى عام ١٨٩٣م بزاوية المحجوب بقرية أم البخور بمنطقة مصراتة، ووالده هو"الشيناوى السويحلي" الذى امتاز بالفروسية والحزم وبطبيعته القبلية، تلك الصفات المعهودة عن الشعب الليبى، وقد توفى الشيناوى قبل ميلاد سعدون.

تلقى "محمد سعدون" العلوم الأولية وهى مادة العلوم الدينية بالمدرسة الملحقة بجامع الفحول بمصراتة، ثم التحق بزاوية المحجوب وهى زاوية صغيرة شهيرة بمصراتة، ودرس على يد الشيخ "مختار الغرياني" والشيخ "محمد القزيط"، وكذلك الشيخ "عبد السلام القاجي"، وهؤلاء علماء أجلاء فى عصرهم بالمدارس والزوايا الليبية.

غير أن سعدون لم يلبث أن ترك الدراسة قبل اكتمال المرحلة المعهودة والمحددة بالزاوية آنذاك، ويقول الأديب والمؤرخ الليبى "على مصطفى المصراتي" ما مؤداه : (لعله ترك جوالدراسة التقليدى الرتيب لأنه وجد نفسه قد جمحت إلى جوأكثر رحابة وإنطلاقا، أجل لقد لاقت نفسه الجامحة وروحه الوثابة فى الرياضة مطمحها وهدفها ومناخها الذى تصبو إليه فى نواح متعددة)؛ فقد شغف بالفروسية وركوب الخيل والسباحة وكرة القدم، وكانت الأخيرة غالبا ما تصنع من جلود الإبل وتحشى بالكتان، وكانت كرة القدم إما أن تكون ممارستها تقليدية، أوبلعبة كانت تعرف بـــــ (المعاقيف)، وكانت من بين الألعاب الشائعة والمحببة آنذاك، وهذه اللعبة تشبه رياضة الجولف، كما كان سعدون مولعا بلعبة تعرف بـــــ (الشيش) وهى عبارة عن كرة ترسل فى الهواء، وعلى الأرجح تشبه فى عصرنا الحاضر بالكرة الطائرة إلى حد ما، غير أن تلك الجوانب الرياضية وشغفه بها لم تكن تشغله عن تتبع مجريات الأحداث خلال ذلك العصر، أجل لقد كان بمصراتة مقهى شهير تفرش أرضيته بالحصير، يؤمه المواطنون من مختلف الأعمار والفئات تجاراً كانوا أم علماء أم قضاة وما سواهم، ومن المعروف أن التجار بصفة خاصة من خلال قوافلهم كانوا خلال العصور السالفة يعدون همزة الوصل بين شتى البلدان ولا سيما البلدان الآسيوية والأفريقية، ينقلون بضائعهم ومعها أخبار المجتمعات شعوبا وحكاما. وقد إعتاد الليبيون خلال شتى فترات التاريخ عقد مجالس السمر سواء بالمنازل بين الأصدقاء والجيران أوبالمقاهي، كذلك كان سعدون يقيم هذه المجالس بمنزله، ويحرص على حضورها بذلك المقهى المذكور مما كان له دلالته على الروح الجادة لدى ذلك الشاب، وكانت تلك المجالس تحفل بالروح المرحة والجادة فى ذلك الوقت يغمرها الحماس، ويظللها الإنفعال بصدد ما كان يجرى من أحداث، وقد أثر عنه أنه كان يردد بيتا من الشعر يقول :

أتـــروا عـــزيـــزا يأتيكم　　　　من فـــرجة إذا ضاق الحـــال

وجدير بالذكر أن ليبيا شأنها شأن البلاد العربية كانت تعيش فى ظل معاناة كبيرة فى شتى مناحى الحياة تحت الحكم العثماني، وحين منيت بالاحتلال الإيطالى هب المجاهدون الليبيون من شتى البقاع للذود عن أراضيهم، وكان سعدون فى الصدارة فى مقاومة الغاصب المحتل، وقد سجل له التاريخ مواقف بطولية هجومية ودفاعية أذهلت لب المستعمر فى مواقع مختلفة خصوصا فى موقعة القرضابية الشهيرة فى مارس عام ١٩١٥م، كما سجل له التاريخ تلقينه العدو دروسا متنوعة حيث كان هو وأخوه "أحمد" يقومان بوضع الخطط الاستراتيجية للمعركة بالخدعة تارة والمهادنة والمناورة تارة أخرى، ورأى القادة الإيطاليون ذلك عيانا فما كان منهم إلا أن قرروا التخلص منهما، وذلك بالقبض عليهما بالحيلة والخدعة ووضعا بأحد السجون التى كانت ليبيا مليئة بها حينئذ، الأمر الذى كان من شأنه تأجيج المقاومة بصورة أكثر شراسة، حتى أن مجموعة من الشباب الليبيين المجاهدين أحاطوا بذلك السجن، وقاموا بإخراج سعدون وأخيه بالقوة. ولم يقتصر دور سعدون على معركة القرضابية، بل أثبت شجاعة وحكمة فى معارك متتالية حيث ظلت المقاومة الشرسة للإيطاليين هى الشغل الشاغل لهذا الشاب حتى ضاق به القادة الإيطاليون، وقاموا بنفيه ضمن الكثير من المجاهدين الليبيين إلى جزيرة سيركوزا إحدى جزر إيطاليا.

وفى عام ١٩١٨م – ١٣٣٧هـ عقد الصلح بين المجاهدين والحكومة الإيطالية، والذى عرف "بالقانون الأساسي" الذى قضى بقدر ما من الحرية فى ظل حكومة وطنية بقيادة الإيطاليين بطبيعة الحال، وقرر الإيطاليون بمقتضى ذلك إعادة مجموعة من المنفيين إلى ليبيا وكان سعدون من بين هؤلاء، ورغم معاناة النفى والسجن التى عاشها سعدون لم يخب حماسته ولم تفتر همتهـ بل ظل يخطط للعديد من المعارك التالية التى كانت تتأجج من حين لآخر من قبل المجاهدين الليبيين ضد المحتل، أجل لم يكن الوفاء بالعهد من سمات المستعمر فى أى زمان أو مكان، فالمستعمر هوالمستعمر مهما كانت جنسيته لذا كان حريصا على احتلال النقاط الحيوية التى يرى بها مصالحه، ثم توفى "رمضان السويحلي" أخو"سعدون" والذى

كان عونا له، الأمر الذى ترك فى نفسه أثرا بالغا، بل كان لوفاته أثر سيئ على الجبهة الحربية بأسرها، إذ انصرف الكثير من المجاهدين تاركين الميدان، بل كادت تخلو حومة الوغى إلا من القليل من المجاهدين، حيث اختل التوازن، وها هو المستعمر نتيجة لذلك يهاجم إحدى النقاط المهمة بالقرب من مصراته، ولا يتسع المجال هنا لسرد التفاصيل الحربية الخاصة بالمعارك التى خاضها سعدون، وحسبنا أن نورد عنه بيتين من الشعر نظمهما حيث نفذت الذخيرة خطهما برسالة أدلى بها إلى إخوانه المجاهدين حين وقف يخطب فيهم قائلا :

ألا والله ما فخــر عدمــنــا ولا كــل الجواد عن السباق

ولكنا بلــيــنــا بسوء حظ كحظ يبقــى للجميــل بالتلافي

واستطرد فى رسالته بقوله (فكل من يستطيع أن يؤمن فرسه فهو حر فى الدخول، والذى يخاف على نفسه، ويعمل حسابا للجوع والعرى والعطش والخطر فليرجع، ونحن إن شاء الله سنجود بكل نفيس، ومن أراد التوجه إلى مصر أوتونس فهو حر ومن أراد أن يمضى معى فى الجهاد فإنا سنجاهد، إخوانى : كل من يريد منكم الذهاب إلى أهله فعليه أن يسلم سلاحه)، وما من شك فى أن تلك الفقرات التى إقتطفناها من الرسالة تنم بوضوح وقوة عن الإيمان بقدسية الوطن، والتفانى فى حبه وإفتدائه بالدم والروح (١٤) .

وهكذا شارك "محمد سعدون" كجندى محارب فى بعض المعارك، كما شارك بالقيادة والتخطيط فى معارك أخرى مثل (معركة قصر أحمد، معركة يوم السبت، معركة السلحابية، معركة عين كعام، معركة الزرغلات، معركة المشرق)، وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على أن التاريخ الليبى خلال عصر الاحتلال الإيطالى حافل بأسماء كثيرة من المجاهدين الليبيين، وإن كان المجاهد "عمر المختار" هوأشهر هؤلاء المجاهدين، كما أن هناك كثيرين ممن سطروا بدمائهم سجل تاريخ الجهاد الليبى ضد الاحتلال الإيطالى مثل "محمد سعدون" و"عبد العاطى الجرم" وغيرهم الكثير والكثير من أسرة الفرجانى رجالا ونساء.

وقد توفى "محمد سعدون" بطلا كما عاش بطلا، ولم تذكر المصادر التاريخية

تاريخ وفاته بالتحديد، ولكن حسبنا أن نجد اسمه وقد خلد فى الشعر الشعبى الليبى فى العديد والعديد من القصائد.

سليمان الباروني

ولد "سليمان الباروني" حوالى عام ١٨٧٠م – ١٢٨٨هـ، ووالده هوالشيخ "عبد الله الباروني" من الأسرة البارونية الشهيرة فى ليبيا، وهى إحدى أسر قبائل البربر بجبل نفوسة، تلقى تعليمه الأولى بأحد كتاتيب المنطقة ثم التحق بإحدى الزوايا، وكان ذلك حوالى عام ١٨٨٥م، ثم ما لبث أن رحل إلى الجزائر بعد ذلك بعامين تقريبا حيث أكمل تعليمه بها على نخبة من علمائها مثل الشيخ "محمد بن يوسف الميزابي" وغيره من علماء الجزائر، ثم ما لبث أن عاد إلى طرابلس حوالى عام ١٨٩٧م[١٥]. وكان "سليمان الباروني" متأثراً بآراء أئمة الأباضية المنتمين إلى المذهب المالكى إلى حد أنه ألف كتابا أسماه "الأزهار السنية فى أئمة الأباضية" مما كان له أثره فى تكوينه الدينى والفكري. أما عن تكوينه الفكرى على الصعيد السياسى فقد تأثر بكل من الشيخ "جمال الدين الأفغاني" أحد أقطاب الفكر فى ذلك العصر على الصعيدين العربى والإسلامى، وكذلك تلميذه الإمام "محمدعبده" وخصوصا فيما يتعلق بفكرة الجامعة الإسلامية، والتى كان مؤداها الحفاظ على الدولة العثمانية التى ترفع لواء الإسلام، وتحافظ على الهوية الإسلامية ضد التيار الأجنبى، وأن ينضوى المسلمون تحت هذا اللواء مهما بلغت مظاهر ضعف هذه الدولة لأن ذلك خير من الاستعمار الأوروبى الذى تريد دوله التهام دول العالم الإسلامى بالتدريج.

ولكن ذلك لم يحل دون اضطهاد السلطان "عبد الحميد" الذى عرف باستبداده لسليمان البارونى، فقد أمر بسجنه لمدة خمسة أعوام بسبب تصديه لظلم الوالى العثمانى "شفيق بك" الذى اشتهر عهده بالمعاناة الفائقة والتى تمثلت فى كتم الأنفاس وتكميم الأفواه بعد الإدلاء أوالجهر بأية رغبة فى التقدم فى شتى المجالات، وكذلك الإهمال، فضلا عن تغلغل النفوذ الإيطالى فى شئون البلاد، ثم أصدر السلطان المذكور بعد خمس سنوات عفوا عن "سليمان الباروني" وعندئذ إذ سافر الأخير إلى مصر حوالى عام ١٩٠٧م، حيث أصدر بالقاهرة جريدته الشهيرة "الأسد الإسلامي"،

والتى انتقد على صفحاتها مظاهر التغلغل الأوروبى عامة والإيطالى خاصة فى شئون ليبيا، ومظاهر إتاحة ذلك من قبل الوالى المذكور، ومن أعقبه من الولاة، وهناك صدر الحكم عليه بإغلاق جريدته وظلت الجريدة مصادرة مغلقة حتى عام ١٩١١م. وفى أكتوبر من نفس العام اجتاحت فلول الجيوش الإيطالى الأراضى الليبية، الأمر الذى سارع معه "سليمان الباروني" بالعودة إلى ليبيا لخوض معركة الجهاد المقدس للدفاع عن الوطن. غير أن الجدير بالذكر والاهتمام أنه فى عام ١٩٠٨م صدر الدستور العثمانى الذى توسمت فيه شعوب العالم الإسلامى تحت الحكم العثمانى الخير فى جميع المجالات وبصفة خاصة فى المجال الثقافى، فقد إنتهى عهد الاستبداد الحميدى، وقام بالانقلاب الدستورى القائد التركى "مصطفى كمال أتاتورك" .. حينذاك نظم "سليمان الباروني" قصيدة طويلة فى مدح الدستور من بين أبياتها :

أنا دستور المعالي أنـا محـو الاحتلال
الأسد الإسلامى أزهر كل ما فى البال أبشر
بالمعانى هـلـل وكـبر إذ زمان الضيـق ولى

هـا هـوالسـعـد أهـــلا

ولعل الناس بصفة عامة والمثقفين بصفة خاصة كانوا يتوسمون فى الدستور آنذاك الحرية والإصلاح فى شتى جوانب الحياة، وعلى هذا تقدم البارونى خلال تلك الفترة للإنتخابات لعضوية مجلس المبعوثان الذى كان من المقرر تشكيله فى ٢٤ يوليو ١٩٠٨م.

وقد رشح عن مركز "يفرن" وقضاء "فاسطو"، وأيضا "غدامس" ففاز فوزا ساحقا وذلك لما له من شعبية وحب فى وجدان الناس، وقد استطاع البارونى تحقيق ما كان مواطنو البلاد يتطلعون إليه من إصلاح قد أمكنته ظروف البلاد آنذاك، إذ سافر إلى اسطنبول حاملا بعض المقترحات والخطط التى ترمى إلى الإصلاح فى مجالات متعددة مثل إنشاء المكاتب، وترميم القديم منها، وكذلك ترميم المدارس بهدف نشر التعليم، ومحاولة القضاء على وباء الكوليرا الذى استشرى فى البلدان الليبية خلال عام ١٩٠٩م، كما جعل من جريدته "الأسد الإسلامي" من خلال

المقالات التى كانت تنشر على صفحاتها منبرا للتبصير بالخطر الإيطالى المحدق بالبلاد، كما كان البارونى واسع الثقافة إذ صدر له ديوان شعر بعنوان (الحضرمي)، وكذلك استطاع إدخال جريدة "الأسد الإسلامي" إلى طرابلس، وقد صدر العدد الأول من تلك الجريدة بطرابلس خلال عام ١٩٠٨م – ١٣٢٥هـ، وقد اتخذ من الآية القرآنية الكريمة "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" شعارا ومبدأ كان يبثه دائما على صفحات جريدته التى كانت منبرا لنشر العلم ورفع الروح المعنوية، والحث على الجهاد المقدس ضد النفوذ الإيطالى، ويذكر أن ذلك الشعار كان أيضا شعارا ومبدأ لكل من الشيخ "جمال الدين الأفغاني" والإمام "محمد عبده"، حيث كان هذان القطبان الشهيران بما لهما من أثر وتأثير على الشعوب العربية والإسلامية قاطبة هما القدوة لتلك الشعوب فقد نادى كل منهما بفكرة اليقظة، أجل ينبغى على المسلمين الفواق من سباتهم العميق الذى أطمع الغاصبين فى بلادهم فكتموا أنفاسهم وشلوا عقولهم واستخفوا بفكر المثقفين منهم وحاولوا تبنى الوسائل لطمس هويتهم.

لقد آمن البارونى بذلك، فتلك هى القضية الأولى التى ينبغى على كل مسلم الإيمان الكامل بها والذود عنها، بل إنه اتخذ من فكرة الجامعة الإسلامية عنوانا لأحد مقالاته على صفحات الجريدة المذكورة، فكتب تحت عنوان (الجامعة الإسلامية وأوروبا) ما مؤداه : (إن الإسلام له مزايا مهما تعددت المذاهب تفوق مزايا هذه الحضارة الأوروبية، ولكن الأوروبيين استطاعوا جمع شتاتهم ولكن المسلمين لم يجمعوا شتاتهم، ولواستطاعوا ذلك لتفوقوا على أوروبا، وناقشوا الأوروبيين الحساب).

كما كان البارونى يرى أن للإسلام دوره وأثره فى التقدم لوأن المبسلمين هبوا من سباتهم العميق، كما نشر على صفحات جريدته مقالا آخر بتاريخ ١٩٠٨/٤/٢٨م بعنوان (الزمن والتوكل)، وأوجز ما يريد فى البيت الشعرى :

يقولون الزمان زمان فسادا فسدوا وما فسد الزمان

ثم يستطرد فى إيضاح ذلك بقوله : (إن الناس خدعوا أنفسهم بفساد الزمان والفساد هوإهمالهم للعلوم النافعة والمعارف النيرة، والتواكل هوالكسل والتكاسل

وهوغير التواكل الشرعي)، والمتمحص لعبارات المقال يجد ويشعر بالتشابه الكبير بل والتأثر الكبير بأفكار كل من "الأفغاني" و"محمد عبده".

كذلك خص البارونى فى مقاله أحوال الولاة فى ليبيا موجها إليهم العبارات القوية اللاذعة فيقول : (إن الحق لا يخطئ، إن طرابلس الغرب هى مفتاح إفريقيا تلك الولايه المسلمة الشاسعة لا حراك لها فى ظل هؤلاء الولاة ترمح فى ربوعها مظاهر النهب والقلاقل، لا يرى أهلها للعلم فضلا ولا للمعرفة نشأة، ولا للوطن عزة، ولا للأبناء حقا، هؤلاء الولاة الذين لا يهمهم إلا صالح أنفسهم يخونون الدولة التى أنفقت على خدمتهم واختارتهم وائتمنتهم)، ويعنى بها الدولة العثمانية التى كان المثقفون ينظرون إليها على أنها أهون الشرين (أى الاستعمار الأوروبى، وضعف الدولة العثمانية ذاتها)، وهى التى ترفع راية الإسلام، بل إن السلطان العثمانى فى معتقد هؤلاء المثقفين خليفة الإسلام ومجد الدين والدنيا، وتذكر المصادر التاريخية أنه كان قريبا إلى المواطنين، حيث كان يستمع بنفسه إلى شكاواهم، ففى حوالى عام ١٩١٠م شكا إليه جماعة من إحدى المقاطعات القريبة من منطقة الأجواش ما مؤداه: (إن دولة فرنسا دخلت فى حدودنا، حتى إنه لم يبق بينها وبين الأجواش سوى ٦ ساعات وقد قبض الفرنسيون على بعض شيوخ القبائل، وقاموا بنقل متصرف الجبل الغربى إلى "يفرن")، وكان رد البارونى على ذلك أن بعث برسالة إلى الوالى فى طرابلس فحواها : (إنه ينبغى أن تكون على الحدود حامية عسكرية على أهبة الاستعداد لتأمين تلك الحدود ...).

وهكذا كانت الأعوام الست التى قضاها البارونى فى عضوية مجلس المبعوثان حافلة بالنشاط من أجل رفعة وطنه، والإرتقاء بأحوال مواطنيه، وجمع كلمة المثقفين التى كانت تموج بحركات اليقظة، والتى كان من أبرز أهدافها نشر الوعى والتبصير بالخطر الأوروبى عامة والإيطالى خاصة كما عمت اليقظة مجال الصحافة حيث انتعش بعض الجرائد مثل (الكشاف، العصر الجديد، أبوقشة، الترقي) وغيرها، وغدت منابر لنشر الوعي. وتلك الصحف التى حجبت أعواما عديـدة بسبب الاستبداد الحميدى ترسمت خطا فكريا مشتركا هوالترحيب بفكرة الجامعة الإسلامية ونشر التعليم الفنى فى مجالات الزراعة والصناعة، كما انتقدت بعض

الصحف نقص المياه، وأخذت تحث الناس على إدماج العلم بالعمل؛ لأن ذلك من شأنه إنعاش البلاد والإرتقاء بها، كذلك اهتمت تلك الصحف بتلخيص مبادئ الشورى والعدل والمساواه فى ظل الدستور، كما اجتمع حوله المثقفون، وانتقدوا جميعا فكرة التتريك التى كشف عنها النقاب وتجلت بقوة، والتى كانت الهدف الرئيسى من الانقلاب الدستوري. رحم الله "سليمان الباروني" بقدر ما قدم لبلاده وأمته من جليل الأعمال التى جعلته علما فى سجل الخالدين.

محمد فرحات الزاوي

دفعت الحرب الطرابلسية بعض الصحفيين الأجانب للتسلل إلى ليبيا لاستجلاء أخبار تلك الحرب ونشرها على صفحات الصحف بغيه إطلاع العالم على مجريات الحرب وأحداثها، وذلك أمر طبيعي وتقليدى أيضا إذ انه عمل المشتغلين بالصحافة خصوصا إذا كان الأمر جللا كالحرب الطرابلسية، وكان من بين هؤلاء الصحفيين الصحفى الفرنسى "إيرثى – Airthie"، بل إن من أولئك الصحفيين من جمع أحداث الحرب الطرابلسية فى كتب لتكون تلك الكتب مراجع للباحثين والدارسين، فعلى سبيل المثال جمع الصحفى الفرنسى المذكور أحداث الحرب فى كتاب بعنوان (مع الإيطاليين فى حرب طرابلس) علاوة على ما نشره من خلال صفحات الصحف، وقام بترجمة الكتاب أحد المثقفين الليبيين ويدعى "منصور عمر الشتيوي" (١٦)، كذلك قام أحد الصحفيين الإنجليز ويدعى "فرنسيس مارك لوجي– Fransis Mark Loji" بإصدار كتاب بعنوان (حرب إيطاليا من أجل الصحراء)، هذان الكتابان وغيرهما استطاعا نقل أخبار وأحداث الحرب ونتائج المعارك من داخل المعسكرات الإيطالية، بيد أن هناك فريقا آخر من الصحفيين آثر نقل تلك الأحداث من معسكرات المجاهدين الليبيين إعجابا بصمودهم وحسهم الوطنى الرفيع، ومن بين هؤلاء الصحفيين المنصفين والذى تميزوا بعدم التحيز للإيطاليين الصحفى الفرنسى "جون ريمون – John Rimoon" وذلك فى كتابه بعنوان (من داخل معسكرات الجهاد فى ليبيا) (١٧) ، ويعد هذا الكتاب ردا على أكاذيب بعض الصحفيين المتحيزين للايطاليين مثل الصحفى الفرنسى "إيرثى – Airthie".

وتجدر الإشارة أن الأمر لم يقتصر على الصحفيين فحسب، بل إن هناك أيضا بعض الأطباء الذين شهدوا تلك الحرب وكان من بينهم الطبيب "إيرثانك جريفين – Arthank Griven" ذلك الطبيب الذى ألف كتابا بعنوان (مغامرات طرابلس) وهذا الكتاب طبع فى لندن عام ١٩٢٤، وحسبنا أن نلقى الضوء على كتاب لأحد الصحفيين البارزين هو الصحفى الإنجليزى "جابو– Jabow" بعنوان (الحرب المقدسة فى ليبيا) وقد طبع فى لندن سنة ١٩١٢، وذلك لأن هذا الكتاب الأخير آثر مؤلفه تناول شخصية أحد المجاهدين الليبيين وهو"محمد فرحات الزاوي"، الذى كان له دوره المهم والبارز فى الحياه السياسية فى تلك الفترة، وذلك منذ اللحظات الأولى للغزو الإيطالى للبلدان الليبية، فهوأحد الزعماء الوطنيين الذين أفرزهم هذا الغزو، وقد تميز بحسه الوطنى الرفيع، حيث قام بحث القبائل الليبية على الذود عن الوطن ضد المحتل، وذلك رغم أنه لم يكن ينتمى الى المجال العسكرى أى انه لم يسبق إعداده لذلك بل أنه كان أحد المثقفين الذين فازوا بعضوية مجلس المبعوثان العثماني، اذن كان حثه للقبائل مبعثه الجهاد المقدس الذى اتخذه شعارا ومبدأ.

أما عن نشأته فقد ولد بمنطقة الزاوية، حيث ينتمى الى قبيلة (القراغمة)، أى أنه إحدى ثمار سلالة (القوراوغلية)، أى نتاج المصاهرة بين الرجال الليبيين والنساء التركيات، وحين إنقض الإيطاليون على ليبيا كان "فرحات الزاوي" فى حوالى العقد الخامس من عمره، وتذكر المصادر أنه تلقى تعليمه الأولى بطرابلس، ثم رحل إلى تونس لإتمام دراسته بها، ولم يكتف بذلك بل رحل إلى فرنسا لمواصلة دراسته حيث درس الفرنسية والقانون، ثم عاد أدراجه إلى وطنه حيث عمل بالقضاء لفترة من الزمن، ثم قائممقام بمنطقة الشاطئ بفزان [١٨]، ورغم وجوده بالوسط الوظيفى الحكومى فقد عرف بالتحرر فى آرائه وأفكاره، فهولا يخاف بطش السلطات، ولا يخشى فى الحق لومة لائم.

وعندما صدر الدستور من قبل جماعة الاتحاد والترقى عاد إلى طرابلس، وانتخب ممثلا عنها فى البرلمان العثماني، أما بالنسبة لموقفه الجهادى فيتضح أنه كان متوقعا لهذا الغزو مثل سائر المثقفين الليبيين، والذين سبق لهم أن بعثوا بإنذار

الوالى بهذا التوقع نظرا لمظاهره التى كانت تلوح فى الأفق[١٩].

وقد أخذ "فرحات" يصول ويجول متخذا الأسلوب الرشيد فى القيادة، وذلك بالتجوال بين القبائل الليبية مثل (قبائل الحجيلات والزاوية وزوارة)، وجمع من بين تلك القبائل أعداداً غفيرة من المتطوعين الذين التحقوا بالمعسكر التركى بمنطقة العزيزية ليشدوا من أزر القائد التركى الذى كان يزمع التقهقر إلى الخلف أى إلى جبل (غريان) والتحصن به، إلا أن وصول هذا الجمع من المتطوعين تحت قيادة "فرحات" كان دعما للكتيبة التركية وبقائها بالعزيزية.

وجدير بالإهتمام والملاحظة أن "فرحات" واجه الكثير من العقبات بسلوكه هذا، كان من بين تلك العقبات مراسلات بعض شيوخ القبائل المتبادلة، هذا الفريق من الشيوخ الذى أطلقت عليه بعض المصادر المسلمين بالأمر الواقع، ذلك أن هؤلاء الشيوخ كان منهم موالون للإيطاليين برسائلهم التى كانوا يرسلونها إلى القائد "فرحات الزاوي" نذكر من بينها رسالة فحواها : (إذا كنت تعتقد أن هذه وطنيه فانت مخطئ؛ لأن الإيطاليين سيعملون الكثير والكثير من أجل هذا البلد، سيرعون الزراعة، ويمدون الطرق، ويشيدون المطاعم والمبانى الجديدة الجميلة، أما اذا كنت تقوم بهذا لدافع شخصى تمليه عليك جماعة الاتحاد والترقى التى جعلتك ممثلا لطرابلس، فإن إيطاليا تعدك بأن تجعلك ممثلا فى البرلمان الإيطالى، بل إنك ستكون الممثل الوحيد للبلدان الليبية؛ لأنك الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يمثل ليبيا، دعنا نجتمع ونتناقش وربما اقتنعنا بوجهة نظرك، أو أقنعناك نحن بأن تترك المواطنين العرب يحصلون على قوتهم اليومى بأمن وسلام بدلا من أن تعرضهم لأهوال الحرب ضد دولة قوية ستنتصر فى النهاية) [٢٠].

وكانت إجابة القائد "فرحات الزاوي" مؤداها (أن ضميره حى، وأنه لن يبيع ذمته لأعدائه وهو ورفاقه مصرون على مواصلة الجهاد حتى يطعمهم الله الشهادة)، وكم كان إعجاب المجاهدين بقائدهم وفخرهم به إلى حد أن تقدم أحدهم والتقط شعرة من لحيته وهويقول لرفاقه : (ليأخذ كل منا شعرة من لحية هذا القائد "فرحات بك" للتبرك بها).

وقد انتخب "فرحات الزاوي" عضوا فى مؤتمر غريان عام ١٩٢٠، ثم عضوا

بمحكمة الزاوية، ثم عضوا بالمحكمة الوطنية بهيئة الإصلاح المركزي، ثم رئيسا للوفد المبعوث إلى روما تنفيذا لقرارات مؤتمر غريان عام ١٩٢٢، ثم أسند اليه الإشراف على مجاهدى منطقة الزاوية، الأمر الذى أدى بالإيطاليين إلى مصادرة أملاكه، ولا ننسى أن "فرحات الزاوي" كان أحد أعضاء الجمهورية الطرابلسية عام ١٩١٥ .

وفى النهاية قتل بصحراء فزان عام ١٩٢٥ وهو فى التسعين من عمره.

الهوامش :

(١) على مصطفى المصراتى -أعلام من طرابلس – بيروت، ١ٹ٧٠

(٢) سورة مريم

(٣) هذه المقولة قرأتها فى أحد كتب التصوف عن الشيخ عبد السلام الأسمر

(٤) نسبة إلى السلطان عبد الحميد الذى عرف بالاستبداد المطلق

(٥) دكتور فؤاد شكرى : بشير السعداوى ، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى، طرابلس الغرب ، ليبيا، ١٩٨٠ م

(٦) دكتور نيقولا زيادة : السنوسى الكبير – الشركة المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م

(٧) الشيخ عباس الناصرى : الاستقصاء فى أخبار المغرب الأقصى ، ١٩٦٠م . الدار البيضاء بالمغرب

(٨) شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى، ١٩٦١م

(٩) سميت بالصوفية لأن منتهجى تلك الطرق كانوا يرتدون الملابس الصوفية الخشنة ليلا إمعانا فى الزهد والتقشف تقربا إلى الله سبحانه وتعالى. عبد الرحمن بن خلدون : الموسوعة التاريخية ، معهد الدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٥م

(١٠) أحمد الشريف : الأنوار القدسية – مخطوط

(١١) دكتور نيقولا زيادة : السنوسية، ١٩٧٠

(١٢) محمد السنوسى : السلسبيل المعين ، القاهرة

(١٣) دكتور عبد الهادى شعيرة : هدى العارفين ، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى، ١٩٨٠م.

(١٤) هذه الفقرات مقتطفة من كتاب "على مصطفى المصراتي" : سعدون البطل الشهيد ، بيروت، ١٩٧٠م.

(١٥) أبوالقاسم البارونى : سليمان البارونى ، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى طرابلس الغرب، ليبيا.

(١٦) منصور عمر الشتيوى – مع الإيطاليين فى حرب طرابلس – مكتبة دار الفرجانى – طرابلس الغرب ١٩٧٢

(١٧) ترجمة د. محمد عبد الكريم الوافى – مكتبة الفرجانى، ١٩٧٢

(١٨) على مصطفى المصراتى – أعلام من ليبيا – بيروت، ١٩٧٠

(١٩) انظر د. زينب الجابرى – المقومات الثقافية فى ليبيا وآثارها فى مقاومة الاحتلال الإيطالى، القاهرة، ٢٠٠٦

(٢٠) على مصطفى المصراتى : المرجع السابق

السياسة الأمريكية تجاه ليبيا

(١٩٦٩ - ١٩٧٢)

د/ محمد فؤاد خليل
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
كلية الآداب – جامعة الفيوم

مقدمة :

يتناول هذا البحث السياسة الأمريكية تجاه ليبيا فى السنوات الأولى لانقلاب أول سبتمبرعام ١٩٦٩، ذلك الانقلاب الذى يعرفه البعض بثورة الفاتح من سبتمبر، والذى وقع ضد محمد إدريس السنوسى ملك ليبيا(١٩٥١-١٩٦٩).

ويعد هذا الموضوع من الموضوعات المهمة فى تاريخ العرب المعاصر نظراً لعدة اعتبارات إقليمية ودولية من أهمها أن الانقلاب الليبى قد وقع بعد عامين فقط من هزيمة ٥ يونية عام ١٩٦٧والتى أدت إلى انهيار حاد فى الأمن القومى العربى بعد تمكن إسرائيل – فى ظل الدعم الأمريكى الكامل- من هزيمة جيوش ثلاث دول عربية، واستيلائها على القدس والضفة الغربية وقطاع غزة والجولان وسيناء، وحينئذ لم تعد إسرائيل رأس حربة للدول الغربية الكبرى فى قلب الوطن العربى فحسب، وإنما أصبحت قوة إقليمية بالغة الخطورة تسعى إلى التوسع والهيمنة من أجل تحقيق الأطماع الصهيونية لإقامة الوطن القومى اليهودى من النيل إلى الفرات.

كما جاء هذا الانقلاب فى ظل حالة الاستقطاب الدولى التى كانت تعيشها المنطقة، فى إطار سعى واشنطون لتطبيق مبدأ أيزنهاور لملء الفراغ فى الشرق الأوسط، والتى كانت المملكة الليبية السنوسية تمثل جزءًا حيوياً منه، كأحد خطوط التماس فى الحرب الباردة بين الشرق والغرب .

ولقد كانت ليبيا الملكية فى عام ١٩٦٩ واحة الغرب النفطية الهادئة التى

تحيط بها الأمواج الثورية الهادرة من كل مكان؛ ففى شـرقها مـصر الناصـرية، بتوجهاتها القومية العربية المتطرفة، تتبعها سوريا واليمن والعـراق،ومن الغـرب الجزائر التى كانت قد خرجت لتوها من حقبة استعمار فرنسى طويل وبغيض وهى أكثر عداءً للغرب .

وبذلك لم يكن قد تبقى ممن يدورون فى الفلك الأمريكى - فى نهايـة عقـد الستينيات من القرن العشرين من بلدان المغرب العربى - سوى تونس ومـراكش واللتين كانتا موصوفتين بالمعتدلتين .

وهكذا فقد جاء انقلاب سبتمبر عام ١٩٦٩ بمثابة قلب لأوراق اللعبـة - إذا جاز لنا هذا الوصف - ويشكل خطرا داهما على الاستراتيجية الأمريكية والغربية فى المنطقة، إذ تمكنت مصر من جعل ليبيا ظهير استراتيجيا لهـا علـى حساب الغرب، وفرصة للمد الثورى فى بقية بلدان المغرب العربى، وهو الأمر الذى كان يعنى من وجهة النظر الأمريكية تغييراً خطيراً فى موازين القوى فى المنطقة فـى اتجاه معاد للولايات المتحدة، مما جعل البحث فى السياسة الأمريكيـة تجـاه هـذا الانقلاب الليبى موضوعاً جديراً بالدراسة.

وسوف يقتصر هذا البحث على الفترة الواقعة ما بين عامى ١٩٦٩ و١٩٧٢ أى السنوات الثلاث الأول من الانقلاب، فالعام الأول وقـع فيـه الانقـلاب كمـا هومعلوم، بينما شهد الأخير تدهوراً فى العلاقات الليبية - الأمريكية، بعـد اتهـام واشنطون للحكومة الليبية بتشجيع العمليات الإرهابية ضد المـصالح الأمريكيـة، بالإضافة إلى أن الوثائق الأمريكية المتاحة حول هذا الموضوع تتوقف عنـد عـام ١٩٧٢.

على أية حال فسوف يعتمد هذا البحث بصفة أساسية على وثائق **الأرشـيف القـومى الأمريكـى** المعـروف باسـم(NARA) National Archives and Records والمتعلقة بليبيا خلال الفترة موضوع الدراسة والتى تميـزت بأهميتهـا وغزارتها، وهى على النحو التالى :

١ - وثائق البيت الأبيض .

٢- وثائق وزارة الخارجية.

٣- وثائق وزارة الدفاع .

٤ – وثائق مجلس الأمن القومى .

٥ – وثائق وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) .

٦- وثائق وكالة الاستخبارات الوطنية (NIA) .

كما سيعتمد على المذكرات السياسية والمراجع والدوريات.

****

ففى الوقت الذى كانت فيه الولايات المتحدة تؤيد عملية انتقال سلمى للسلطة من الملك السنوسى – والذى لم يكن موفقاً فى الكثيرمن سياساته الداخلية – إلى ولى عهده الأمير محمد [١] فوجئت بالانقلاب العسكرى فى ليبيا فى الأول من سبتمبر عام ١٩٦٩ [٢].

ولقد كانت المصالح الأمريكية فى ليبيا فى وقت وقوع الانقلاب تتمثل في قاعدة الهويلس والامتيازات النفطية .

وفيما يتعلق بقاعدة الهويليس فهى ترجع إلى فترة الاحتلال البريطاني لشمال ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية، ففى عام ١٩٤٣سمحت القوات البريطانية للقوات الجوية الأمريكية باحتلال مطار الملاحة – الذى كان مستخدماً من قبل الإيطاليين –، واستعماله كقاعدة عسكرية لقواتهم الجوية، وقد عرف المطار بقاعدة الهويلس الجوية الأمريكية، ويقع على بعد بضعة أميال شرق طرابلس. ولقد سعت الولايات المتحدة منذ هذا الاحتلال للاحتفاظ بهذه القاعدة إدراكا منها لأهميتها الاستراتيجية، ولترسيخ وجودها بالتفاهم مع الدولة الليبية، وظهر ذلك بعد الحرب العالمية الثانية، فقد كانت الولايات المتحدة تميل إلى منح إيطاليا الوصاية على كل ليبيا أوجزء منها، وبإحالة القضية الليبية للجمعية العامة للأمم المتحدة منحت ليبيا الاستقلال، فدخلت الحكومة الأمريكية في مباحثات معها لتنظيم وجود قواتها في ليبيا، وتقديم المعونة المالية مقابلها، فتم توقيع اتفاقية أمريكية ليبية في

ديسمبر عام ١٩٥١ كفلت حق البقاء للقوات الأمريكية في قاعدة الهويلس الجوية لمدة عشرين عاما، وحق السيطرة الكاملة على الأجواء والمياه الليبية وحرية الوصول والحركة للقوات الأمريكية في جميع أجزاء ليبيا، كما سمحت للولايات المتحدة وحلفائها باستعمال القواعد العسكرية الأمريكية مع إعفاء القوات الأمريكية من جميع الرسوم والضرائب، وعدم سريان القانون الليبي على أفراد هذه القوات[٣].

أما الامتيازات النفطية الأمريكية فقد تمثلت فى أربع شركات برأسمال أمريكى كامل، وخمس شركات بالمشاركة مع شركات أوروبية (بريطانية وألمانية غربية وفرنسية وهولندية وإسبانية)* مما جعل الولايات المتحدة معنية بوضع سياسة شاملة تجاه ليبيا تتوافق مع الوضع الجديد، وتتطور وفقاً للمعطيات الناجمة عن كل موقف صادر عن الحكام الثوريين الجدد لليبيا.

وقد عبرت مذكرة صادرة عن مجلس الأمن القومى الأمريكى فى اليوم التالى للانقلاب(٢سبتمبر ١٩٦٩)عن صدمة الحكومة الأمريكية وعدم توقعها لما حدث فى ليبيا، واستقى المجلس معلوماته من البيان الأول لمجلس قيادة الثورة فى ليبيا، فقد لفت نظر المسئولين الأمريكيين ما ورد فى هذا البيان من أن النظام الجديد فى ليبيا سيكون" اشتراكيا يرغب فى التكامل مع العالم الثالث، ويستند إلى القرآن الكريم" . وبالرغم من أن الأمريكيين قد أبدوا تخوفهم من هذه العبارة تحديداً، إلا أنهم اعتبروا البيان "معتدلاً نسبياً قياساً على مستوى بيانات الانقلابات العسكرية فى العالم العربى، وخصوصاً أنه لم يتطرق إلى التصميم على مواصلة الكفاح فى فلسطين"، والذى اعتبره التقرير مجالاً واسعاً لأكثر المجموعات العربية تطرفاًعلى حد وصفه.

أما عن قائد الانقلاب فقد ظنت الولايات المتحدة فى البداية (وفقاً للبيان الأول للثورة) أنه العقيد سعد الدين أبوشويرب - قائد الكتيبة الثانية مدرعات، والذى كان قد استقال من الجيش الليبى فى أواخرعام ١٩٦٧، ويوم الانقلاب كان موجوداً مع أسرته بالعاصمة الإسبانية مدريد، وفوجئ يوم الانقلاب بنشر صورته على صفحات الجرائد، وبتعيينه رئيساً لأركان الجيش الليبى، فيما يبدو أنه كان تكتيكاً اتبعته مجموعة الضباط الليبيين الذين أطلقوا على أنفسهم اسم " الضباط الوحدويون

الأحرار" لضمان الحياد الأمريكى، ثم قاموا بإقالته بعد أربعين يوماً فقط قضاها بمعسكر باب العزيزية يزاول عمله كرئيس للأركان، بعد أن استقرت لهم الأمور. وقد وصف التقرير الأمريكى العقيد أبو شويرب بأنه مصنف فى سجلات وكالة الاستخبارات المركزية (سى آى أيه)(CIA)على أنه موال للولايات المتحدة[٤] .

على أية حال، فقد درست الحكومة الأمريكية فى تلك الفترة إمكانية تطبيق سياسة الاحتواء فى ليبيا من خلال مساندة انقلاب أو ثورة مضادة مدنية أو عسكرية ممنهجة وموجهة.

وقد جاءت ملامح هذه السياسة الأمريكية فى تقرير من هارولد ساندرز Harold Sanders عضو مجلس الأمن القومى الأمريكى إلى د.هنرى كيسنجر D.Hennry Kissinger مستشار الرئيس الأمريكى لشئون الأمن القومى بتاريخ٢سبتمبر١٩٦٩، أكد فيه ساندرز على أن الأمل الأمريكى الذى كان قائماً على إمكانية تحرك عناصر مناوئة للانقلاب من الجيش أو الشرطة الليبية أو السياسيين من العهد الملكى البائد قد اصطدم مع واقع ضعف هذه العناصر المعارضة فى تلك المرحلة[٥]، ومع ذلك فلم يكن معنى ذلك تخلى واشنطون عن الفكرة .

وبعد ثلاثة أيام من الانقلاب(فى ٤ سبتمبر١٩٦٩) عكس تقرير آخر حالة الترقب والحذر التى كانت تعيشها الإدارة الأمريكية، فقد اقترح كاتب التقرير ديفيد نيوسوم David Newsom – مساعد وزير الخارجية الأمريكى للشئون الأفريقية – الحفاظ على العلاقات الدبلوماسية مع ليبيا، والتجاوب مع البيان الأول لمجلس قيادة الثورة ببيان أمريكى مماثل يفهم منه ضمنياً أن واشنطون باحتفاظها بعلاقات دبلوماسية مع ليبيا تكون قد اعترفت بالنظام العسكرى الليبى دون أن تعلن ذلك صراحة، والتنسيق مع بريطانيا للقيام بعمل مماثل فى نفس التوقيت[٦].

ومهما يكن من أمر، فقد أصبحت السياسة الأمريكية فى تلك المرحلة مزيجاً يجمع بين دعم انقلاب أو ثورة مضادة غير محمودة العواقب، وبين الترقب والحذر، ويصب ذلك كله فى هدف واحد ألا وهو ضرورة القضاء على هذه الثورة التى

قامت ضد السنوسى .

على أية حال، فقد أخذت الادارة الأمريكية - وعلى رأسها الأجهزة الاستخبار اتية التى لعبت دوراً كبيراً فى إدارة الأزمة الليبية - تخطط للعمل ضد الانقلاب الليبى، وكانت وكالة الاستخبارات المركزية من المؤسسات الأمنية الأمريكية الأكثر فاعلية خلال أحداث ليبيا، فقد وضعت عدة تقارير مهمة للغاية تناولت الانقلاب الليبى، ووضعت الخطط الملائمة للتعامل معه .

ففى تقرير صادر فى١٦سبتمبر١٩٦٩ أبدت الوكالة تشككها فى قادة الانقلاب، مؤكدة على أن ما أعلنوه عن نواياهم السلمية، ورغبتهم فى الوفاء بالالتزامات الدولية، والحفاظ على المصالح الأجنبية فى ليبيا، ليس إلا نوع من التضليل الذى يمارسونه لكبح جماح التدخل الخارجى المعادى، وأكد التقرير على أن قادة الانقلاب يخشون من التدخل العسكرى الأمريكى - البريطانى تحديداً، حيث كانت الولايات المتحدة تحتفظ بقوات عسكرية فى قاعدة الهويليس يبلغ قوامها خمسة آلاف (٥٠٠٠) جندى، بينما كانت بريطانيا تحتفظ بقوات عسكرية فى طبرق يبلغ قوامها ألف (١٠٠٠) جندى[٧] فى إطار المعاهدات الدفاعية التى عقدها معهما الملك السابق إدريس السنوسى[٨] . كما أشار التقرير فى هذا الاطار إلى مرابضة الأسطول السادس الأمريكى بالقرب من السواحل الليبية [٩] .

وقد اعتبرت السى آى إيه أن لغة الاعتدال التى اتسمت بها تصريحات قادة الانقلاب ليست إلا مرحلة مؤقتة حتى يتمكنوا من تثبيت أقدامهم فى السلطة، ويزول الخطر الخارجى، كما توقعت الاستخبارات المركزية أن يتجه قادة الانقلاب الليبى إلى التطرف على ضوء خبراتها بتاريخ الانقلابات العسكرية فى العالم العربى فى عقدى الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، فقد جاء فى التقرير: " كانت النظم العسكرية الحاكمة الأخرى(فى العالم العربى) قد اتجهت - فى الغالب وبدون استثناء - إلى أن تصبح أكثر تطرفاً ويسارية بمرور الوقت، وقد ظهر ذلك فى حالة مصر التى تخضع لحكم الزعيم الأوحد (عبد الناصر) وسوريا والعراق، نتيجة للانقلابات العسكرية التى حملت أكثر النظم تطرفاً إلى الحكم"[١٠].

وبالإضافة إلى ذلك فقد توقع التقرير: " أن تتلقى ليبيا النصيحة من شقيقتها

الكبرى مصر بالانضمام إلى المعسكر الثورى العربى" ، ثـم أردف قـائلاً :" لـن يرغب مجلس قيادة الثورة(الليبى) أن يتهم بأنه أقل إخلاصاً وحماساً(فـى مجابهـة الغرب) من مثيله فى البلدان العربية المتطرفة.....خصوصاً إذا تولى السلطة زعيم معاد لإسرائيل "(١١) .

وفى موضع آخر من التقرير أكدت السى آى إيه أن الولايات المتحـدة قـد فوجئت بالانقلاب، وأنها لم تكن تتوقع أن ينجح الجيش الليبى فى العهـد الملكـى- والذى كان يبلغ تعداده بضعة آلاف شخص (قدرتهم بثمانية آلاف جندى، وثلاثمائة ضابط) وأقل بكثير من تعداد الشرطة- فى القيام بانقلاب ضـد السنوسى بـدون مساعدة خارجية (١٢) .

واتساقاً مع الهدف الذى وضعته الإدارة الأمريكية لمواجهة الانقلاب الليبـى، أشار تقرير السى آى إيه إلى أن الآمال كانت تحدو واشنطون إلى إمكانيـة تغييـر الأوضاع فى ليبيا عن طريق تمرد شعبى، أومن خلال تمـرد القبائـل البرقيـة - الموالية للسنوسى- ضد ضباط مجلس قيادة الثورة ، واحتمال ظهور مجموعات من ضباط الجيش الليبى المختلفة أيديولوجياً مع مجلس قيادة الثورة تتمكن من الاستيلاء على السلطة(١٣)، أى أن الذى كان يهم المسئولين الأمريكيين فى تلك المرحلة هـو وقوع حالة من الفوضى المنظمة التى تمكنهم مـن تغييـر الأوضـاع فـى ليبيـا لمصلحتهم .

وقد توقعت السى آى أيه أن تتساوى فرصة بقاء قاعدة الهويلس فى ليبيا مع فرصة عدم بقائها، وكذلك الحال بالنسبة للبريطانيين الذين لن تشفع لهم المعاهـدة الدفاعية التى وقعوها مع السنوسى والتى تنتهـى فـى عـام١٩٧٣ - فـى رأى المسئولين الأمريكيين - للبقاء فى ليبيا تحت الضغوط الداخلية والخارجية الـشديدة على مجلس قيادة الثورة لإنهائها (١٤)على حد ما جاء فى التقرير.

أما فيما يتعلق بالمصالح النفطية الأمريكية والغربية فى ليبيا، فقـد توقعـت السى آى إيه أن تقل الطبيعة المتطرفة للنظام الليبى الجديد فى هذه القضية بـسبب حاجة ليبيا لهذا المورد المالى الذى تعتمد عليه بصفة أساسية، وإن كانت قد توقعت أن تطلب الحكومة الليبية من الشركات النفطية الغربية زيادة حصتها من عائـدات

النفط أسوة بمثيلاتها فى البلدان العربية المتطرفة وخصوصاً العراق والجزائر اللتين تضررت الولايات المتحدة من ثورتيهما تضرراً بالغاً فى الناحيتين السياسية والنفطية؛ فبالنسبة للعراق فقد " منعت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا- والتى كانت تمتلك شركة نفط العراق – من مد امتيازاتها إلى مناطق جديدة، بينما كان الجزائريون فى منتهى العنف خلال الحرب العربية الإسرائيلية فى يونية ١٩٦٧ (وفقاً للتقرير) عندما اتخذوا أشد الاجراءات لوضع كل الشركات النفطية الأمريكية – التى كانت تسيطر على نحو ١٠% فقط من إجمالى النفط الجزائرى – تحت الإدارة المالية الجزائرية ....بينما كانت الحكومة الجزائرية أقل حدة مع الشركات الفرنسية التى كانت تنتج معظم نفط الجزائر " [١٥] .

وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة كانت تعتمد على جزء بسيط من احتياجاتها النفطية على ليبيا[١٦] فقد كانت تخشى من تأثير الوضع الجديد على حلفائها الأوروبيين الذين كانوا يعتمدون على ليبيا للحصول على ربع احتياجاتهم النفطية نظراً لجودة النفط الليبى، وسهولة وانخفاض تكاليف نقله[١٧] مقارنة بنفط منطقة الخليج العربى باهظ التكلفة .

وأشار تقرير السى آى إيه فى هذا الصدد إلى قيام بعض الدول العربية بقطع إمدادات النفط عن الغرب فى أعقاب حرب١٩٦٧، ومضى قائلاً:" يجب أن نتذكر إلحاح المتطرفين العرب فى العراق والجزائر على استخدام النفط كأحد وسائل الضغط على الولايات المتحدة لتغيير سياستها المؤيدة لإسرائيل ....فى حين رفضت الكويت والسعودية وليبيا المشاركة فى ذلك.......أما إذا ظهرت حكومات ثورية فى الكويت والسعودية فقد يعنى ذلك أوقاتاً عصيبة جداً لشركات النفط الأمريكية فى العالم العربى "[١٨].

أما فيما يتعلق بالآثار المحتملة للانقلاب الليبى على الأوضاع الداخلية فى البلدان العربية الموالية للولايات المتحدة فى ذلك الحين [١٩]، والتى وصفها التقرير بالمعتدلة، فقد أشارت الاستخبارات المركزية إلى احتمال أن تتفاوت تلك الآثار من بلد إلى آخر، على الرغم من أن هذه البلدان تجمعها سمة واحدة وهى حالة السخط الشعبى ضد أنظمتها السياسية بسبب نظرة شعوبها إليها على أنها " ودودة للغاية مع

الولايات المتحدة، وناعمة مع إسرائيل [٢٠] مما يجعل تكرار النموذج الليبي في بلدان عربية أخرى أمراً وارداً " [٢١] .

وفى هذا الإطار أشارت الاستخبارات المركزية إلى تلقى الولايات المتحدة طلبات من عدة دول عربية موالية لها(وصفها التقرير بالمعتدلة) تطلب حمايتها من المد الثورى الذى يشهده العالم العربى بعد نجاح الانقلاب الليبى فى إسقاط الملكية[٢٢].

وكان الأمر الذى أقلق واشنطون –فى هذا السياق–هو احتمال طلب الدول العربية الموالية لها دعماً عسكرياً وسياسياً إضافياً قد يخل بالتوازن العسكرى مع إسرائيل الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة[٢٣] والتى تضعها فى كفة، وأصدقاءها من العرب فى كفة أخرى[٢٤]، وفى نفس الوقت خشيت واشنطون من أن يؤدى عدم استجابتها لطلبات أصدقائها العرب إلى نمو الاستقطاب الدولى فى المنطقة مما سيجعل العرب يتحدون فى حلف واحد معاد للولايات المتحدة وإسرائيل[٢٥] .

وبناءً على هذه التوصية الأخيرة للاستخبارات المركزية كلفت وزارة الخارجية الأمريكية السفراء الأمريكيين فى عدة عواصم عربية بإبلاغ حكوماتها "بتعهد واشنطون بضمان أمن تلك الحكومات، وضمان بقائها مثلما فعلت لعدة سنوات" مع نقل مضمون آخر للرسالة حرصت واشنطون على إيصاله لتلك العواصم وهو عدم استطاعتها التدخل العسكرى للقضاء على أية اضطرابات شعبية محتملة فى بلدانهم، مع الإشارة إلى اتباعها نفس الموقف فى حالة ليبيا عندما لم تتمكن من التدخل لحماية صديقها السنوسى من السقوط،على الرغم من وجود قوات عسكرية أمريكية على الأراضى الليبية وقت الانقلاب، وإلى اتباع فرنسا نفس السياسة فى أفريقيا على الرغم من تمتعها بنفوذ كبير هناك[٢٦] وفقاً لبرقية الخارجية الأمريكية .

على أية حال كان واضحاً –وفقاً لهذا التقرير–مدى الأضرار السياسية والاقتصادية والاستراتيجية التى توقعتها الولايات المتحدة نتيجة للانقلاب الليبى، ولكنها لم تستسلم للواقع، وأرادت التحكم فى الأمر بغية تحويل مجريات الأحداث

برمتها لصالحها، وهنا برز دور الفريق الأمنى الأمريكى فى إدارة الأزمة الليبية عن ذى قبل بصورة جعلته يتخطى الدور الأساسى لوزارتى الخارجية والدفاع، إذ أصبح يتردد كثيراً اسم هنرى كيسنجر- مستشار الرئيس الأمريكى لشئون الأمن القومى- ومؤسسات مجلس الأمن القومى، والاستخبارات المركزية، والاستخبارات الوطنية فى المسألة، والجميع كان فى حالة ارتباك وتردد واضح، وتم طرح كافة الخيارات للتعامل مع الانقلاب الليبى وآثاره المحتملة على المصالح الأمريكية فى المنطقة .

وقد كانت قضية قاعدة الهويلس الجوية من القضايا المهمة التى أرادت بها الإدارة الأمريكية اختبار توجهات رجال الثورة فى ليبيا، وموقفهم من الولايات المتحدة، واقترح كيسنجر اتباع سياسة تقوم على مقايضة إتمام صفقة الأسلحة التى كان نظام السنوسى قد تعاقد عليها مع الحكومة الأمريكية قبل سقوطه مباشرة فى مقابل بقاء قاعدة الهويلس(٢٧)، ووضع المسئولون الأمريكيون فى الاعتبار احتمال تثمين الليبيين لدور الشركات النفطية الأمريكية فى دعم الدخل القومى الليبى للإبقاء على القاعدة.

وعندما تم استطلاع الموقف الليبى دون التطرق فى البداية إلى نقطة المقايضة جاء الرد حاسماً من جانب صالح مسعود بويصير وزير الخارجية الليبى لدى اجتماعه مع جوزيف بالمرJoseph Palmerالسفير الأمريكى فى طرابلس فى٣٠ أكتوبر١٩٦٩، إذ أكد الوزير الليبى على أن القاعدة الأمريكية لن تساعد على قيام علاقات طيبة بين البلدين، مشيراً فى الوقت نفسه إلى تمتع الولايات المتحدة بعلاقات طيبة مع عدد من البلدان الأخرى دون أن تمتلك قواعد عسكرية على أراضيها، ثم قدم الوزير الليبى طلباً رسميا للحكومة الأمريكية بالدخول فى مفاوضات عاجلة للجلاء عن كافة الأراضى الليبية، مشيراً إلى تقديم حكومته طلباً مماثلا للحكومةالبريطانية(٢٨) .

ولقد اعتبرت الحكومة الأمريكية الموقف الليبى تطوراً بالغ الأهمية، وعلى الرغم من أنه لم يصدم المسئولين الأمريكيين فقد كانوا يأملون فى موقف ليبى أكثر مرونة يتعاطى مع مصالح ليبيا النفطية الحيوية، والعلاقات العسكرية بين البلدين

الممتدة من العهد الملكى، والتى سبقت الاشارة إليها، وقد عبر هارولد ساندرز – عضو مجلس الأمن القومى الأمريكى _ عن الموقف الأمريكى فى مذكرة رفعها إلى هنرى كيسنجر فى١٧نوفمبر١٩٦٩ عندما قال:" إن القضية الأساسية فيما لو تقاتلنا مع الليبيين ..... أو رضخنا لأمر من المتعذر اجتنابه"(٢٩).

ويبدو من العبارة الأخيرة تلميح إلى إجراء ما عزم الأمريكيون على اتخاذه لم يفصح عنه صراحة، ولن يكون رضوخاً للطلب الليبى، وتأكد ذلك من خلال مذكرة سرية للغاية مرفوعة من مجلس الأمن القومى إلى كيسنجر فى ٢٠نوفمبر ١٩٦٩ تناولت الضغوط الأمريكية المحتملة على النظام الليبى(٣٠)، وبالرغم من أن هذه المذكرة قد كتبت فى ظل طلب من الرئيس نيكسون بانتهاج سياسة متشددة تجاه ليبيا، إلا أنها قد طرحت جميع الخيارات الممكنة ونتائجها الإيجابية والسلبية على إدارة الأزمة الليبية على النحو التالى :

أولاً : الخيارات السياسية، وتتمثل فيما يلى :

١- تأجيل الرد على الطلب الليبى بالتفاوض حول الانسحاب من قاعدة الهويلس، أو الرد بسلبية، ورأى أعضاء مجلس الأمن القومى أن ذلك يمكن أن يؤدى بالنظام الليبى إلى القيام بحملة شعبية ضد الولايات المتحدة ستلقى تأييداً من الاتحاد السوفيتى والقاهرة مما سيكون له عواقب خطيرة على المصالح الأمريكية فى ليبيا.

٢- استخدام دول حلف شمال الأطلنطى (الناتو) NATO وبصفة خاصة تركيا وألمانيا الغربية – اللتان كانتا لهما نفوذ أكبر من الولايات المتحدة فى ليبيا خلال العهد الملكى بحسب ما ذكر فى المذكرة- للإعراب للنظام الليبى عن قلقهما على مستقبل ليبيا بدون الناتو، وقد ذكر المجلس أن الضغط من هذا الجانب قد أدى دائماً إلى رد فعل معاد قوى فى ليبيا، وفى هذا السياق أشار إلى دور محمود سليمان المغربى – رئيس الوزراء الليبى فى حكومة الثورة – خلال حرب ٥يونية عام١٩٦٧ (٣١) عندما قاد عدداً من الأشخاص لمنع شحن سفن النفط الليبى إلى ألمانيا الغربية، ومن ذلك رأى المجلس أن تأييد ألمانيا الغربية للولايات المتحدة فى هذا المجال "مغامرة بمصالحها فى ليبيا " .

٣- قطع العلاقات الدبلوماسية مع ليبيا فى حالة عدم التزامها بتعهداتها الدولية .

ثانياً : الخيارات الاقتصادية، وتتمثل فيما يلى :

١- اتخاذ الإجراءات القانونية ضد الحكومة الليبية بناء على طلب شركات النفط الأمريكية.

٢- توقف الولايات المتحدة عن استيراد النفط الليبى، ونظراً لأنها لا تستورد سوى ٨% فقط من احتياجاتها النفطية من ليبيا، فلم يمثل ذلك ضغطاً كبيراً عليها، إلا أن الخشية كانت من أن يؤدى هذا الإجراء إلى إثارة النظام الليبى ودفعه إلى اتخاذ موقف معاد ضد الولايات المتحدة.

٣- نصح الفنيين الأمريكيين بالرحيل عن ليبيا بسبب الأوضاع غير المستقرة فيها، وإن كان الحذر الأمريكى من هذا الإجراء يكمن فى أن يؤدى ذلك إلى إشعال فتيل أزمة سياسية مما قد يدفع النظام الليبى إلى الاتجاه ناحية الكتلة الشرقية لتشغيل المؤسسات التى سيغادرها الفنيون الأمريكيون .

٤- وضع قيود على توظيف رأس المال الأمريكى فى ليبيا .

٥- التهديد بتجميد المدخرات الليبية فى الولايات المتحدة والتى تبلغ مائة وخمسين مليون(١٥٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار، والمتمثلة فى سندات وأوراق مالية مما سيجعل النظام الليبى أكثر قابلية للأخذ والرد .

ثالثاً : الخيارات العسكرية، وتتمثل فيما يلى :

١- قيام وحدات من الأسطول السادس الأمريكى بعملية استعراض للقوة خارج المياه الليبية، لكن الخشية من هذا الإجراء كانت تكمن فى أنه قد يدفع الليبيين إلى الانتقام عن طريق دعوة الأسطول السوفيتى للدخول إلى الموانئ الليبية .

٢- الاتفاق مع بريطانيا على تحريك القوات الأمريكية والبريطانية الموجودة فى ليبيا لإقامة جسر جوى مدعم من تونس ومراكش - اللتين من المحتمل أن تسمحا بنقل القوات الثقيلة عبر أراضيها- لمنع الجماهير من المساس بالرعايا والمؤسسات الأمريكية، لكن هذا الحل قد يكون موضع انتقاد دولى واسع .

٣- ترحيل الرعاياو المؤسسات الاستثمارية الأمريكية من شرقى ليبيا لأنها كانت أكثر عرضة للخطر[٣٢] .

وهذه كانت الخيارات المطروحة من قِبَل مجلس الأمن القومى الأمريكى للتعامل مع الانقلاب الليبى وتداعياته المختلفة على المصالح الأمريكية، ولابد من الإشارة إلى وجود خيار رابع جاء بالتقرير إلا أنه قد تم طمسه بصورة متعمدة، والتظليل عليه بالسواد [٣٣]، ولا يمكن تفسير ذلك إلا بأن هذا الخيار كان بالغ الخطورة ولم يكن أقل من دعم فكرة تشجيع الثورة المضادة – والتى طرحت سابقاً – من خلال خطوات عملية سوف تكشف عنها الأحداث التالية .

ولقد كان هذا الخيار الرابع مطروحاً فى حالة إقبال النظام على خطوات معينة ضارة بالمصالح الأمريكية، فإذا كانت واشنطون قد تأكدت من اتجاه قادة الانقلاب إلى إنهاء الوجود العسكرى الأمريكى فى ليبيا، فإن قضية الامتيازات النفطية لم تكن قد حسمت بشكل نهائى، وفى اجتماع مهم بوزارة الخارجيةالأمريكية ضم مجموعة "العمليات الخاصة" [٣٤]، وحضره كيسنجر فى ٢٤نوفمبر ١٩٦٩، تم الإعراب عن الخشية من اتجاه النظام الليبى إلى العنف الثورى متأثراً بالدعاية الناصرية – وفقاً لما جاء بالتقرير – مما قد يؤدى إلى تأميمه لشركات النفط الأمريكية والأجنبية فى ليبيا[٣٥] .

وفى هذا الإطار أعاد كيسنجر طرح الخيار العسكرى الذى سبق أن ذكره فى مذكرة مجلس الأمن القومى فى ٢٠نوفمبر ١٩٦٩، والخاص بقيام وحدات من الأسطول السادس الأمريكى بعملية استعراض للقوة خارج المياه الليبية ملمحاً إلى قيام بريطانيا بعمل مماثل فى القرن التاسع عشر[٣٦] فى إشارة واضحة إلى المظاهرة البحرية التى قامت بها بريطانيا أمام سواحل الإسكندرية إبان الاحتلال البريطانى لمصر عام١٨٨٢[٣٧]، فنتيجة لتأثره بموقف اللورد دفرين Duffrin – البريطانى أثناء مؤتمرالآستانة لبحث الأزمة المصرية فى عام ١٨٨٢ – بإضافة عبارة "إلا فى حالة الضرورة القصوى"، اقترح كيسنجر عدم استخدام القوة العسكرية فى ليبيا"إلا فى حالة الضرورة القصوى " [٣٨] على حد قوله.

ويلاحظ مرة أخرى أنه كان هناك خيار آخر قد تم طمسه أيضاً بصورة

متعمدة والتظليل عليه بالسواد كما حدث في تقرير مجلس الأمن القومي سالف الذكر[٣٩].

وهكذا فقد أثبتت الأحداث التالية اتجاه الولايات المتحدة إلى خيار الثورة المضادة، فبعد نحو أسبوعين من هذا الاجتماع(في ١١ديسمبر١٩٦٩) أعلن بيان صادر عن مجلس قيادة الثورة من إذاعة طرابلس عن إحباط محاولة انقلاب فاشلة، وقد وصفت السفارة الأمريكية البيان الليبي بالغامض، واستوقفتها عدة عبارات وردت فيه من أهمها قوله " إن الرجعيين والانتهازيين الذين يعملون لصالح الإمبريالية العالمية (والتي يقصد بها عادة الولايات المتحدة والغرب في أدبيات تلك الفترة) قد قاموا بمؤامرة فاشلة تم إحباطها، وكان الأخطر من ذلك ما ذكرته الإذاعة الليبية – في هذا السياق – نقلاً عن حديث أجرته مع المقدم معمر القذافي قائد الانقلاب ورئيس مجلس قيادة الثورة [٤١] في معرض حديثه عن تفاصيل المحاولة الانقلابية التي قام بها الوزيران بحكومة الثورة آدم الحواز وموسى أحمد الحاسي(وفقاً لتقرير السفارة الأمريكية) عندما أشار بصورة لا لبس فيها إلى " تورط جهات أجنبية في المحاولة الانقلابية الفاشلة.....ملمحاً إلى توافق توقيت هذه المحاولة مع بدء المفاوضات الخاصة بالقاعدة الجوية(الهويلس) "[٤٢] .

ولقد كان الأمر الأشد خطورة من كل ذلك بالنسبة للحكومة الأمريكية ما جاء في حديث القذافي من تصريح غير مباشر بتورط الولايات المتحدة في المحاولة الانقلابية الفاشلة ضده عندما قال:" كان الحواز ضابطاً يتمتع بمسئوليات كبيرة .... وكانت تربطه صداقة مريبة بشركتين أمريكيتين......... وتساءل(القذافي) عما لوكانت لذلك علاقة بالمحاولة الانقلابية ضده "[٤٣].

وقد اقترحت السفارة الأمريكية في طرابلس عدم الرد على اتهامات القذافي، ورأت أن ذلك قد يؤدي إلى تأزم العلاقات الأمريكية – الليبية دون داع، في الوقت الذي بدأت فيه المفاوضات الخاصة بقاعدة الهويلس، واقترحت تقديم احتجاج شفوي لوزير الخارجية الليبي في حالة تصاعد التصريحات الليبية التي تتهم واشنطون بالضلوع في المحاولة الانقلابية الفاشلة [٤٤] .

ولم ينته الموضوع عند هذا الحد، فقد خرج المقدم(العقيد فيما بعد) القذافي

بحديث تليفزيونى فى ١٢ديسمبر١٩٦٩ أدى إلى قلق أمريكى بالغ وتوتر فى العلاقات بين البلدين، فقد اتهم الحكومة الأمريكية صراحة بضلوعها فى محاولة الانقلاب الفاشلة ضده، وذكر القذافى أن آدم الحواز – المتهم الأول فى المؤامرة – قد اعترف بأنه كان على اتصال مباشر بمسئولين عسكريين أمريكيين بفرع السفارة الأمريكية بمدينة بنغازى، كما أشار القذافى إلى اعتراف الحواز بطلبه دعماً من الحكومة الأمريكية فى محاولته الانقلابية، ولكنه لم يوضح طبيعة هذا الدعم [٤٥].

وقد نفت الحكومة الأمريكية عن نفسها ضلوعها فى محاولة الانقلاب الفاشلة ضد القذافى، وأكدت على أن المسئولين الأمريكيين كانوا قد أجروا بالفعل اتصالات مع المتورط الأول فى المؤامرة آدم الحواز، لكنهم لم يشجعوه على الانقلاب ضد حكومة الثورة، كما أشارت إلى أن هذه الاتصالات قد تمت بعلمها[٤٦] .

ومن ناحية أخرى كلفت وزارة الخارجية الأمريكية سفارتها فى طرابلس بإبلاغ المسئولين الليبيين أن الولايات المتحدة تنأى بنفسها دائماً عن التدخل فى الشئون الداخلية الليبية، ونفى تورطها فى تقديم أى دعم مادى أو معنوى لأى شخص يعمل ضد الحكومة الليبية[٤٧] .

وهكذا جاءت محاولة الانقلاب الفاشلة ضد القذافى – والتى لا يستبعد ضلوع واشنطون فيها فى ظل المعطيات المشار إليها سلفاً– بمثابة انتكاسة خطيرة لسياسة الاحتواء الأمريكية تجاه الثورة الليبية، وتبعاً لذلك أخذ الموقف الأمريكى فى ليبيا يسير من سيئ إلى أسوأ، فبعد نجاحه فى إحباط المؤامرة، وجد مجلس قيادة الثورة فى ليبيا نفسه فى وضع أفضل للتخلص من هاجس التهديد العسكرى الأمريكى، وبدت الولايات المتحدة وكأنها تستجدى الليبيين للحفاظ على علاقات طيبة بين البلدين، فأقدم الليبيون على الانفتاح على مصر بصورة كبيرة ومعلنة عن ذى قبل، واعتبر الأمريكيون ذلك مقدمة لتدخل مصرى فى ليبيا لا يرضيهم بأى حال من الأحوال، وقد عضد هذه المخاوف الأمريكية الدعوة الليبية لعبد الناصر لزيارة طرابلس فى ديسمبر ١٩٦٩ لعقد تحالف عسكرى وسياسى مصرى – ليبى – سودانى [٤٨] .

وزاد من المخاوف الأمريكية المعلومات التى حصلوا عليها حول استعانة

ليبيا بالخبراء المصريين فى المجالات الأمنية والاستخباراتية، واستقدامها لفرقتين من الجيش المصرى فى منتصف سبتمبر عام ١٩٦٩[٤٩]، بالإضافة إلى وصول نحو ألف جندى مصرى إلى طرابلس قبيل أسبوع من الزيارة المرتقبة لعبد الناصر، كعامل ضغط على القوات الأمريكية فى قاعدة الهويلس، وفى خضم الجدل الدائر بين البلدين بخصوص إنهاء عملها .[٥٠]

وكأن الأمريكيين قد فهموا مضمون الرسالة المصرية جيداً، ومفادها أن مصر سوف تملأ الفراغ السياسى والعسكرى الذى ستتركه الولايات المتحدة فى ليبيا حتى قبل الوصول إلى حل نهائى لمشكلة الهويلس، وأنها سوف يصبح بإمكانها الاعتماد على مورد النفط الليبى فى مجابهة إسرائيل [٥١] وخصوصا أن ذلك قد توافق مع زيادة الضغط العسكرى الجوى الإسرائيلى على المدن المصرية من خلال قيام طائرات الفانتوم الأمريكية بضرب أهداف استراتيجية ومنشآت مهمة منها مصنع أبى زعبل، ثم ارتكبت مذبحة مدرسة بحر البقر الابتدائية بمحافظة الشرقية فى ٨يولية١٩٧٠ والتى استشهد فيها ثلاثون طفلاً، بالإضافة إلى الجرحى والمصابين مما دفع الأستاذ محمد حسنين هيكل إلى كتابة مقال بجريدة الأهرام بعنوان "هويلس عن طريق الخانكة" فى إشارة واضحة إلى الارتباط بين التقارب المصرى الليبى وزيادة الضغط العسكرى الإسرائيلى على مصر.

على أية حال، فقد عادت واشنطون للبحث عن مخرج لمأزقها فى ليبيا، وبالرغم من بقاء فكرة تغيير النظام الثورى فى ليبيا قائمة فى دوائر صنع القرار الأمريكية، إلا أن الأجهزة الأمنية بحثت عن طريقة أخرى فى إطار تحقيق نفس الهدف، وهو ماعرضه تقرير بالغ الأهمية أعدته عدة وكالات استخباراتية أمريكية على رأسها السى آى إيه كتب فى٣٠ ديسمبر عام ١٩٦٩ اتضحت منه القناعة الأمريكية بإقدام الليبيين على إنهاء عمل قاعدة الهويلس، وامتدت الخشية إلى احتمال أن تكون الخطوة التالية هى اتجاه ليبيا إلى فتح مطاراتها أمام الطائرات الحربية المصرية، ثم منح تسهيلات عسكرية للاتحاد السوفيتى قد تشمل فتح مطاراتها لطائرات الاستطلاع السوفيتية، وفتح الموانئ الليبية للأسطول السوفيتى، وحصول ليبيا على طائرات سوفيتية يمكن أن تصل إلى المصريين وتخل بالتوازن

العسكرى مع إسرائيل [٥٢] .

من أجل ذلك كانت واشنطون تأمل فى حدوث تصدع داخل مجلس قيادة الثورة يؤدى إلى انهياره، والتخلص من المخاطر التى تحيط بالمصالح الأمريكية، فقد أفاد التقرير – المذكور آنفاً – أن عوامل الشقاق داخل المجلس كانت موجودة بالفعل، فقد ظهر الانقسام داخل المجلس فيما يتعلق بالعلاقات المتميزة مع مصر، والحساسية من تتابع وصول القوات المصرية إلى ليبيا، وتزعم المعارضة لهذه العلاقات الخاصة وزير الدفاع الليبى، وقد يغذى الشقاق إمكانية نمو الطموحات الشخصية لبعض الضباط داخل المجلس، غير أن التقرير ذكر أن العامل الأهم الذى يمكن أن يحدث هذا التصدع هو افتقار أعضاء المجلس للخبرة والديناميكية فى تنفيذ القرارات، وكان يعنى بذلك أن عدد أعضاء المجلس البالغين اثنا عشرعضواً هو عدد كبير نسبياً للإجماع حول القرارات الصادرة عنهم مما يجعل المجال واسعاً للخلاف، وخصوصاً أنه قد لوحظ أن أعمار جميع أعضاء المجلس فى سن الشباب، وتتراوح ما بين٢٥ إلى ٣٠ عاماً، ولم تكن لدى الحكومة الأمريكية المعلومات الكافية عنهم بالرغم من أن غالبيتهم قد التحقوا بدورات تدريبية فى الولايات المتحدة وبريطانيا بعد تخرجهم من الأكاديمية العسكرية الليبية خلال العهد الملكى .

أما عن رئيس المجلس معمر القذافى، فقد أشار التقرير إلى أنه رغم كونه الشخص الأقوى فى مجموعة الضباط إلا أنه لم يكن وحده مصدر السلطة فى ليبيا، وكان فى رأى أجهزة الاستخبارات الأمريكية "أن تكاتف أعضاء مجلس قيادة الثورة يؤدى إلى إحتفاظهم بالسلطة لبعض الوقت " . بالإضافة إلى احتمال استغلال مجلس الثورة لقضية الهويلس لدعم شعبيته فى حالة تعرضه لأى تصدع نتيجة للخلافات المشار إليها[٥٣] .

من جهة أخرى كانت الولايات المتحدة لاتزال تأمل فى تحرك قوى المعارضة القبلية، وأركان النظام الملكى البائد ضد النظام الجديد فى ليبيا، وذلك على الرغم من أنها كان قد سبق لها استبعاد هذا الاتجاه، فقد جاء فى التقرير المشار إليه أن :"هناك تذمر ونقد كبير من أولئك الذين فقدوا سلطتهم ومكانتهم نتيجة للانقلاب........ ومع ذلك فإن معظم الذين فروا من غضب مجلس قيادة

الثورة ظلوا ساكنين، إلا أن هناك تقارير تفيد بوجود أنشطة للمقاومة من عدد من أعضاء النظام القديم فيما بين قطاع القبائل البرقية التى كانت موالية للملكية.....وإن ظل من غير المرجح أن تمثل تلك العناصر تحدياً خطيراً للنظام......بعد أن قام (النظام) بحملة لنزع السلاح..........كما قام بحملة اعتقالات واسعة للسياسيين ورجال الأعمال والعسكريين الذين كانوا ينتمون للنظام القديم.......وتجرى الاستعدادات لسلسلة من المحاكمات العلنية " [٥٤] .

أما فيما يتعلق بتأثير جلاء القوات الأمريكية عن الهويلس على تحسن العلاقات الأمريكية الليبية، فقد استبعد التقرير ذلك إذ جاء فيه :" لن يضمن الجلاء عن القواعد - بصورة ترضى الليبيين - علاقات جيدة مع الولايات المتحدة......وأى نتيجة سوف تضر بالمصالح الأمريكية فحسب "[٥٥] .

وفيما يتعلق بمستقبل الامتيازات النفطية الأمريكية، واحتمالات إقدام النظام الليبى على إجراءات معادية ضد شركات النفط الأمريكية، استبعد التقرير هذا الاحتمال لحاجة ليبيا لعائدات النفط كمصدر أساسى لدخلها القومى، ولكنه لم يستبعد ضغط مجلس الثورة للحصول على سعر أعلى للنفط من الشركات الأجنبية، بالإضافة إلى احتمال إقدام القذافى على تأميم النفط فى حالة حدوث تطورات فى قضية الصراع العربى الإسرائيلى[٥٦] .

ولم يستبعد التقرير إقدام ليبيا على تنويع مصادر السلاح بعد أن ظلت تعتمد على الولايات المتحدة وبريطانيا فى هذا الجانب خلال العهد الملكى، وأكد على وجود طلبات ليبية للحصول على أسلحة من كل ألمانيا الغربية وفرنسا، حيث تعاقدت ليبيا مع الأخيرة على صفقة لشراء خمسين طائرة ميراج فى يناير ١٩٧٠[٥٧] حيث كانت فرنسا من أوائل الدول الغربية اعترافاً باستقلال ليبيا عام ١٩٥١، وكانت لها علاقات قوية مع الملك السنوسى لوقف دعم مصر لثورة الجزائر.

من جهة أخرى أعرب التقرير عن القلق من احتمالات استخدام قاعدة الهويلس - بعد جلاء القوات الأمريكيةعنها- لإخفاء الطائرات المصرية، ورجح أن يوافق المصريون على ذلك"؛ لأن ذلك من وجهة النظر المصرية سيكون أفضل

من استخدام مطارات الجزائر والسودان "[٥٦] .

وأخيراً تحدث التقرير عن الإسهامات المالية المحتملة التى ستقدمها ليبيا لمصر لدعم موقفها فى حربها على إسرائيل :" لقد قرر النظام الليبى – بوضوح – ربط نفسه بالخط العربى المناضل ضد إسرائيل، وسلاحه الأساسى فى ذلك هو المال، وعلى الأرجح فإنه سيكون أكثر سخاء من الملكية.......فالحصص التى كانت قد تعهدت بها الملكية شملت إعانات سنوية بلغت تسعة وخمسين مليون (٥٩,٠٠٠,٠٠٠) دولار .... اتفق عليها فى مؤتمر القمة العربية بالخرطوم عام١٩٦٧ ....ومن مبلغ ست وخمسين مليون (٥٦,٠٠٠,٠٠٠) دولار إضافية كان إدريس قد وعد بتقديمها إلى مصر فى عام ١٩٦٩ تم دفع قرابة نصف المبلغ حتى وقوع الانقلاب.........ومن المحتمل أن يقوم مجلس قيادة الثورة بنقل قوات عسكرية إلى مصر، وربما إلى الأردن "[٥٧] .

وفى أعقاب هذا التقييم الاستخباراتى الشامل لآثار الانقلاب الليبى على المصالح الأمريكية المختلفة، التقى جوزيف بالمر (السفير الأمريكى بطرابلس) بمعمر القذافى (الذى أصبح يشغل منصب رئيس الوزراء الليبى) فى ٢٥يناير١٩٧٠، وذلك من أجل حسم الشكوك الأمريكية إزاء كثير من القضايا التى تعنى واشنطون، وعلى رأسها التوجهات المتطرفة المحتملة للثورة الليبية، وكان تعليق بالمر على اللقاء " أن المناخ العام للقاء كان ودياً، لكن المقابلة كانت أقل من مرضية " . ولقد فهم بالمر من اللقاء – ولعل تقييمه كان غير دقيق – أن القذافى قد حاول مقايضة بقاء القوات الأمريكية فى قاعدة الهويلس، بوفاء واشنطون لليبيا بصفقة طائرات إف٥ (F5) لا يتجاوز عددها ثمانى طائرات، بدون أنظمة هجومية لاطلاق الصواريخ، كان السنوسى قد تعاقد عليها مع الحكومة الأمريكية قبل سقوطه[٥٨] .

وقد حاول بالمر التملص من وعد القذافى بتسليم الطائرات كاملة التسليح، وأشار إلى تفريق الحكومة الأمريكية بين قضية إمداد القوات الجوية الليبية بالأسلحة وبين بقاء قاعدة الهويلس، مشيراً إلى حاجة ليبيا لبقاء القوات الأمريكية من أجل تشغيل هذه الطائرات [٥٩].

على أية حال فقد خرج بالمر من لقاء القذافى بانطباع مفاده أن الزعيم الليبى قد هيأ نفسه لعدم إتمام صفقة الطائرات، وأن تذرعه بعدم رغبة واشنطون فى إمداد الطائرات بالأنظمة الهجومية لاطلاق الصواريخ كان سعياً منـه لإلغـاء برنـامج التعاون العسكرى بين البلدين، على أن يأتى ذلك من جانب الأمريكيين لا من جانب الليبيين، وإزاء ذلك كان يرى بالمرعدم إعطاء هذه الفرصة لليبيين ودفعهـم إلـى القيام بهذا العمل بأنفسهم [٦٠] .

وبناء على هذا الاستنتاج الأمريكى يمكن القول بأن القذافى لم يكـن معنيـاً كثيراً بصفقة طائرات إف٥ فى حد ذاتها نظـراً لوجـود دول أخـرى كالاتحـاد السوفيتى وفرنسا كانت مستعدة لإمداده بالسلاح، بل إنـه كمـاهو واضـح مـن المحادثات مع السفير الأمريكى كان يناور من أجل انتزاع القاعدة من الأمـريكيين دون أن يبدو كزعيم متطرف تدفع تصرفاته الولايات المتحدة إلى المزيد من العمل السرى للقضاء على حركته الانقلابية [٦١] . ولقد أقلق واشنطون هذا التوجه للزعيم الليبى وخصوصاً بعد أن حصلت الاستخبارات المركزية على معلومات تفيد بشحن أسلحة سوفيتية إلى ليبيا، وخصوصاً أن الظروف فى المنطقة كانت تسير فى غيـر صالح الولايات المتحدة بعد فشل مبادرة روجرزعام ١٩٧٠[٦٢] .

وإثر ذلك استمرت الحكومة الأمريكية فى مسعاها الرامى إلى دعـم الثـورة المضادة فى ليبيا، فبعد قيام القذافى بالإمساك بكافة المناصب القيادية الحساسة فـى الجيش والحكومة باتت الولايات المتحدة أكثر تحديداً لهدفها الرامى إلـى معرفـة الرجل الذى بيده كل مفاتيح الأمور فى ليبيا، والمتمثل فى شـخص هـذا الرجـل المتقلب المزاج [٦٣] .

وفى تقرير للاستخبارات المركزية صادر فى١٣ فبراير١٩٧٠ أبدت الوكالة ارتياحها للمعلومات التى حصلت عليها عن وجود حالة سخط فيمـا بـين القبائـل البرقية وقطاعات مدنية، ولكن الأمر الذى لم يعجبها هو عدم وجود أسلحة لدى هذه القطاعات لتحدى الجيش الليبى، وكان فى رأى الاستخبارات المركزية ضرورة أن يأتى أى تحرك ضد النظام من داخل الجيش، كما لم يسر الأمريكيون قيام القـذافى بتحريك وحدات بالجيش من البرقيين - بلغ عددهم ألفين وستمائة(٢٦٠٠) جندى -

إلى مصر للتدريب، وتأدية الخدمة العسكرية على خط قناة السويس، كما جهز ألفا وتسعمائة(١٩٠٠) جندى آخرين للحاق بهم قبل نهاية فبراير ١٩٧٠(٦٤) كخطة ينتهجها لإبعاد هذه العناصر الخطرة على الثورة، ولا يعلم إن كان ذلك بالتنسيق مع مصر أم لا .

كما رأت الولايات المتحدة فى الدعم الأمنى والاستخباراتى الذى تلقته ليبيا من مصر عائقا أمام القيام بأى انقلاب مضاد، فقد أفاد التقرير بأن القوات المصرية التى وصلت إلى ليبيا فى سبتمبر عام ١٩٦٩، وزعت مجموعة منها على طرابلس، والأخرى على بنغازى، وتولت مجموعة ثالثة المراكز الأمنية والاتصالات، ومضى التقرير قائلاً :"ربما يوجد مصريون فى مراكز رئيسية بصورة كافية لإحباط أى انقلاب عسكرى مضاد بواسطة عناصر محلية، وفى حالة وجود تحركات خارجية لإسقاط النظام تستطيع الوحدات المصرية – على الأرجح – أن تقوم بالسيطرة الجوية، أو إقامة رأس جسر يمكن من خلاله نقل قوات إضافية من مصر"(٦٥) .

واستكمالاً لنفس الموضوع فى موضع آخر من تقرير الاستخبارات المركزية تم التركيزعلى دور مصر فى منع النظام الثورى الليبى من السقوط، وأشار إلى أن عبد الناصر يرغب فى منع أى انقلاب مضاد فى ليبيا، وفى الوقت نفسه "الحصول على دعاية شخصية من خلال طرد القوات الغربية من البلد(ليبيا)، واستخدام الولايات المتحدة ككبش فداء لتغطية مواطن الضعف فى العسكرية العربية"(٦٦) على حد وصفه.

وعلى الرغم من هذه النظرة السلبية الأمريكية للدور المصرى فى ليبيا وأثره على سياساتها، فقد أبدت الولايات المتحدة ارتياحها لموافقة الليبيين على تلقى النصيحة من عبد الناصر بعدم قبول المساعدات العسكرية السوفيتية حتى لا تصبح ليبيا تابعة للسوفييت، برغم تلقى واشنطون معلومات تفيد بحصول الحكومة الليبية على بعض شحنات من الأسلحة السوفيتية، كما لم تخف واشنطون قلقها من تنامى الدور الفرنسى فى ليبيا فى الإطار نفسه(٦٧) .

على أية حال فقد استمرت الولايات المتحدة فى تبنى سياسة الثورة المضادة فى ليبيا طيلة السنوات الأول للانقلاب، ووضع هنرى كيسنجر–مساعد الرئيس

لشئون الأمن القومى-خطة سرية جديدة لاحتواء الثورة الليبية عرضها على الرئيس نيكسون فى ٢٠مارس١٩٧٠ للتصديق عليها-وتم طمس بعض صفحاتها تماماً عن عمد، إلا أنها كانت محفوظة ضمن أوراق البيت الأبيض بالأرشيف القومى الأمريكى- وأهم ما ترك منها التوصية الأخيرة التى وضعها كيسنجر عندما قال :" أنت سوف تصدق على ....الخيار........مع تكثيف الجهود للتأثير على الحكومة الليبية لتبنى سياسات متطابقة مع الأهداف الأمريكية ....ومعارضة السياسات الليبية المعادية للمصالح الأمريكية كما خطط فى خطة العمل فى...(أ)"[٦٨] والتى لم ترد فى نص المذكرة[٦٩] .

وقد أشارت برقية من السفارة الأمريكية فى طرابلس فى١٣ أبريل١٩٧٠ إلى حصولها على معلومات - من عدد من الأكاديميين الأمريكيين الذين تربطهم علاقات شخصية ببعض أعضاء النخبة الليبية الحاكمة من أعضاء حكومة الثورة، والذين تلقوا تعليمهم الجامعى فى الولايات المتحدة، وكان القذافى يتعمد تسريب أخبار معينة إلى المسئولين الأمريكيين من خلالهم - تفيد باستياء القذافى من الولايات المتحدة التى أصبحت بالنسبة له " قضية خاسرة، ولايمكنه الاعتماد عليها"[٧٠] وفقاً للبرقية .

وفيما يبدو فإن هذا التصريح قد أدى إلى ظهور بعض الانقسام داخل الإدارة الأمريكية فيما يتعلق بالسياسة الأمريكية تجاه ليبيا، وظهر ذلك واضحاً فى مسألة صفقة طائرات إف٥، والتى تمسك القذافى بضرورة إتمامها، فقد كان الخلاف بين فريقين فى الإدارة الأمريكية أولهما يرى ضرورة إمداد ليبيا بالطائرات، ومثله وزارتا الدفاع والخارجية والسفارة الأمريكية فى طرابلس، بينما رأى الفريق الأخرعدم إتمام الصفقة حتى لا يؤدى ذلك إلى ضغط إسرائيل للحصول على طائرات فانتوم جديدة، وفى الوقت نفسه كان يرى أن الرفض سيكون فرصة لمعاقبة الليبيين على إصرارهم على إنهاء وجود قاعدة الهويلس، وقد مثلت وكالة الاستخبارات المركزية هذا الاتجاه [٧١] .

على أية حال، فقد انتقلت العلاقات الليبية الأمريكية إلى مرحلة حرجة مع استمرار الخلاف بين البلدين حول القاعدة وصفقة إف،٥ ولم تفلح الإغراءات

الاقتصادية الأمريكية لليبيا لمد بقاء القاعدة [٧٢]، وأصبح إخلاء الأمريكيين للهويلس أمراً لا مفر منه، وخصوصاً بعد فشل سياسة الاحتواء عن طريق الترغيب تارة، وعن طريق الثورة المضادة تارة أخرى .

لقد كانت القاعدة تمثل أهمية استراتيجية بالغة للولايات المتحدة منذ وقعت اتفاقية استخدامها مع ليبيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٥١، والتى مُنِحت القوات الأمريكية بموجبها حقوقاً مطلقةعلى الأراضى الليبية منذ ذلك التاريخ فى مقابل دفع مبلغ مليون دولار سنوياً قيمة استئجارها[٧٣] .

وفى برقية حزينة من تيودور ل.إليوت Theodor Eliot –السكرتير التنفيذى لوزارة الخارجية الأمريكية إلى هنرى كيسنجر فى ١٢ يونية ١٩٧٠، أبلغه فيها بنبأ إغلاق قاعدة الهويلس فى ١١ يونية (أى فى اليوم السابق مباشرة)، ونقل ملكيتها إلى الحكومة الليبية فى احتفالية حضرها عبد السلام جلود _نائب رئيس الوزراء الليبى – والسفير الأمريكى فى طرابلس، ولم يخف المسئول الأمريكى القلق من البعد الدينى فى الموضوع، فقد أشار إلى إطلاق اسم عقبة بن نافع – الفاتح العربى الذى طرد المسيحيين من منطقة شمال أفريقيا فى القرن السابع الميلادى (على حد قوله) – على القاعدة، وأشار إلى ما أعلنته الحكومة الليبية من أنها تنوى استعمال القاعدة " للدفاع عن العروبة والإنسانية " [٧٤] .

ولم تكن هذه الإشارات وحدها هى التى أقلقت المسئولين الأمريكيين، وإنما أقلقتهم كذلك المعلومات التى تلقوها حول استعانة ليبيا بالفنيين الفرنسيين لإدارة القاعدة عند مرافقتهم لطائرات الميراج التى اتفقت فرنسا على تسليمها لليبيا فى نهاية عام ١٩٧٠ [٧٥] .

وهكذا برزت على السطح من جديد سياسة الاحتواء ضد ليبيا، وتشجيع الثورة المضادة، ومعها عاد دور الأجهزة الاستخباراتية للظهور مرة أخرى، والتى تمكنت من استقطاب وزارة الخارجية إلى جانبها .

ففى تقرير عن لقاء مشترك بين مسئولين من وكالة الاستخبارات المركزية ووزارة الخارجية الأمريكية فى ٢٠ أغسطس ١٩٧٠ تمت الإشارة مرة أخرى إلى

هذا الاتجاه المعروف بالخيار الليبى ١-(أ) وأهم ما جاء فيه هو الخشية الأمريكية الواضحة من استثارة النظام الليبى بأى عمليات فاشلة ضده بعد فشل التقارب السياسى بين البلدين، كما لفت الانتباه إلى أن الولايات المتحدة لاتزال تعمل فى بلد عربى متطرف [٧٦] وفقاً لما جاء فى التقرير .

ولم يمض سوى شهرين حتى أعلن عن اكتشاف مؤامرة جديدة ضد الحكومة الليبية فى إطار الثورة المضادة فى ٢٨ أغسطس ١٩٧٠، ولا يستبعد ضلوع الولايات المتحدة فيها حيث ثبت علمها الكامل بتفاصيلها، والأمر الغريب حقاً هو اشتراك أشخاص أوروبيين فى المؤامرة .

ففى رسالة من صموئيل هوسكينسون Samuel Hoskinson –عضو مجلس الأمن القومى الأمريكى _ إلى هنرى كيسنجر تحدث عن بعض تفاصيل هذه المؤامرة، فأوضح أن عدداً من المنفيين السياسيين والمرتزقة قد طلبوا مساعدة الولايات المتحدة لهم فى عملية ضد الحكومة الثورية الليبية، إلا أن الحكومة الأمريكية - وفقاً لهوسكينسون - رفضت ذلك، ومع ذلك فقد قرروا تنفيذ عمليتهم، والتى كانت ستبدأ بمحاولة لإطلاق سراح معتقلين سياسيين من السجون الليبية، وأكد هوسكينسون على أن الرفض الأمريكى جاء خشية أن يؤدى ثبوت تورط الحكومة الأمريكية فى العملية إلى " رد فعل عنيف وقوى ضد مصالحنا فى ليبيا " وأردف هوسكينسون قائلا " لقد تم قطع كل الاتصالات مع المتآمرين"[٧٧].

واستكمالاً لنفس الموضوع بعث هارولد ساندرز Harold Sanders–عضو مجلس الأمن القومى الأمريكى _ تقريراً إلى هنرى كيسنجر أفاض فيه فى الحديث عن تفاصيل هذه المؤامرة، فأوضح أن هذه المجموعة التى أطلق عليها " المرتزقة الأوروبيون " قد ضمت عدداً من أصحاب الجنسيات المختلفة من بريطانيا وفرنسا، والذين جندوا للقيام بعملية كوماندوز ضد أحد سجون طرابلس بهدف تحرير مائة وخمسين (١٥٠) أسيراً سياسياً ، وقد تم إمداد هذه المجموعة بالأسلحة وتدريبها لتشكيل نواة لقوة ثورية مضادة فى ليبيا (ولم يذكر الجهة التى تولت ذلك) . وقد استعمل المرتزقة سفناً تحمل علم بنما للانطلاق من إيطاليا إلى طرابلس، [٧٨] وأشرفت الاستخبارات المركزية على تدبير كاسحة ألغام ألمانية للمرتزقة رست فى

ميناء طنجة المغربى، ثم تحركت إلى ترستا، ومنها إلى البحر الأيونى [٧٩] .

وأكد التقرير على أن الاستخبارات المركزية كانت ترى أنــه مــن غيــر المرجح نجاح هذه العملية فى إسقاط الحكومة الليبية، وكانت تخشى من أن يــؤدى فشلها إلى توجيه اللوم للولايات المتحدة، وتعريض مفاوضاتها النفطية مع الحكومة الليبية للخطر.

وأوضحت السى آى إيه أنها حذرت المرتزقة البريطانيين - المشاركين فــى العملية - من القيام بها بعد أن تم إفــشاؤها، وقــد وافــق المرتزقــة علــى رأى الاستخبارات المركزية [٨٠] مما يثبت بالأدلة القاطعة ضلوع الأمريكيين فــى هــذه المؤامرة، ثم تراجعهم عنها بعد أن تكشفت تفاصيلها لليبيين وفقاً لما جاء فى هــذا التقرير .

على أية حال، لقد كانت وفاة الرئيس المصرى جمال عبد الناصر[٨١] فرصة للولايات المتحدة لمراجعة سياستها تجاه ليبيا مراجعة شاملة بعد أن فقــد الــزعيم الليبى معمرالقذافى حليفه القوى، بينما كانت الولايات المتحدة تعتقــد أن الــرئيس المصرى الجديد محمد أنور السادات غيــر ســعيد بالتعامــل مــع زعــيم مثــل معمرالقذافى[٨٢]، وقد أثبتت الأحداث صحة التصور الأمريكى، فلم ينعم الزعيمــان بعلاقات مستقرة لزمن طويل أبداً، ولم تجمعهما سوى حرب السادس من أكتــوبر عام ١٩٧٣ [٨٣]، وهو الأمر الذى كان موضع سرور كبير للأمريكيين وحلفــائهم الإسرائيليين بغير شك، وبدأوا فى إعادة تقييم السياسة الأمريكية تجاه ليبيــا علــى ضوء هذه المعطيات الجديدة فى المشهد المصرى[٨٤] .

وقد أكد جيمس كريتشفيلد James Critchfield - نائــب مــدير وكالــة الاستخبارات المركزية -على هذه الصورة الذهنيــة الجديــدة للأمــريكيين تجــاه العلاقات المصرية الليبية فى عهد السادات من خلال مذكرة بعث بها إلــى مــدير الوكالة فى ٢٣ فبراير ١٩٧١ ذكر فيها :" إننا ربما نكون مقتربين من نقطة الحسم فى ليبيا "، ثم مضى فى شرح رأيه فأكد على ضرورة التسليم بأن القذافى قد أصبح هو الرجل القوى فى ليبيا بما يحتفظ به لنفسه من سلطات سياسية وعسكرية، وإنه قد علم أن السادات والمصريين غير سعيدين بالقذافى، وربما يدرسون إمكانية خلعه

من الحكم (على حد قوله)، وأن عبد السلام جلود - الرجل الثانى فى النظام - هو مرشح مصر لخلافة القذافى .

وعلى الرغم من أن كريتشفيلد قد أشار إلى المواقف الإيجابية للقذافى فى معارضة النفوذ الشيوعى فى العالم العربى وهو ماأغضب الاتحاد السوفيتى، فقد أكد نائب مدير وكالة الاستخبارات المركزية على تأييد بلاده لإسقاطه [٨٥] .

وهكذا يمكننا القول بأن السياسة الأمريكية تجاه ليبيا فى أعقاب وفاة عبد الناصر لم تتغير كثيراً، وظلت محاولات احتواء الثورة وكبح جماح القذافى عن طريق الثورة المضادة مستمرة، وأملت واشنطون فى قيام السادات بدور إيجابى فى هذه السياسة، لكننا لا يمكننا إثبات ذلك .

وعندما حاولت الحكومة الأمريكية إقناع القذافى بمشروع تنموى اقتصادى لليبيا تحفظ الزعيم الليبى على فتح أبواب بلاده للأمريكيين[٨٦]. وهكذا ظلت الخلافات بين البلدين محتدمة وبصفة خاصة فى قضايا صفقة طائرات إف٥، والنفط وفلسطين، ولعل قضية إف٥ كانت هى الأبرز، ومجال الاحتكاك المباشر بينهما نظراً لأن الولايات المتحدة كانت راغبة فى إلغاء صفقة الطائرات - للأسباب التى ذكرناها سابقاً - ولكنها كانت تعلم بوجود شرط جزائى فى العقد الأصلى كانت ستجبر بمقتضاه على دفع مبلغ مالى ضخم للحكومة الليبية، وهو الأمر الذى لم تكن لترضى به حيث تعتبر تمكن القذافى من تحقيق نصر عليها من هذا النوع مهانة سياسية ، فراحت تتعلل له بالعلل القانونية المتعلقة بسلطة الكونجرس فى هذا الشأن[٨٧]، وهى العلل التى كانت تستخدمها عادة مع البلدان العربية الصديقة لها عندما تريد منع الأسلحة عنها بطريقة تحفظ لها ماء الوجه، كما فعلت مع ملك السعودية سعود تحديداً، ومن قبله والده عبد العزيز .

وعندما يئس القذافى من وفاء واشنطون بعقد صفقة إف٥ أعلن صراحة عن مضمون برنامج التعاون العسكرى الليبى الفرنسى، والذى يتضمن إمداد ليبيا بطائرات الميراج الحربية الفرنسية، وهو الإعلان الذى أقلق واشنطون التى لم تكن متأكدة تماماً من جدية التعاون العسكرى بين ليبيا وفرنسا [٨٨]، بالإضافة إلى شعور الإدارة الأمريكية بخروج فرنسا عن حالة الإجماع الغربى فيما يتعلق بتسليح

البلدان العربية المجابهة لإسرائيل .

واستكمالاً للنهج الثورى للزعيم الليبى، وهو ما كانت تخشاه الولايات المتحدة منذ بداية الانقلاب فى ليبيا عام ١٩٦٩، قام القذافى بخطوة أخرى فى المجال النفطى هذه المرة، وذلك بتأميم شركة النفط البريطانية بى بى إكسبلوريشن المحدودة B P Exploration Ltd. ، والتى كانت تمتلك الحكومة البريطانية نصف أسهمها ، وقد اعتبرت الولايات المتحدة أن القرار ليس ضربة موجهة إلى الشركة فقط، وإنما إلى الحكومة البريطانية أيضاً، كذلك خشيت الحكومة الأمريكية من امتداد القرار إلى الشركات الأمريكية فى ليبيا [٨٩]، وتأثيره على أسعار النفط العالمية، لذلك لم ترفض طلب بريطانيا منها التوسط لدى ليبيا لحل المشكلة[٩٠] .

على أية حال فقد دخلت العلاقات الليبية الأمريكية فى نهاية الثلاث سنوات الأول بعد انقلاب سبتمبر – وتحديداً فى عام١٩٧٢ – فى مرحلة تأزم شديد بدأت باكتشاف وكالة الاستخبارات المركزية قيام الحكومة الليبية بالتمويل المالى لمنظمة "أمة الإسلام" الأمريكية، والتى كانت تضم المسلمين الأمريكيين الزنوج، وكانت تنظر إليها الحكومة الأمريكية على أنها منظمة متطرفة للزنوج تسعى إلى إنشاء دولة مستقلة فى الولايات المتحدة، وتبث دعاية معادية للأمريكيين البيض، وتعلم أتباعها التزمت [٩١] على حد وصف تقرير الاستخبارات المركزية.

وقد علمت السى آى إيه باتفاق طرابلس مع المنظمة الأمريكية على حصولها على قرض ليبى مقداره ثلاثة ملايين(٣,٠٠٠,٠٠٠) دولار أمريكى بدون فائدة فى أعقاب زيارة قام بها هربرت محمد Herbert Mohamed – ابن مؤسس المنظمة– إلى طرابلس، والتقى بالزعيم الليبى معمرالقذافى لطلب معونة مالية، وعلمت السى آى إيه أن الطرفين قد اتفقا على إيصال المبلغ المالى إلى الولايات المتحدة عن طريق التظاهر بأنه سوف يستخدم فى إقامة تسهيلات كنسية لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامى، وقد تم وصول القرض عبر السفير الليبى فى واشنطون بالفعل [٩٢] مما كان له أثر سلبى فيما بعد على اتهام الحكومة الأمريكية لليبيا برعاية الإرهاب الدولى[٩٣] .

ولم يكن هذا المسلك الليبى وحده سبباً رئيسياً فى المزيد من التدهور الذى

أصاب العلاقات الليبية الأمريكية، ولا كذلك التخفيض المتعمد من ليبيا لحجم البعثة الدبلوماسية الأمريكية فى طرابلس مثلما فعلت الحكومة الأمريكية مع البعثة الدبلوماسية الليبية فى واشنطون، والذى فسرته وزارة الخارجية الأمريكية بأنه إجراء متواز مع تخفيض مماثل طلبته الحكومة الليبية من البعثات الدبلوماسية الفرنسية والسوفيتية [٩٤] فى إطار مشروع الوحدة الاندماجية مع مصر الذى سعى القذافى إليه[٩٥] .

ولكن الذى دفع العلاقات بين البلدين إلى مرحلة الانهيار هو تلقى وزير الخارجية الأمريكى ويليام روجرز William Rogers معلومات خطيرة رفعها إلى الرئيس الأمريكى فى ٢٨ يولية ١٩٧٢ تفيد باستعداد القذافى لتأميم عدد كبير من شركات النفط الأجنبية فى ليبيا فى الاحتفالات بالعام الثالث للثورة الليبية فى أول سبتمبر ١٩٧٢، وأشار روجرز إلى رغبة العقيد القذافى فى استعمال النفط كسلاح سياسى، وأنه أراد معاقبة الولايات المتحدة على رفضها إمداد ليبيا بطائرات إف٥ التى كان السنوسى قد تعاقد عليها، وأوضح روجرز" أن تأميم صناعة النفط الليبى ستكون كارثة على المصالح الأمريكية ......حيث إنها توفر استثماراً أمريكياً خاصاً مقداره بليون(١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠)دولار "، واقترح روجرز تقديم نسختين تدريبيتين من طائرات إف٥ كإشارة إيجابية للحكومة الليبية من أجل كسب الأمريكيين الوقت حتى إيجاد حل مع الليبيين ودول الخليج العربى للمشاكل النفطية[٩٦] .

وقد ضغطت شركات النفط الأمريكية من جانبها على الحكومة الأمريكية من أجل حصول ليبيا على طائرات إف٥ [٩٧]، ولكن بعد استشارة مساعد الرئيس الأمريكى لشئون الأمن القومى هنرى كيسنجر بهذا الصدد، وقد اتضح أن الحكومة الأمريكية لم تغير موقفها من رفض إمداد ليبيا بطائرات إف٥، وعبَّر تقرير من صموئيل هوسكينز- عضو مجلس الأمن القومى الأمريكى - إلى هنرى كيسنجر فى أول سبتمبر ١٩٧٢ عن مدى تغلغل اللوبى الصهيونى فى صناعة السياسة الأمريكية تجاه ليبيا عندما قال بالنص:" ....إن هذا لن يكون وقتاً جيداً لتغيير سياستنا التسليحية تجاه ليبيا لسبب واحد وهو أن القذافى شخص بغيض للإسرائيليين

بسبب تأييده للفدائيين(الفلسطينيين)، ودعمه المالى لمصر، واتجاهه للضغط على السادات من أجل الحلول المتطرفة.....إنه أيضاً معارض للأصدقاء العرب(يقصد للولايات المتحدة بطبيعة الحال)أمثال الملك حسين(ملك الأردن) والملك الحسن(ملك المغرب) والملك فيصل(ملك السعودية) " (٩٨) .

وهكذا يتضح مدى استعداد الولايات المتحدة للتضحية بمصالحها النفطية الضخمة فى ليبيا من أجل إسرائيل، وبذلك وصلت العلاقات الليبية الأمريكية فى نهاية عام ١٩٧٢ إلى طريق مسدود، وانتهت هذه المرحلة من السياسة الأمريكية تجاه ليبيا باتهام أمريكى للحكومة الليبية بممارسة الإرهاب ضد الولايات المتحدة، إذ ذكر تقرير للمباحث الفيدرالية الأمريكية FBI أن السفير الليبى متورط فى عمليات ارهابية خارجية، بعد أن قرر العقيد القذافى مد أنشطة الفدائيين لتشمل البلدان العربية والأجنبية، وقد استدلت الخارجية الأمريكية على وجود هذا الاتجاه لدى الحكومة الليبية من خلال عُدة مقالات وتحقيقات نشرتها صحيفة "الفجر الجديد" الليبية فى ١٤ نوفمبر ١٩٧٢ (٩٩) تؤيد فيه القيام بعمليات فدائية ضد إسرائيل تمتد إلى البلدان العربية المجاورة، وأشارت الخارجية الأمريكية إلى تصريحات للعقيد القذافى أدلى بها فى أكتوبر ١٩٧٢ فى طرابلس أعلن فيها صراحة أن ليبيا تمول الفدائيين، وتقدم لهم الدعم المالى والمعنوى، وعلقت بأنها ليست لديها إشارات تدل على تخلى القذافى عن هذا الخط (١٠٠) .

****

وفى ختام هذه الدراسة للسياسة الأمريكية تجاه ليبيا خلال السنوات الأول بعد انقلاب أو ثورة سبتمبر -إذا جاز لنا التعبير- نستخلص النتائج التالية :

١ - أن الولايات المتحدة قد فوجئت بهذه الحركة الانقلابية ضد مصالحها فى المنطقة، وذلك على الرغم من الإمكانيات الهائلة التى تتمتع بها أجهزة الاستخبارات الأمريكية وعلى رأسها مجلس الأمن القومى ووكالتا الاستخبارات المركزية والوطنية التى لم تتنبأ بأحداث ليبيا. مما يتطلب منا التنبيه إلى عدم تصديق سياسة التضخيم والتهويل التى يحاول الغرب بثها فى نفوس شعوبنا العربية والإسلامية عن قدراته الخارقة فى إطار الحزب النفسية الأشد خطورة

من الحرب العسكرية.

٢ - أن الولايات المتحدة قد انتهجت سياسة الثورة المضادة بكل وضوح للقضاء على الثورة الليبية، وجرت عدة محاولات فاشلة فى هذا الإطار رصدناها جميعا.

٣ - أن الولايات المتحدة على استعداد للتضحية بمصالحها المختلفة من أجل إسرائيل، ولو شملت هذه التضحية الدول العربية الصديقة لها.

٤ - أن الولايات المتحدة قد خسرت الرهان على ليبيا مع مصر، فكانت هذه الخسارة الاستراتيجية ضربة قاصمة لسياستها الخاصة باحتواء مصر وتهميشها وتحجيم دورها الإقليمى لصالح إسرائيل؛ الأمر الذى كان له أثره بعد فترة قليلة فى تحقيق النصر الكبير فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

٥ - ستظل الإرادة السياسية للشعوب العربية والإسلامية بمثابة الصخرة التى تتحطم عليها المؤامرات الأمريكية والصهيونية .

الهوامش :

(١) محمد عثمان الصيد : مذكرات محمد عثمان الصيد ، رئيس الحكومة الليبية الأسبق،أعدها للنشر طلحة جبريل ،ج١،طوب للاستثمار والخدمات ، الرباط ،الطبعة الأولى ، ١٩٦٩،ص٢٩١.

(2) (NARA) : Letter From the Ambassador to Libya (Newsom) to the Country Director for Northern African Affairs (Root), Tripoli, March 27, 1969

(٣) ن.أ.بروشين : تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام١٩٦٩ ، ترجمة د.عماد حاتم ،مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى، طرابلس، ١٩٨٨، ص٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠ ، ٣٤١.

أنظر الجدول رقم(١) حول شركات النفط الأجنبية فى ليبيا الملحق رقم (٣) من هذا البحث.

(4) (NARA) :Memorandum From (Harold Saunders) of the National Security Council Staff to the Special Assistant to the President's Assistant for National Security Affairs (Lake) for the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger), Washington,September2,1969.

(5) .Ibid

(6) (NARA) :Memorandum From the Assistant Secretary of State for African Affairs (Newsom) to the Acting Secretary of State (Richardson), Washington, September 4, 1969.

(٧) ن.أ.بروشين : المرجع السابق ، ص٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩ ، ٣٤٠، ٣٤١.

(٨) المرجع السابق ، ص٣٣٦، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١.

(9) (NARA) :Intelligence Memorandum, Washington, September 16, 1969.

(١٠) تكون مجلس قيادة الثورة من كل من معمر القذافى وآدم الحواز وموسى أحمد وعبد السلام جلود، الذي كان بمثابة الرجل الثاني في النظام ، يليه عبد المنعم الهونى وأبو بكر يونس جابر والخويلدي الحميدي ومصطفى الخروبي وبشير هوادي ومختار القروى ومحمد نجم وعمر المحيشى ومحمد المقريف.

(11) (NARA) :Intelligence Memorandum, Washington, September 16, 1969.

(12) Ibid

(13) Ibid

(14) Ibid

(15) Ibid

(١٦) كانت الولايات المتحدة تحصل على٨% من احتياجاتها النفطية من ليبيا ، وتعتمد على بلدان أخرى لاستكمال احتياجاتها من أهمها دول الخليج العربى وايران.

(NARA) :Memorandum From Robert Behr and Harold Saunders of the National Security Council Staff to the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger), Washington, November 20, 1969

(17) (NARA) :Intelligence Memorandum, Washington, September 16, 1969

(18) Ibid

(19) Lencyowski,George:United States Interests in the Middle East, Washington, 1968.p.33.

(٢٠) انظر:
محمد فؤاد خليل(دكتور):العلاقات السعودية الأمريكية خلال عهد الملك سعود(١٩٥٣-١٩٦٤)وقائع تاريخية،دوريةعلمية محكمة، إصدار مركز البحوث والدراسات التاريخية بكلية الآداب-جامعة القاهرة، يناير ٢٠٠٥، ص١٧٥ و ما بعدها.

(21)(NARA) :Intelligence Memorandum, Washington, September 16, 1969

(22).Ibid

(23).Ibid

(24).Ibid

(25).Ibid

(26)(NARA) : Telegram 158075 From the Department of State to the Embassies in Lebanon, Saudi Arabia, and Morocco, September 17, 1969 .

(27)(NARA) : Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger) to President Nixon, Washington, October 1, 1969 .

(28)(NARA) :Telegram 1134 From the Embassy Office in Benghazi to the Department of State and the Embassy in Libya, October 30, 1969.

(29)(NARA) :Memorandum From Harold Saunders of the National Security Council Staff to the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger). Washington, November 17, 1969.

(٣٠) انظر صورة من الوثيقة فى الملحق رقم (١).

(٣١) محمد عثمان الصيد : المرجع السابق،ج١ ،ص٢٩١.

(32)(NARA) :Memorandum From Robert Behr and Harold Saunders of the National Security Council Staff to the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger), Washington, November 20, 1969.

(33).Ibid

(34)(NARA) :Minutes of the Washington Special Actions Group Meeting, Washington, November 24, 1969

(35)(NARA) :Telegram 3684 From the Embassy in Libya to the Department of State, December 11, 1969

(36) Ibid.

(٣٧) عبد الرحمن الرافعي:الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى لمصر، دار المعارف،القاهرة،الطبعة الرابعة، ١٩٨٣، ص٢٧٧ .

(38)(NARA) :Telegram 3684 From the Embassy in Libya to the Department of State, December 11, 1969

(39) Ibid

(40)(NARA) :Telegram 3684 From the Embassy in Libya to the Department of State, December 11, 1969.

(٤١) ولد معمر القذافى فى عام١٩٤٢ بمدينة سرت الليبية لإحدى الأسر القبلية، وعند بلوغه سن الشباب تأثر بالقومية العربية والأفكار الاشتراكية التى كان يجسدها الرئيس المصرى جمال عبد الناصر،وقد كانت مهامه محدودة كضابط بالجيش الليبى خلال العهد الملكى فى الأكاديمية العسكرية ببنغازى، وحصل على دورات فى الاكاديمية العسكرية البريطانية بسانت هورست، ثم عاد وقاد الانقلاب عام ١٩٦٩ وعمره ٢٧ سنة . للتفاصيل انظر :

Blanchard,Christopher M.:Libya Background and U.S Relations,Congressional Research Service,August3,2009.p.11.

(42)(NARA) :Telegram 3684 From the Embassy in Libya to the Department of State, December 11, 1969.

(43) Ibid

(44) Ibid

(45)(NARA) :Telegram 3711 From the Embassy in Libya to the Department of State, December 13, 1969.

(46) Ibid

(47) Ibid

(48)(NARA) :Memorandum From the Assistant Secretary of State for African Affairs (Newsom) to the Under Secretary of State for Political Affairs (Johnson), Washington, December 23, 1969.

(49)(NARA) : National Intelligence Estimate 36.5-69, Washington, December 30, 1969.

(50)(NARA) :Memorandum From the Assistant Secretary of State for African Affairs (Newsom) to the Under Secretary of State for Political Affairs (Johnson), Washington, December 23, 1969.

(٥١) أصبحت هذه القناعة من المسلمات لدى الدبلوماسيين ورجال المخابرات الأمريكيين كما ثبت من الوثائق الأمريكية الخاصة بليبيا .

(52) (NARA) : National Intelligence Estimate 36.5-69, Washington, December 30, 1969.

(53) Ibid

(54) Ibid

(55) Ibid

(56) Ibid

(57) Ibid

(58) (NARA) :Telegram 169 From the Embassy in Libya to the Departments of State and Defense, January 26, 1970.

(59) Ibid

(60) Ibid

(61) Ibid

(62) (NARA) :Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger) to President Nixon, Washington, undated

وانظر حول مبادرة روجرز :ويليام كوانت:أمريكا والعرب وإسرائيل، عشر سنوات حاسمة (١٩٦٧-١٩٧٦) ترجمة عبد العظيم حماد، كتاب أكتوبر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠، ص١٣٧ و مابعدها.

(٦٣) كان الرئيس المصرى محمد أنور السادات من أكثر الزعماء السياسيين الذين جمعتهم بالعقيد القذافى تجارب مريرة تبين هذا المسلك المزاجى المتقلب للزعيم الليبى، والذى كان يصفه السادات بأنه "يتظاهر بأنه وحدوى متطرف" انظر :

محمد أنور السادات : البحث عن الذات ،المكتب المصرى الحديث ، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩، ص٢٢٩.

(64) (NARA) : Intelligence Memorandum 490/70, Washington, February 13, 1970

(65) Ibid

(66) Ibid

(67) Ibid

(68) (NARA) :Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger) to President Nixon, March 20, 1970

(٦٩) انظر صورة من الوثيقة فى الملحق رقم (٢).

(70) (NARA) : Telegram 724 From the Embassy in Libya to the Department of State, April 13, 1970.

(71) (NARA) : Memorandum From the Special Assistant to the Deputy Director for Plans of the Central Intelligence Agency through the Deputy Director for Plans (Karamessines) to the Director of Central Intelligence (Helms), Washington, April 16, 1970.

(72) (NARA) :Letter From the Under Secretary of State for Political Affairs (Johnson) to the Deputy Secretary of Defense (Packard), Washington, June 2, 1970

(٧٣) ن.أ.بروشين : المرجع السابق ،ص٣٣٦ .

(74) (NARA) : Memorandum From the Executive Secretary (Eliot) to the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger), Washington, June 12, 1970

(75) Ibid

(76)(NARA) :Memorandum From the Under Secretary of State for Political Affairs (Johnson) to the Deputy Director for Plans of the Central Intelligence Agency (Karamessines), Washington, August 20, 1970

(77)(NARA) :Memorandum From Samuel Hoskinson of the National Security Council Staff to the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger), Washington, August 28, 1970

(78)(NARA) :Memorandum From Harold Saunders of the National Security Council Staff to the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger), Washington, May 17, 1971

(79)Ibid

(80)(NARA) :Memorandum From Samuel Hoskinson of the National Security Council Staff to the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger), Washington, August 28, 1970

(٨١). انظر:
أجاريشيف:جمال عبد الناصر،ترجمة د.سامى عمارة ، دار التقدم ،موسكو،١٩٨٣، ص١٨٠،١٨١.

(82)(NARA) : Memorandum From the Special Assistant to the Deputy Director for Plans of the Central Intelligence Agency (Critchfield) to the Director of Current Intelligence (Parmenter), Washington, February 23, 1971

(٨٣) فى عام ١٩٧٢ كانت المحادثات دائرة بخصوص الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا ، واقترح القذافى أن يتولى السادات منصب الرئيس فى دولة الوحدة على أن يتولى القذافى منصب نائب الرئيس والقائد العام للقوات المسلحة وبطبيعة الحال رفض السادات بذكائه السياسى اقتراح القذافى . انظر :
محمد أنور السادات: المرجع السابق ،ص٢٤٦

(84)Ibid

(85)Ibid

(86)(NARA) : Telegram 373 From the Embassy in Libya to the Department of State, February 24, 1971

(87)(NARA) :Memorandum From Harold Saunders of the National Security Council Staff to the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger), Washington, March 18, 1971.

(88)(NARA) :Telegram 1699 From the Embassy in Libya to the Department of State, October 30, 1972.

(٨٩) انظر الجدول رقم(١) حول إنتاج شركات النفط الأجنبية فى ليبيا، الملحق رقم (٣) من هذا البحث.

(90)(NARA) : Information Memorandum From the Deputy Assistant Secretary of State for African Affairs (Moore) to the Acting Secretary of State Irwin, Washington, December 7, 1971

وأيضا:

(NARA) :Letter From the Ambassador to Libya (Palmer) to the Assistant Secretary of State for African Affairs (Newsom), Tripoli, December 22, 1971

(٩١) كانت جماعة أمة الإسلام قد تأسست فى عام١٩٣٠ على يد الأمريكى الزنجى إليجا محمد الذى التزم بسنة النبى (صلى الله عليه وسلم) واتخذت من مدينة شيكاغو الأمريكية مقرا لها، وافتتحت عدة فروع لها فى الولايات الأمريكية المختلفة.

(NARA) :Memorandum From the Counsel to the President (Dean) to the Deputy Assistant to the President for National Security Affairs (Haig), Washington, February 3, 1972.

(92).Ibid

(93)(NARA) :Memorandum From the Deputy Assistant Secretary of State for African Affairs (Ross) to Armin H. Meyer of the Office of the Secretary, Washington, December 13, 1972.

(94)(NARA) :Memorandum From the Executive Secretary (Eliot) to the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger), Washington, February 8, 1972.

(٩٥) محمد أنور السادات:المرجع السابق ،ص٢٤٦.

(96)(NARA) : Memorandum From the Deputy Secretary of State (Irwin) to Secretary of State Rogers, Washington, July 28, 1972.

(97) (NARA) :Memorandum From Harold Saunders of the National Security Council Staff to the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger), Washington, August 9, 1972.

(98)(NARA) : Memorandum From Samuel M. Hoskinson of the National Security Council Staff to the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger), Washington, September 1, 1972.

(٩٩) جريدة الفجر الجديد ١٩٧٢/١/١٤

(100) (NARA) :Memorandum From the Deputy Assistant Secretary of State for African Affairs (Ross) to Armin H. Meyer of the Office of the Secretary, Washington, December 13, 1972.

الملاحق

الملحق رقم (١)

MEMORANDUM

File w/ WSAG! Nov 24/1969 On Libya

THE WHITE HOUSE
WASHINGTON

INFORMATION

November 20, 1969

MEMORANDUM FOR DR. KISSINGER

FROM: Robert M. Behr
Harold H. Saunders

SUBJECT: Paper on Possible Alternative Pressures on the Present Libyan Regime--Summary and Critique

The question the President asked was whether there is any way we could create penalties that might deter the Libyan government from its leftward course.

The paper covers this ground:

1. It characterizes (page 1) the new Libyan government as insecure, inexperienced, xenophobic, perhaps divided but as yet without visible opposition.

2. It details US economic interests (page 1 and Annex A) in terms of the $5 billion (replacement value) private oil investment, $500 million in annual profits to US corporations and 25% of Western Europe's oil consumption which could not all be replaced from other sources until 1971. It concludes that Western Europe is too dependent on Libyan crude to refuse to buy: Only 8% of Libyan production comes to the US.

3. It describes (bottom of p. 2) our choice in developing a strategy toward the new Libyan government as between:

a. "policy of confrontation" and
b. "a policy which would involve some give on our part with a view to developing longer-term relationships with the new and still insecure regime." [State prefers this.]

4. It examines--and this is the bulk of the paper (pp. 3-9)--a collection of possible alternative pressures. [The paper concludes that most are unsatisfactory because the leverage is not predominantly on the US side.]

DECLASSIFIED
PA/HO Department of State
E.O. 12958, as amended
September 6, 2007

- 2 -

Summary of the Alternatives. We recommend that you scan pages 3-9 but for the sake of simplifying these options fall into the following categories:

1. Presence of US-UK bases. These options boil down to a series of delaying tactics and, hopefully, some NATO European (Turkey, West Germany) pressures on Libya to honor its base agreements. They culminate with the US requesting the support of European friends in breaking diplomatic relations with Libya if the regime refuses.

a. The argument for this approach is to see whether such pressures would widen splits within the regime.

b. The arguments against are that the regime in its present mood is unlikely to respond to this kind of pressure--especially NATO pressure--and that it is doubtful that West Germany and others would risk their economic interests to support us.

2. Economic pressures range through requesting US companies to curtail their offtake, advising US technicians to leave, cutting off US oil imports from Libya, restricting additional US investment, and freezing Libyan reserves in the US. There are specific arguments on each one of these in the paper (pp. 4-6) but in general they boil down to these:

a. The argument for is that oil income is the Libyan government's main source of income. Any move that effectively cut into this would cause Libyan concern, although Libya now has more income than it can use so it has some cushion.

b. The argument against is essentially that US companies would suffer more than the Libyan government. European companies are ready to replace American in marketing Libyan oil. The Libyan government could cause some disruption in foreign exchange markets by shifting its reserves suddenly.

3. Military actions range through a Sixth Fleet show of force off the Libyan coast and movement of troops (hopefully in concert with the UK) to hold training areas [redacted]

[redacted]

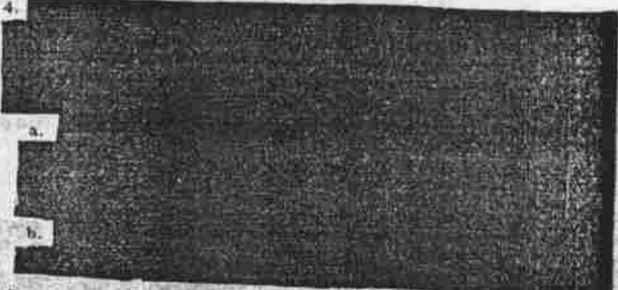
DECLASSIFIED
PA/HO Department of State
E.O. 12958, as amended
September 6, 2007

- 3 -

a. The argument for would be to make the regime uncertain about our intentions toward it

b. The argument against is that we would have to prepare for longer term occupation if we intended a show of force beyond mere evacuation of Americans. This would provoke a sharp reaction in the Arab world and, within Libya, would not protect the farflung installations of US oil companies.

4.



a.

b.

Comment:

1. It seems to us that the base-related and political pressures would probably not work, and the leverage is on the wrong side for the economic pressures.

2. A landing of forces at Wheelus seems an option worth considering, but the longer they stayed the less able they would be to maintain the cover of evacuating Americans and the more vulnerable private oil installations would become.

3. We suggest an NSC briefing covering these points:

a. The character of the Libyan regime.
b. The US policy choice--confront or play along.
c. The options available in a policy of confrontation and their risks.
d. What we would have to do if we play along and the risks.

4. Dave Newsom seems the logical one to do the briefing. He knows Libya. He is the responsible Assistant Secretary. He is a good briefer.

Subject: Possible Alternative Pressures on Present Libyan Regime

A. Present Situation:

A small group of young Army officers (the RCC) has overthrown the Libyan monarchy. The political inclinations of this group are still unclear, and possibly varied. While the group has installed a civilian cabinet which includes two key members who violently disagree with our Middle East policy, it is still too early to state that either the RCC or the civilian government is fundamentally anti-U.S. For the moment it appears that latent Libyan xenophobia, which has spilled over into Libyan-U.S. relations in recent weeks, also characterizes the new regime's attitudes toward all foreigners.

Libyan policy emphasizes Libyan nationalism in internal matters while identifying itself closely with radical Arab positions internationally. The new government has threatened an important U.S. interest by renewing the demands, posed twice under the monarchy but reversed by the King, for the removal of the U.S. and British bases and facilities.

While there is no discernible opposition, the regime shows signs of insecurity and inexperience. It is particularly concerned about the eastern region, Cyrenaica, the power base of the Senussi monarchy, and rural areas of Tripolitania. Unless the Army should split, the national police, now effectively neutralized by the Army, represents the only possible counterforce. The former King has voluntarily moved to Egypt this month: the Crown Prince is in jail. Other possible contenders to the throne remain free but under surveillance in Benghazi.

The other major U.S. interest, the $5 billion (replacement value) in oil investment, remains untouched for the moment. The regime has pledged respect for the oil agreements and has so far demonstrated this except in one case in which a company was closely tied to associates of the former King. We see no immediate threat to these interests, although such could result if the regime is threatened, or becomes increasingly unstable, or if there were a real confrontation over Wheelus, or in the event of renewed hostilities in the Middle East. While only 8 percent of Libya's 3 million bbls/day production comes to the U.S., 90 percent

is produced by twenty-eight American companies. Their activity netted the U.S. balance of payments $683 million in 1968. Sales are principally to West Germany, the U.K., Italy and Spain; Europe is now dependent on Libya for 25 percent (3 million bbls/day of short-haul oil) of its oil requirements; if Libyan oil were cut off, the shortfall could not be made up within less than one year because of production and transportation problems.

B. Present U.S. Strategy:

Our present strategy is to seek to establish satisfactory relations with the new regime. The return to our balance of payments and the security of U.S. investments in oil are considered our primary interests. We seek to retain our military facilities, but not at the expense of threatening our economic return. We also wish to protect European dependence on Libyan oil; it is literally the only "irreplaceable" oil in the world, from the point of view both of quality and geographic location.

The Libyans have asked that we withdraw from Wheelus before December 24, 1971, the earliest date on which the present agreement could be allowed to expire. We plan an early response to the Libyan request in which we will agree to the principle of early withdrawal and propose detailed discussions. While there is no doubt that the removal of the base is, as it always has been, a popular local issue, at least some military officers in the RCC may be more interested in retaining our help in the creation of a Libyan air force and in an orderly transition. Their freedom of action may be limited by the intense popular feeling against our stand on the Arab-Israel issue. A change in the status of the base seems inevitable; our ability to secure an extension of the essential training facilities at Wheelus is now unclear. We have as yet, however, found no fully satisfactory alternative site(s) for this training. The British, too, are prepared to accept a change in the status of their facilities. They hope to remain the prime military supplier to the Libyans and to retain some training rights, however. The British have the advantage of less identification with Israel.

In developing our short-term strategy vis-a-vis the new Libyan government, we have a choice between a policy which is essentially that of confrontation and a policy which would involve some give on our part with a view to developing longer-term relationships with the new and still insecure regime. In general, we opt for the latter.



C. <u>Alternative Pressures:</u>

In response to the request of the WSAG the following possible alternative pressures on or against the regime are set forth. They are not mutually exclusive; they could be applied single or in combination. Because of the generally increased risk each would pose to our economic interests in Libya, because almost any one of them would place our broader interests in jeopardy throughout the Arab world, and because some of them would threaten Europe's dependence on Libyan oil, none of the alternatives is recommended at this time. Annexes exploring in greater detail the practical implications of economic pressures, military actions, and covert activities are attached.

1. Possible Immediate Pressures:

a. <u>Delay a reply to the note on Wheelus or reply in the negative.</u>

PRO: Could create uncertainty in RCC and cabinet regarding our intentions; might effect split among them. Might delay further action on their part because of fear of our real designs.

CON: More likely, that delay would lead regime to open campaign in streets against U.S. and base. Cairo and probably the USSR would support campaign and attack U.S. position. Street campaign could pose serious threat to safety of U.S. community, investment, base and Embassy; this, in turn, would necessitate some form of protection of each.

b. <u>Enlist NATO countries to express concern over premature departure from U.S. and U.K. bases.</u>

PRO: Certain NATO countries such as Turkey and West Germany have more leverage than we in Libya. Their expressed concern over future security of NATO area and Libya without bases might have an impact on RCC. Fact that U.S. and U.K. not alone in this concern might slow down demands for withdrawal.

CON: Idea of NATO pressure has always produced strong adverse reaction in Libya. Present Libyan PM led fight in 1967 to cut off oil shipments to West Germany. He could do so again. It is doubtful that West Germany and others would risk strategic economic interests to support us.

c. <u>Insist that Libyans honor their international agreements as they have assured all concerned they would; if they refuse, break diplomatic relations in reaction to a clear contravention of their earlier assurances. Seek support of European friends in doing so.</u>

PRO: If successful, this might cause regime to re-think pressures on us for an early withdrawal. RCC has been conscious of its international image.

CON: Such action would rob us of access to the new regime at a critical time. It would undoubtedly result in further agitation against U.S. citizens and installations unless the military regime was sufficiently concerned about public disorders of any kind to prevent them. It would probably be welcomed by the more extreme elements in the country.

2. Pressures on Libyan Economy:

a. <u>Request the American companies to curtail their oil offtake from Libya.</u>

PRO: Assuming legal means could be found to induce voluntary cooperation by the companies concerned, this would strike at Libya's main resource and all-but-exclusive source of public revenues and foreign exchange.

CON: The large number of U.S. companies involved would make voluntary compliance difficult. Since many are small and without alternative sources to meet their European contract commitments, and since the major producers are non-vertically integrated, they have less flexibility than elsewhere in the Arab world. At present neither the concessions nor the Libyan government associates the base and the oil issues. Such an association could lead to greater threat of nationalization. Libya would probably retaliate by cancelling concessions. Physical attacks on Americans and American property could not be ruled out. It would be likely to harden, not soften, the regime's position on the base. Furthermore, the Libyan government itself has been concerned about the spectacular growth in offtake; it might prefer to slow the depletion of a wasting and limited (twenty years at present rate of production) asset.

b. <u>Advise U.S. technicians to leave because of unsettled conditions.</u>

PRO: If properly timed and plausible, this could have an impact on Libyan regime. Libyan oil is largely -

dependent on U.S. technology. In 1967 the Libyans went to great lengths to retain and protect U.S. technicians.

CON: If perceived as a political act, such a move could backfire. The Libyans could readily seek and obtain Eastern Bloc and other nationals to operate U.S. properties--if they did not also seize the properties. It is doubtful that, in such circumstances, this would moderate the regime. It would unquestionably lead to great difficulties for U.S. firms operating in Libya.

/The following alternatives might not be legally possible except under the Trading with the Enemy Act. They are listed for completeness and in the event that they should be further explored./

c. Cut off oil imports from Libya.

PRO: This would demonstrate U.S. displeasure without as great a risk of serious consequences as "a."

CON: Since only 8 percent of Libyan oil comes to the U.S., the economic effect would be minimal. Such action would provide a basis for anti-American agitation without at the same time encouraging the regime to greater moderation.

d. Place additional restrictions on U.S. investment in Libya.

PRO: This might have some effect on the expansion of U.S. investment in Libya and hence induce greater moderation.

CON: It is doubtful that this would have sufficient impact to make the regime substantially more tractable. U.S. companies have already shown some hesitancy to expand investment because of the uncertain political situation; this has had a beneficial effect on the regime's attitude. If such hesitancy were given an official cast, however, the effect could be the opposite. Furthermore, most oil investment in Libya has been financed on the Eurodollar market.

e. Threaten to freeze Libyan reserves in the U.S.

PRO: Libya keeps $150 million in short-term securities and banknotes in the U.S. A quiet threat to freeze these if legally possible would have an impact and



might make the regime more tractable.

CON: Libya would probably retaliate against U.S. interests by seizing properties. The risk of such an action would seem too great to justify its use solely in retaliation to the demand for base evacuation. Furthermore, Libya holds so substantial a proportion of its exchange reserves in dollar form only at our request and to meet our balance of payments problems; under the circumstances such action would be an unfortunate signal to other countries which have been responsive to similar requests. The Libyan government now maintains its foreign exchange reserves ($53? million in 1968) almost entirely in gold, dollars and sterling. Its potential for disrupting foreign exchange markets by sudden switching is not entirely negligible.

3. Military Action:

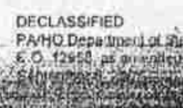
a. Use units of the Sixth Fleet to make a show of force off the Libyan coast.

PRO: This might demonstrate to the Libyans our displeasure at recent events. It would serve to underscore the importance we attach to our interests in Libya.

CON: A show of force, to be effective, would have to be followed by other actions; use of the Sixth Fleet in this way at the present time would have serious political consequences elsewhere in the Middle East; in retaliation the Libyans might invite the Soviet Mediterranean Fleet to call at Libyan ports.

b. In concert with the British move sufficient troops into facilities and training areas to hold these areas on grounds that we need to protect lives and property. We would at the same time make pledge of noninterference so long as U.S. lives and properties were not disturbed.

PRO: We could do this under present agreements which permit us freedom of movement of troops into our agreed areas. Placing of troops would enable us to move them out to protect lives and installations elsewhere in the country. It would make the regime uncertain regarding our subsequent intentions and secure us full use of our facilities. Given sufficient force and airlift it could provide the means for preventing mob action against our people and installations, particularly away from urban areas. It would give heart to our friends such as Tunisia and Morocco.



7

CON: British agreement to such a scheme would be doubtful. We would have difficulty in getting overflight rights from Europe (and possibly even from Tunisia and Morocco) for a massive troop lift. It would undoubtedly mean long-term occupation by combat forces of these facilities. We would risk serious criticism from most of the rest of the world and be giving away a substantial propaganda weapon. Even with forces in our facilities we could not guarantee the safety of all our citizens and investments. We would be undertaking drastic action for short-term gain, but incurring serious longer-term costs. Finally, and under the best of circumstances, we could not legally maintain troops at the facilities beyond 1971.

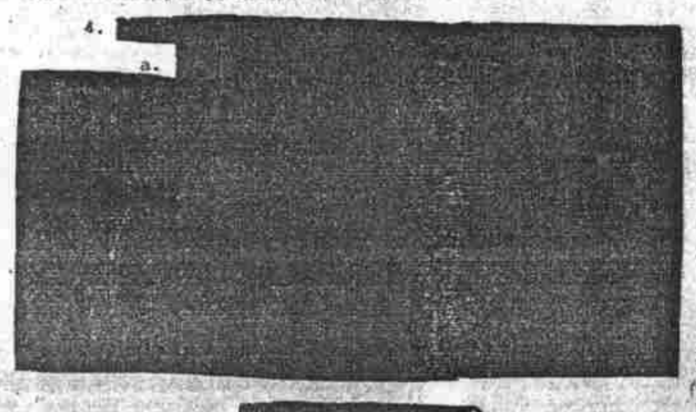
c. If the British were not prepared to cooperate, a unilateral U.S. landing at Wheelus, El Uotia (the range south of Tripoli) and Natratin (U.S. Coast Guard station near the major oil fields).

PRO: This would be a feasible operation, with the same advantages as "b" above.

CON: It would leave U.S. citizens and investments more exposed in eastern Libya. It would leave us politically exposed. Lack of British cooperation would further complicate overflight problems.

4.

a.



[Pages 11-12 not declassified]

الملحق رقم (٢)

DECLASSIFIED
PA/HO Department of State
E.O. 12958, as amended
September 6, 2007

MEMORANDUM

THE WHITE HOUSE

WASHINGTON

ACTION
March 20, 1970

MEMORANDUM FOR THE PRESIDENT

FROM: Henry A. Kissinger

SUBJECT: Options for Possible [redacted] Action in Libya

I requested [redacted] consideration of the [redacted] actions which might be undertaken in support of U.S. policies and interests in Libya.

[redacted] presented several options for consideration noting that an essential prerequisite to undertaking any of them is a reliable [redacted] picture of the policies and intentions of the Libyan government. [redacted]



[redacted] unanimously favored [redacted] option labeled 1-A which is: Intensify efforts to influence the Libyan government to adopt policies consistent with U.S. objectives. Oppose Libyan leaders and policies inimical to U.S. interests.

The U.S. objectives to be furthered by these efforts would be as follows:

1. To maintain normal diplomatic and commercial relations with Libya. (Including U.S. oil interests.)

2. To influence Libya to maintain its independence, to develop its own resources primarily as a member of the Mediterranean region with strong ties to Western Europe and a balanced rapport with both the Maghreb and Libya's eastern Arab neighbors, including Egypt.

3. To deny the development of an intolerable level of Soviet or other communist presence and influence in Libya--including that exerted indirectly through radical Arab states.

4. To use the U.S. position in Libya to support the development of regional stability in the Mediterranean and the Middle East.

[Page 2 not declassified]

-3-

RECOMMENDATION:

That you approve the option to intensify efforts to influence the Libyan government to adopt policies consistent with the U.S. objectives listed above and oppose Libyan leaders and policies inimical to U.S. interests as outlined in the plan of action at Tab A.

Attachment
Tab A

APPROVE ______

DISAPPROVE ______

OTHER ______

الملحق (٣)

إنتاج شركات النفط الأجنبية فى ليبيا

(١٩٦٨-١٩٦٩)

إنتاج النفط الخام فى ليبيا وفقاً لتقرير وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية
(في عامى ١٩٦٨ - ١٩٦٩)*

	الشركات الأجنبية فى ليبيا	ملكية الشركات	الإنتاج اليومى بالبرميل	
			١٩٦٨	١٩٦٩
١	أواسيس Oasis	٨٣,٣% أمريكى ١٦,٧% هولندى	٦٨٥,٤	٧٧٢,٤
٢	أسو Esso	١٠٠% أمريكى	٧٤٤,١	٧٤٣,٧
٣	أوكسيدنتال Occidental	١٠٠% أمريكى	٣٤٩,٤	٦٦,٥
٤	أموسيس Amoseas	١٠٠% أمريكى	٢٢٤,٨	٣٦٥,٩
٥	بريتش بيترليوم British Petroleum	٥٠% بريطانية ٥٠% أمريكى	٣٠٦,٦	٣٠٨,٤
٦	موبيل Mobil	٧٥% أمريكى ٢٥% ألمانيا الغربية	٢٣٣,٨	٢٥٩,٦
٧	فيليبس Phillips	١٠٠% أمريكى	٧,٦	٦,١
٨	أكيوتين Aquitaine	١٦% أمريكى ٤٢% أسبانية ٤٢% فرنسية	...	٣,٦
٩	بان أمريكان Pan American	١٠٠% أمريكى	١,١	٠,٦
	الإجمالى	ـــــــ	٢,٥٥٢,٨	٢,٠٦٦,٨

* (NARA) : National Intelligence Estimate Washington, December 30, 1969.

٥٤

المصادر والمراجع

أولاً:الوثائق الأجنبية:

(NARA): National Archives and Records–
1-The White House papers.
2- Department of State.
3- Department of Defense.
4- National Security Council Staff.
5- The Central Intelligence Agency.
6- National Intelligence.

ثانياً : المراجع :

أ) العربية:

- أجاريشيف:جمال عبد الناصر، ترجمة: د.سامى عمارة ، دار التقدم ، موسكو،١٩٨٣.
- عبد الرحمن الرافعى:الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى لمصر ،دار المعارف،القاهرة،الطبعة الرابعة ،١٩٨٣ .
- محمد أنور السادات : البحث عن الذات ،المكتب المصرى الحديث ، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩.
- محمد عثمان الصيد : مذكرات محمد عثمان الصيد ، رئيس الحكومة الليبية الأسبق،أعدها للنشر طلحة جبريل ،ج١،طوب للاستثمار والخدمات ، الرباط ، الطبعة الأولى ،١٩٦٩.
- محمد فؤاد خليل(دكتور):العلاقات السعودية الأمريكية خلال عهد الملك سعود(١٩٥٣-١٩٦٤)، وقائع تاريخية،دوريةعلمية محكمة،إصدار مركز البحوث والدراسات التاريخية بكلية الأداب-جامعة القاهرة،يناير ٢٠٠٥.
- ن.أ.بروشين : تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام١٩٦٩ ، ترجمة: د.عماد حاتم ،مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى،طرابلس،١٩٨٨.
- ويليام كوانت:أمريكا والعرب وإسرائيل، عشر سنوات حاسمة(١٩٦٧- ١٩٧٦) ترجمة: عبد العظيم حماد، كتاب أكتوبر، القاهرة، دار المعارف١٩٨٠ .

ب) الأجنبية:

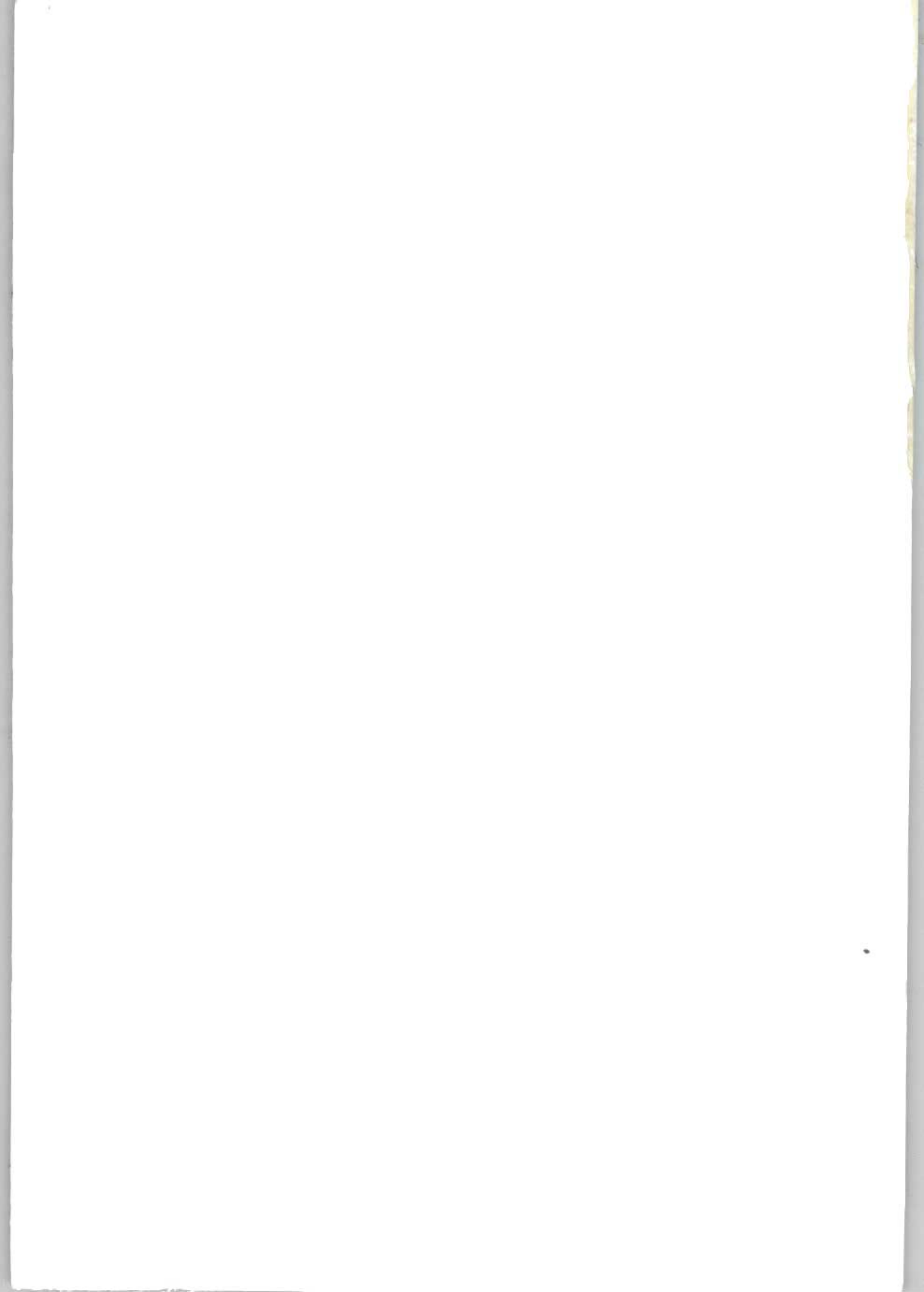
-Blanchard,Christopher M.:Libya Background and U.S Relations,Congressional Research Service, August 3, 2009.

-Lencyowski,George : United States Interests in the Middle East, Washington, 1968.

ثالثاً : الدوريات :

أ) العربية :

جريدة الفجر الجديد(الليبية) عدد ١٩٧٢/١/١٤





Journal Egyptian Historian

Studies & Researches In History & Civilization





Issued by the Department of History
Faculty of Arts - Cairo University

Volume 37 **July 2010**